صلاح الشاهد

ذكرياتي في عهدين



دار المعارف بمصر

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

ذكرياتي في عهدين

صلاح الشاهد

ذكرياتى فى عهدين

دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أرواح الزعماء العظام الذين تشرفت بالعمل فى ظلالهم وتركوا ظلهم على مصر . .

إلى هؤلاء المؤرخين أو الكاتبين الذين جعلوا من عمالقة مصر أقزاماً . .

إلى هؤلاء الكتبة الذين صنعوا من الأقزام عمالقة . .

إلى التاريخ الذى لا يكذب أبداً مهما ضل الناس .

أنشر هذه الذكريات ، وهى ليست كل الأسرار . . بل بعض ما شهدت وسمعت .

نوراً وهدى لبعض الحقائق . .

ربيع الأول ١٣٩٦

مارس ١٩٧٦

صلاح لبيب الشاهد

العهد الأول

الملكيّة

سعد زغلول باشا

فى حديث مع الرئيس السابق صاحب الدولة إبراهيم عبد الهادى « باشا » . .سألته :

- كيف قامت ثورة سنة ١٩١٩ والأسباب التى أدت إليها واختيار سعد زغلول باشا زعيماً . .

فقال دولته :

- عندى أنا ، إن القوى المحركة الموجهة والتى تركت فى الأعماق بذور التحرر والنماء ترجع إلى عدد من المفكرين وأصحاب العقائد : جمال الدين الأفغانى ، محمد عبده ، سعد زغلول ، ومصطفى كامل ، هذه المجموعة بروحها القوية مضافاً إليها التنافس بين كرومر المعتمد البريطانى والخديو عباس الثانى على السلطة أفسحت المجال لحرية الرأى وانطلاق الأقلام ، فظهر من أصحاب الأقلام النظيفة والعقول المفكرة عدد استطاع أن يوجه الأفكار نحو الثورة التحررية من ربقة الاستعمار وسط هذه العواصف : بين اليمين واليسار .

تجمعت فى سعد زغلول الشخصية التى يمكن أن تقود الأمة عند العاصفة لماذا ؟ ..

وجوابى على ذلك :

- أنه الشخصية التى تمثل مصر تمثيلاً خالياً من الصناعة وإذا قلت إنه كان يمثل مصر كلها فبحق لأنه ابن عمدة إبيانه ، فلاح بن فلاح ، وفى الوقت نفسه شخصية تحمل كبرياء الرئاسة وليس جبروتها ، كبرياء الرئاسة التى تتمثل فيها روح المسئولية وتحمل تبعاتها .

- بهذه الروح العصرية الخالصة والنفس العالية الموروثة انتقل سعد إلى الأزهر

(طالباً) وفى الأزهر عاش على هذه الصورة لم ينحرف عنها .

وقد حدثنا عنها المحامى المعروف « إبراهيم الهلباوى » الذى قال عنها :

إنها كانت أنظف من المستوى الذى كان يعيشه طلاب الأزهر فى ذلك الحين .

ـ وبهذه النظافة فى المستوى المعيشى والفكرى ، كانت أفكاره وآراؤه فيها من الامتياز والانطلاق والتفتح ما جعله موضع احترام زملائه وعلماء الأزهر أنفسهم .

واتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى فى صدر الحركة العرابية وأخذ للكثير منه ، واشترك مع الشيخ محمد عبده فى تحرير الوقائع المصرية ، وهى الجريدة الرسمية للدولة ، وبالرجوع إلى أعداد هذه الجريدة فى تلك الفترة ، نجد التطوير الكبير الذى أحدثه الشيخ محمد عبده وسعد زغلول فيها ، فقد أبرزا فيها الناحية الفكرية التقدمية من ناحية وحقوق الشعب وواجباته وتثقيفه من ناحية أخرى .

بعد ذلك اشتغل بالمحاماة وفيها تظهر بجلاء روحه الاستقلالية المتأصلة فقد رضى لنفسه أن يشتغل بهذه المهنة ، وقد كانت يومئذ سبة وعاراً لأن الطبقة المشتغلة بها وقتئذ لم تكن على مستواها . . وفى هذه المهنة انطلقت كوامن نفسه وقوته الفكرية وقدرته القانونية كرجل متفهم للتشريع الإسلامى قادر على هضمه . قادر على كشف كوامنه وخصائصه ، قوة فى المعارضة والإقناع ، مضافاً إلى هذا كله خصلة نادرة ما كانت توجد فى هذا الوقت فى هذه المهنة بالذات وهى الأمانة والاستقامة مما كانت سبيله إلى اختياره لمنصب القضاء .

وبذلك كان سعد زغلول أول محام انتقل من المحاماة إلى القضاء .

وتاريخه فى القضاء معروف ، وقد أثبت فيه أن المحامى صنو القاضى فى عمله وفضله ومكانته ، وقد كان قبوله لهذا المنصب فيه تضحية كبيرة من الناحية المالية لأن مكتبه كان يدر عليه الكثير .

وفى منصب القضاء ، كان قضاؤه العدل والنزاهة واستقلال الرأى ، وليس هذا رأيى ، ولكنه رأى زملائه القضاة سواء كانوا أجانب أو وطنيين ، إذ كانت صفحته أنقى وأطهر صفحة . وبقى فى القضاء ١٤ عاماً إلى أن تولى الوزارة سنة ١٩٠٦ .

ومما يروى عنه أنه حين تولى زعامة الأمة قال لشريكة حياته : إنه الآن سيوفى كل

ما فاته من دفاع عن المظلومين لأن هذه القضية هى قضية المصريين جميعاً .

ولقد عمل سعد ما استطاع لخلق جيل مثقف يتحمل المسئولية ، وفى ندوته كان الشباب الوطنى يتلقى منه التشجيع على مواصلة جهاده ، وساعد الشيخ على يوسف بالمال لتبقى (المؤيد) صحيفته التى كانت إحدى الصحف الوطنية الكبرى فى هذه المرحلة ، وأيد قاسم أمين فى دعوته لتحرير المرأة وإصلاح الحياة الاجتماعية كجزء من خطته التى رسمها لكى يخدم القضية الوطنية بإيقاظ روحها وتكوين رأيها ورفع صوتها .

ولما قامت الدعوة العظيمة لإنشاء الجامعة المصرية شجعها كل التشجيع وصدر من منزله أول منشور إلى الأمة لتأييدها وتبرع لها مع المتبرعين بمبلغ مائة جنيه .

ومما يدل على قوة شخصية سعد زغلول شهادة خصومه قبل أنصاره فيه . .

فاللورد كرومر – مع ما هو معروف عنه من غطرسة – وقف يخطب فى حفل وداعه .

فقال عن سعد زغلول ما معناه (إن فاتنى النص) : إن هذا الرجل شجاع فى عقيدته قدير فى عمله وقد علمنى كيف أحترمه . .

وكان سعد زغلول يمتاز أيضاً بإرادة حديدية قل أن تتوفر فى شيخ مثله فقد تعلم الفرنسية وهو فى سن الأربعين ونبغ فيها واجتاز بها امتحاناً فى الحقوق .

كان سعد زغلول يملأ نواحى متعددة ويشغل فراغاً قل أن يشغله شخص واحد بذاته .

كان بيته ندوة يلتقى فيها زملاؤه وأصدقاؤه وغيرهم من الراغبين فى المعرفة والاستزادة من الثقافات المختلفة ، والمعنى الذى اختص به سعد زغلول يومئذ الاتجاه إليه فى الرأى والمشورة .

وفى التعليم ترك أثراً ما زالت البلاد تنعم به ، فمدرسة القضاء الشرعى والدراسة باللغة العربية وروح الإدارة المصرية ودفع عدوان الأجنبى عنها وحكايات دانلوب والمعارك التى دخلها معه . . كل ذلك كان من غرسه ونتاج فكره وجهده المتصل

وقد استقبلته صحيفة اللواء – لسان مصطفى كامل – عندما عين وزيراً للمعارف

استقبالاً كريماً ، ولكنها فى الوقت نفسه أشفقت عليه من دانلوب وجبروته وتساءلت : هل سيكون كبقية الوزراء ، أم يكون وزيراً اسماً وعملا ويحيي سلطة الوزراء المصريين . . . ؟

والواقع – كما هو معروف – أن سعد زغلول كان وزيراً مصريًّا اسماً وعملا ، أوقف دانلوب فى مكانه الصحيح .

والذى لا شك فيه أيضاً ، أن تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف كان تتويجاً للحركة الوطنية إثر حادث دنشواى سنة ١٩٠٦ .

ولم يمض أسبوعان على توليه الوزارة حتى جمع كل السلطة فى يده وكان كل أمر من أمورها يظل معلقاً حتى يؤخذ رأيه فيه ، وبدأ كل موظف بالوزارة يشعر أن عهداً انتهى وعهداً بدأ ، وأن الوزير هو الوزير والمستشار هو المستشار ، يقول رأيه فقط ، والوزير هو صاحب السلطة الفعلية .

ولا أود أن أدخل فى التفاصيل ، فهى كثيرة يخطئها الحصر . . وإنِى لأذكر حادثاً أو حادثين . . وهما :

حادث ناظرة مدرسة السنية الإنجليزية التى فصلت طالبة بغير وجه حق وأصرت على رأيها برغم أمر الوزير بإعادتها ، فما كان منه إلا أن أعاد الطالبة وأحال الناظرة إلى مجلس تأديب ، وهاجت الصحف البريطانية وبعض الصحف المصرية الناطقة بلسان الإنجليز ولكنه لم يعبأ بذلك ومضى فى الشوط إلى نهايته . . وانتصرت إرادته .

والحادث الثانى مع الدكتور كتنج « ناظر مدرسة الطب » ، فقد دخل عليه بغير إذن ، فلم يصغ إليه إلا حين اعتذر له عن دخوله بغير إذن . .

أما الحادث الخطير الذى أغضب الخديو وأغضب شيخ الأزهر وأصر عليه سعد زغلول ، فهو إنشاء مدرسة القضاء الشرعى وتعيين المرحوم عاطف بركات بك مديراً للمدرسة بعد أن تعب الشيخ محمد عبده فى علاج وإصلاح بعض شئون الأزهر الذى انتهى بالشيخ محمد عبده إلى اعتزال منصبه فى مجلس الأزهر الأعلى .

وكانت مدرسة القضاء الشرعى تطويراً للدراسة الأزهرية التقليدية وأخذاً بالنظم الحديثة وفتحاً لباب الاجتهاد مما أهاج عليه ثائرة علماء الأزهر حتى بلغ بهم العنف

فى الخصومة إلى اتهام الشيخ محمد عبده وسعد زغلول بالكفر .

وتولى سنة ١٩١٠ وزارة الحقانية فأرسى قواعد الاحترام للقضاء ، كما اهتم بكرامة القضاة واهتم بكرامة المحامين ، فأسس لهم نقابة تحميهم وتصون حقوقهم وتجمعهم فى هيئة واحدة يناط بها الدفاع عن سمعتهم وشرف صناعتهم .

كما أنصف القُصَّر والمحجور عليهم من القوام والأوصياء وقد قدم استقالته فى قضية مشهورة تدخل فيها اللورد كتشنر شخصياً .

وعندما ترك الوزارة ونشأت فكرة الجمعية التشريعية اتجهت إليه جميع الأنظار والحزب الوطنى الذى كان يناوشه أحياناً ويهاجمه أحياناً أخرى .. فرشح نفسه فى دائرتين فى القاهرة بعيداً عن منبته فى الريف ، وقد نجح فى الدائرتين معاً : بولاق والسيدة زينب برغم محاربة كتشنر له ، والكل يعلم مدى قوة السلطان البريطانى فى ذلك الحين .

وفى الجمعية التشريعية يبدأ مركز الزعامة القومية فيتبوأها سعد زغلول بغير منازع وأصبح العلم الذى التفت حوله جميع الفرق ، وقد تقرر منذ ذلك التاريخ مستقبل الحركة الوطنية عندما قامت فى سنة ١٩١٩ .

وفى هذه الجمعية كان المحامى الضليع عن حقوق الأمة ، فكان صاحب الآراء العنيفة والعبارات الثورية الخالدة كقوله – على سبيل المثال :

– الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة –

كان هو الوكيل المنتخب وعدلى باشا يكن الوكيل المعين وكأن المقادير – منذ هذا التاريخ – هى التى أخذت تعد هذه الشخصية الفذة وتمدها بروح النضال الفكرى والثقافى والدستورى وتهيئها لليوم المرتقب لقيادة الأمة فى ثورتها التحررية الكبرى التى أيقظت الشرق كله من سباته وهيأته للنضال ضد الاستعمار .

وبذلك سارت الأمور فى الطريق الذى جعل سعد زغلول رجل الأمة وزعيمها الناطق بحقوقها وقلبها النابض بآمالها وآلامها وجرى النضال على نحو ما يعلم الجميع .

هذه الفترة السابقة لثورة ١٩١٩ كانت مدرسة للشبيبة المصرية عن طريق الصحافة المصرية الخالصة برغم ما كانت عليه من حال متواضع سواء من ناحية

التحرير أو ظروف الحرية المتاحة ، وكان الشباب يتسابقون إلى حياض المعرفة خطفاً من كل ناحية ، وقل أن يكون ذلك عن طريق مرشد أو راغب إلا حبًّا فى الاستزادة من العلم والتأسى بكبار المصريين الأصلاء فى مصريتهم مثل الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ومصطفى كامل والشيخ على يوسف أو من تشاء من أهل الرأى والفضل . وجرى بينهم عشق وتنافس عارم على الأدب العربى وحب التزود منه وكانوا يجتمعون لذلك طوائف – وأنت عليم بأن الأدب هو وعاء كل معرفة خصوصاً ما يتصل بتربية الإحساس والعاطفة وليس أقرب إلى قلوب الشباب من العاطفة الوطنية .

كان الشباب جميعاً يتتبعون كل كلمة تقال فى الجمعية التشريعية أو تكتب فى الصحف أو تقال فى الأندية .

ولما انتهت الحرب – أو قاربت – بدأت الرؤوس المفكرة وبدا القلب الكبير ينبض فى الساعة الملائمة ، وأخذ سعد زغلول يضم إليه من رجال مصر من يشاء من أهل الكفاية والقدر على مختلف معنى القدر ، فمنهم من يعين بالرأى والمشورة وبما يتبع ، ومنهم من يعين بماله ، والمال كما تعلمون عصب الحياة ، ومنهم من ضمه إلى الصفوف ليتقى خروجه على الصف ، وأخذ يبشر لليوم الكبير بالمبادرة إلى كل أمر يبدو يسيراً وإن كانت أعقابه كبيرة ، فيوم وقف مستشار الحقانية بالجمعية الجغرافية يمهد لتغيير القانون المصرى وإبداله بالقانون السودانى الموضوع على النمط الإنجليزى كان الناس ينصتون إلى خطابه ، وما كاد ينتهى منه حتى رأى الجمهور سعد زغلول وعلى البديهة يرد عليه ويفند محاولته بحجج آية فى البساطة ، وآية فى الوضوح وآية فى القوة . . . ومن أمثال هذا وغيره أخذ ينبه الناس ويلفت أنظارهم إلى أن فى الأمر شيئاً خطيراً . . وأن الحماية التى ضربت على البلاد برغمها لا يفكر الإنجليز فى رفعها بعد انتهاء الحرب وإنما يعملون على التمكين لها بتغيير التشريع مما هو من طبيعة الاستعمار ودهائه .

استمر الحال حتى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، الإنجليز يخططون للدوام ببقائهم والعقول المصرية المستنيرة تنبه إلى الخطر المحدق ، وفى هذا الوقت أمكن تشكيل الوفد على ما هو معروف ، وفى خلال ذلك كانت محاولة حسين رشدى باشا للسفر إلى

الخارج لبسط القضية المصرية فى إنجلترا قد باءت بالإخفاق .

وكان قد تم تشكيل الوفد المصرى وجمعت التوكيلات من جميع هيئات الأمة وموظفيها برغم محاربة السلطات البريطانية ، وبهذه الصورة اكتمل لسعد زغلول تمثيل مصرتمثيلا لم يسبقه إليه أحد ولا تجد عليه مطعناً من كائن من كان .

بهذه الصفات المكتملة لتمثيل الأمة قابل سعد زغلول وصاحباه : على شعراوى باشا ، عبد العزيز فهمى بك ، سير ريجنالد ونجت – المعتمد البريطانى فى مصر – طالبين السفر للمطالبة باستقلال البلاد ، فاستنكر « ونجت » موقفهم خصوصاً بعد ما ذكروا له الغرض الحقيقى من السفر وهو المطالبة باستقلال البلاد .

ومضت الأمور فى طريقها ، فاعتقل سعد زغلول وأصحابه .

وفى ٨ مارس سنة ١٩١٩ تقرر نفيهم .

وفى صبيحة ٩ مارس . . علم الطلبة والبلاد بالخبر فذهب وفد منهم – وكنت أحدهم – إلى بيت الأمة يستوثق من صحته ، فقابلنا لطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة فتحققنا مما سمعناه ، ولما استشعروا رغبتنا وتصميمنا على أنه لا بد أن يتحرك الشباب حركة غضب لاعتقال زعماء البلاد حاول عبد العزيز فهمى إقناعنا بأن هذا ربما يضر بالقضية وربما صور الوفد على أنه عنصر إثارة وتهييج ، فأكدنا له أننا – نحن الشباب – إذا اتخذنا قراراً فسيكون على مسئوليتنا وحدنا بعيداً كل البعد عن الوفد ، ونحن نعلم مقدماً أننا معرضون للانتقام وراضون به . أما أن ينفى زعماء البلد وتبقى البلد راكدة ساكنة لا تتحرك فذلك مالا نرضاه ونراه عيباً وسبة لنا معشر الشباب وقضاء على القضية التى من أجلها اعتقل الزعماء .

فذهبنا إلى مدرسة الحقوق وأكدنا الخبر لطلابها فتركوا فصول المدرسة وتجمعوا فى صالة المدرسة وقد رغب ناظرها « مستر دلتون » أن يستمهلنا حتى حضر « مستر أيموس » مستشار الحقانية – وكان ناظراً قديماً لمدرسة الحقوق – وقد حضر على عجل وحاول عبثاً إثناءنا عن فكرتنا حرصاً علينا وعلى مستقبلنا فلم يجد واحداً يشذ عن رأينا الذى عقدنا العزم على تنفيذه .

ولما لم يفلح من هذه الناحية طلب إلينا أن نسترشد برأى أولياء أمورنا لأن الموقف

جد خطير ، فرددت عليه قائلا :

إن أولياء أمورنا ومن يلجأ إليهم عند المشورة قد نفتهم السلطات البريطانية ولا سبيل إلى الاتصال بهم فى الوقت الحاضر .

.. وخرجت صيحة الطلبة جميعاً فى هذا اليوم هاتفة :

.. يحيا الإضراب . . ولتسقط بريطانيا . .

ومررنا على مدرسة الهندسة فخرجت عن بكرة أبيها ومررنا على السعيدية فحدث الشيء نفسه وذهبنا إلى مدرسة الطب – وكان ناظرها « مستر كتنج » وكان رجلا استعمارياً مخيفاً – فحاول تهديد الطلبة ومنع طلبة الطب بالذات من الخروج فى المظاهرة فتصدى له عبد الحميد داود بمدرسة الهندسة وجذبه جذبة قوية دحرجته على السلم واندفع الطلبة فى مظاهرة عارمة كالفيضان تسير فى شارع قصر العينى . وعند شارع المبتديان تصدى لها عدد من الكونستبلات الإنجليز فوقع من وقع ، وجرح من جرح ، واتجهت المظاهرة نحو درب الجماميز وكانت ملحمة عنيفة بين الطلبة وقوات البوليس الراجلين وراكبي الموتوسيكلات والخيل برئاسة اليوزباشى (النقيب) محمد حيدر ، وقبض على عدد كبير من الطلبة وأودعوا سجن القلعة .

وسارت الثورة منذ ذلك اليوم فى طريقها ولم يقتصر الإضراب على الطلبة وإنما تعداه إلى عمال الترام وإلى الحوذية وأغلقت المحال العامة احتجاجاً وتجددت المظاهرات من الجميع ، وكان يقابلها الإنجليز بالمدافع الرشاشة ، وأضرب المحامون إلا من كان يوفدهم مجلس النقابة إلى المحاكم لتأجيل القضايا .

وانتشرت المظاهرات فى مدن القطر جميعها وكانت كلها تقابل بالرصاص فانفجرت الثورة فى جميع أنحاء البلاد جارفة تضم الطلبة والموظفين والعمال والفلاحين ، جميع أبناء مصر بغير استثناء .

وانقطعت خطوط السكك الحديدية وقام التخريب فى كل مكان تصل إليه الأيدى وظهرت شجاعة الشعب بجميع طوائفه على نحو رائع بالتضحية والفداء حتى إن البعض كان يموت وهو يهتف بحياة الوطن أو رافعاً العلم ، وحين كان يسقط العلم من الأيدى التى كانت تحمله بعد وقوعه مضرجاً بالدم يبادر إلى رفعه آخر يستقبل

الموت كزميله سعيداً مبروراً .

ونفى سعد إلى جزيرة مالطة ، وهو فى مالطة لم ينس القضية التى قام يدافع من أجلها فكان أول عمل له هناك أن أرسل برقية تاريخية إلى رئيس الوزراء البريطانى يذكره بتصريحات الحكومة البريطانية المتكررة بالجلاء عن مصر وأن الاحتلال لن يكون إلا وقتياً ، ويذكرلهم فى هذه البرقية أن شرف الحكومات والممالك لا يقدر إلا بمقدار احترام ساستها ورجالها للمعاهدات السياسية التى يبرمونها والتصريحات الرسمية التى يقولها رجالها الرسميون .

وكان ذلك آخر ما يتوقعه البريطانيون من سعد زغلول فى هذه الجزيرة التى يملكونها ، والتى بدأ سعد يتخذها ميداناً لمعركته مع بريطانيا بعد أن نفته فيها فاضطرت بريطانيا إلى الإفراج عنه وعن زملائه بعد شهر واحد من النفى والسماح لأى من أعضاء الوفد بالسفر إلى حيث يشاء .

وهناك فى باريس التقى الوفد بكامل هيئته وهنا يبدو موقف الثورة المصرية بقيادة سعد زغلول فى مكانه الحق من التاريخ . هذا التاريخ الذى لم يعرف قبلها وقفة الإيمان مجردة من القوة فى وجه إمبراطورية لا تغرب الشمس عن أملاكها وهى خارجة من أكبر حرب عالمية مزهوة بالنصر مدججة بالسلاح .

ولا شك فى أن هذه الثورة ارتقت بالجهاد الإنسانى خطوة جديدة فى سبيل رفعة الإنسان وصعوده إلى مراتب التقدم التاريخى ، ولعل من أهل الرأى الرفيع من أعطاها حقها وقدرها ، وحسبى . . أن أشير إلى المهاتما « غاندى » حين قال :

نحن فى جهادنا تلاميذ لسعد زغلول

كانت الروح الوطنية تشغل المصريين جميعاً وتربطهم برباط الإيمان القوى والتآخى الذى يفدى فيه كل وطنى أخاه . . ولقد عز واستحال على الإنجليز أن يجدوا سبيلا إلى فتنة المواطنين بالرشوة والمال الغزير أو بالتهديد والتنكيل الشديد وكثيراً ما وقعت حوادث ذهب فيها بعض الأبرياء ضحية وهم يعرفون من المسئول عنها ، وتأبى وطنيتهم أن يوجهوا التهمة إلى فاعلها لينجو من هول العقاب .

والوقائع تروى قصة : إبراهيم نظير حين اتهم بقتل أحد البريطانيين وحكم عليه

بالإعدام وبعد سنتين من هذا الحكم ونفاذه ظهر أن القاتل الحقيقى كان محمد على أحد العمال الذى حوكم على هذه التهمة نفسها وحكم عليه بالإعدام . وليس هناك مثل فى التضحية ولا فيما سطر فى تواريخ الجهاد والفداء فى وثبات الأمم أروع من هذا المثل .

سيكتب التاريخ الحقيقى ، وأتمنى أن يكتب هذا التاريخ فى حياتكم من علماء التاريخ فتعرفون أن سعداً رفع الإنسانية إلى مقام لم يكن لها من قبل وأشعرها أنها بإيمانها وتصميمها والرضا بالتضحية لا بد أن تصل وتحقق أهدافها .

ثم سألت دولة الرئيس السابق إبراهيم عبد الهادى « باشا » عن حقيقة الائتلاف الذى وقع عام ١٩٢٦ وموقف سعد من هذا الائتلاف .

فقال دولته :

إن موقف سعد زغلول فى هذا الائتلاف كان صريحاً وواضحاً وهو لم يكن يسعى إلى الائتلاف وإنما كان يريده اندماجاً ولو طال به العمر لحققه على هذا الأساس .

النحاس باشا

كيف انضم النحاس باشا إلى الوفد سنة ١٩١٩

سألت صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا – أن يروى قصة انضمامه إلى عضوية الوفد المصرى سنة ١٩١٩ ، فقال : هذا شيء يطول شرحه ولكنى سأحدثك بوجه عام ، (وكان هذا الحديث على ما أذكر فى صيف عام ١٩٤٧ وفى الإسكندرية) قال رحمة الله عليه :

أنت تعلم قوة إيمانى بالعلى القادر الذى أنشأنا من الأرض واستعمرنا فيها ليبلونا فيما آتانا ، وأينا أحسن عملا .

ومن فضائل الإيمان ، الوطنية ، وحماية الحرم وقد درست القانون وقواعد العدل والمساواة والحرية للأفراد والشعوب ، وعملت فى المحاماة وفى القضاء ، وتمكنت الشورى والديمقراطية فى عقلى وفكرى .

ومن كل هذا ، ومن الجهاد المصرى للاستقلال وتأكيد الحضارة المصرية التى أنارت العالم منذ آلاف السنين تكون وعائى النفسى والخلقى .

ولقد لفت انتباهى فى شبابى رجلان ، مصطفى كامل ، وسعد زغلول ، وما أهمنى فى أسلوب مصطفى اعتماده على الخديو عباس الثانى صاحب السلطة الشرعية على هذه الأمة ، والذى حاول قدر ما استطاع التمكن من هذه السلطة بانتزاعها من معتمد الاحتلال الغاصب ، ولذلك كنت أميل إلى مبادئ الحزب الوطنى وكان لى بين رجاله أصدقاء .

وكان عزل الخديو عباس وفرض الحماية على مصر غصباً حديث كل الوطنيين

المصريين بعد أن تناست بريطانيا العظمى وعودها العديدة بالجلاء وترك السلطة الشرعية تمارس حكم المصريين .

وما إن قاربت الحرب العالمية على النهاية حتى تقاربت الرءوس وتهامس الوطنيون يبتغون الوسيلة للاستقلال والحرية ومنع المحتل الغاصب من تبديل الحماية والأحكام العرفية إلى ضم مصر إلى ممتلكات التاج البريطانى التى لا تغيب عنها الشمس .

ولا قوة لدينا غير حقنا فى الحرية والاستقلال من غير تدخل أجنبي ، ثم صدق الوطنية والجهاد ، وهو ماتمتع به جيلنا الذى نشأ على الأمانة الوطنية .

ولا يقولن أحد إن بين من قادوا هذا الشعب فى العصر الحديث من خان الأمانة الوطنية ، بل إن الفكر والتكوين والظروف والإمكانيات والإغراءات والأسلوب هو الذى يفرق بين هذا وذاك ، ثم هناك مطامع النفوس ومطامحها مما يسارع بالعاجل الأقل ، ولا ينتظر الآجل الكامل .

وأكاد أقول هكذا الدنيا ، وهكذا ساسة العالم .

ولقد فتنت بالزعيم الأوحد لهذا الشعب ووكيله المفوض من كل طبقاته وفئاته ، المرحوم خالد الذكر سعد زغلول باشا .

وتتبعت آثاره محامياً وقاضياً ووطنيًّا أميناً ، وتمنيت مقامه ، وأكرمنى رب العزة فأصبحت خليفته فى قيادة هذه الأمة الخالدة على الزمن .

وطلع علينا الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة بمبادئه الأربعة عشر ، وما كان يهمنا فيها تأكيده حق الشعوب الصغيرة وحريتها فى تقرير مصيرها ، وهو ما كان يغلى فى جوانح المصريين كافة بعد أن سامتهم السلطة الغاصبة العذاب فى « التطوع الإجبارى » للحرب إلى جانبها ونهب خيراتها بل مواشيها .

تفكير الشباب :

وكنت قاضياً فى طنطا كثير التردد على القاهرة والاجتماع مع صفوة من الأصدقاء فى مكتب المحامى الشهير المرحوم أحمد بك عبد اللطيف ، وكان على ماهر باشا

يحضر بعض هذه الاجتماعات ، وكان يومئذ مديراً لإدارة المجالس الحسبية بوزارة الحقانية (العدل) وكنا مشبعين بآراء الحزب الوطنى .

وذات يوم عرضت على المجتمعين فكرة ثورية بأن نأتى نحن ومن تسمع ضمه إلى جماعتنا عملا تسمع عن طريقه أوربا وأمريكا صوت مصر المحتلة الراغبة عن استحقاق فى أن تتمتع بما انطوت عليه مبادئ الدكتور ويلسون . وراقت الفكرة للجميع وفكرنا فى الأسلوب وأخذنا نتدارسه ، لكننا انتهينا إلى أننا جنود صغار لا يعرف الشعب عنا شيئاً ، وقد لا يجدى عملنا الأثر الذى نأمل . وقررنا أنه لا بد لنجاحنا أو نجاح الأمل الذى يراودنا أن تتقدمنا أسماء ذات شهرة تقلدت المناصب الرفيعة ، فيكون لسعينا الأثر المطلوب فى أوربا وفى أمريكا ووقعه لدى الجماهير المصرية .

ونبهت الإخوة وقتئذ إلى أن السلطة العسكرية لن تسكت على هؤلاء الكبار الذين نختارهم وستطاردهم وقد تعتقلهم ، وواجبنا فى هذه الحال أن ننزل الميدان ونحمل علم الجهاد . ولم يطل تفكيرنا فى الزعيم القائد ، بل أجمعنا على أن يكون سعد زغلول باشا .

ولكن كيف الوصول إليه وليس بيننا من هو على صلة به تمكنه من مفاتحته فى الأمر ، ولما قيل لى إنك لا بد أن تعرف سعد باشا وقد كان لك موقف معه لما كان وزيراً للحقانية ، فقلت إنها معرفة رسمية سطحية لا تؤهلنى لمفاتحته فى هذا الأمر الخطير . فقال على ماهر إنه يعرف عبد العزيز فهمى بك وربما تمكن من إقناعه بمخاطبة سعد باشا بأفكارنا وقيادته حركتنا .

وزار على ماهر عبد العزيز فهمى بك ، ثم قمت أنا بزيارته ، وتتابعت الزيارات .

وذات مساء مال علينا عبد العزيز فهمى بك وقال بصوت خافت :

اسمعا . . لقد فكرنا نحن فيما فكرتم فيه أنتم ونفذنا الفكرة . . هذا الأمر سر لكما وأود ألا يعلم به أحد .

فاندهشت ووجدتنى أقول له : نفذتم الفكرة وكيف ذلك .

فقال عبد العزيز :

إني وسعد باشا وعلى شعراوى باشا ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك نواصل الاجتماع والبحث فى تأليف وفد يسافر إلى أوربا لبسط قضية مصر أمام ساستها . . هذا سر بيني وبينكما فاكتماه فى أعماق قلبيكما ، وألزما وصحبكما كل هدوء الآن ، ولا تكثرا من التردد علينا لئلا تلتفت أنظار السلطة إلينا فتحوم الشكوك حولنا . .

ثم نهض واقفاً وقال :

أستودعكما الله .

وكان لكل منا فى هذه الفترة جهاده ، ومن ثم عرفت الزعيم سعد زغلول باشا . ومن بعد كان ما هو معروف من تأليف الوفد المصرى بقيادة سعد زغلول باشا .

ولما شرع سعد باشا فى تشكيل الوفد المصرى النهائى الذى سيسافر إلى أوربا نشأ بينهم وبين الحزب الوطنى بعض الخلاف فرأى سعد باشا رغبة منه فى التوفيق لخدمة قضية البلاد أن يقترح على الحزب الوطنى أن ينضم إلى الوفد مصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى (عضو اللجنة الإدارية للحزب) .

ووافق الحزب الذى كنت أنتمى إليه فكرياً . وأصبحت عضواً فى الوفد المصرى بقرار صدر يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

وفى يوم ٢٣ نوفمبر ١٩١٩ اجتمع الوفد وصادقنا على مشروع قانون تأليف الوفد .

وكانت المادة الأولى تنص على تأليفه من الأعضاء السبعة السابقين على ضمى وحافظ عفيفى .

وحددت الثانية مهمة الوفد فى السعى بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعى سبيلا إلى استقلال مصر استقلالاً تاماً .

ونصت المادة الثالثة على أن الوفد يستمد قوته من رغبة أهالى مصر التى يعبرون عنها رأساً أو بوساطة مندوبيهم فى الهيئات النيابية .

والمادة الخامسة على أنه لا يجوز للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها ، فليس للوفد ولا لأحد أعضائه أن يخرج فى طلباته عن حدود هذه الوكالة التى يستمد منها قوته ؛ وهى استقلال مصر استقلالاً تاماً وما يتبع ذلك من التفاصيل .

ونصت المادة الثامنة على أن للوفد أن يضم إليه أعضاء آخرين مراعياً فى انتخابهم الفائدة التى تنجم عن اشتراكهم معه فى العمل .

ولعل ما أوردته المادة الخامسة عن حدود وكالة الشعب للوفد كان السبب فى الخلاف بين الزعيم سعد زغلول باشا وغيره .

رأى سعد زغلول باشا فى مصطفى النحاس باشا :

سأل الأستاذ الجليل محمد كامل سليم بك سعد زغلول باشا (وكان سكرتيره) عن رأيه فى مصطفى النحاس فقال سعد باشا :

مصطفى النحاس . . . رجل ذو قلب طيب ، ومبدأ ثابت ، يميل إلى الثرثرة ولكنه خفيف الروح ، به خفة ورعونة ، يميل إلى الخيال ، سريع الانفعال ولكنه لا يتغير بتغير الأحوال ، وطنى مخلص وهو فقير مفلس ، ذكى غاية الذكاء ، وفىّ كل الوفاء ، وله فى نفسى مكان خاص .

مع الزعيم مصطفى النحاس :

كنا ثلاثة فصلتنا وزارة المعارف من مدرسة فؤاد الأول الثانوية قرب نهاية عهد صاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا الذى حكم البلاد بأسلوبه الخاص وأنشأ لها دستوراً على هواه .

محمد عبد المنعم شوقى ابن شقيقة زعيم مصر الراحل العظيم مصطفى النحاس .

وعلى حسيب نجل حسن حسيب باشا عضو الوفد المصرى ووزير الحربية .

وكاتب هذه الذكريات . .

وإذا كانت السمة الوفدية قد برزت فى السطور السابقة على زميلى ، فلم أكن غريباً عن الوفد والوفدية والوفديين ، فوالدى المرحوم محمد لبيب الشاهد باشا كان عضواً فى الهيئة الوفدية ، وكانت المرحومة والدتى عضواً فى لجنة السيدات الوفديات .

وكان ثلاثتنا ضيوفاً دائمين فى منزل الزعيم مصطفى باشا يرعانا بأبوته النادرة .

وكان مصطفى باشا من المعجبين بفن المرحوم على الكسار ، وكان يشركنا معه

فى كل حفلة يحضرها . وكثيراً ما تمتعنا فى هذه الحفلات فى ظلال النحاس باشا بفن بربرى مصر الوحيد .

فى مدرسة الأهرام الثانوية الأهلية :

وجمعتنا مدرسة الأهرام الثانوية الأهلية بالسنة الرابعة بالقسم الأدبى .

ومضت بنا شهور هذا العام سريعة بين المسارح واحتفالات الوفد ، والمشاركة السياسية فى الأحداث التى جرت فى نهاية حكم المرحوم صدقى باشا ، وبداية حكم صاحب الدولة المرحوم عبد الفتاح يحيى باشا ، والآمال تسرح فى عودة مصطفى باشا إلى الحكم .

وفوق أنه لم يكن للتحصيل العلمى لدينا نصيب فقد اعتمدنا على أن سنوات الانتقال فى المدارس الأهلية سهلة فى امتحاناتها ، بل يمكن التجاوز فيها عن الامتحان نهائيًّا .

وفوجئنا فى نهاية العام بأن ثلاثتنا راسبون فى امتحان النقل إلى السنة الخامسة .

وتجمعنا فى مكتب صاحب ومدير مدارس الأهرام المرحوم الأستاذ طه السويفى فى وجود شريكه المرحوم الأستاذ محمد عبد الهادى ، والأستاذ على صالح – أطال الله حياته – وكيل المدرسة ، وظهرت براعة عبد المنعم شوقى ، وقال للمرحوم طه إن دولة النحاس باشا كلفنى أن تبلغه أنت شخصيًّا نتيجة امتحاننا .

وأمسك بالتليفون وطلب منزل النحاس باشا وقال له إن الأستاذ طه السويفى مدير المدارس سيخبركم شخصيًّا بنجاحنا أنا وعلى وصلاح .

وسارع بمناولة السماعة إلى الأستاذ طه الذى وقف من على كرسيه يحيى دولة الباشا بصفات ونعوت مختلفة ويبلغه نجاحنا وانتقالنا إلى السنة الخامسة (البكالوريا) ! !

فسر خاطر النحاس باشا وقال له إن المدارس الأهلية أخذت تجارى المدارس الأميرية ، وشكره على الجهد العلمى الذى تبذله مدرسته ووعده بمساندة التعليم الحر عند عودته للحكم ما دام قد ارتقى هذا الرقى .

ثم دعاه وشريكه ووكيل المدرسة والمدرس الفرنسى مسيو أوكتاف كيفان ومدرس

اللغة الإنجليزية مستر « بالمار » ومدرس التربية الوطنية المرحوم عبد العزيز وصفى لتناول الغداء على مائدته بمنزله بمصر الجديدة وكنا بين الحاضرين .

وما إن انتهى من المحادثة مع دولة النحاس باشا حتى انفجر فينا مهاجماً وسألنا كيف ننجح ونحن لم نفكر فى الدروس طوال العام ؟ . .

ثم تفتق ذهنه عن إحضار ثلاث شهادات بيضاء وأخذ يضع الدرجات حسب هواه ، وعندما عرف رسوبنا أعطى كلا منا درجة النجاح فقط .

وكان عبد المنعم راسباً فى الرياضة فأعطاه ٤ درجات من ٢٠ .

وكان على راسباً فى اللغة العربية فأعطاه عشرين من خمسين .

وكنت راسباً فى اللغة الفرنسية فأعطانى سبعاً ونصفاً من ثلاثين .

وفى اليوم التالى تقابلنا بالمدرسة وذهبنا بالمدعوين إلى منزل النحاس باشا الذى أحسن استقبالهم وأصر على الاطلاع على الشهادات بعد أن تمنع عبد المنعم بدعوى أن ذلك يكون بعد الغداء .

وما إن اطلع على الدرجات السابقة خاصة فى مواد الرسوب حتى ثار على الأستاذ طه ، وقال له إن مدارسه بايظة لأنه غير معقول أن تكون درجة النجاح هى جهد الطالب بهذا التحديد ، معقول تكون أربعاً ونصفاً أو خمساً مثلا أو ثلاثاً ونصفاً ويعتبر الطالب راسباً ؟ . . أما أن تتضمن الشهادة الحد الأدنى للنجاح فهى دليل على عدم نجاح التعليم الحر . . .

ثم أمر دولة النحاس باشا بأن يحضر مدرسو المواد التى رسبنا فيها إلى الإسكندرية فى الصيف لتقويتنا فى هذه المواد استعداداً للبكالوريا ، وقرر النحاس باشا حبسنا طوال إجازة الصيف مع المدرسين للمذاكرة ، وكان لا يسمح لنا بالخروج إلا إلى البحر معه فى الساعة السادسة صباحاً يومياً ، ونسبح معه بإشراف رائد السباحة : إسحق حلمى .

مطالبة النحاس باشا بخمسمائة جنيه :

من الوقائع الطريفة التى قصها على الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا هذه الواقعة . . ولا يمكن لإنسان – عرف النحاس باشا – أن ينكر عليه أسلوبه السلس وتواضعه الجم وطبيعته الشعبية .

كان النحاس باشا مرآة صافية شفافة لا غموض فيها أو التواء .

كان النحاس باشا – وهذا ما يعترف له به خصومه قبل أصدقائه – نزيهاً ، لا يعرف غير الحق ، وطيباً بكل ما فى المصريين من طيبة ، وأصالة وسماحة نفس .

كان النحاس باشا لا يخفى أنه كان فقيراً ، وكان لا يملك سوى مرتبه عندما كان قاضياً .

وعندما اشتعلت ثورة ١٩١٩ ، لبى نداء الثورة ، وخلع وشاح القضاء وضحى بمرتبه لينضم إلى لواء سعد باشا .

وعند تفرق كبار أعضاء الوفد من حول سعد باشا ، لم يبق بجواره سوى مصطفى النحاس باشا وفتح الله بركات باشا وسينوت حنا بك وويصا واصف بك ومكرم عبيد باشا الذين آمنوا بسياسة سعد زغلول زعيم الشعب ورئيس الوفد الموكل عن الأمة .

وعندما تولى مصطفى النحاس باشا منصب سكرتير الوفد ، كان الوفد يخصص مرتباً للسكرتير ليستطيع مجابهة أعباء الحياة .

وعندما ترك النحاس باشا رئاسة الوزراء (سنة ١٩٣٠) على أثر إخفاق مفاوضات النحاس / هندرسون بسبب مسألة السودان ، كان معاشه من الدولة ١٢٥ جنيهاً شهرياً ، كان النحاس باشا يخصص منه ١٥ جنيهاً للسيدة شقيقته ، وكان يعطى لمديرة منزله ستين جنيهاً للإنفاق على لوازم المنزل ، أما الباقى فكان ينفقه فى شكل هبات وتبرعات ، وكان رفعته كريماً وسخياً لا تعرف شماله ما تعطيه يمينه .

ومما يذكر أنه خلال الثلاثينيات بدأت الدعوة لحماية الصناعة المحلية من غزو الصناعات الأجنبية بعد أن استفحل شأنها .

وكان النحاس باشا فى وزارة عام ١٩٢٧ قد أصدر قانوناً للرسوم الجمركية لحماية

الصناعة الوطنية ، وكان القصد منه الحد من تأثير المنتجات الأجنبية على الاقتصاد الوطنى ، وهو القانون الذى ألغته وزارة إسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ .

وبدأ لفيف من الشباب ما سُمى (مشروع القرش) ، وهو مشروع قصد منه إقامة بعض الصناعات المصرية .

وبدأت حملة التبرعات ، وتوجه الشاب الأستاذ أحمد حسين – رئيس حزب مصر الفتاة أو الحزب الاشتراكى فيما بعد (وهو حزب ناصب مصطفى النحاس باشا العداء ، بل إن أحد أعضاء مصر الفتاة حاول اغتيال الزعيم مصطفى النحاس باشا) وطلب من زعيم مصر التبرع لمشروع القرش ، وسارع النحاس باشا وأعطى الأستاذ أحمد حسين خمسة عشر جنيهاً واستبقى لنفسه جنيهاً واحداً ، وهذه واقعة رواها أحمد حسين فى كتابه « إيمانى » .

أما الواقعة التى أقصدها أساساً فى هذا المقام . .

فمن المعروف أن إسماعيل صدقى باشا تولى رئاسة الوزراء وأجرى انتخابات زائفة بعد أن ألغى دستور سنة ١٩٢٣ وقامت المظاهرات فى طول البلاد وعرضها تطالب بعودة دستور الأمة وخضبت الأرض الدماء إذ قمعت الحكومة المظاهرات بقوة السلاح وارتكبت ما أقشعرت له الأبدان ، كما حدث فى البدارى وحلوان وغيرهما ، وأنزلت العقوبات بجميع المناوئين لسياستها وأنشأت بنك التسليف الزراعى الذى سخرته لأنصارها وقاومتها الأمة بزعامة مصطفى النحاس باشا الذى انضم إليه المرحوم محمد محمود باشا والأحرار الدستوريون .

وحاول صدقى باشا النيل من مصطفى النحاس باشا فأصدر دولته – وكان وزيراً للمالية بجانب الرئاسة – قراراً بتخفيض معاش النحاس باشا إلى ٦٠ جنيهاً بحجة أن رئاسة الوزراء قد أخطأت فى ضم الفترة التى قضاها النحاس باشا فى الجهاد والمدة التى نفى فيها النحاس باشا إلى سيشل مع الزعيم الخالد سعد زغلول باشا .

ولم تعلن الحكومة قرارها إلى النحاس باشا اكتفاء بإبلاغ بنك مصر الذى كان يحول المعاش إليه . واستمر بنك مصر يصرف المعاش كما هو دون الخصم الذى قررته الحكومة حتى تراكم على النحاس باشا مبلغ ٥٠٠ جنيه ، قيمة الفرق المستحق

للبنك بعد تخفيض المعاش ، وفوجئ النحاس باشا بخطاب من بنك مصر يطالبه بالوفاء بهذا المبلغ .

وتسلم المطالبة الأستاذ إبراهيم فرج وكان سكرتيراً خاصًّا للنحاس باشا فتوجه إلى البنك حيث قابل المرحوم طلعت حرب باشا الذى استاء لمطالبة زعيم الأمة بهذا المبلغ ، وصمم على مجازاة المتسبب لعدم إبلاغه أى النحاس باشا بالقرار الحكومى .

ولما علم النحاس باشا بهذه الواقعة كلف مكرم عبيد باشا برفع دعوى على الحكومة .

وأنصف القضاء مصطفى النحاس باشا ، وألغى القرار وقبض النحاس باشا فرقاً وصل إلى ١٠٠٠ جنيه سدد منه دين البنك .

وكان النحاس باشا يفخر بهذه القصة . .

ومما يذكر فى هذا الصدد . .

أن الوفد المصرى – وهو أضخم الأحزاب المصرية على الإطلاق فى الحياة السياسية العامة منذ سنة ١٩١٩ حتى قيام ثورة ١٩٥٢ – لم يكن له « أمين للصندوق » وكانت كافة المبالغ المملوكة للحزب مودعة فى خزينة خاصة ببنك مصر باسم النحاس باشا .

وعند صدور قرار إلغاء الأحزاب سنة ١٩٥٣ ، وأيلولة أموالها للحكومة قام مصطفى النحاس باشا بتسليم الحكومة مبلغ ٩٠ ألف جنيه . . هى أموال الوفد التى كانت لديه فى حقيبة خاصة ، حتى إن أحد كبار الوفديين المقربين من رفعته أشار عليه بالاحتفاظ ولو بجزء من هذا المبلغ الكبير الذى لم يكن يعلم به إلا القليل من كبار الوفديين ، وصرخ النحاس باشا فى وجهه قائلا إنه ليس مالى وأنا لا أزال الآن كما كنت قاضياً وأسكن فى شبرا ، وغذائى طبق خضار والحلوى طبق بلح .

الهيئة الوفدية تجتمع فى محل « الشيمى الكبابجى » (١٥ مايو سنة ١٩٤١ م)

ولما كان الوفديون ملاحقين دواماً من حكومات الأقلية التى يشكلها القصر لغاياته ولمواجهة الوفد المصرى ، حزب الأغلبية الشعبية ، فقد رأت الهيئة الاجتماع فى منزل آل الشريعى بشارع سليم الأول بالزيتون .

ثم نما إليهم أن مكان الاجتماع قد علمت به وزارة الداخلية وأنها بسبيل منعه حيث لم تصرح الحكومة باجتماع عام .

وتم التفاهم مع أعضاء الهيئة على أن يذهبوا فرادى إلى الزيتون ثم ينصرفوا للاجتماع فى محل الشيمى الكبابجى بميدان توفيق .

وكان السائد بين النحاس باشا ومكرم باشا أن يمر الثانى على المنزل صباحاً ويخرجا معاً يومياًّ فى سيارة مكرم باشا إلى بيت الأمة .

وفى المساء يمر مكرم باشا على منزل النحاس باشا ويصرف السيارة إلى حيث تريدها عقيلته عايده هانم ، ثم يركبان سيارة النحاس باشا إلى بيت الأمة .

ودعانِي النحاس باشا وطلب منى أن أركب سيارته مع المرحوم اللواء وحيد شوقى ابن شقيقته الأكبر ، ثم نذهب إلى الزيتون على أن نسدل الستائر الخلفية للسيارة .

وغادرنا المنزل فى طريقنا إلى الزيتون تلاحقنا سيارة المراقبة البوليسية بقيادة المرحوم محمد وصفى .

وأوصانا النحاس باشا بأن نرد تحية الشعب لسيارة الزعيم .

وفوجئت الرقابة البوليسية بنزولنا من سيارة النحاس باشا وأنه لم يكن بها وكذلك مكرم باشا فسارعوا إلى منزل النحاس باشا الذى كان قد غادره ومعه مكرم باشا حيث عقدت الهيئة الوفدية اجتماعها برئاسته فى الشيمى الكبابجى .

الخلاف بين الملك والنحاس . . قديم :

على أن كاتب هذه الذكريات الذى عاصر النحاس باشا فى منزله منذ عام ١٩٣٥ يرى أن العلاقات السيئة بين الملك والنحاس كانت قائمة منذ ولى الملك سلطاته الدستورية عام ١٩٣٧ وقد حدث الانقسام الثانيِ فى الوفد فى هذا العام وكان الأول عام ١٩٣٢ لما خرج ثمانية من أعضاء الوفد عليه وأطلق عليهم الأستاذ محمد التابعى (السبعة ونصف) وكان هذا النصف هو على الشمسى باشا لقصر قامته .

عندما أعاد النحاس باشا تشكيل وزارته بعد تولى الملك سلطاته بدأت الاحتكاكات

بين ملك البلاد الشاب وزعيم الشعب صاحب التاريخ الوطنى الطويل العريض النزيه المؤمن

وكان ثلاثة ينفخون فى النار . . . على ماهر – أحمد حسنين . . الشيخ محمد مصطفى المراغى ، وتفاقمت الخلافات وشارك كثيرون ممن لهم مصالح فى توسيع شقة الخلاف . ومن النوادر اللطيفة أن هؤلاء السعاة أرادوا إقلاق راحة النحاس باشا وهو يستجم فى رأس البر حيث تلقى تبليغاً ملكيًّا بأنه ليس من سلطات الحكومةتعيين موظفى القصر وخصوصاً إذا كان الموظف أجنبيًّا .

وعاد النحاس باشا إلى القاهرة وطلب مقابلة الملك الصغير ثم أخذ يشرح له الحدود الدستورية وسلطات الحكومة المنتخبة من الشعب وأنه شخصيًّا يعتبر نفسه المستشار الأول للملك وفقاً للدستور (أبوك كان يعاملنى كده) فثار الملك وقال (مستشار إيه . . . أبويا بتجيب سيرته بالطريقة دى ازاى ؟ . . أنت ناقص تقول لى إنك تعين الحلاق اللى يحلق لى ذقنى) وأمسك الملك بذقنه .

فقال النحاس باشا (ده يكون أحسن لراحتك ولحمايتك من كل مساءلة) .

فى هذا الجو نسج المتآمرون خيوطهم بعناية ودهاء شديد وراحوا ينشرون فى المجالس السياسية والمنتديات أن الملك لا يكره حزب الوفد وأنه خاضع للدستور ولا يمكن أن يحرم الأغلبية الشعبية من تولى الحكم ، ولكنه لا يحب النحاس باشا أو أنه (يستثقل دمه . .) .

وهل خلا الوفد من الأشخاص وعقمت فيه الزعامات بحيث صار النحاس باشا صاحب الأمر والنهى المفرد الذى يوجه السياسة فى كل شىء وفى كل قرار ؟ . .

أو ليس من الأولى اختيار شخصية وفدية ممن يثق بهم النحاس باشا تؤلف الوزارة ويوجهها هو من وراء الستار كما يحب ويشاء ؟ . .

وقد تزعم هذه الدعوة المرحوم على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى ربما ليصل بشقيقه المرحوم الدكتور أحمد ماهر باشا إلى رئاسة الوزارة ، ويقصى النحاس باشا الذى خلف سعد باشا فى زعامة الشعب والوفد ، وبقى على ماهر باشا محدود الصلة بالشعب .

والدكتور أحمد ماهر باشا له تاريخه الوطنى المعروف وكان أحد البارزين فى الوفد وكان وزيراً للمالية فى وزارة سعد باشا سنة ١٩٢٤ التى استقالت عقب مقتل السردار .

وحاكم الإنجليز الدكتور ماهر والمرحوم محمود فهمى النقراشي وكان سعد باشا يشرف على دفاع المحامين عنهما .

وكان من شأن هذه التنحية لو تمت الحد من نفوذ مكرم عبيد باشا فى الوفد .

وأبلغ الدكتور ماهر باشا النحاس برأى الملك فيه ، وبأنه لا يمانع فى تولى الوفد الحكم ولكن ليس برئاسة النحاس باشا .

فقال له النحاس باشا : يا أحمد لا تصدق أن هذا الكلام يراد به الحق والصدق . . . فرد الدكتور ماهر : هل نضيع الدستور لأجل أشخاص أو لعدم الاستلطاف الملكى ؟ . . .

وكما هو معروف . . احتكم الدكتور ماهر باشا إلى الهيئة الوفدية بخطاب استمر أربع ساعات دار حول إنقاذ الدستور واختفاء النحاس باشا بعض الوقت وانتهى الأمر بخروجه من الوفد بعد خروج النقراشى باشا حيث كونا معاً الهيئة السعدية حزباً منشقاً على الوفد .

على أن القصر ورئيس الديوان على ماهر قد انتهى بهما الأمر إلى تولى المرحوم محمد محمود باشا رئاسة الوزارة حتى لا يكون الأخوان رئيس الديوان ورئيس الوزارة — هما المسيطرين على السياسة العليا فى البلاد ، وذلك بعد إقالة النحاس باشا .

وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ وتضحية النحاس باشا :

واستمرت علاقة الأبوة مع النحاس باشا حتى ولى الحكم يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وأصدر قراراً بتعيينى فى الحكومة .

ولقد كتب الكثيرون عن أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وتناولتها وثائق وزارة الخارجية البريطانية التى أعلنت رسائل السفير البريطانى إلى حكومته وقرار حكومة الاحتلال خلال احتدام الصراع البريطاني مع دولتى المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان .

ولن نتوسع كثيراً فى هذا الميدان ، ولكن واجبنا كمراقبين ومطلعين على صور

الأحداث فى مصادرها يدعونا إلى القول بأن الملك فاروق كان ألمانى النزعة يعلن ذلك فى مجالسه الخاصة وتصل أخباره إلى السفارة البريطانية .

وكان الملك فاروق – يشارك من قلبه شعبه فى كراهية الاحتلال الإنجليزى وكانت له اتصالاته الخاصة مع المحور ، حتى إن السلطات العسكرية البريطانية استولت على القصر الملكى فى رأس التين بدعوى أن اتصالات خاصة كانت تتم منه فى الليل .

وقد روى لنا الأستاذ الحسينى زعلوك – وكان وثيق الصلة بالنحاس باشا – أن النقاط الهامة فى الخطاب الذى أعلن فيه النحاس باشا فى رأس البر فى صيف ١٩٤١ أن الانجليز يستغلون قوت الشعب المصرى حين يستولون على أقطانه بالسعر المنخفض الذى كان سائداً ، وكانت الخطة متفقاً عليها بين أحمد حسنين باشا – رئيس الديوان الملكى – وبين النحاس باشا بوساطة الأستاذ الحسينى .

هل أتحدث عن بعد نظر النحاس باشا ، وهو الذى أعلنت وثائق الخارجية البريطانية أخيراً أنه نبه إلى أخطار إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين عام ١٩٣٧ ؟

وهل أقول – وهو قول حق ، كررته الوثائق – إن جميع من عملوا فى المجال السياسى والحكومى كانوا يتلقون توجيهات السفارة البريطانية ومن قبلها دار المندوب السامى بصورة أو بأخرى . ؟

وأنه كان لكل رأيه السياسى فى المفاوضات والمراحل ، أو الجلاء الناجز براً وبحراً وجواً كما أصر المرحوم صاحب الدولة أحمد نجيب الهلالى باشا .

لقد أدرك النحاس باشا برصيده السياسى ، أن قرار الحكومة البريطانية قد استقر على عزل الملك فاروق .

وكثيراً ما سمعت النحاس باشا يفتخر بالدستور وأن الوفد المصرى هو حامى الدستور فى دولة ملكية دستورية ، أقسم دولته يمين الولاء والطاعة لهذا الدستور .

وقد فسر النحاس باشا قبوله لوزارة فبراير ١٩٤٢ فى خطابه يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وفى أثناء رئاسة المرحوم النقراشى باشا للوزارة وقال : إنه ضحى يوم ٤ فبراير بقبوله رئاسة الوزارة بعد الإنذار البريطانى وأنه قدم التضحية راضياً ليجنب البلاد هزة كبرى بعزل الملك فاروق .

الملك فاروق يكلف النحاس باشا بإحضار نازلى من القدس :

نشب خلاف بين الملك فاروق ووالدته فى أثناء رئاسة النحاس للوزراء سنة ١٩٤٢ وذلك بسبب علاقة الملكة نازلى مع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى حينذاك وقد هجرت الملكة القاهرة إلى القدس ونزلت بفندق الملك داود حيث نما إلى علم الملك فاروق بعض التصرفات غير اللائقة بها . فاستدعى الملك النحاس باشا وأبلغه قائلاً له : إن والدتِي تحبك وتحب زينب هانم وأرجو أن تسافر لإحضارها وبالفعل سافر النحاس باشا وقرينته إلى القدس حيث نزلا بالفندق لمدة أسبوع ، واتصل رفعته بالملكة وحاول إقناعها ، بالعودة ولكنها اشترطت أن تستقبل فى محطة مصر استقبالاً رسميًّا ، فوافق النحاس باشا على ذلك ، ثم طلبت أن يكون الملك نفسه على رصيف المحطة فى استقبالها ، ووعدها النحاس باشا بذلك فقالت له « هل تضمن ذلك » فقال لها « إذا رفض فسأخبرك تليفونيًّا » .

وقفل النحاس باشا والسيدة قرينته عائدين إلى القاهرة ثم قابل الملك وروى له ما حدث فأصر الملك على ألا يذهب إلى المحطة وأنه يكفى للاستقبال الرسميون وتشريفة من الحرس الملكى .

وحاول النحاس باشا إقناع الملك بأساليب مختلفة ، ولما رأى إصراره على موقفه قال له « إذا كنت تريد سماع نصيحتى فسأتصل بها تليفونيًّا وأبلغها بالموقف حسب وعدى لها وهذا ليس لأجل خاطرى ولكن لأجل خاطرها وخاصة وأنها أمك » .

فنزل الملك عند رأى النحاس باشا الذى اتصل بالملكة تليفونيًّا وأبلغها بالموافقة على طلباتها وعادت إلى القاهرة وكان الملك على رأس الاستقبال الرسمى .

كاد الوفد أن يخلع الملك سنه ١٩٤٣ ويعلن الجمهورية :

وإذا كان قد بدا فى السطور السابقة دفاع عن سياسة المرحوم النحاس باشا مع الملك فاروق – رحمة الله عليه – وحرص النحاس باشا على ألا تتعرض البلاد لهزات فى رمزها الأعلى ، فإن مباذل الملك فاروق وسهراته التى شاعت فى مصر وخارجها

وأسلوبه فى معاملة زعيم الشعب ذى الكفاح والتاريخ الوطنى الطويل حتى وصل الحال إلى أن أمر الملك بألا يرافقه النحاس باشا فى السيارة الملكية فى بعض الاحتفالات الدينية ، وهى من المراسيم التى جرى العمل بها من قديم وظهر أن الملك وحاشيته وفى مقدمتهم المرحوم أحمد حسنين باشا سائرون فى سياسة غير وطنية وغير كريمة بحيث أصبح رمز البلاد مضغة فى الأفواه ورأى كبار الوفديين عزل الملك عن العرش .

وعرض الأمر على مجلس الوزراء فأقر هذا الاتجاه وعهد إلى المرحوم أحمد نجيب الهلالى باشا بأن يصوغ بأسلوبه الدقيق العميق مبررات خلع الملك فأعد بياناً وسلمه إلى الأستاذ محمود سليمان غنام باشا وزير التجارة الذى ذهب إلى مكتبه فأغلقه عليه وحده وأخذ فى تبييض مسودة نجيب باشا .

ولما انتهى من ذلك ذهب إلى منزل النحاس حيث كان الوزراء لا يزالون موجودين وتم توقيعهم جميعاً على البيان كقرار صادر من مجلس الوزراء بخلع الملك فاروق وإعلان الجمهورية .

ويبدو أن هذا القرار كانت فيه جوانب من المناورة ، فقد كان الشائع وقتذاك (١٩٤٣) . . . أن فرقاً خاصة من ضباط الجيش قد نظمت للاعتداء على النحاس باشا ووزرائه انتقاماً من قبوله رئاسة الوزارة فى ٤ فبراير وأن حسنين باشا كان وراء هذه التنظيمات وكان الملك يرتاح لهذا الأسلوب من السياسة .

على أنه بعد أيام توجه المرحوم عبد الحميد عبد الحق باشا إلى منزل النحاس باشا وأبلغه أن قرار عزل الملك فاروق قد نما إلى علم السفارة البريطانية وأنها تشجع هذا الاتجاه وأن عبد الحق باشا علم بذلك من أمين عثمان باشا .

عندئذ طلب النحاس باشا مسودة القرار التى كتبها الهلالى باشا وأشرف على حرقها فى دورة المياه .

أما قرار مجلس الوزراء المكتوب بخط غنام باشا فقد أخذه عنده .

وقد بذلت جهداً فى البحث عن هذا القرار وعلمت أنه لم يكن ضمن الأوراق التى تركها النحاس باشا ومنها بعض مذكراته ومذكرات المغفور له الزعيم سعد زغلول ،

وأنه قد جرى مثل هذا البحث بوساطة فؤاد سراج الدين باشا وأحمد حمزة باشا وغنام باشا وإبراهيم فرج باشا والدكتور محمد محفوظ بك طبيب العيون والأستاذ محمود شوقى ابن شقيقة النحاس باشا . . . ولم يعثر أحد على القرار .

أحمد حسنين باشا :

حين نسرد صور هذه المرحلة السياسية نرى لزاماً علينا القول أن أحمد حسنين باشا رئيس الديوان كان يتعجل رئاسة الوزارة بعد أن أُبعد عنها على ماهر باشا وبعد وفاة محمد محمود باشا . وأنه فى سبيل غايته فى الرئاسة ملأ فكر الملك فاروق بأن النحاس باشا قد أضعف سلطان الملك لما قبل الوزارة بطلب الحكومة البريطانية .

وتحدثت الوثائق التى نشرت أخبراً عن تشكيله وزارة فى إبريل ١٩٤٤ ، لم توافق عليها الحكومة البريطانية .

وقد كان مكرم باشا يعمل بوحى من أحمد حسنين باشا .

واستطاع أحمد حسنين باشا أن يقنع الملك بأن النحاس باشا لو رفض قبول الوزارة لما استطاع الإنجليز الاعتداء على عرش مصر .

رأى فى أزمة ٤ فبراير :

يرى المرحوم الأستاذ محمود سليمان غنام باشا إنه برغم أن أمين عثمان كان يتدخل كثيراً بين النحاس باشا والسفارة البريطانية ، وما قيل من أن النحاس باشا كان متصلا بحادث ٤ فبراير قبل الإنذار البريطانى ، فإن ظواهر الأمر وسفر النحاس باشا إلى أسوان ، تدل على أنه فوجئ بتطور الأحداث .

ولقد امتاز النحاس باشا بالصدق ولو على نفسه .

ويأسف غنام باشا لأن مكرم باشا الذى كان يقدس النحاس باشا ورافقه فى أحداث ٤ فبراير ، لما خرج عليه وأسس الكتلة الوفدية ، تناقلت الأنباء أن كامل اسحق عضو مجلس النواب عن نجع حمادى أبلغ مكرم باشا أن النحاس باشا قد تباحث مع شخصية إنجليزية قبل الأحداث فى أسوان .

وأن مكرم باشا ارتاح إلى هذه الشائعات وروجها مع حسنين باشا انتقاماً من النحاس باشا الذى احتضن فؤاد سراج الدين باشا .

مكرم عبيد باشا يتقرب للقصر :

لاحظ النحاس باشا فى وزارة فبراير ١٩٤٢ أن مكرم باشا وزير المالية كثيراً ما ينفذ رغبات القصر الملكى مما يدخل فى اختصاصه من غير تشاور أو إعلام للنحاس باشا .

وحدثه فى الأمر ، وتكرر التنبيه بأن يطلعه على الرغبات الملكية قبل تنفيذها للتفاهم بشأنها أو على الأقل للعلم بها .

وظهرت عند مكرم باشا نغمة لم يشهدها النحاس باشا من قبل . فقد كان رده أن هذه الرغبات من اختصاص وزير المالية وحده . . وبدأ الشقاق وازداد حتى خرج مكرم باشا من الوزارة وأصدر الكتاب الأسود .

ماذا كان فى الكتاب الأسود :

وكنت مع الأستاذ محمود شوقى – مدير مكتب النحاس باشا رئيس الوزراء وابن شقيقته – نتردد كثيراً على صديق يقطن فيللا بكوبرى القبة بشارع سليم الأول ، وكان يشاركنا فى هذه الزيارات زميل لنا كان يرأس مكتب الشكاوى بالرئاسة الذى تصادف ذات يوم أن سبقنا إلى هذه الزيارة ، حيث أخرنا عطل فى السيارة حتى سبقنا رجال البوليس إلى الڤيللا واعتقلوا زميلنا رئيس مكتب الشكاوى ومعه مظروف به بعض الأوراق الرسمية الخاصة برئيس الحكومة ، وعلمنا فيما بعد أن الكتاب الأسود كان يوزع فى « أشولة » من حجرة فى الڤيللا ولم تنفع شفاعة محمود شوقى لدى خاله لإقناعه ببراءة رئيس مكتب الشكاوى وبقى معتقلا حتى أقيل النحاس باشا فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، وجاء مكرم باشا وزيراً للمالية من المعتقل ليفرج فوراً عن زميلنا ويصبح من رجاله الذين رعاهم بالترقية الاستثنائية والعلاوات .

وأود أن أذكر أن كل ما تناوله الكتاب عن استغلال مادى لم يتجاوز عشرة آلاف جنيه بكثير .

أيضاً :

قص على المرحوم محمود سليمان غنام باشا أنه يرى أن صدور الكتاب الأسود كان بتحريض من أحمد حسنين باشا وأن الأستاذ محمد التابعى تناول الموضوع فى كتابه مشيراً إلى توجيهات الملك وحسنين باشا ، بعد سوء التفاهم الذى ساد بين القصر والوزارة بعد ٤ فبراير .

ورنى النيل من أحمد حسنين بطريقة أو بأخرى ، وتقدم أحد نواب الوفد بسؤال فى مجلس النواب عن دين مطلوب من أحمد حسنين باشا لوزارة المعارف التى يتولاها نجيب الهلالى باشا ، وأعلن الوزير فى المجلس أن أحمد حسنين باشا كلف مدرسة الصناعات الزخرفية فى بولاق بصناعة طقم خشبي لمنزله ، ولم يدفع الثمن برغم مضى وقت طويل على تسلمه هذا الطقم . وضج حسنين باشا من علانية هذا الموضوع وإثارته فى البرلمان . . ثم وسع حسنين باشا من أساليبه السياسية فكان وهو رئيس الديوان الملكى يجرى اتصالات مع معارضى الحكومة الوفدية .

وقال إنه سمع من الأستاذ فايق قصبجى الذى شارك فى توزيع الكتاب الأسود أن توزيعه كان يتم بوساطة سيارات الجيش بأوامر من الفريق إبراهيم عطا الله باشا رئيس الأركان وبتوجيه ملكى .

وأن مكرم باشا انقلب على القصر لأنه لم يعين رئيساً للوزراء ولم يحظ حزب الكتلة بالعدد المناسب فى انتخابات ١٩٤٥ التى أعقبت إقالة وزارة النحاس باشا وحل مجلس النواب الوفدى ، وغدا مكرم باشا ينشر فى الكتلة بقلم (حكيم) كلاماً فيه غمز ولمز للملك فساءت علاقته بالملك وحسنين باشا .

وقد أخذت الوزارة الوفدية تبحث عن المكان الذى طبع فيه الكتاب الأسود وكان النحاس باشا وزيراً للداخلية ومحمود غزالى بك مديراً للأمن العام الذى لم يصل بسبب أو لآخر لمعرفة المكان ، فانتدب النحاس باشا عبد الفتاح الطويل باشا بصفة غير رسمية لينوب عنه فى وزارة الداخلية . .

ثم يستطرد غنام باشا قائلا :

وعينني وكيلا برلمانيًّا بهذه الوزارة حيث جاءني ذات يوم شاب أخبرني أن شخصاً فى بنى سويف – أعور – وأخاه اسمه كمال ، وهو طبيب قد توليا طبع الكتاب الأسود ، فذهبت إلى عبد الفتاح باشا بوزارة الداخلية وأحضرنا محمود غزالى بك لمناقشة هذه المواضيع التى قد توصل إلى مفتاح الحقيقة ، ثم أحضرت الأميرالاى محمد يوسف من القسم السياسى بالمحافظة وتحرينا عن هذه المعلومات فأفاد أن الكتاب طبع فى بيت نجيب إبراهيم باشا فى القبة وتناقشت مع عبد الفتاح باشا بحضور غزالى بك وقد وصلوا فعلا إلى المكان والشخص .

حول خروج مكرم عبيد من الوفد :

تعددت الأسباب التى دعت إلى خروج مكرم باشا من الوفد والوزارة ، ولقد اشتعلت نار الخصومة الحادة التى خاض غمارها مكرم عبيد باشا دون هوادة ، بل دون مراعاة واجب الزمالة التى ربطته بصديق العمر : مصطفى النحاس باشا منذ فجر الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ .

وأرى أن هذه الأسباب ترجع إلى ما يلى :

١ – أن مكرم باشا قد اعتاد أن يلعب دور المستشار الأول والأوحد لمصطفى النحاس باشا طوال الفترة من ١٩٢٧ إلى ١٩٤٢ ، ولم يكن هناك راد لكلمته أو مشيئته ، ولا نزاع أن مكرم عبيد باشا كان كفئاً وذكيًّا ووطنيًّا وعبقرياً من الطراز الأول ، ولكنه كان أيضاً شخصاً يريد السيطرة ولا يرضى المشاركة فى النفوذ ومن هنا . . كانت نقطة الضعف فيه كأى إنسان آخر ، معجب بذاته عن حق وبتقديس هذه الذات ، ولذلك فقد أغضب الجميع . . . وعندما أحس بتقلص نفوذه بدأ الهجوم خفيًّا تارة ، وصريحاً تارة أخرى بما لا يتفق والحياة الحزبية السليمة .

٢ – أن النحاس باشا رأى ألا يغضب باقى أعضاء الوفد وبخاصة بعد انفصال ماهر والنقراشى – وكانا وطنيين كبيرين وقد سبق لهما أن اشتكيا من تسلط مكرم باشا . وتكونت رواسب لدى مكرم باشا ، وحاول البعض تنقية الجو بينه وبين مصطفى النحاس باشا ، ولكنه كان لا يفتأ أن يعود إلى سيرته الأولى من إغضاب باقى أعضاء الوفد .

٣ – أن مكرم باشا قابل الملك بناء على دعوة منه دون أن يستأذن النحاس باشا مخالفاً بذلك التقاليد .

٤ – أن القصر وخاصة أحمد حسنين باشا قد استغل نقاط الضعف فى مكرم باشا استغلالا كبيراً .

وكان مكرم باشا كالنار لا يبقى ولا يذر ، فاستجاب لدسائس القصر ، وخرج على الصداقة التى امتدت منذ سنة ١٩١٩ . بل إن مكرم باشا كان يستجيب لمطالب القصر الملكى التى تدخل فى اختصاص وزير المالية دون إبلاغ أو استئذان رفعة النحاس باشا ، وقد عاتبه رفعته فى ذلك ، فكان رده على زميل الجهاد غريباً حيث قال له إن هذه المطالب يختص بالرأى فيها وزير المالية .

رحم الله مكرم باشا . . لقد كان وطنياً مخلصاً ، ولكنه كان إنساناً جبل على طبيعة الإنسان بما فيها من نواحى الضعف والقوة .

لقد أدرك مكرم باشا هذه الزلة بعد أن تعاون مع أحمد حسنين باشا وأحزاب الأقلية سنوات ، فعندما توفى المرحوم صبرى أبو علم باشا سكرتير الوفد المصرى الذى خلف مكرم باشا ، شوهد مكرم باشا يقبل النحاس باشا فى سرادق العزاء .

فهل كان المرحوم مكرم باشا يأمل أن تعود العلاقات بينه وبين النحاس باشا ويعود سكرتيراً عاماً للوفد ؟

وقد اشتهر عن مكرم باشا أنه بعد انتخابات ١٩٤٥ التى لم يتقارب حزبه « الكتلة الوفدية » فى مقاعد مجلس النواب من حصة حزب السعديين ، وحزب الأحرار الدستوريين ، أنه قال :

لقد أقمت هذا النظام وعلى أن أهدمه .

حادث القصاصين :

وصل الخلاف بين القصر والوزارة إلى أن النحاس باشا لم يتوجه مع وزارته إلى القصاصين لتهنئة الملك بنجاته ، ولم يكن مصطفى باشا هو البادئ فى هذا المجال .

بل إن مصطفى باشا اعترض على منح مدير الشرقية الأستاذ محمود عبد الرحمن – صهر حمدى باشا سيف النصر وزير الحربية – رتبة البكوية بأن منح الرتب إنما تتقدم الحكومة بطلبه من جلالة الملك لا أن يمنحه هو ولو بنطق ملكى ، فقد يكون الموظف المنعم عليه يحاكم تأديبياً أو ليس أهلا بين زملائه لأن تتقدم الحكومة بطلب الإنعام عليه (وقيل آنذاك إن الملك طلب ألا يزوره النحاس باشا) .

وهكذا . . . ساءت العلاقات .

لكن اللواء وحيد شوقى كان يرسل يوميًّا – صباحاً ومساء – باقة ورد إلى الملك فى القصاصين ويكتب على كل منها « صباح الخير يا مولانا » ، « مساء الخير يا مولانا » .

إقالة النحاس باشا سنة ١٩٤٤ :

وفى يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وحوالى الثانية والنصف بعد الظهر كان الملك خارجاً من قصر رأس التين فشاهد اللواء وحيد شوقى – مدير خفر السواحل – عائداً إلى منزله من مكتبه بالأنفوشى فاستوقفه فى الطريق وقال له انتوا لسه قاعدين ؟ .

وارتبك وحيد وقال : إننا قاعدون برضاك وعطف جلالتك .

وجاءنى وحيد فى بولكلى وروى هذا الحادث دون تعليق .

وكنا نعمل فى بولكلى بصفة غير رسمية حيث لم تنتقل الحكومة ، وربما كان عدم انتقال الحكومة مدبراً من القصر حتى لا يشارك النحاس باشا الملك فى السفر بالقطار أو يلتقى معه على المأدبة الملكية فى المنتزه كما جرت العادة كل صيف .

وكان النحاس باشا يقيم فى فندق سيسل .

وتواترت الأخبار عن إقالة النحاس باشا وتولى الدكتور أحمد ماهر باشا رئاسة الوزارة .

وقد استغل القصر حادث « اليفط » فى مصر القديمة والتى قرنت اسم النحاس باشا بالملك فى الاحتفال بالجمعة اليتيمة فى جامع عمرو ، وأن وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا قد أحال المرحوم محمود غزالى بك مدير الأمن العام إلى المعاش

لأنه نفذ أمر الملك بإزالة اليفط حتى لا يراها بعد الصلاة دون الرجوع لرئيسه وزير الداخلية ، قبل ذلك بأيام قليلة .

ورأينا أنا وزملائى موظفو الرئاسة أن نغادر بولكلى إلى فندق سيسل وكان المرحوم اللواء إبراهيم عطا الله باشا رئيس أركان حرب الجيش قد أعارنا سيارتين لاستعمالهما لنا رسمياً حيث لا نستطيع استعمال سيارة الرئاسة لأن الوزارة لم تنتقل للإسكندرية رسمياً .

ونزلنا قبيل الساعة الخامسة بدقائق فلم نجد سيارات الجيش هدية عطا الله باشا لنا وركبت تاكسى إلى فندق سيسل حيث علمنا أن النحاس باشا قد تسلم كتاب الإقالة من حسن يوسف بك وكيل الديوان الملكى وقتذاك فى تمام الساعة الخامسة ، حيث كان الدكتور أحمد ماهر باشا قد جلس على كرسى الرئاسة فى القاهرة فى الموعد ذاته .

وكلفنا النحاس باشا أن نذهب فى الصباح إلى أعمالنا بالقاهرة .

لقائى مع وزير الحربية :

وتولى وزارة الحربية – حيث كنت أحد موظفيها ومنتدباً تشريفياً بالرئاسة – المرحوم الأستاذ السيد سليم باشا ، وشاهدته يوم ٩ أكتوبر لأول مرة صاعداً إلى مكتبه ومعه فى المصعد الأستاذ جلال الحمامصى والملازم أول السيد فرج والمرحوم صلاح ندا .

واستقبلت الوزير محيياً وقدمنى إليه جلال الحمامصى ثم دخل إلى مكتبه وهم معه وجلست عند سكرتيره الخاص المرحوم إمام سلطان .

وبعد فترة استدعانى الوزير وسألنى عن أسرار صرف المصاريف السرية فى عهد النحاس باشا ، وكان ردى أن اسم هذه المبالغ يجعلها من السرية التى لا يصح الإباحة بها فى مثل هذا الاجتماع على الأقل فأذن لى بالانصراف .

ثم استدعانى وهو منفرد فى مكتبه وأعاد السؤال فوجهت إليه عبارات مهينة معتمداً على أننا وحدنا ولا مسئولية على .

فثار الوزير واستدعى المرحومين : إمام سلطان والصاغ حافظ أبو الشهود فسارعت بالقول « عن إذن معاليك يا معالى الوزير » وغادرت المكتب لأكتب استقالتى من

الوظيفة فى مكتب المرحوم المهندس عبد الخالق صابر وكيل الوزارة معلناً تبرعى بمرتب الأيام التسعة الأولى من أكتوبر للترفيه عن الجنود .

والمرحوم السيد سليم كان أحد المحامين النابهين فى أجا بمديرية الدقهلية وكان عضو الكتلة الوفدية بزعامة المرحوم مكرم عبيد باشا .

ولقاء مع الدكتور أحمد ماهر باشا :

ويوم ١٠/١٠/١٩٤٤ استدعاني المرحوم الدكتور أحمد ماهر باشا إلى رئاسة الوزارة ، وألح على أن أسحب الاستقالة وأبقى معه فى الرئاسة كما كنت مع النحاس باشا ، فاعتذرت ، فعرض على أن أرشح نفسى على مبادئ حزب الكتلة الوفدية فى بلدتى « فديمين » بالفيوم واعتذرت أيضاً .

لماذا نقل قنصل القدس :

فى أثناء تولية سراج الدين باشا وزارة الداخلية فى الوزارة الوفدية (١٩٤٤/٤٢) كان الأستاذ أحمد زكى سعد مديراً عاماً للجوازات ، وكان مدير الجوازات دائماً يخشى سطوة السراى بعد أن كان يرفض الوزير تدخلها لعدم قانونية ما تطلبه وكان يخشى أن تقال الوزارة وما يتعرض له من جزاء . وبناء على رغبته رشح للعمل مديراً عاماً للبريد بشرط ترشيح ثلاثة من بينهم الأستاذ أحمد رمزى بك الذى كان قنصلا بالقدس للعمل مديراً للجوازات . وفعلا تولى رمزى بك هذا المنصب .

وفى أثناء مباراة أقيمت بين النادى الأهلى ونادى فاروق (الزمالك) وكان وزير الداخلية من كبار المشجعين للنادى الأهلى كما كان رئيس الديوان الملكى : أحمد حسنين باشا من أنصار النادى الأهلى وكان حيدر باشا من أنصار نادى الزمالك (فاروق) .

وهزم النادى الأهلى .

وأراد الملك أن يغيظ رئيس الديوان بسبب الهزيمة التى وقعت لناديه .

ولكن فؤاد سراج الدين باشا أجاب الملك :

إننا لم نهزم إلا لأن النادى يحمل اسم جلالتك .

وضحك الملك . .

وفى أثناء الاستراحة وعند تناول الشاى طلب الملك نقل الأستاذ أحمد رمزى بك من وظيفته إلى وظيفة خارج الوزارة .

ولكن الوزير رفض بأدب لأن رمزى بك لا تشوبه شائبة ، ولا يمكن نقله دون سبب .

وانتهى الأمر عند ذلك الحد .

وعند ما قابل رمزى بك وزير الداخلية سأله عن سبب غضب السراى عليه وطلبها نقله قال :

إن الملك كان يدعو للخلافة الإسلامية ، وأرسل بعثة برئاسة الفريق عمر فتحى باشا والأميرالاى أحمد كامل بك والقائمقام محمد حلمى حسين طافت بالبلاد العربية مروجة لهذه الفكرة .

وكان آخر جولتها فلسطين .

وأقمت للبعثة حفلة استقبال فى القدس .

ولكن القائمقام محمد حلمى حسين بك طلب منى أن أعمل حفلة بها « ستات » ولكنى اعتذرت لأنى رجل محافظ .

وعند عودة البعثة قال عمر فتحى إننا طفنا البلاد العربية فقوبلنا فى كل مكان بالحفاوة والترحيب إلا فى القدس ، لأن أحمد رمزى القنصل زوج كريمة عثمان محرم باشا وينقل إليه كل الأخبار والأسرار .

وأصر فؤاد باشا سراج الدين على عدم عزل أحمد رمزى بك .

وفى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ أقيلت الوزارة الوفدية .

وكان أول عمل للوزارة التى شكلها أحمد ماهر باشا أن نقلت أحمد رمزى بك إلى وزارة التجارة والصناعة .

النحاس باشا والإخوان المسلمون :

بدأ الإخوان المسلمون بجمعية دينية لا دخل لها بالسياسة منذ سنة ١٩٢٨ بالإسماعلية برئاسة المرحوم الأستاذ حسن البنا حيث كان يعمل مدرساً هناك ، وبدأ ينشر الدعوة الدينية خلال الثلاثينيات وقد جذبت الدعوة الدينية الكثيرين .

وفى أوائل الأربعينات اقتحمت هذه الجماعة ميدان السياسة ورشح المرشد العام الأستاذ البنا نفسه عن الإسماعيلية لعضوية مجلس النواب سنة ١٩٤٢ .

وقد استدعى النحاس باشا الأستاذ البنا بمكتبه برئاسة مجلس الوزراء حيث أفهمه أن سياسة الحكومة تسمح بالدعوة الدينية للجماعة ، على ألا تعمل هذه الجماعة بالسياسة أو تقحم نفسها فيها .

ولم يحتدم الخلاف بين الوفد والإخوان المسلمين إلا بعد أن تولى المرحوم إسماعيل صدقى كرسى الوزارة سنة ١٩٤٦ حيث أراد أن يواجه الوفد بالإخوان المسلمين .

ويروى فؤاد باشا سراج الدين أن علاقة الإخوان بالوفد كانت طيبة وأنه خطب ذات يوم بالمركز العام بالحلمية ، وشجع الجمعية بوصفه وزيراً للشئون الاجتماعية .

ثم قال إنه يأسف لتدهور العلاقات بين الوفد والإخوان فيما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٥٠ حيث تغيرت الصورة تغيراً كبيراً إذ حاولت الحكومات أن تتخذ من الإخوان قاعدة شعبية لمحاربة الوفد ، وقد مهد لهم حسنين باشا وغيره الذى كان يتصل بزعمائهم ، كما اتصل بهم إسماعيل صدقى باشا لاستغلالهم فى المجال السياسى .

ولما شعر المرشد العام بهذا الاهتمام دارت رأسه وظن أنه أصبح زعيماً حيث يتودد إليه القصر ، وكذلك الحكومات والأحزاب ، وكان الوفد يساعده ولكن فى حزم ، إذ أنه فى عام ١٩٤٤ تلقى وزير الداخلية تقريراً بأن الإخوان يستقبلون المرشد العام بمظاهرات فى الشوارع وموسيقى وهم فى ملابس المليشيا .

فاستدعى المرشد العام وخيره بأن تظل الجماعة جمعية دينية أو تتحول إلى حزب سياسى يمكن أن تعامله الحكومة كما تعامل باقى الأحزاب ، ولكن المرشد العام قال

إنه لا يستطيع أن يستعيض بالدعوة إلى الله أى دعوة أخرى وأعلن أنه سيوقف كافة هذه الإجراءات .

الوفد والدفاع المشترك مع بريطانيا :

تضمنت معاهدة ١٩٣٦ نصاً يقضي بجواز النظر فى أحكامها بعد انقضاء عشر سنوات من توقيعها .

وفى أواخر عام ١٩٤٥ طالب المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا من الحكومة البريطانية فتح باب المفاوضات للنظر فى تعديل المعاهدة وخاصة بعد إنقضاء الحرب العالمية الثانية وما قدمته مصر من تضحيات وخدمات لصالح الحلفاء ، ولكن وزارة النقراشى باشا استقالت من الحكم إثر حوادث الطلبة سنة ١٩٤٦ وخلفتها وزارة إسماعيل باشا صدقى الذى ما لبث أن عقد مفاوضات مع بريطانيا انتهت بمشروع الاتفاقية التى عرفت باسم (صدقى – بيفن) .

ويلاحظ أن الوفد المصرى – اتباعاً لسياسة إنهاء الاحتلال وعدم ربط مصر بأى قيود أو محالفات عسكرية أو غيرها مع الحكومة الإنجليزية – قد ندد بسياسة الدفاع المشترك التى سادت عهد إسماعيل صدقى وانتهت بإسقاط مشروع الاتفاقية واستقالة إسماعيل صدقى من الوزارة .

وكان صدقى باشا قد حاول إشراك الوفد فى وزارته أو اشتراكه فى هيئة المفاوضات مع بريطانيا ولكن الوفد أصر على سياسته بأن يتولى الحكم دون مشاركة من أحزاب الأقلية . . ومن ثم رفض الاشتراك فى الوزارة وفى الهيئة التى تولت المفاوضات مع « لورد ستانسجيت » رئيس الوفد البريطانى .

وقد ثارت الصحف الوفدية على سياسة صدقى باشا مما اضطره إلى مصادرتها أولاً ثم إلغاء تراخيص إصدار بعض هذه الصحف وزج بمحرريها فى السجون .

وكانت الحكومة البريطانية قد طلبت إشراك الوفد فى المفاوضات فلما لم يشترك ماطلت فى توقيع المعاهدة الجديدة رسمياً بعد أن وقعت بالحروف الأولى فى لندن بوساطة إسماعيل صدقى باشا ، وإبراهيم عبد الهادى باشا وزير الخارجية ، بعد

استقالة لطفى السيد باشا من هذه الوزارة لعدم موافقته على النص النهائى للمعاهدة الجديدة .

الملك يضمن المعاهدة مع بريطانيا :

عندما شعر إسماعيل صدقى باشا بأنه لن يصل مع الإنجليز إلى اتفاق ما . . رأى الملك فاروق أن يتعهد شخصياً بتنفيذ أية معاهدة يتم الاتفاق عليها وبعث برسالة خاصة إلى السفير المصرى بلندن « عبد الفتاح عمرو باشا » .

وفى هذا النطاق رأى الملك أن يشكل وزارة برئاسة خاله « شريف صبرى باشا » وكلفه بهذا التشكيل بالإسكندرية فى الأسبوع الأول من أكتوبر سنة **١٩٤٦** واجتمع شريف باشا لهذا الغرض مع النقراشى باشا وهيكل باشا وحسين سرى باشا فى منزل الأخير برمل الإسكندرية ، ولكن هذه المشاورات لتشكيل الوزارة باءت بالفشل واعتذر شريف باشا عن تشكيل الوزارة . . . واستمر إسماعيل صدقى فى الحكم ومفاوضه الإنجليز حتى استقال فى الأسبوع الأول من ديسمبر سنة **١٩٤٦** ليخلفه مرة أخرى المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا .

وجدير بالذكر أن « مستربيفن » وزير الخارجية البريطانية حينذاك الذى أشرف على المفاوضات قد استاء لإخفاقها ، وعزا ذلك إلى خطأ بريطانيا فى إجراء مفاوضات مع حكومات الأقليات .

الإخوان المسلمون ومشروع المعاهدة :

عندما توصل إسماعيل صدقى باشا مع مستر بيفن إلى التفاهم على الخطوط العريضة لمشروعهما توهم أن الإخوان المسلمين قاعدة شعبية ذات وزن ، فاستدعى المرشد العام (المرحوم الشيخ حسن البنا) — بعد وصوله من لندن بساعتين — وأطلعه على مشروع الاتفاقية قبل أن يطلع عليه النقراشى وهيكل المشاركين له فى الحكم . وحصل على موافقته على المشروع . وهنا أحس المرشد العام بأنه أصبح زعيماً فوق الأحزاب لدرجة أن عرض عليه مقابلة النحاس باشا فطلب أن يذهب النحاس باشا إليه .

ولما اشتدت المظاهرات الشعبية ضد هذه المعاهدة طلب صدقى باشا من المرشد العام أن يركب سيارة سليم زكى باشا مساعد الحكمدار المكشوفة ليعمـــل على تهدئة الجماهير .

واستجاب المرشد العام لطلب صدقى باشا . . .

وزارة حسين سرى باشا ١٩٤٩ :

لما لم ينجح المرحوم إسماعيل صدقى باشا فى عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ، ولم يأت الاحتكام أمام مجلس الأمن بوساطة المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا بالنتيجة المرجوة ، وكانت دعوى الحكومة البريطانية أن حكومات أحزاب الأقليات ليست أهلا لتوقيع معاهدة معها ، كان الملك فاروق محصوراً فى نطاق ضيق ، مع أن التطورات الدولية تأخذ أشكالاً منذرة بأحداث كبرى حيث العلاقات بين الشرق والغرب تسرى من سيئ إلى أسوأ ، ودول الغرب تعمل على إنشاء حلف شمال الأطلنطى وتضغط فى المنطقة العربية لإقامة نظام للدفاع المشترك تكون هى راعيته .

وسط هذا المناخ وقع اغتيال المرحوم النقراشى باشا يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٤٨ وعهد الملك إلى إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى برئاسة الوزارة .

وجاء فى كتاب التكليف الملكى لرئيس الوزراء الجديد ما يلى :

« نسأل الله تعالى أن يوفقكم إلى تحقيق أمنيتنا نحو توحيد الصفوف وتركيز الجهود لمواجهة الظروف الداخلية والخارجية التى تجتازها بلادنا فى هذه الآونة العصيبة » .

الحالة الداخلية :

وكان لمصرع المرحوم النقراشى باشا ومن بعده المرحوم الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين الذين كان من بينهم قاتل النقراشى باشا آثار سيئة على الحالة الداخلية فازدادت الأمة تفرقاً وشاعت فى البلاد إجراءات بوليسية غير عادية .

محادثات عسكرية مع بريطانيا :

وجرت محادثات عسكرية مع المارشال سليم قائد القوات البريطانية فى عهد دولة إبراهيم عبد الهادى باشا ولم تصل إلى نتيجة يتم الإتفاق عليها بشأن القوات ، البريطانية فى قاعدة قناة السويس .

عبد الهادى باشا يعمل لانتخابات جديدة :

ولما كان موعد استكمال مجلس النواب المؤلف من أحزاب الأقلية للسنوات الخمس المحددة لكل مجلس قد قرب ، فقد أخذ دولة إبراهيم باشا عبد الهادى فى اتخاذ الإجراءات لإنتخاب مجلس جديد .

هجوم النحاس باشا يشتد :

واشتد هجوم المرحوم مصطفى النحاس باشا على النظام القائم وأخذ يندد فى خطبه بالإرهاب ويدعو إلى ضرورة إجراء انتخابات حرة تقول فيها الأمة كلمتها بإرادة حرة وتختار نوابها وقادة حكمها .

الملك يطلب التفاهم مع الوفد :

وقد علمت وقتذاك كما علم المرحوم مصطفى النحاس باشا ، وفؤاد سراج الدين باشا أن الملك فاروق استدعى دولة إبراهيم عبد الهادى باشا لمقابلته وجرى فى هذه المقابلة حديث يمكن تلخيصه فيما يلى :

قال الملك :

– إن الإنتخابات مقبلة ، وأنا شايف أنه جو غير مناسب لحكمك ، وأحسن طريقة أن تتفاهم مع الوفد .

فأجاب عبد الهادى باشا :

– يا مولانا . . الوفد فى جيبى ولو أن جلالتك عاوز الوفد يشترك معى فاعتبر أن هذا أمر سهل .

فرد الملك :

– المهم يا دولة الباشا ، أن تكون الإنتخابات هادئة ، وهذا أفضل . .

. . وانتهت المقابلة .

وفى اليوم التالى ، دعا دولة عبد الهادى باشا رئيس الوزراء . . « الشيخ المحترم » فؤاد سراج الدين باشا إلى تناول فنجان من القهوة فى مكتب رئيس الوزراء بمجلس الشيوخ .

ودخل الاثنان المكتب ، وأضيىء النور الأحمر إيذاناً بعدم دخول أحد حتى الوزراء .

وقال دولة إبراهيم عبد الهادى باشا لفؤاد باشا :

– متى نستريح من الحرب المخربة والهوسة دى .

فرد عليه سراج الدين باشا :

– ما حدش يحب الحرب . . احنا بندافع عن أنفسنا

فرد عليه عبد الهادى باشا :

– أنا أعرض عليك عرضاً ، واحنا ولاد عم ، وكلنا أصلنا وفديون ، خذوا أى عدد فى الوزارة وخذ أنت وزارة الداخلية وخذوا الأغلبية (وزارة سعدية دستورية وفدية) وتجرى هذه الوزارة الانتخابات .

فرد فؤاد سراج الدين باشا :

– إنك يا إبراهيم باشا تتكلم وتتصرف فى الحكم كأنك وحدك لا شريك لك . . هل شركاؤك الدستوريون فى الحكم موافقون على هذا الاقتراح ؟

قال دولته : أنا كفيل بهم .

فقال فؤاد باشا : لازم أرجع لرفعة النحاس باشا ، ويوم الثلاثاء زى بكرة أرد عليك وسنتقابل فى الإسكندرية بعد التفاهم مع النحاس باشا ومعرفة رأيه .

وفى يوم الاثنين التالى استقبل الملك دولة إبراهيم عبد الهادى باشا بحضور حسن

يوسف باشا وعلم من رئيس الوزراء أنه لم يتم شىء .

ويوم الثلاثاء الساعة السابعة والنصف صباحاً ، بعث الملك المرحوم الفريق محمد حيدر باشا إلى بيت دولة إبراهيم عبد الهادى باشا – فى لوران – وطلب مقابلة الباشا الذى لبس الروب ودخل الصالون وقال لحيدر باشا :

– أنا عارف معاليك جاى علشان إيه . . . علشان تقول لى قدم الاستقالة . . فرد حيدر باشا قائلا :

– جلالة الملك بيقول : إنك وعدته وعداً ولم ينفذ وعاوزك تقدم الاستقالة . .

هدية العيد من الملك :

بعد استقالة إبراهيم عبد الهادى باشا ، وكان التفاهم مع السراى أن يتـولى حسين سرى باشا تأليف وزارة ائتلافية . . وأجرى اتصالات لتأليف الوزارة .

روى لى حسين سرى باشا : أنه كلما كان يعرض اسم فؤاد سراج الدين باشا لوزارة الداخلية يعترض إبراهيم باشا عبد الهادى وهيكل باشا . . ويقولان :

– لا نوافق على الداخلية . . موافقين على الزراعة أو المواصلات .

والحقيقة التى أعرفها جيداً أن فؤاد سراج الدين باشا ما كان يطمع فى تولى وزارة الداخلية خصوصا وهذه وزارة ائتلافية لإجراء انتخابات لمدة شهرين ورغب رغبة أكيدة أن يتولى المواصلات لأن شغلها سهل لمدة نصف ساعة أو ساعة يومياً وسوف تهدى له بوصفه وزيراً للمواصلات الميدالية الذهبية التى تعطى لحاملها ركوب القطارات مجاناً مدى الحياة . . (تسلمها سنة ٧٤) .

سافر سراج الدين باشا من مصر وهو يعلم بما ستنتهى إليه المباحثات لتأليف الوزارة . وفعلاً تم التشكيل ، فى سرعة غير عادية .

وهنا ، استأذن حسن يوسف باشا من جلالة الملك أن يرتدى الوزراء الجدد الملابس القاتمة عند التشرف بمقابلة جلالة الملك لحلف اليمين الدستورية فأذن لهم الملك .

واجتمع الوزراء فى مكتب حسين سرى باشا فقال أحمد عبد الغفار باشا مخاطباً

فؤاد سراج الدين باشا (وكأنه قد علم بالتطورات حيث كان على اتصال دائم بالسفارة البريطانية) .

– اشمعنى انت لابس الردينجوت لوحدك ؟ وإخوانك لا بسين الملابس القاتمة .

فرد عليه فؤاد باشا :

– أنا دائماً أحمل معى الرد ينجوت الرمادى والأسود والاسموكنج لأى ظرف طارئ .

فقال عبد الغفار باشا . .

– ماتعلم إخوانك .

وذهب الوزراء إلى رأس التين وتشرفوا بالمثول أمام جلالة الملك وأقسموا اليمين الدستورية وقال الملك للوزراء :

– هذه هدية العيد . . . وأنا أعرف جيداً أن هناك بعض الوزراء قبلوا وزارات أقل من مراكزهم . .

وكان بالطبع يقصد فؤاد سراج الدين باشا .

مشاكل أمام الوزارة :

استمرت الوزارة الائتلافية وأمامها مشكلتان : الإفراج عن الإخوان المسلمين وتعديل الدوائر الإنتخابية .

بالنسبة للاخوان ، فقد كان حسين سرى باشا متفقاً مع الوفد فى الإفراج عنهم ، أما السعديون والدستوريون فهم ضد الإفراج عنهم على طول الطريق .

وفعلاً ، تمكن حسين سرى باشا ومعه الوفد من الإفراج عن عدد كبير من الإخوان .

والمشكلة الثانية مشكلة الدوائر . . . هناك دوائر سهلة . . عاوزين يدمجوا قرية مع دائرة أخرى أو ينتزعوا قرية من دائرة لمصلحة المرشحين ، علماً بأن هذه الدوائر لها شروط خاصة – العدد . . المواصلات . . وكان الدافع على هذا التغيير والتبديل أساسه الصالح الحزبي .

كانت خطة الوزارة التى اتفق عليها هى بحث الدوائر مع كل المرشحين . .

وثار المرشحون الوفديون وقال الوزراء الوفديون لحسين سرى باشا :

– أن الوزراء السعديين يتصلون بالمديرين من أجل الإنتخابات . وطالبوا بوزارة محايدة مائة فى المائة ولا داعى لهذه الوزارة الائتلافية . وهنا قال سرى باشا لفؤاد سراج الدين باشا :

– كيف يمكن حل هذه الوزارة ؟

وطلب سراج الدين السماح له بإنقاذ الموقف ، فوافق سرى باشا . وفى أثناء اجتماع مجلس الوزراء قال سراج الدين :

– إن لجنة الدوائر الانتخابية تأخرت واحنا لم نته من شيء ، وتقولوا لسه فاضل شوية دوائر .

واصطنع فؤاد باشا خناقة مع أحمد باشا عبد الغفار وكان من عادة الأخير أن (يزعق) فى كل جلسة وقال :

– إن الائتلاف تصدع وأنا لا يمكننى العمل فى مثل هذا الجو الخانق .

وفى اللجنة طالب محمود باشا غالب تحويل لجنة التعديل إلى مجلس الوزراء واعترض سراج الدين باشا وقال . . بدوى خليفة باشا يجيب الخرائط التى عليها الخلاف ، فرد سرى باشا :

– تبدأ بأى مديرية ؟

فرد فؤاد باشا :

– بالفؤادية

أجاب أحمد باشا عبد الغفار :

– لماذا لا تبدأ بالمنوفية لأنها دائرتى .

فأجاب سراج الدين باشا :

– لماذا نبدأ بالمنوفية ؟

فقال عبد الغفار باشا . .

– لأنها قريبة من القاهرة .

فرد سراج الدين باشا .

– لا ، نجيب من فوق .

وهنا ، تكهرب الجو وفتحت الخرائط وقال سراج الدين :

– بركة السبع ، مثلاً . .

وقاطعه أحمد عبد الغفار باشا . . وكان سراج الدين لم يستكمل حديثه فقال محتداً :

– سيبني يا باشا أكمل . . سأقص وجهة نظرك بالضبط .

فرد عبد الغفار باشا :

– أنا لست بأبكم . .

فقال سراج الدين باشا :

– انت بتزعق كده ليه . . هو احنا فى دوار فى بلدك ؟ احنا هنا فى مجلس الوزراء . . هوأنا أطرش . .؟ الناس اللى فى الشارع سامعين . . . احنا فين . . هواحنا فى مضيفة .

فرد عبد الغفار باشا :

– انت ها تعلمنى ؟

وهنا أخذ الوزراء فى تهدئة الجو . . . فرد سراج الدين :

– أنا معترض على سير الجلسة بهذا الشكل . . .

ورأى دسوقى باشا اباظة انه ستحصل فرقة فى الجلسة فأمسك بيد سراج الدين باشا وقال :

– ده رجل لا يطاق ويثور دائماً . .

. . يقصد عبد الغفار باشا ، ورد سرى باشا وقال :

– مش قادر اشتغل وسأرفع الاستقالة للملك . . وانتهت الجلسة دون حل لتقسيم الدوائر كما أراد الوفد .

وفى منتصف الليل . . اتصل سرى باشا بفؤاد سراج الدين باشا تليفونيًّا وقال له :

– يا سعادة فؤاد باشا . . . انت عارف اناديك بسعادة ليه مش معالى ؟ لأن الوزارة استقالت وأنت مش تنفع وزير . . أنت تنفع تكون ممثل عند يوسف وهبى .

وفى رأى فؤاد سراج الدين باشا أن حسين سرى باشا أخطأ خطأً شنيعاً بعد سماع وجهة نظره حيث قابل الملك وعرض عليه أسماء الوزارة الجديدة . . وأنه أذاع كل التشكيل الوزارى بعد الانتهاء من جلسة مجلس الوزراء وقال فؤاد سراج الدين باشا لحسين سرى باشا :

– أنت لا تنفع أن تكون ممثلاً بالمرة . .

وطبعاً كان التفاهم مسبقاً بين سرى باشا والوفد على الاستقالة وعلى إجراء انتخابات سليمة دون أى تدخل من رجال الإدارة فى حرية الناخبين .

الملك كان متفقاً مع الإنجليز :

ويروى الصحافى العجوز الأستاذ عوض قنديل قصة التحول الملكى ناحية الوفد على أنه تم قبل خروج دولة إبراهيم باشا عبد الهادى بشهور وأن اتصالات تمت بوساطة المرحوم محمود غزالى باشا بين مستر تشابمان أندروز القائم بأعمال السفير البريطانى فى القاهرة – وكانا صديقين ودودين – وحسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة وحسين سرى باشا والدكتور محمد نصر الطبيب الخاص للنحاس باشا ، تستهدف تأليف وزارة محايدة برئاسة المرحوم حسين سرى باشا وتجرى انتخابات حرة ويؤلف حزب الأغلبية فى مجلس النواب الحكومة الجديدة ، وكان مفهوماً أن الوفد هو صاحب الأغلبية الساحقة المؤكدة ، وأن رئاسة الحكومة ستكون للمرحوم مصطفى النحاس باشا .

وبدأت هذه الاتصالات فى مسكن المرحوم محمود غزالى باشا بالمنزل رقم ١٠ بشارع سراى الجزيرة .

وكان غزالى باشا وهو رجل الأمن العتيد يعمل على أن يتولى الوفد الحكم ، فقد كان وفدى الميول وكان شقيقه المرحوم شاكر بك عضو مجلس النواب عن دائرة أبنوب وعضواً فى الهيئة الوفدية ، كما كان غزالى باشا سكرتيراً للمرحوم سعد زغلول باشا لما كان رئيساً لمجلس النواب ، وكان صديقاً شخصياً لكافة أقطاب الوفد القدامى ، وخاصة المرحوم الدكتور أحمد ماهر باشا والمرحوم محمود فهمى النقراشى باشا حيث كان

له ولشقيقه شاكر بك فضل فى تعينه مديراً للتعليم فى مجلس مديرية أسيوط قبل أن يتفرغ النقراشى باشا للسياسة ، لكن الملك فاروق كلف المرحوم النقراشى باشا عندما تولى الوزارة فى ديسمبر ١٩٤٦ بإحالته إلى المعاش ، وأحيل فعلاً .

وتصادف عندما كان غزالى باشا يقيم فى فندق شبرد القديم بعد الإحالة وفى الساعة الواحدة من إحدى الأمسيات كان غزالى باشا وصديقنا الأستاذ عوض قنديل جالسين يشربان فنجاني نعناع كعادة غزالى باشا قبل النوم فى الصالون الدائرى للفندق الذى كان يتوسط النادى الليلى ومدخل الفندق أن مر عليهما الملك فاروق خارجاً من النادى الليلى ، فلما شاهدهما التفت إلى كريم ثابت باشا الذى كان يرافقه وقال له على مسمع منهما : الجماعة دول بقوا روبابيكيا . .

وكان الملك فاروق يعرف الصلة الوثيقة بين غزالى باشا وكبار رجال السفارة البريطانية .

حسين سرى يسافر ويترك عنوانه لدى السفارة :

وإذا تحدثنا عن علاقة المرحوم حسين سرى باشا والإنجليز فنقول إنها كانت قديمة بل كانت موروثة عن والده المرحوم إسماعيل سرى باشا .

وعندما تأكد سرى باشا من نجاح اتصالات غزالى باشا مع جميع الأطراف وخاصة القصر الملكى الذى كان يمثله حسن يوسف باشا ، وهو أيضاً رجل سرى باشا حيث عينه مديراً للرقابة عندما كان رئيساً للوزراء سنه ١٩٤١ ثم قدمه إلى القصر الملكى بعد ذلك حيث صار فيما بعد وكيلاً للديوان الملكى ، وكان على صلات طيبة بجميع الجهات المحلية والأجنبية حيث المشهور عن حسن يوسف باشا أنه موظف أمين فقط .

عند ذلك كان سرى باشا يريد السفر إلى أوربا لقضاء شهرى يونيو ويوليو ولذلك رأى أن يترك عنوان إقامته فى أوربا لدى السفارة البريطانية وأبلغها أن شركة كوك تستطيع الحصول عليه فى أى وقت ، كما أبلغ غزالى باشا أنه فوض صهره المرحوم الدكتور محمد هاشم باشا فى إجراء كافة الاتصالات والاتفاقات .

وتبين للأستاذ عوض قنديل أثناء هذه الاتصالات أن المرحوم ادجار جلاد باشا

صاحب جريدة « الزمان » التى كان يعمل بها كان على علم بهذه الاتصالات ، وكان ذلك بالصدفة المحضة حيث علم بذلك من مستر تشايمان أندروز فى غداء خاص بنادى السيارات بالقاهرة أقامه غزالى باشا وحضره ثلاثتهم فقط ، وتأكد من جلاد باشا نفسه فى حديث بينهما بمكتب الجريدة فى الإسكندرية فيما بعد .

ولم يكن كريم ثابت يدرى بأى شيء مما يجرى برغم صلته الوثيقة بالملك نهاراً وليلاً .

اجتماع للاتفاق النهائى :

وفى منزل غزالى باشا السالف الذكر اجتمع ذات مساء مستر ريفنسديل — السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية والمرحوم الدكتور محمد هاشم صهر المرحوم حسين سرى باشا ، والدكتور محمد نصر الطبيب الخاص للمرحوم مصطفى النحاس باشا ، وتم الإتفاق على أن يؤلف حسين سرى باشا وزارة ائتلافية من جميع الأحزاب تجرى بوساطتها الإنتخابات حرة دون أى تدخل حكومى بحيث تفصح عن الرغبة الحقيقية للشعب فيمن يتولى حكمه .

الدكتور محمد نصر يؤيد الرواية :

وقد رأيت عند إعداد هذه الذكريات أن أتأكد من صحة هذه الرواية فدعوت الدكتور محمد نصر والصديق عوض قنديل إلى منزلى وتناولنا الموضوع فأكد الدكتور محمد نصر أنه حضر الاجتماع المذكور فى منزل المرحوم محمود غزالى باشا وما تم فيه غير أنه قال إنه لا يذكر — خاصة والحادث كان عام ١٩٤٩ — أن المرحوم الدكتور محمد هاشم كان حاضراً .

كما أضاف الدكتور نصر أن المرحوم النحاس باشا لم يكن يعلم بهذه التفاصيل ولا باجتماعه بمندوب السفارة البريطانية ، وأن حدود معلومات المرحوم النحاس باشا أنه قال له إن غزالى باشا والإنجليز يعملون على عودة الوفد إلى الحكم وأن الملك موافق على ذلك .

وأن النحاس باشا قال إنه لا يمانع فى أن يؤلف حسين سرى باشا وزارة محايدة

تجرى انتخابات نزيهه يكون الحكم فيها للأمة ، وأنه وافق على أن تكون الوزارة ائتلافية من الأحزاب بشرط عدم المساس بحرية الناخبين فى اختيار النواب ، وأن هذه الموافقة كانت فى المراحل الأخيرة من المباحثات .

حسين سرى يعود :

وفى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٤٩ استدعى الدكتور محمد هاشم حسين سرى باشا فوصل الإسكندرية فى اليوم التالى .

ونشر الصديق عوض قنديل فى صحيفة « الزمان » وكانت تصدر مسائية خبر عودة سرى باشا من الخارج بعد أن اتفق مع إدجار جلاد باشا على وضع هذا الخبر فى المكان المخصص عادة لرؤساء الوزارة .

وتصادف أن قابل المرحوم الفريق محمد حيدر باشا فى الساعة الحادية عشرة مساء فى فندق سان ستفانو صديقنا وقال له :

أنت نشرت الخبر بالصورة دى والناس أخذت تتساءل ، على كل حال جلالة الملك كلفنى الآن بالذهاب إلى إبراهيم باشا عبد الهادى لأطلب منه كتاب استقالة وزارته ، وستكون زيارتى الساعة السابعة والنصف بكرة (٢٦ يوليو) بناء على أمر الملك .

وكان العيد قد اقترب موعده . .

قصة التوازن فى مجلس النواب :

لما فوجئ دولة إبراهيم باشا عبد الهادى بهذا التحول الملكى وتوقع النتائج المترتبة عليه خاصة بالنسبة للأحزاب التى ساندت الملك منذ عام ١٩٣٧ لما تألفت الهيئة السعدية وتعاونت مع حزب الأحرار الدستوريين والحزب الوطنى ضد المرحوم مصطفى النحاس باشا أجرى اتصالات مع المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس الأحرار الدستوريين والأستاذ محمد زكى على باشا قطب الحزب الوطنى .

واتفقوا على أن يطلبوا من الملك بوساطة كريم ثابت باشا مستشاره الصحفى ورفيق سهراته الليلية الخاصة ، أن يعمل الملك على قيام توازن بين أعضاء مجلس النواب

الجديد بحيث لا يحصل الوفد على الأغلبية المطلقة التى تمكنه من الحكم منفرداً ، ووعدهم كريم ثابت بتحقيق رغبتهم .

وزين كريم ثابت للملك قصة التوازن ، وقال له إن طرد إبراهيم باشا عبد الهادى بهذه الصورة وهو رئيس الهيئة السعدية ، وحليف الأحرار الدستوريين وهم الذين حاربوا الوفد ووقفوا بجانب الملك هذه السنوات الطوال يسيء إلى الملك أبلغ إساءة بين جماهير الحزبين والحزب الوطنى والإخوان المسلمين المعروفين بعدائهم للوفد ، بل يبين للشعب أن الملك قد جاوز المبادئ الأخلاقية مما يعطى دعاية هؤلاء قبولاً عند الجماهير عامة التى سترى أن الملك يخضع دواماً للمطالب البريطانية .

وأضاف كريم ثابت للملك أنه يستطيع بصلته الوثيقة مع السفير البريطاني الذى عاد من إجازته أن يقنعه بالتوازن وتحلل السفارة من وعد مستر تشايمان اندروز واتفاقه مع الوفد .

فأذن له الملك بإجراء اتصالات لتحقيق هدفه .

وفى أثناء ذلك قابل كريم ثابت السفير البريطانى فى مأدبة غداء وأوعز إلى جريدة « أخبار اليوم » وكان شبه محرر بها ، وكانت فى أشد مواقفها عداء للمرحوم النحاس باشا وفى غاية الولاء للملك وأحزاب الأقلية ، لتنشر صورته مع السفير لتطمين قادة هذه الأحزاب ، ونشرت الصورة ، وأخذت الإشاعات تتناثر .

غزالى باشا مع السفير :

ودعا محمود غزالى باشا السفير للعشاء فى نادى محمد على وتناول الحديث بينهما شائعات موافقة الإنجليز على التوازن وحذره من النتائج التى تترتب على تزوير إرادة الناخبين ، وأن الأحداث الجارية فى مصر وفى المنطقة والتطورات الدولية تقتضى أن يشترك المصريون فعلاً فى اختيار حكامهم دون أى ضغط أو حتى مجرد توجيه ، وطمأن السفير غزالى باشا على أن الحكومة البريطانية عند اتفاقها وستحاول — ما استطاعت — منع التدخل الحكومى فى الانتخابات ، وأنها فى سبيل أن تبلغ هذه السياسة غايتها لا تمانع فى خروج الأحزاب من وزارة رفعة حسين سرى باشا ،

ثم يؤلف وزارة محايدة تجرى انتخابات حرة كما يرغب رفعة مصطفى النحاس باشا .

وقد تم ذلك فعلاً والملك غارق فى فكرة التوازن وقد عاوده عداؤه المعروف للمرحوم النحاس باشا وخشى على سلطاته فيما لو تولى رئاسة الوزارة .

الدكتور محمد هاشم والتوازن :

وكان الدكتور محمد هاشم قد كلف من قبل صهره حسين سرى باشا بالإشراف على شئون وزارة الداخلية وعلى الانتخابات ، واستطاع كريم ثابت إقناعه بوجوب التوازن فى مقاعد مجلس النواب وأن هذه رغبة جلالة الملك . . وقد سبق للدكتور هاشم أن كان عضواً ممثلاً للهيئة السعدية عن دائرته (شبلنجة) فى مجلس النواب ، كما كانت له تطلعات فى أعلى المناصب ، وكان سرى باشا يترك له كل شىء فى الشئون السياسية .

وقد حاول هاشم باشا تحقيق الرغبة الملكية ولكنه لم ينجح فجاءت نتيجة الإنتخاب فى المرحلة الأولى كما يلى :

١٦٩ للوفد ، **٢٤** للهيئة السعدية ، **٢٢** للأحرار الدستوريين ، **٤** للحزب الوطنى ، **٢٢** للمستقلين عن الأحزاب ، وعضو واحد عن الحزب الاشتراكى (مصر الفتاة من قبل) .

وكانت النتيجة النهائية لتشكيل مجلس النواب كما يلى :

٢٢٨ للوفد ، **٢٨** للهيئة السعدية ، **٢٦** للأحرار الدستوريين ، **٦** للحزب الوطنى ، **٣٠** للمستقلين عن الأحزاب ، وظل الحزب الاشتراكى واحداً .

- ومعنى هذه النتيجة أن الوفد اكتسح الانتخابات وحاز الأغلبية منذ المرحلة الانتخابية الأولى ، وحصل فى المرحلة الثانية وكانت الانتخابات قد أجريت فى ٧٧ دائرة على ثلاثين مقعداً منها ونال المستقلون ثمانية والسعديون أربعة والأحرار الدستوريون أربعة والحزب الوطنى مقعدين .
- وقد أسر المرحوم الدكتور محمد هاشم إلى الأستاذ عوض قنديل بأن اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس القسم السياسى بمحافظة القاهرة قد أخل بإتفاقه معه وأنه كان وراء فوز الوفد فى جميع دوائر محافظة القاهرة .

من أخلاق الدكتور هاشم :

على أنني أذكر أن الصديق عوض قنديل جاءني في مكتبي بقصر القبة في أغسطس عام ١٩٦٦ وطلب مني السؤال عن مصير طلب الدكتور محمد هاشم الإذن له بالعمل مستشاراً قانونياً لحكومة الكويت بناء على عقد حدد له مرتباً شهرياً خمسمائة دينار ومسكناً وسيارة .

وكانت الحراسة قد فرضت على أمواله وأموال زوجته بالتبعية وصارت حالته المالية غاية في السوء .

واتصلت تليفونياً بالمسئول فأفادني برفض الطلب ، واتفقنا على أن يكتب الدكتور محمد هاشم التماساً إلى المرحوم الرئيس جمال عبد الناصر ويأتيني به دون أن يحضر الدكتور هاشم إلى القصر .

وفوجئت في اليوم التالي بأن الدكتور هاشم رفض بشدة فكرة التقدم بالتماس إلى الرئيس الراحل .

ولم تمض شهور حتى انتقل الدكتور هاشم إلى جوار ربه .

الانتخاب في دائرة طوخ
والتوازن في انتخابات ١٩٥٠

الانتخابات سارت كما كان مرسوماً لها . . عندما قربت المعركة . . وكان هاشم باشا وزير الدولة بوزارة الداخلية يعمل سراً على الحفاظ على التوازن وقام بجولتين في الأقاليم . . بدأ بالوجه البحري وكانت الشكاوى ترد تباعاً من مرشحي الوفد من تدخل رجال الإدارة والبوليس ، كما وردت بعض الشكاوى من محافظة القاهرة . . . أخذ كل هذا فؤاد سراج الدين بصفته سكرتيراً عاماً للوفد وذهب إلى حسين سري باشا ليلاً فوجد عنده المرحوم حسن يس وهو مرشح وفدي يشكو له ، وهنا ثار سراج الدين على المرحوم حسن يس وقال له :

– انت جاي تشتكي للشخص اللي امر بكده ؟

وقال سراج الدين باشا لسرى باشا :

– حتى لو أردت تزوير الإنتخابات فلن تكون رئيس وزارة ائتلافية مستقل . . فوفر على نفسك عار . . . أنك زورت الانتخابات . . . الملك هو الذى طالب بالتوازن أنت عارف ياسرى باشا اللى بيعمله زوج بنتك (يقصد هاشم باشا) تحب تعرف تعليماتك . . ؟ اتفضل . . وأعطاه بياناً بالشكاوى ثم قال له :

– إما أنك تصدر هذه الأوامر وإما أنها تمر من تحت دقنك .

فرد على الفور :

– ابقى مغفل . . .

– بس بقول . . . تعز على أنك أنت ثالث واحد يزور الانتخابات . . صدقى . . محمد محمود وأنت ثالثهم . . وأنا هنا باقول باسم الوفد لن تكون رئيس وزارة .

ويقول فؤاد سراج الدين أن هاشم صديق له وأخطأ فى حقه حين اتصل به فى المنيا وكان حديثاً قاسياً ولكن سراج الدين اعتذر له بعد ذلك .

وبعد يومين ، عاد هاشم باشا من الصعيد وقابل فؤاد باشا قائلاً :

– احنا إخوان . . تشتمنى فى التليفون . . وعامل التليفون سامع . . دى مش لطيفة .

– يا فؤاد باشا . . حاسبنى بعد الانتخابات فى كل الدوائر إلا دائرة واحدة لشخص معين لازم ينجح بالحق أو بالباطل .

وكان يقصد دائرة (طوخ) المرشح لها المرحوم الدكتور حامد محمود – عضو الوفد المصرى أيام سعد زغلول (حامد محمود خرج مع النقراشى باشا) – برغم هذا قال فؤاد باشا .

– برغم ده كله مش حينجح . . . وأراهن . .

وراهن هاشم باشا وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا . .

. . وكسب الرهان . . فؤاد سراج الدين باشا .

استمرت المعركة الانتخابية وبدأت جرائد الوفد تهاجم التدخل من جانب الحكومة ، ولكن الوزارة لم تتراجع عن الخطة الموضوعة ، وقال سراج الدين باشا :

– إن أداة التزييف كل مرة . . هى أن يمنع البوليس الناخبين من الوصول إلى صناديق الانتخاب وبذلك يتمكنون من التزوير .

. . وقال . . . :

– إننا لو أمكنا منع البوليس من التدخل لوصلنا إلى ما نبغى . .

وأذكر أن فؤاد سراج الدين باشا كان فى المنيا قبل الانتخابات وخطب خطبة طويلة كلها موجهة إلى رجال البوليس وقال :

– أنا لا أناقشكم بما فعلته حكومات الوفد لرجال البوليس ، فهـذا حقهم المهضوم ولا يصح أن يكون اعترافكم بالجميل هو التزوير . . وكانت الخطبة فيها ترغيب وتهديد .

وقال لى فؤاد باشا إن الضباط الذين أثق فيهم عملوا رابطة خاصه واتصلوا به للوقوف على الحياد .

نعود إلى نتائج دائرة طوخ ، وكانت الانتخابات يوم السبت .

وفى يوم الخميس أرسل فؤاد سراج الدين السيد / محمود البـدينى إلى مأمور مركز طوخ بسيارة فؤاد سراج الدين الخاصة ليقول للمأمور :

– أناجى لك برسالة من فؤاد باشا والدليل هو عربيته .

إن كل التعليمات التى أصدرها هاشم باشا وزير الداخلية هى التزوير لصالح الدكتور حامد محمود ويذكرك فؤاد باشا بأن دوائر القطر كلها كوم ودائرة طوخ كوم ويستحسن أن يكون كل شىء على الحياد التام .

وهنا . . لطم المأمور على خديه وقال لمحمود البدينى وهو زميل له فى البوليس .

– وزير الداخلية الحالى قال لى زور . ووزير الداخلية اللى جاى بكرة بيقول ما تزورش . . أعمل إيه . . . ؟

فرد عليه محمود البدينى :

– خليك بضميرك . . هاشم باشا ماشى بكرة . . ووزير الداخلية المقبل بيقول لك أرضى ضميرك وخللى الانتخابات حرة .

وعندما عاد فؤاد باشا من بلدته وصل إلى طوخ الساعة الثالثة صباحاً ووجد

الفوانيس على الطريق مضيئة ، فأدرك أن زعزع الذى تقدم على أنه وفدى وليس مرشح الوفد واقفاً على السكة الزراعية وأوقف سراج الدين باشا وأخذ يقبله فسأله فؤاد باشا عن النتيجة فقال إن الدكتور حامد محمود لم يسترد التأمين .

وبمجرد وصول سراج الدين باشا إلى القاهرة اتصل بهاشم باشا وأبلغه النتيجة وتسلم العشرة الجنيهات . . . الرهان . .

الملك لا يريد النحاس باشا . . رئيساً للوزارة :

فى أثناء معركة الانتخابات عام ١٩٥٠ وضغط نظرية التوازن على الوفد كما كانت تريد السراى كان فؤاد سراج الدين باشا – سكرتير عام الوفد المصرى موجوداً بالإسكندرية ليخطب فى الشعب مؤيداً المرشحين الوفديين . . وذهب بعد منتصف الليل إلى فندق سيسل لتمضية الليلة بالفندق . .

نمى إلى علم سيادته أن إدجار جلاد باشا يريد مقابلته لأمر هام وعاجل وأنه يحمل رسالة من الملك ويرغب إبلاغها لفؤاد سراج الدين باشا .

وتمت المقابلة حيث أبلغ جلاد باشا سراج الدين باشا أن الوفد يشكو من سير الانتخابات وأن هناك تدخلاً من الحكومة فعلاً .

وأردف قائلاً :

– والواقع يا فؤاد باشا أن الملك يرتب على أن الوفد لا يفوز بأغلبية مطلقة . . أما إذا كنتم تريدون الحيدة فى الإنتخابات فهذا ممكن تنفيذه فوراً ولكن على شرط ، ألا يتمسك النحاس باشا بتأليف الوزارة . وهذه هى رغبة مولانا . . ما فيش مانع أنك انت تؤلف الوزارة لأن الملك لا يستطيع العمل مع النحاس باشا .

. . فرد عليه سراج الدين باشا قائلاً :

– أنا أغش الملك لو وافقته على هذا . . . وأن أى عضو فى الوفد لا يوافق على هذا ونحن لسنا على استعداد أن نبيع مصطفى النحاس زعيم هذا الوطن بأى ثمن . . الوزارة لا تهمنا مطلقاً . . . قل للملك هذا . . أما إذا زورتم الإنتخابات فستكون الحرب سافرة ضد الملك لأنه ثبت للوفد أن حسين سرى باشا لا يستطيع عمل

هذا كله إلا بموافقة الملك وبتأييد منه وإنكم أنتم الذين تعرضون الملك للتدمير والهلاك . . خبره بكل هذا . . . . لن نقبل حتى لو قبل مصطفى النحاس باشا وأى عضو فى الوفد يعطيكم هذا الأمل فهو يخدعكم . . . لن تجدوا « قطة » فى النادى السعدى توافقكم على ذلك .

كريم ثابت يطلب تعيينه وزيراً وفدياً :

تقابل إلياس أندراوس مع فؤاد سراج الدين وقال إنه قادم إليه فى مسألة هامة . . وقال له :

– إذا كنتم عاوزين تقعدوا عشرين سنة فى الحكم . . أنا عندى طريقة . وهى أن تأخذوا كريم ثابت وزيراً .

فرد فؤاد باشا على الفور :

– أنت يا باشا مجنون ؟

فرد أندراوس بأنه مصرى وصحفى درجة أولى ، والمهم أنه عند الملك فرخة بكشك .

فرد سراج الدين باشا :

– إن نظام الوفد لا يسمح لأن ده معناه أن الهيئة الوفدية تشيلنا ويصبح نظام الوفد فاشلاً لأن فيه مائة واحد منتظرين . . علاوة على أنه متمصر وثانياً أن أى خبر يتسرب من مجلس الوزراء سيكون كريم ثابت هو المسئول وسيقال إن الملك أحضر جاسوساً .

فرد اندراوس :

– أنا سوف أذهب إلى مصطفى باشا النحاس بنفسى على شرط ألا تكلم رفعة الباشا .

وعندما نزل اتصل سراج الدين باشا بتليفون خاص بينه وبين النحاس باشا وأخبره بالأمر خوفاً من أن يشتم مصطفى باشا أندراوس باشا أو كريم ثابت باشا أو الملك .

سمع أندراوس من النحاس باشا وكأن المتحدث هو سراج الدين باشا . . . . بنفس ترتيب الرد ، وفهم أندراوس أن سراج الدين اتصل بالنحاس .

مناورة من كريم ثابت :

كانت أحزاب الأقلية والمتصلون بكريم ثابت باشا يشيعون أن الملك برغم فوز الوفد بالأغلبية الساحقة لا يزال يرفض توليه الحكم ، وأنه يفكر فى حل البرلمان كما فعل والده عقب الانتخابات التى أجرتها وزارة المرحوم يحيي إبراهيم باشا . لو تمسك الوفديون بالحكم وبرئاسة الوزارة .

واتصل كريم ثابت باشا بفؤاد سراج الدين باشا وأبلغه أنه شاهد مظاهرة ضخمة تمر أمام منزله (كان فى جاردن سيتى) متجهة إلى منزل رفعة مصطفى النحاس باشا وأنه سمع الهتاف المدوى بحياة (زعيم الأمة النحاس . . . حبيب الأمة النحاس) تردده الألوف فى المظاهرة وأنه تشرف بمقابلة الملك فى المساء وروى له ما شاهد وما سمع وأنه نصح الملك بأن يتجاوب مع هذا الشعور الوطنى ، وأن حصول الوفد على هذه النتيجة الساحقة فى الانتخابات برغم كل ما عمل لتحقيق التوازن البرلماني دليل واضح على أن النحاس باشا رجل كويس ، وأنه يجب على الملك سرعة تكليف النحاس باشا بتأليف الوزارة . . .

وأن الملك وافق وسيتم إعداد كتاب التكليف الملكى فى صباح اليوم .

وفعلا صدر كتاب التكليف كما أبلغ كريم باشا فؤاد باشا . .

طلب إبعاد كريم ثابت والحاشية :

كان كريم ثابت شخصية غامضة تحوط بها الأساطير ، ومهما قيل فى التزامه بمسائل أخلاقية معينة ، فلا مراء أنه لعب دوراً خلال الفترة من ١٩٤٦ – ١٩٥٢ فى تاريخ مصر .

وكانت دسائس القصر تحدق بكريم ثابت ، وكان يتغلب عليها فيعود منتصراً .

وعند زواج الملك بالسيدة ناريمان سنة ١٩٥١ اشترطت السيدة ناريمان إبعاد كريم ثابت ومن على شاكلته من حاشية الملك لتنقية جو القصر ذاته ، وأبعد كريم ثابت فعلا .

وأذكر أن السيدة ناهد رشاد – وكانت تطل من شرفة القصر إلى جوار الملك فى

١٦ يناير سنة ١٩٥٢ – استرعى نظرها شعور السخط والتبرم اللذين كانا مقترنين بميلاد ولى العهد أحمد فؤاد ، لم تكن الأمة مبتهجة مثلما كانت ترفع أعلامها عند زواج الملك الشاب سنة ١٩٣٨ بالسيدة صافيناز هانم ذو الفقار ، مات المرح برؤية الملك وسماع أخباره فحل محله شعور مكبوت بعدم الارتياح .

وقالت ناهد رشاد :

– انظريا مولانا من الشرفة . . . إننا أمام بوادر خطيرة . . يجب يا مولانا أن نقوم بعمل كبير يهز هذا الشعب . . . يجب أن تكون القارعة .

ورد الملك ساخراً . .

. . القارعة . . . ؟

فأجابت ناهد رشاد :

– نعم يا مولانا . . قارعة تجعل الشعب يلتف حول العرش ويحميه . . مثل أن تتنازل عن نصف أموالك للشعب . أو شيء من هذا . .

ولكن الملك ضحك ضحكة ساخرة .

واحترقت القاهرة . . وأقيلت حكومة الوفد . . وتوالت الحكومات الإدارية على البلاد وبعد استقالة وزارة نجيب الهلالى باشا ، كان أحمد مرتضى المراغى باشا يسعى سعياً حثيثاً لرئاسة الوزارة .

وهنا ظهر كريم ثابت ، واتصل به المراغى وأخبره أنه مستعد لأن يعين كريم ثابت وزيراً للخارجية فيما لو نجح فى إقناع السراى عن طريق إلياس أندراوس ، ليتولى رئاسة الوزارة .

ولكن أندراوس لم يوافق على ذلك . . . وقال لكريم ثابت ضاحكاً . .

– أنت عايز تبقى وزير . . ح أخليك وزير . .

وعين كريم ثابت وزيراً فى وزارة سرى باشا . .

ولكن الحقيقة ، أن كريم ثابت كان يسعى من وراء ذلك – لجلب رضاء الملك عليه ، وليننى أمام أعدائه شبهة إقصاء السراى له ، عندما أرادت الملكة ناريمان إبعاده عن القصر .

طلاق الملكة فريدة :

روى لى دولة إبراهيم عبد الهادى باشا أن مراد باشا محسن ناظر الخاصة الملكية زاره فى مكتبه بالديوان الملكى حيث كان رئيساً للديوان . وأنبأه بأن الملك ينوى الانفصال عن الملكة فريدة . . فقال عبد الهادى باشا :

– لابد من التروى فى إصدار هذا القرار فالمسألة خطيرة لا يستهان بها وطلاق الملك غير طلاق الشخص العادى .

ولكن مراد باشا محسن قال :

– لا فائدة يا باشا فقد انتهى الأمر ولاتتعب نفسك وأنصح دولتك صادقاً ألا تتدخل فى مثل هذه الشئون فالمسألة أصبحت منتهية .

– مع تقديرى لنصيحتك فإننى أعتقد أننا أمام مسألة لا يستهان بها ويجب أن نكون على حذر منها حفظاً على كيان الأسرة المالكة وعلى سمعة البلاد .

وفى هذه الأثناء حضر إلى مكتبى حسن يوسف (بك) وكيل الديوان الملكى ببعض الأوراق لأوقع عليها ، وتحاشيت أن أحادث حسن بك فى هذا الموضوع أو أنظر إلى الأوراق إذ أنى قد عزمت ألا أتكلم فى هذا الموضوع أصلا .

ومضت عدة شهور وجاءت إحدى المناسبات وفاتحنى الملك فى موضوع طلاقه من السيدة صافيناز هانم ذو الفقار فقلت له : إن الملكة هى سيدة وإن البلد نصفها من النساء وكلهن سوف يعطفن عليها بعد طلاقها وبخاصة أن بنات الملك سوف يبقين فى حضانتها ولا أوافق جلالتكم على فكرة الطلاق . . ولكن الملك قال :

– ألست إنساناً ، أليس لى الحق كأى إنسان فى أن أطلق زوجتى ما دمت غير سعيد معها . .

فقلت له :

– ياصاحب الجلالة ، إن جلالتكم إنسان ولكن ليس ككل الناس فهناك اعتبارات أخرى .

ونقل الملك الموضوع إلى مسألة أخرى ، نامت حكاية الطلاق لفترة .

ثم يستطرد عبد الهادى باشا فى روايته لقصة طلاق الملكة فريدة أن الملك أجريت له عملية بالإسكندرية وذهب الجميع لعيادته واستدعى الملك إلى غرفته بالمستشفى عبد الهادى باشا وقال له .

– إن جميع الناس سألوا عنى فى المستشفى إلا فريدة .

فقال له معللا عدم زيارتها :

– إنها لا تعلم بخبر العملية ولو كانت قد علمت بها لهرعت إلى المستشفى .

وكان عبد الهادى باشا يطمع فى أن تتاح فرصة لرفع الخلاف بين الملكة والملك وعودة الحياة الزوجية بينهما . . ولكن الملك صاح غاضباً :

– أنا لا أريد أن أراها ، ولا أريد أن تأتى لزيارتى . .

وساءت الأمور بسرعة فاستدعى نائب المحكمة العليا الشرعية للإشهاد على وثيقة الطلاق .

وجدير بالذكر أن الشيخ محمد إبراهيم سالم نائب المحكمة بذل قصارى جهده فى أن يجعل الملك يعدل عن الطلاق ، بل اقترح عليه أن يكون الطلاق رجعياً ليتمكن الملك من مراجعة زوجته .

ولكن الملك رفض . .

وأصر على أن يكون الطلاق بائناً . .

مجوهرات الملك

محجوزة فى جمارك إيطاليا :

كانت التعليمات الصادرة من القصر بعد مولد الأمير أحمد فؤاد ولى العهد أن تكون الهدايا التى يقدمها المواطنون إلى السراى عينية ، ومن الأفضل أن تكون من الذهب الخالص بمناسبة هذا الحدث الفذ .

وكان مصدر هذه التعليمات الأستاذ كريم ثابت (باشا) المستشار الصحفى لجلالة الملك .

وأذكر أن المرحوم اللواء وحيد شوقى (بك) كان قد قدم للقصر هدية ، عبارة عن

صينية من الذهب وبها جنيهات ذهبية تحمل صورة « الملك » فاروق ، كما أن كريم ثابت أوعز إلى الكنيسة المارونية التى كان ينتمى إلى طائفتها لتقديم صينية من الذهب أيضاً . . وكذلك البطريركية القبطية .

وأذكر أن الملكة السابقة ناريمان عندما حصلت على حكم بحضانة الأمير الصغير ذهبت إلى إيطاليا لتنفيذ الحكم وتفقد أحوال الصغير وثروته ففوجئت بأن مجوهرات الملك ما زالت موضوعة فى أكثر من سبعة صناديق من الخشب ملفوفة بورق جرائد بالية ومودعة بالجمارك بعد أن ثار خلاف بين الملك فاروق وسلطات إيطاليا حول الرسوم المستحقة على المجوهرات بالجمارك .

وعرضت القضية أمام القضاء الإيطالى .

النحاس باشا يؤلف وزارة ١٩٥٠ :

أذكر أن أول يناير سنة ١٩٥٠ كان يوم عطلة لمناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف وسألت فؤاد باشا عن الانتخابات فى أثناء تناولنا طعام الغداء على مائدة المرحوم محمد حشمت ، وعن دائرة باب الشعرية التى كان مرشحها فيها عن الوفد المرحوم المهندس مصطفى موسى وكان طالباً بكلية الهندسة ضد السيد / سيد جلال مرشح السعديين ونائب باب الشعرية فى برلمان ١٩٤٥ .

فقال سراج الدين باشا :

– لا بد أن ينتصر سيد جلال .

ولكنى أصررت على أن الفوز سوف يكون معقوداً لمصطفى موسى . . ولكن فؤاد باشا لم يرجع عن رأيه . . فتراهنا على خمسة جنيهات أدفعها إذا لم يكسب مصطفى موسى الجولة الانتخابية .

وقد حصلت على هذا المبلغ بعد إعلان نتيجة الانتخابات فى اليوم الأول من ظهور النتائج .

وكانت معارك الانتخابات شديدة وكان من المعروف أن الوفد سوف يكتسح خصومه .

وفعلا ظهرت النتائج لتؤكد هذا الفوز الساحق واجتمع مجلس الوزراء برئاسة حسين سرى باشا ، وأكبر الظن أنه اجتمع لمناقشة وزير الداخلية هاشم باشا بعد أن تناولته الصحف المعارضة للوفد بالنقد والطعن والتجريح ووصفته صحيفة أخبار اليوم بأنه الوزير الصغير .

ثم اجتمع سرى باشا فى اليوم التالى بالأستاذ إدجار جلاد باشا .

وفى اليوم الثالث كان الملك يفتتح مؤسسة مكافحة الحفاء ووقف سرى باشا منتظراً وصول الملك ومرتباً ما يقوله لو سأله الملك عن سبب اكتساح الوفد للانتخابات ولكن الملك لم يسأله شيئاً .

ثم استمرت مقابلات سرى باشا لبعض الشخصيات غير الوفدية كالمرحوم أحمد خشبة باشا وغيره من الأحرار الدستوريين وبعض الوفديين كالأستاذ عبد الفتاح الطويل باشا ، وبعض المستقلين كالدكتور عبد الجليل العمرى والأستاذ عبد الرحمن حقى واللواء محمود هاشم باشا كاتم أسرار وزارة الحربية ، وأحمد عبد السلام الكردانى بك .

وكنت أعجب لهذه المقابلات وتساءلت . . هل يريد سرى باشا تشكيل وزارة جديدة ، أو أن النحاس فوضه لتشكيل مثل هذه الوزارة ؟

وكان الجو السياسى يسوده الغموض والشائعات .

فالوفد قد حصل على أغلبية برلمانية ساحقة تؤهله لتأليف الوزارة وفى انتخابات الإعادة كانت النتيجة فوزاً مبيناً للوفد لا خلاف فيه .

وحضر فؤاد باشا من عزبته مساء ١٠ يناير سنة ١٩٥٠ وقابل النحاس باشا فى اليوم التالى ثم صدر أمر ملكى بتكليف النحاس تشكيل الوزارة الجديدة . . وقدم حسين باشا سرى استقالته ظهر يوم الخميس ١٢ ينايرسنة ١٩٥١ بعد أن اجتمع مجلس وزرائه لمدة نصف ساعة . وغادر رئيس مجلس الوزراء مكتبه إلى منزل الزعيم مصطفى النحاس ، وتقابلا معاً لمدة ساعتين .

وفى الليلة نفسها ألف النحاس باشا وزارته الأخيرة وحلف الوزراء اليمين الدستورية أمام الملك .

ومن الطريف أن النحاس باشا رشح وزيراً للتموين الأستاذ المستشار « قطب »

فرحات ولكن سكرتارية الرئيس اتصلت خطأ بالأستاذ « مرسى » فرحات الذى فوجئ به النحاس باشا بعد حلف اليمين . . . .

وقد اجتمع مجلس الوزراء السبت ١٤ يناير سنة ١٩٥١ لأول مرة . .

وعقد البرلمان أولى جلساته يوم ١٦ يناير سنة ١٩٥١ حيث ألقى النحاس باشا خطبة العرش .

كيف أصبح طه حسين وزيراً :

عند تأليف وزارة النحاس باشا سنة ١٩٥٠ طلب رفعته أن يشترك الهلالى فى الوزارة . . ولكنه اعتذر . . وعندئذ طلب النحاس باشا من فريد زعلوك (باشا) حمل الهلالى على الحضور إلى منزل النحاس باشا لكى يقنعه شخصياً .

. . وحضر الهلالى باشا . .

واجتمع بالنحاس فى صالون منزله ثم طلب من الهلالى باشا قبول وزارة الخارجية ، فاعتذر . ولكن الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا وفريد زغلوك باشا أشارا بإحضار الشيخ طه حسين ليقنع الهلالى باشا بقبول المنصب لصداقته الوطيدة به ، وحضر الدكتور طه حسين . . . ولكن نجيب باشا أصر على الاعتذار وقال مخاطباً النحاس باشا .

– ما هو عندكم الشيخ طه .

. . وخجل الدكتور طه حسين من هذا القول . . . .

وانتهى الاجتماع عندما برحوا منزل النحاس باشا على أن يعين عبد اللطيف محمود وزيراً للمعارف وزكى عبد المتعال سكرتيراً عاماً للبنك الأهلى . ولكنه غضب من ذلك بسبب تعيين الدكتور حامد زكى وزير دولة – وقد تدخل الدكتور محمد نصر طبيب النحاس باشا الخاص لفض الخلاف ، وعين النحاس باشا زكى عبد المتعال وزيراً . ونقل عبد اللطيف محمود إلى وزارة الصحة ، وذهب الدكتور طه حسين لمقابلة فؤاد باشا واحتج على معاملة النحاس له فاقترح فؤاد باشا تعيين الدكتور طه حسين وزيراً للمعارف . . ولكن النحاس خشى من معارضة القصر . . وتمكن فؤاد باشا أن يذلل هذه المشكلة بالاتصال بكريم ثابت وإلياس أندراوس .

وصدر المرسوم بتعيين طه حسين وزيراً للمعارف .

وقال له رفعة النحاس باشا :

– يا حسين أنا حاطك تحت التجربة .

وقد توطدت لذلك العلاقة بين فؤاد سراج الدين والدكتور طه حسين . وازدادت توثقاً . . مع الأيام . . وفترت علاقاته مع نجيب الهلالى باشا .

وإذا كان لى أن أبدى رأياً فى تصرفات عميد الأدب العربي بلا منازع ، فأكتفى بالقول بأنها أخلاقياته السياسية منذ أن عرفناه ، وعرفنا ظروفه المالية وحاجته إلى الإنفاق على زوجته الفرنسية وأولادها منه .

وقد كان لها عليه فضل كبير منذ بدأ دراسته فى فرنسا مبعوثاً من الجامعة المصرية القديمة .

النحاس باشا . . والمستر بيفن :

فى ٢٨ يناير سنة ١٩٥٠ حضر مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا حيث قابل وزير الخارجية محمد صلاح الدين باشا .

ومما يذكر أن رفعة النحاس باشا كان يجيد اللغة الفرنسية إجادة تامة وكان لا يجيد اللغة الإنجليزية .

وقد اتصل السفير البريطاني بمجلس الوزراء لدعوة رئيس الوزراء لحضور مأدبة عشاء بدار السفارة البريطانية بالقاهرة أقامها لوزير الخارجية الإنجليزى وذكرت رفعة الرئيس بموعد العشاء ولكنه اعتذر عن العشاء . . ولكنى قلت له :

– إن وزير الخارجية سيحضر المأدبة وأن رفعتك رئيس لمجلس الوزراء وقد استقبلت مستر بيفن صباح اليوم .

ولكنه ابتسم وقال :

– يا ابنى . . السياسة كدة . . أنا قابلته فى الصباح بمكتبى لعمل رسمى ، ولكننى لا أريد الجلوس إلى جواره فى مائدة عشاء . . فأنا لا أحب الإنجليز ولن أجلس على مائدة مع الإنجليز إلا مائدة المفاوضات . رحم الله زعيم الحريات والديموقراطية .

النحاس باشا والجنرال دى جول :

وأذكر أن النحاس باشا كان صديقاً حميماً للمسيوشارل روا رئيس هيئة قناة السويس ، وقد سمعت من النحاس باشا أن الجنرال دى جول صديق لشارل روا ، وأن النحاس باشا كان يرسل نقوداً إلى دى جول فى أثناء وجوده فى المنفى ، وإقامته بمصر وتشكيله لحكومة فرنسا الحرة إيماناً من النحاس باشا بالديموقراطية إيماناً عميقاً . . ولقد كنت الشخص الذى يحمل النقود إلى الزعيم الفرنسى الراحل وكانت مقابلتى معه تتم بمقهى « اربيان » بمصر الجديدة وكان لموقف النحاس باشا من فرنسا فى محنتها ومع زعيمها العظيم فى منفاه أثر كبير فى العلاقات الفرنسية المصرية والتى أيدت مصر فى قضايا الوطنية حتى تأمين القناة سنة ١٩٥٦ ثم تأييد مصر بعد حرب سنة ١٩٦٧ .

وتولى شارل دى جول الحكم فى فرنسا وتحسنت العلاقات بين البلدين التى تربط بينهما أواصر ثقافية وعلمية وسياسية منذ عهد طويل .

مباحثات النحاس باشا والجنرال سليم :

فى ٥ يونيو سنة ١٩٥٠ ، وفى أثناء المباحثات التى جرت بين مصطفى النحاس باشا والجنرال سليم – قائد القوات البريطانية – وكان النحاس باشا يتكلم الفرنسية بطلاقة ، ولا يجيد التحدث بالإنجليزية ، فاقترح أن يندب أحد موظفى وزارة الخارجية المصرية للترجمة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية وبالعكس ، وعهد بهذه المهمة إلى الأستاذ رشاد مراد – وكان قنصلا عاماً فى سان فرانسسكو .

وجرت المحادثات فى رياسة مجلس الوزراء . . .

وأذكر أن الجانب المصرى كان برئاسة مصطفى النحاس باشا ويضم : فؤاد سراج الدين باشا وإبراهيم فرج باشا ، ومن الجانب البريطانى ، الجنرال سليم والسير رالف ستفينسون – السفير البريطانى بالقاهرة وبعض كبار موظفى السفارة وتولى الأستاذ رشاد مهمة الترجمة . وكان عليه أن يترجم ما يقوله مصطفى النحاس باشا بالإنجليزية إلى الجانب البريطانى ثم ينقل بدوره ما قاله الجانب البريطانى بالعربية إلى الجانب المصرى .

وعادة ما كان يتكلم النحاس باشا بالفرنسية وفؤاد باشا سراج الدين وإبراهيم فرج باشا بالإنجليزية فينقل رشاد مراد ذلك بالإنجليزية ثم بالعربية والإجابة عليها وبالعكس ، ثم يعد تقريراً بكل ما دار فى الجلسة باللغة العربية لرفعه إلى رئيس الوزراء .

وقد كان هذا العمل مجهداً ومرهقاً لرشاد مراد . .

وأذكر أنه كان يخرج للاستراحة بمكتبي بعد كل فترة . . وقد بدا على محياه التعب . واستمرت المحادثات يومين وانتهى الأمر برفض مصطفى النحاس باشا ما عرضه الجانب البريطانى بالنسبة لفكرة الدفاع المشترك ، وأن تكون مصر مقراً لقيادة الدفاع عن الشرق الأوسط .

وأذكر أن مصطفى النحاس باشا كان يرفض هذه الفكرة شكلا وموضوعاً أما فؤاد باشا سراج الدين فيبدو أنه كان يحبذ إقامة دفاع مشترك بين الدول العربية ، لا تنضم إليه بريطانيا أو أمريكا أو تركيا .

وبعد انتهاء المحادثات – وكان فى النية أن يتوجه النحاس باشا إلى باريس وأن أرافقه فى هذه الرحلة – عرضت على رفعته رأياً ، هو أن يدعو الأستاذ رشاد مراد إلى هذه الرحلة مكافأة له على مجهوده فى أثناء المباحثات .

ووافق رفعته على ذلك ، وصحب رئيس الوزراء إلى باريس . .

وهناك ، لاحظ النحاس باشا أن الأستاذ رشاد لا يبرح الفندق فاستدعاه وقال له : بلهجته الأبوية :

– يا ابنى ، لما كنت فى شبابك هنا ، كنت ما اقعدش فى البيت . . أنت ما معاكش فلوس ؟ . . اعطى لك ، أنا مش جايبك حرس لى ، أنا جايبك علشان تتفسح . . اخرج كل يوم وشوف كل حتة . . بس ، راعى ربنا فى تصرفاتك .

وبسبب الترجمة ، بقى رشاد مراد فى رحلة ممتعة فى أجمل عواصم الدنيا وبرفقة خليفة سعد العظيم أكبر زعماء مصر . . فى القرن العشرين .

من أسرار المفاوضات

التى أجراها الوفد مع بريطانيا :

بعد تأليف الوزارة سنة ١٩٥٠ كان فى نية الحكومة أن تجرى « مباحثات » وليس مفاوضات بالمعنى القانونى ، فالمفاوضات كانت تعنى وجود محاضر ، ومن المحتمل أن تنشر هذه المحاضر وتؤثر تأثيراً كبيراً على سير الأمور ، أما المحادثات أو الحوار بالمعنى البسيط ، فلا يعنى أكثر من إلقاء الضوء على قصد المتفاوضين وترك حرية العمل على ضوء الخطوط الواسعة التى تستفاد من سير المباحثات ، وبخاصة أن المباحثات لا تقيد أحداً ولا تلزم الأطراف بأى شىء .

وكان رأى الحكومة مستقراً على أن يتولى الدكتور صلاح الدين باشا وزير الخارجية والأستاذ إبراهيم فرج وزير الشئون البلدية والقروية المحادثات أما عملية المفاوضات فيتولاها رفعة النحاس باشا شخصياً .

وقد طالت المباحثات وتعثرت كثيراً . . وتعرضت لأن تقطعها إما بريطانيا أومصر وكان الاتفاق فى مجلس الوزراء على الاستعانه بالأستاذ فؤاد سراج الدين باشا إذا وصلت المباحثات إلى طريق مسدود ، فيأتى فؤاد باشا ويصل الخيوط من جديد .

ويبدو أن المباحثات لم تنته إلى نتيجة برغم إخفاء أمرها وكانت تتم فى مبنى بالمكس بالإسكندرية ، وقد لاحظ فؤاد سراج الدين باشا أن كلا من الجانب الإنجليزى الذى كان يضم مفاوضين وضباطاً والجانب المصرى الذى يضم الوزيرين وبعض كبار الموظفين كان يقوم بتحرير محاضر . وكان فؤاد باشا يرى أن هذا خطأ بين ــ كما لاحظ فؤاد باشا ــ كما قال لى . . أن الإنجليز لأول مرة فى حياتهم أعوزتهم المرونة إذ التزموا خطًّا واحداً استمر زهاء ثلاثين جلسة ، وهذه ليست عادة الإنجليز ودبلوماسيتهم العريقة المعروفة بالشد والجذب ، إذا ما أرادوا الاتفاق ، وبخاصة أن الوزارة تتفاوض على هذا الأساس منذ توليها زمام الأمور .

ولكن الجانب البريطانى قد التزم خطة معينة ، هى عدم التفاوض وإثارة المشكلات أمام الجانب المصرى .

وقد رأى فؤاد باشا – بعد أخذ رأى الوزيرين عضوى المفاوضة – أن يقوم باتصالات جانبية مع السفير البريطانى ، وهى اتصالات بقصد جس نبض السفير وتتم دون محاضر ودون هيئة مباحثات بأمل الوصول إلى شئ .

ويذكر فؤاد باشا ، أنه اتصل بالسفير ، وقابله بالسفارة البريطانية بعد أن أوضح له أنه يتحدث بصفته الشخصية ، فهو لا يمثل الوزارة ولكنه يمثل الوفد بوصفه سكرتيراً عاماً ، وغاية مقابلته هو الوصول إلى نقاط يمكن الاتفاق عليها ومهما يكن من أمر السفير ، أو من أمر المباحثات التى تمت بين فؤاد باشا وبين السفير فإن هذه المباحثات اتسمت بالصراحة والوضوح ، وأمكنهما الوصول إلى نتيجة طيبة ، واتفق الاثنان على أن يصاغ هذا الاتفاق فى ورقة (عمل) – وقال السفير إنه سوف يبعث إلى لندن بالخطوط العامة للاتفاق . وسوف يتصل بالوزير عند وصول الرد .

وبعد يومين ، قابل فؤاد باشا السفير الذى أخبره أن وزارة الخارجية البريطانية لم توافق على الاتفاق ، بدعوى أن الحكومة مقبلة على انتخابات ولا تريد الموافقة على إجراء تستغله المعارضة لاتهامها بالتهاون والتفريط ، وطلب السفير البريطانى إرجاء المباحثات لحين انتهاء الانتخابات وظهور نتائجها ، وكان من رأيه أيضاً استمرار الاتصال بين الجانبين .

وقد اعترض فؤاد باشا على هذا الرأى معللا ذلك بأن الجانب البريطانى يريد تعطيل الوصول إلى حل ، وأن ذريعة الانتخابات ليست حجة سديدة لأن البرلمان تعرض عليه نتائج المفاوضات بعد إتمامها . وكانت الاتصالات بين فؤاد باشا والسفير تتم فى منزل إلياس أندراوس باشا .

ولكن فؤاد باشا لم يفقد الأمل ، فطلب من الوزيرين مداومة الاتصال بالسفير واستكمال نقاط البحث معه ، وسافر فؤاد باشا فى إجازة خلال شهر يوليوسنة ١٩٥١ وعاد فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٥١ فاتصل به رفعة النحاس باشا وطلب منه الحضور إلى سان استفانو للتباحث فى شأن المباحثات وبعد بحث واتصالات ، لم يتقدم الإنجليز خطوة واحدة إلى الأمام وتوقفت المباحثات .

وأذكر أن الدكتور صلاح الدين باشا وزير الخارجية كان قد أدلى بتصريح فى مجلس النواب يتضمن القول أن الدورة البرلمانية لن تنفض إلا بعد أن تعطى الحكومة بياناً عن المفاوضات .

وقد انقضى شهر أغسطس وتلاه سبتمبر وكان الموقف معقداً للغاية .

ظروف تعيين عفيفى باشا
رئيساً للديوان الملكى :

المعروف أن إنجلترا – بعد إلغاء المعاهدة – لم تقطع العلاقات كما لم تبدأ حكومة الوفد فى قطع العلاقات الدبلوماسية ، إذ كانت بعض المشاكل المعلقة بين البلدين : كالقطن والأرصدة الإسترلينية تدعو الوزارة إلى التمهل فى إصدار قرار قطع العلاقات ، وشكلت الوزارة فعلا لجنه لدراسة الموضوع من كافة نواحيه الاقتصادية والسياسية . ولكن الموضوع ظل قيد البحث ولم ينته حتى إقالة الوزارة .

ولكن الوزارة سحبت عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن كنوع من الاحتجاج وليس من قبيل قطع العلاقات وسارع الملك فعينه مستشاراً خاصًّا له .

أما المسألة التى أثارت زوبعة وأحدثت دوياً أكثر مما تستحق فقد كانت تعيين حافظ عفيفى باشا رئيساً للديوان الملكى . . والواقع أن الحكومة لم تقترح تعيين حافظ عفيفى باشا ، ولكنها لم تعترض على تعيينه . وأرادت الحكومة أن تفوت على الملك فرصة الخلاف حرصاً منها على استمرار معركة القنال وأرادت السراى أن تومئ من طرف خفى أن المرشح لرئاسة الوزارة الجديدة هو حافظ عفيفى باشا بعد إقالة النحاس باشا ، ولكن الحكومة الوفدية لم تكترث للأمر فالمسألة لا تستحق منها فى هذه الظروف سوى أن يمر التعيين ببساطة ، لأن إلياس أندراوس كان يريد أن يعين رئيساً لبنك مصر محل حافظ عفيفى باشا فمن مصلحة القصر أن يمنى حافظ عفيفى باشا برئاسة الوزارة . حيث كان إلياس أندراوس المستشار الاقتصادى للملك وكل الصفقات التى يتمها كانت لحساب الملك .

الوفد وحافظ عفيفى باشا :

كان إلغاء المعاهدة حدثاً جليلا فى تاريخ مصر ، فقد اطلقت الوزارة العنان للشعب لكى يعبر عن كراهيته للاستعمار إلى حد لم يسبق له مثيل منذ قيام ثورة ١٩١٩ التى كانت صيحة الشعب بقيادة خالد الذكر : سعد زغلول باشا .

ولا أغالى عندما أقول إن حكومة النحاس باشا نقلت الإحساس المباشر بطغيان الإنجليز ووطأة الاحتلال من مدن القنال إلى جميع أنحاء البلاد ، بحيث أعادت إلى الأذهان ذكرى حوادث ثورة ١٩١٩ وجمهورية زفتى ، ونضال أسيوط .

وشجعت كتائب التحرير بأقصى وسائل التشجيع الأدبى والمادى معاً ، حتى إن ميكروفون الإذاعة بناء على طلب فؤاد « باشا » سراج الدين وزير الداخلية كان ينتقل إلى معسكرات الإنجليز فى القناة ليروى قصص الاحتلال البريطانى الدموية منذ سنة ١٨٨٢ .

وقد سبق أن ذكرنا أن الوزارة مدت الفدائيين بالسلاح وشجعت ضباط الجيش والبوليس على التطوع واستدعت سفيرنا من لندن وهمت بقطع العلاقات السياسية فلم يبق بينها وبين حالة الحرب الفعلية إلا خطوة واهية .

ولقد برز أشخاص ثلاثة على مسرح الحوادث هم : إلياس أندراوس وعبد الفتاح عمرو وحافظ عفيفى .

ولعب كل منهم دوراً خطيراً فى هذه الآونة ، ولكن أخطر هؤلاء - لا مناص - كان حافظ عفيفى باشا .

وإذا كانت الحكومة لم تعترض على تعيينه بغية أن تفوت على السراى الصيد فى الماء العكر ، فإن الناس قد ثارت على تعيينه بسبب الحديث الذى أدلى به للأستاذ كامل الشناوى ونشرته الأهرام وانبرى فيه مدافعاً عن معاهدة سنة ١٩٣٦ وطالب بالارتباط بالإنجليز إلى أقصى حد . فى الوقت الذى كانت الحكومة على وشك إلغاء المعاهدة .

وحافظ عفيفى طبيب أطفال دخل السياسة هاوياً ، وكان عضواً فى الحزب الوطنى

الذى اختاره سعد زغلول باشا مع الزعيم مصطفى النحاس باشا لينضم إلى الوفد وسار كلاهما فى طريق مختلف ، فبينما كان النحاس باشا رجل الشعب كان حافظ عفيفى فى عداد أعداء الديموقراطية وصناع المؤامرات التى دبرت للانتقاص من حقوق هذا الشعب ، وانغمس بكليته فى المضاربات السياسية التى عرفتها البلاد . وكان سفيراً فى لندن وانتهت سفارته بإصداره كتاب « الإنجليز فى بلادهم » .

فقد اشترك فى أكبر عدد من تعطيلات الدستور .

فبينما نجد على ماهر اشترك فى تعطيل الدستور مرتين ، وإسماعيل صدقى مرتين ، ومحمد محمود مرة واحدة ، نجد حافظ عفيفى أسهم فى الانقلابات على الديموقراطية ثلاث مرات :

الأولى : مع محمد محمود باشا سنة ١٩٢٨ فى حكومة « اليد الحديدية » .

والثانية : مع إسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ – بعد إلغاء دستور سنة ١٩٢٣ وإصدار دستور سنة ١٩٣٠ الذى رفضه الشعب وقاومه مقاومة رهيبة قمعتها الحكومة بالسلاح .

والثالثة : مع الهلالى باشا فى وزارة سنة ١٩٥٢ حيث أعلنت الأحكام العرفية وعطلت أحكام الدستور .

فقد عينه محمد محمود باشا وزيراً للخارجية وحلقة اتصال بدار المندوب السامى وأخفقت المفاوضات التى أجرتها الحكومة مع بريطانيا وقتئذ .

وفى وزارة إسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٣٠ نقل من الوزارة إلى وظيفة وزير مفوض فى إنجلترا لكى يكون سنداً للانقلاب فى بلاط سان جيمس .

وفى تاريخ المفاوضات المصرية / الإنجليزية يبرز حافظ عفيفى باشا ليضرب الرقم القياسى بين جميع الساسة المصريين فى مائدة المفاوضات .

وإذا كان مصطفى النحاس باشا – زعيم البلاد – فاوض الإنجليز خمس مرات فإن حافظ عفيفى باشا جلس إلى مائدة المفاوضات ست مرات .

الأولى : مع سعد زغلول باشا وعدلى باشا يكن سنة ١٩٢٤ (مفاوضات سعد زغلول باشا / ماكدونالد) .

والثانية : مع محمد محمود باشا سنة ١٩٢٨ (محمد محمود باشا / هندرسون) وكان وزيراً للخارجية .
والثالثة : مفاوضات صدقى باشا سنة ١٩٣٠ .
والرابعة : مع مصطفى النحاس باشا سنة ١٩٣٦ التى انتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ .
والخامسة : مع صدقى باشا سنة ١٩٤٦ وانتهت بمشروع معاهدة (صدقى / بيفن) . وهى المفاوضات التى رفضت فيها أغلبية هيئة المفاوضة المشروع .
وأخيراً : اشترك فى مفاوضات الهلالى باشا ورالف ستيفينسون .

عريضة المعارضة :

تقدمت المعارضة فى أثناء تولى حكومة الوفد فى سنة ١٩٥٠ بعريضة إلى الملك ، وكانت المعارضة فى هذا الوقت تشعر أنها ضاعت فى خضم الجماهير التى ارتضت حكومة الوفد بناء على انتخابات حرة نزيهة وصل فيها الوفد إلى الحكم بعد إقصائه خمس سنوات ، ومحاربته حرباً لا هوادة فيها وبكافة الأسلحة .

وكانت المعارضة تزعم أن الظروف التى قدمت فيها العريضة إلى الملك هى خير الظروف المناسبة لإصلاح شئون البلاد ، أو على الأصح إزاحة وزارة النحاس باشا من الحكم .

وفى الواقع أن حجة الإصلاح – فى رأينا – لا أساس لها ، فالمعروف أن العريضة قدمت بعد أن أجرى مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء التجديد النصفى لأعضاء مجلس الشيوخ الذى زلزل مقاعد المعارضة جميعاً وانتهى بعزل الدكتور هيكل باشا من منصبه كرئيس لمجلس الشيوخ

كما أن المعارضة تعللت بأن الملك كان فى رحلات لا تتصل بالمصلحة الوطنية وأرادت أن تشعره بالمسئولية وإلزامه بالصالح العام ، ولكن هذا القول أيضاً – فيما نعلم – لا أساس له فالوفد فى هذه المرحلة بالذات كان على صفاء مع القصر أو فى فترة مهادنة فرضتها الظروف العامة للبلاد بعد حكومات الأقليات التى استمرت زهاء خمس سنوات وشجعت على توسيع هوة الخلاف بين القصر وممثلى الشعب .

ووقع على العريضة : المرحوم محمد حسين هيكل باشا رئيس الأحرار الدستوريين والمرحوم عبد الرحمن الرافعي بك من الحزب الوطني ، ودولة عبد الهادي باشا والأستاذ مصطفى مرعي بك أطال الله بقاءهما عن الحزب السعدي والمستقلين .

ووقع هؤلاء على العريضة كما كتبها دولة عبد الهادي باشا ، ولكن بعض الساسة طلبوا تعديل صيغة العريضة وعدلت بالفعل ووقع عليها بعد التعديل الدكتور نجيب إسكندر ومحمود غالب باشا وطه السباعي باشا .

وجدير بالذكر أن عبد القوى أحمد باشا وزير الأشغال الأسبق وقع على العريضة واختفى بعد التوقيع ورفض على ماهر باشا وحسين سرى باشا الاشتراك فى التوقيع على العريضة ، كما أن العريضة عرضت على بعض السياسيين الآخرين ولكنهم رفضوا جميعاً .

وقد أصر الموقعون على العريضة على تقديمها ، عندما علم الملك بالعريضة أمر رجال القصر بعدم مقابلة أى فرد من الموقعين على العريضة .

ويذكر أن الملك قد عرف قصة العريضة من أحمد نجيب الجواهرجى الذى رجا الملك أن يسمح له بمقابلة عبد الهادى باشا عن طريق الأستاذ زكى علي وهو صديق لدولة عبد الهادى باشا وأحد وزرائه لإقناع عبد الهادى باشا بعدم تقديم العريضة .

وتمت المقابلة بين عبد الهادى باشا وأحمد نجيب الجواهرجى وأبلغ نجيب الجواهرجى أن عدم تقديم العريضة رغبة ملكية ، فرفض عبد الهادى باشا وأصر على تقديمها .

وأرسلت العريضة بالبريد المسجل ووصلت فعلا إلى الملك الذى أخذها ووضعها فى جيبه .

وقد حاول الملك مرات كثيرة حمل الموقعين على هذه العريضة على الاعتذار ولكنه أخفق إلا حافظ رمضان الذى بادر بالاعتذار إلى الأعتاب الملكية ، ونشر هذا الاعتذار فى صدر جريدة الأهرام فى ١٨ / ٦ / ١٩٥٠ .

الهلالى باشا
يوافق على إلغاء المعاهدة

من المعروف أن القصر كان يدخر المرحوم الهلالى باشا لوقت معين ، وكان الهلالى باشا مرشحاً لتولى الوزارة بعد مصطفى النحاس باشا ، ومن المعروف أيضاً أن بعض الصحف المناوئة للوفد بدأت تركز الأضواء على الهلالى باشا وتشيد بعبقريته وذكائه وفطنته وتؤكد أنه سوف يقوم ، بدور معين وتذكر بمناسبة وبدون مناسبة أنه رفض أن يدخل حكومة الوفد وأن مصطفى النحاس باشا عرض عليه أية وزارة يختارها وأنه عرض عليه وزارة الخارجية .

وكان فى تصور السراى أن يأتى الهلالى باشا بعد مصطفى النحاس باشا وفى هذه الحالة إما أن يؤيد مجلس النواب الوفدى الهلالى باشا فيظل البرلمان قائماً أو لا يؤيده فيصدر قرار بحله .

وتمت مقابلة بين الملك والهلالى باشا ودار الحوار حول إلغاء المعاهدة فأقر الهلالى باشا رأى الحكومة فى إلغائها ودلل بأن الشعب متحمس لإلغاء المعاهدة ، وأن المعاهدة نفسها استنفدت أغراضها وأن حكومة الوفد أرادت أن تضع الملك أمام إرادة الشعب وتعرضه لامتحان رهيب ، وأخيراً لا مفر من إلغاء المعاهدة لحماية الملك شخصياً من غضب الشعب الثائر وخاصة فى هذه الآونة التى بدأت فضائح القصر تنتشر وتفرخ الإشاعات .

وربما يعلل البعض موافقة الهلالى باشا على إلغاء المعاهدة بغرض آخر ، وهو أنه كان لابد أن يعلم أن إلغاء المعاهدة يعجل بذهاب حكومة الوفد . وأنه سوف يثير الخلاف بين الإنجليز والقصر والحكومة ولابد فى النهاية أن ينتهى بإقالة النحاس باشا .

ولكن لا يجوز الحكم بالعلل . . والمهم أن دولة الهلالى باشا كان مقتنعاً بإلغاء المعاهدة ، وقد أفتى بذلك – بعقلية القانونى الدقيق .

ومن المقرر أن القصر لم يكن تخطر بباله عواقب إلغاء المعاهدة ، فقد صدق الملك على مرسوم الإلغاء دون أن يعلم بما سوف تتمخض عنه الحوادث ، فالوفد كان جاداً فى تنفيذ ما اعتزمه وما يقتضيه الإلغاء من إجراءات وتبعات .

تحديد إقامة الملك فاروق :

فى يوم الأحد ٧ أكتوبر سنة ١٩٥١ عاد حضرة صاحب المقام الرفيع المغفور له مصطفى النحاس باشا - طيب الله ثراه - من الإسكندرية إلى القاهرة بقطار الساعة الخامسة والنصف مساء .

وفى يوم الاثنين ٨ أكتوبر طلب منى رفعة النحاس باشا العمل فوراً فى توصيل « ميكروفون » من قاعة مجلس النواب إلى مكتبه برئاسة مجلس الوزراء على أن يتم هذا التوصيل فى أقل من ساعة وكلفت المهندسين وتم ما أراد الزعيم .

ثم استدعانى رفعته وقال :

- اخل المجلس من الموظفين وادعهم جميعاً لحضور الاجتماع بمجلس النواب .

ثم أضاف . .

- إن جلالة الملك سوف يحضر ، وبمجرد وصوله يدخل فوراً إلى مكتبه .

وقد تم ذلك فى دقائق دون علم أحد .

كما طلب منى مصطفى النحاس أن أغلق باب المكتب بالمفتاح وألا أسمح للملك بالخروج . . من المكتب .

وسألته مستفسراً :

- كيف يتم كل هذا يارفعة الباشا . . إنه الملك . . لا أجرؤ أن أفعل هذا . ولكن النحاس صمم على ما قال .

وعند دخول الملك إلى مكتب رئيس الوزراء بالرئاسة . . قال له :

- عن إذن مولانا . . لما أروح البرلمان . . جلالتك سوف تسمع ما أقول والجهاز موجود أمامك على المكتب .

وخرج وأغلق بيده باب الغرفة وأخذ المفتاح ثم قال لى :

- تعال معى .

وذهبنا معاً إلى مجلس النواب واستقبل النحاس باشا استقبالا حاراً وقف على منبر مجلس النواب ليعلن للأمة أنه من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل

مصر أطالبكم اليوم بإلغائها . . وعاد فوراً إلى مجلس الوزراء وفتح باب المكتب .

ومما يذكر أن إلياس أندراوس قابل فؤاد سراج الدين وسأله عن نية الوزارة نحو إلغاء المعاهدة قبل ثلاثة أيام من الإلغاء ولكن فؤاد باشا نفى ذلك نفياً باتاً .

وذهب إلياس أندراوس إلى السفير البريطانى وكان يبدو أنه موفد من قبله لينقل إليه عدم اعتزام الحكومة إلغاء المعاهدة مؤكداً ذلك وأنه استعلم الأمر شخصياً من وزير الداخلية الذى جزم له بأنه ليس من مشروعات الوزارة إلغاء المعاهدة .

وأبرق السفير إلى حكومته بتكذيب كل الشائعات حول إلغاء المعاهدة ، ثم فوجئ السفير البريطاني وإلياس أندراوس بإلغاء المعاهدة وتصديق الملك عليها .

وقد عاتب إلياس أندراوس فؤاد سراج الدين بعد ذلك الذى قال له :

— أنت تنتظر كنت أقول ح نلغى المعاهدة عشان تروح تبلغ السفير البريطاني بالإلغاء .

فرد إلياس أندراوس :

— أنت يا معالى الباشا حرقت السفير البريطانى لدى حكومته . وفى رأيي أن هذه المرة الأولى الذى يؤكد فيها السفير البريطاني أمراً ثم يظهر الأمر بخلاف ما أكد .

وفى صباح الثلاثاء ٩ أكتوبر سنة ١٩٥١ رجع النحاس باشا إلى الإسكندرية .

وفى رأيي أن النحاس باشا بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ قام بعمل وطنى من أعظم الأعمال فى تاريخ مصر ، وكأنه يحس أن هذا العمل هو آخر عمل سوف يقدمه إلى مصر طوال زعامته لها لمدة تقارب ٢٥ عاماً أبلى فيها بلاء حسناً ، وناهض فيها أعداء الأمة ، وكافح من أجل حرية البلاد واستقلالها .

وكان إلغاء المعاهدة – بالظروف والملابسات ومكانة القصر واتصاله بالإنجليز الوثيق – خير دليل على بسالة مصطفى النحاس ووطنيته التى لا يمكن للشعب المصرى أن ينكرها عليه .

ورحم الله النحاس حين قال بالإسكندرية بعد إلغاء المعاهدة وكان فى آخر خطبه :

— ألا هل بلغت . . اللهم فاشهد . . لقد وقعت معاهدة ١٩٣٦ من أجل خير مصر ثم ألغيتها أيضاً من أجل خير مصر . . لقد بلغ الكتاب أجله . .

احتجاج الدول الأربع

على إلغاء المعاهدة

بعد إعلان قرار إلغاء المعاهدة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ طلب سفراء الدول الأربع وهى : إنجلترا وأمريكا وفرنسا وتركيا مقابلة وزير الخارجية بصفة عاجلة .

وعندما علم النحاس باشا بهذا الطلب قال إنها مظاهرة سياسية .

وطلب من الدكتور صلاح الدين باشا أن يقابل الوزير السفراء كل على حدة ، على أن تتم المقابلة بين كل سفير وآخر بعد انقضاء نصف ساعة .

وتمت المقابلة . . وكان من الغريب أن تقدم السفراء جميعاً بمذكرة تضمنت - صيغة طبق الأصل - احتجاجاً على إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ . وفى الحقيقة كانت العقبة الكئود هى السودان ، وحين كان الجلاء أمراً مفروغاً منه ويمكن الاتفاق بشأنه فإن السودان كان موضع مناقشات ومساومات وأخذ ورد طويلين .

وطالب السفراء بالرجوع إلى السودان لحل الإشكال ، ولكن الحكومة رفضت هذا الطلب بشدة وشجبت محاولات الانفصال وطالبت بالوحدة بين البلدين الشقيقين تحت التاج المصرى .

والواقع - كما ذكرت - أن مذكرة السفراء - ولنقل إنها كانت مذكرة انطوت على صيغة واحدة تضمنت إجراء استفتاء حول مصير السودان . وكان الوفد يرفض هذه الفكرة من أساسها إذ لم يكن القطر الشقيق إلا جزءاً لا يتجزأ من الوطن كالإسكندرية والغربية وأسيوط وأسوان .

وعند اجتماع مجلس الوزراء عرض وزير الخارجية المذكرة التى قدمها السفراء ورفضها المجلس بالإجماع . وكلف المجلس الوزير مقابلة السفراء فرادى وإعلانهم بقرار الرفض .

وطلب صلاح الدين من مجلس الوزراء أن يترك له الرد على السفراء . وكانت الغاية من ذلك هى التسويف من جانب صلاح الدين باشا لرفض المذكرة أو تأجيل الرد عليها وكأن مجلس الوزراء مازال يبحث المذكرة .

ولكن المجلس رفض ذلك لأن المذكرة مرفوضة من أول وهلة ، بل إن المجلس أصرّ على ذلك وعزم النحاس باشا على إعلان قرار رفض مذكرة السفراء أمام مجلس النواب فى جلسة علنية .

وكان الزعيم الجليل مصطفى النحاس حاسماً فى مثل هذه الأمور ولا يقبل فيها جدلا أو مناقشة أو مساومة بأى حال . بل كانت هذه مبادئه التى كان يدين بها منذ انتمائه إلى الحركة الوطنية فى مطلع شبابه . وكان قراره دائماً بالنسبة لما يمس مصر والسودان أو يكون محلا لمزايدة أو تلاعب الرفض القاطع الذى لا يقبل بحال الرجوع فيه .

وكانت خطة سراج الدين باشا تتمثل فيما يلى :

يطلب أحد نواب المعارضة (الأستاذ حامد العلايلى بك) وهو من الأحرار الدستوريين الكلمة فى مجلس النواب فيرد عليه رئيس المجلس المرحوم عبد السلام فهمى جمعة باشا عما يطلب بهذه الكلمة .

فيقول النائب :

-- هناك مسألة خطيرة لا يمكن السكوت عليها وأرجو أن يتسع صدر المجلس إلى سماعها . . أرجو سؤال الحكومة فيها .

فيوافق رئيس المجلس على إعطاء العضو الكلمة فيقول بصوت عال :

– إنه نمى إلى علمى أن الدول الأربع – وعددها – تقدمت باقتراح إلى الحكومة حول إلغاء المعاهدة والخطوات التالية عليها .

ويطلب وزير الداخلية وسكرتير عام الوفد فؤاد سراج الدين باشا الكلمة ويرد بالآتى :

– إن الحكومة ترحب بسؤال النائب المحترم ويهم الحكومة أن توضح لحضرات الأعضاء المحترمين حقيقة الأمر . فقد تقدمت الدول الأربع الكبرى بمذكرة وقد عرضت على مجلس الوزراء فرفضها بالإجماع لما تنطوى عليه من تدخل فى شئون مصر وتمس استقلالها وأمانيها .

ويصفق الأعضاء طويلا . . لكلمة الوزير الذى أجهز على كل مساومة يمكن أن تتم فى هذا الموضوع الخطير .

لماذا أراد القصر
عزل حكومة الوفد . . ؟ :

بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ – كما أسلفنا – وإعلان الحكومة الجهاد ضد القوات المحتلة فى قناة السويس ، بدأت أعصاب الملك تهتز وبدأ يخشى مغبة استمرار الكفاح الشعبى الذى قاده مصطفى النحاس ، وقد حاول البعض أمثال : إلياس أندراوس استغلال حالة الملك النفسية وإيهامه بأن الوفد يزمع عزله .

وكما أوضحنا أنه كان هناك مأدبة غداء أقامها الملك بمناسبة « سبوع » ولى العهد لكبار رجال الجيش فى يوم السبت ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ – أى يوم حريق القاهرة .

وعند اندلاع الحرائق وامتدادها إلى أنحاء كثيرة من العاصمة توجه وزير الداخلية فؤاد باشا سراج الدين إلى القصر لكى يعرض على الملك ما آل إليه الحال ، ويطالب بإنزال الجيش إلى الشوارع لحماية العاصمة .

وجلس وزير الدخلية ينتظر المثول أمام الملك مدة ساعتين ونصف الساعة ، ثم أذن له بمقابلة الملك ، وكان معه حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان الملكى ، وكريم ثابت باشا المستشار الصحفى .

وطالب فؤاد باشا الملك بضرورة نزول الجيش إلى العاصمة ، ووافق الملك على ذلك .

وقد نمى إلى علمى فيما بعد أنه قبل ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ عقد اجتماع بين حافظ عفيفى باشا وكريم باشا ثابت والفريق محمد حيدر باشا واستقر الرأى على الإطاحة بحكومة الوفد ، ولكن حيدر باشا لم يقتنع بذلك وأوعز إلى الملك بالإبقاء على الحكومة الوفدية حفاظاً على العرش .

وقد علمنا أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن حافظ عفيفى باشا كان يريد أن يتولى رئاسة الوزراء ، وأنه كان ضليعاً فى المؤامرة التى أدت إلى إعفاء النحاس باشا من الحكم .

ولكن الملك – بعد إقالة النحاس باشا – لم يكلف حافظ عفيفى باشا كما كان يريد ، ويدبر ، بل كلف دولة الهلالى باشا بهذه الوزارة فاعتذر مشيراً بتكليف رفعة على

ماهر باشا بتشكيل الوزارة الجديدة .

أما إلياس أندراوس فقد كان يحقد على فؤاد باشا سراج الدين حقداً شخصياً ولأسباب اقتصادية ، منها أن إلياس أندراوس كان يضارب على القطن فى البورصة نزولا ، أما سياسة فؤاد باشا سراج الدين منذ توليه وزارة المالية فكانت تهدف إلى ارتفاع أسعار القطن مما أدى إلى إلحاق الخسائر بإلياس أندراوس الذى صمم على إبعاد فؤاد باشا عن الحكم ، وكثيراً ما أدخل فى روع الملك أنه بحكم اتصاله بالإنجليز فهم أن الوزارة فى سبيل قطع علاقاتها بإنجلترا ، وإذا ما أقدمت على ذلك فإن إنجلترا سوف تعتبر نفسها فى حالة حرب مع مصر وستأخذ الملك « أسير حرب » .

ولذلك فقد ألح على الملك بضرورة إقالة الوزارة .

أما بالنسبة لكريم ثابت فلا نطيل القول بأن العداء قديم بينه وبين حزب الوفد شخصياً ، فقد كان الوفد يعلم أن كريم ثابت شخص لا يؤمن جانبه ، وأنه كان قوى التأثير على القصر فى نواح غير أخلاقية . وكان كريم ثابت يعلم أن حكم الوفد عقبة كئود أمامه ، وأن الوفد لن يصبر على بقائه بالقصر ، وأن وجوده – عاجلا كان أو آجلا – مؤقت وسوف تطلب الحكومة عزله يوماً مّا .

ولذلك فقد انضم إلى ركب الناقمين على الحكومة وسياستها ، وكان أحد مدبرى « الطبخة » كما قال حيدر باشا لفؤاد سراج الدين باشا .

الفدائيون . . والسلاح :

لما ألغيت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وأعلنت حكومة الوفد الجهاد ضد الإنجليز ، بدأت حركة الفدائيين فى منطقة القنال تؤرق مضاجع جنود الاحتلال ، وكانت الحكومة الوفدية تشجع الحركة بكل طاقاتها وتمد الفدائيين بالسلاح . وذلك عن طريق ضباط من البوليس .

وقد ضمت الحركة بين أطرافها شباباً من كافة النزعات ، وكان قوامها طلبة الجامعة الذين قدموا زهرة شبابهم ، كما انضم إلى حركة الفدائيين بعض الإخوان المسلمين ولفيف من ضباط الجيش .

ولكن كان – والحق يقال – محرك هذه الحركة ضباط البوليس الذين كان وراءهم وزير الداخلية نفسه – فؤاد سراج الدين باشا .

ولقد اكتشف الإنجليز هذه المسألة وعرفوا أن حكومة الوفد تحرك الفدائيين وتحضهم على مزيد من حركة العنف وتخريب المعسكرات ، فأرسل رالف ستيفنسون السفير البريطاني حينذاك إنذاراً للحكومة جاء فيه :

« إن كل من يقوم بهذه العمليات ضباط من البوليس . .

وإن الحكومة البريطانية تحذر حكومة الوفد من الاستمرار فى عمليات الفدائيين »

وهذا الإنذار مازال موجوداً فى أرشيف وزارة الداخلية وبين المستندات الرسمية ينطق بخطورة عمليات الفدائيين المصريين .

ولكن فؤاد سراج الدين باشا لم يأبه لهذا الإنذار وسخر منه ، وأشار بحفظه . .

والحق أقول ، إن هذه المعركة النبيلة التى خاضها شباب الأمة ونفخ فيها الوفد من روحه ، وفقت توفيقاً كبيراً وكانت حركة – كما قال لى رفعة النحاس باشا – مباركة ومثمرة . وكان شغل الحكومة الشاغل أن يستمر وهج الحركة الوطنية مشتعلا ، وأن تستمر حركة الفدائيين فعّالة كى يضطر جيش الاحتلال أن يرحل من منطقة القناة خاصة بعد أن امتنع العمال المصريون عن العمل فى معسكرات الاحتلال ، وبعد أن قاطع تجار المنطقة الإنجليز بتحريض من الحكومة ، وبعد أن سدت المنافذ على بريطانيا أن تحارب الفدائيين بوصفهم جيشاً .

وسوف يسجل التاريخ أن حكومة الوفد كانت تشترى السلاح من الصعيد وأن الأستاذ رفيق الطرزى – وهو نائب فى البرلمان الوفدى ونجل أحد أقطاب الوفد القدامى – كان يرسل السلاح من بلدته « منفلوط » فى الصعيد إلى الفدائيين بمنطقة القناة ، كما أن محافظ بورسعيد عبد الهادى غزالى كان ينقل بنفسه السلاح بسيارته الحكومية إلى الفدائيين .

وأذكر أنه ذات يوم حضر لمنزل الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا قريب له كان يحمل أخباراً غريبة فى بابها تتلخص فى أنه علم بأن هناك قوات مسلحة قادمة من أستراليا سوف تصل إلى القناة لضرب الفدائيين وتعزيز القوات البريطانية الموجودة بالمنطقة .

واقترح على وزير الداخلية نسف القناة وسدها لكيلا تصلح للملاحة وذلك عن طريق « طرد ألغام » ينقل من القاهرة إلى بلدة القنطرة شرق بالسكك الحديدية لكى تتفادى تفتيش الإنجليز ، ثم يثبت فى مكان ما يعينه الضباط لنسف القناة وتعطيلها وأن يصحب الطرد : وجيه أفندى . .

فوافق فؤاد باشا – وزير الداخلية – واتصل فوراً بالمهندس المرحوم سيد عبد الواحد وكان مديراً عاماً لسكك حديد مصر وأخبره بأن هناك طرداً من وزارة الداخلية سرى وعلى قدر كبير من الأهمية ، ولا يريد أن يطلع عليه أحد ، ومعه موظف اسمه وجيه أفندى .

كما اتصل وزير الداخلية فى الوقت نفسه بمأمور القنطرة شرق وأبلغه بأن طرداً هاماً يصل إليه الليلة ومعه موظف اسمه : وجيه أفندى ، وطلب منه أن يمر من الجمرك دون تفتيش وأن يتم ذلك على وجه السرعة وبصورة سرية للغاية .

وقد تم كل شىء فى أقل من ٤٨ ساعة ، ولكن الوزارة لم تتمكن من أن تستمر فى جهادها المقدس بسبب إقالتها بعد ٢٢ ساعة .

وصدرت الأوامر – بعد ذلك – بوقف نشاط الفدائيين ، ووأدت الحكومات المتعاقبة – بأمر الإنجليز نشاط الفدائيين .

وأذكر أنه عندما حوكم فؤاد باشا سراج الدين أمام محكمة الثورة سنة **١٩٥٣** ذكر للمحكمة ما قام به من أعمال فى منطقة القناة ومنها نقل الطوربيد لنسف القناة .

وقد نسب رئيس المحكمة السيد عبد اللطيف البغدادى هذه الواقعة إليه كتهمة ولكن سراج الدين باشا أنكر ذلك بقوله :

– إن أحد الضباط منكم هو الذى طلب منى ذلك ونفذت له ما أراد .

وفى اليوم الثاني للمحاكمة . . وأثناء الاستراحة دخل شخص على فؤاد سراج الدين باشا ومن الطريف أنه كان وجيه أفندى (وهو قائد الجناح وجيه أباظة) وقال له إنه قادم خصيصاً لكى يستدعيه فؤاد باشا إلى الشهادة ولكى يؤيد رواية سراج الدين باشا .

ولكن فؤاد باشا اعتذر له قائلا :

– إن هذه الشهادة لا تقدم ولا تؤخر .

ولكن وجيه أباظة ألح عليه إلحاحاً كبيراً ولم يستجب له فؤاد باشا .

وهنا ، اقتحم وجيه أباظة المحكمة أثناء الاستراحة وأعلن لها أن ما قاله فؤاد سراج الدين صحيح ، فقد نقل اللغم ، أما كل ما قام به عبد اللطيف البغدادى فهو نقل جهاز اللغم . .

أمريكا تحتج على . .
مقتل ممرضة أمريكية

بدأت حركة نضال الشعب ضد الاحتلال البريطاني ، واستشهد المصريون بالمئات برصاص الإنجليز الغادر .

وبلغ إسراف الإنجليز ووحشيتهم فى إراقة الدماء مبلغاً تأباه الضمائر ، فقد أطلقت رصاصة من أحد جنود الاحتلال على الراهبة الأمريكية آن بديرسان فنسان دى بول يوم ١٩ يناير سنة ١٩٥٢ فأودت بحياتها .

وكان لاغتيال الراهبة الأمريكية دوى هائل فى الأوساط الأمريكية والبريطانية . واحتج السفير الأمريكى بالقاهرة مستر جيفرسون كافرى على مقتل الراهبة آن .

وقدم هذا الاحتجاج إلى الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية . وكان الاحتجاج شديد اللهجة ، فاتصل صلاح الدين باشا بسراج الدين باشا وأطلعه على المذكرة وقال له :

– إن السفير يريد مقابلتك .

ورفض فؤاد باشا ولكن النحاس باشا طلب منه أن يجتمع بالسفير كافرى .

واجتمع السفير الأمريكى بالوزيرين المصريين ، وسأله وزير الداخلية عن سبب الاحتجاج وهل تأكدت الحكومة الأمريكية من الرصاصة التى قتلت الراهبة أنها رصاصة أطلقها مصرى ؟ ، ورفض الاحتجاج لحين إجراء تحقيق فى هذا الموضوع وكان السفير ضيق الصدر بادى التبرم .

وثبت من التحقيق فى مقتل الراهبة استحالة أن يكون مصدر الإصابة مصرياً ، إن الأدلة كانت قاطعة فى أن الرصاصة من مصدر بريطانى وأنها لقيت مصرعها بنفس

الرصاص الذى استشهد به المصريون .

وبعد هذه النتيجة ، استدعى كافرى لمقابلة سراج الدين باشا الذى قال له :

لقد كانت الحكومة الأمريكية تطالب بتعويض عن فعل لم نرتكبه ، ولو كنا قد قبلنا مذكرة الاحتجاج لطالبنا نحن بالتعويض .

عزام باشا . . والدفاع المشترك :

بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ قدم السفير البريطاني « سير رالف ستيفنسون » مذكرة إلى رفعة النحاس باشا – رئيس مجلس الوزراء – فى ١٣ أكتوبر ١٩٥١ – تنطوى على مشروع للدفاع المشترك فى الشرق الأوسط تكون مقر قيادته القاهرة وتشترك فيه الدول الأربع : إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وتركيا .

« مما يذكر – أن النص على تركيا فى معاهدة الدفاع المشترك جاء فى اتفاقية الجلاء التى أبرمها الرئيس عبد الناصر فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ مع الجانب البريطانى » .

وقد رفض النحاس باشا المذكرة شكلا وموضوعاً ، بل رفض أن يناقش الفكرة من أساسها . ومما يذكر ، أنه لم يمض وقت طويل بعد إعلان قرار النحاس برفض قيادة الشرق الأوسط ومشروعاتها الدفاعية وهو ما اعترض عليه منذ وزارة إسماعيل صدقى باشا سنة ١٩٤٦ . فى مشروع المعاهدة التى سميت باسم معاهدة ، « صدقى بيفن » وهى التى ثار عليها الشعب وانتهت باستقالة الوزارة ، وقطع المفاوضات ومن بعد عرض النقراشى باشا النزاع على مجلس الأمن سنة ١٩٤٧ .

وأذكر أن عبد الرحمن عزام باشا قابل المرحوم اللواء وحيد شوقى بك مدير خفر السواحل فى هذا الحين وقال له :

– لماذا استعجلت الحكومة رفض المشروع ، وهناك مشروع للضمان الجماعى موجود بالجامعة العربية قدمه الدكتور ناظم القدسى منذ سنة ١٩٤٩ ولم يتحرك حتى الآن ؟

ولكن النحاس باشا لم يقبل مشروع الدفاع المشترك وكان من رأيه أن يتخذ موقفاً جدياً فورياً من الغرب ، وتهيئة الشعب لكل الظروف والاحتمالات .

على هامش حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ :

اجتمع السفير البريطانى سير رالف ستيفنسون مع حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان الملكى وناقشه فى الأزمات التى هدد بها الوفد الوجود البريطانى فى منطقة قناة السويس وأثره على علاقات البلدين .

وكان الاجتماع قبل حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ بأيام قليلة ، ووافقه حافظ باشا على رأيه خاصة وأن الملك وافق على تولى الوفد الحكم للوصول إلى معاهدة مع الحكومة البريطانية ، لكن الوفد لم يقبل العروض البريطانية ، كما لم يقبل مشروع قيادة الدفاع عن الشرق الأوسط الذى تقدمت به بريطانيا وأمريكا وفرنسا وتركيا ، بل إنه ألغى معاهدة ١٩٣٦ ، وأصبح الاحتلال البريطانى بدون أى سند .

وكان إلياس أندراوس باشا المستشار الاقتصادى للملك فاروق يقوم بتبادل الرسائل بين الملك والسفارة البريطانية ، وأفهم الملك أن الإنجليز قد تخلو عن أى مساندة للقصر ، وأن حرب مصطفى النحاس باشا للإنجليز فى القناة قد تؤدى إلى عزل الملك .

وبعد اجتماع السفير البريطاني مع حافظ عفيفى باشا قابل حافظ باشا الملك الذى بدا ثائراً على الأوضاع فقال له حافظ باشا .

إننى أرجو جلالتك أن تضبط أعصابك عدة أيام قليلة .

وفى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ بدأت المظاهرات صباحاً وأحرقت القاهرة وطلب القصر من الوزارة إعلان الأحكام العرفية لتمكين القصر من المؤامرة وإقالة الوزارة .

وقد خشى النحاس باشا من نتيجة إعلان الأحكام العرفية لكن وزراءه أقنعوه ، ومن ثم كانت الإقالة التى توقعها المرحوم النحاس باشا .

ذلك أن المرحوم حافظ عفيفى باشا ، وكريم ثابت باشا حاولا مباشرة إقناع الملك بالإقالة لكن المرحوم الفريق محمد حيدر باشا كان ضد الإقالة واستطاع إقناع الملك .

وخرج حيدر باشا ليبلغ فؤاد سراج الدين باشا تليفونياً فقال له فؤاد باشا : وسبتهم معاه ليه . . زمانهم كملوا الطبخة .

وكان حافظ باشا يردد فى مجالسه الخاصة أن الحكومة لو قطعت العلاقات مع

بريطانيا فمؤدى ذلك إعلان الحرب وأخذ الملك فاروق أسيراً ، وأنه أمام خيارين إقالة النحاس باشا أو أخذه أسيراً .

المستفيدون من حريق القاهرة

ولابد أن يتبادر إلى الذهن من هم المستفيدون من حريق القاهرة . . .

إن نتيجة حريق القاهرة كانت شيئاً واحداً ، هو إجهاض الحركة الوطنية التى أشعلتها وزارة النحاس باشا فى القناة ووأدها ، وإقالة الحكومة التى فجرت نار الجهاد وإقصاء النحاس باشا عن الحكم بأية وسيلة .

وقد تحقق ذلك جميعاً ، فقد أقيلت الحكومة عقب حريق القاهرة وفرضت الأحكام العرفية ، وتحولت البلاد إلى ظلام ما بعده ظلام .

ولكن لا يزال الغموض يكتنف مدبرى الحريق ، من هم . . ؟

هل هم الإنجليز أو القصر أو عناصر معينة أرادت أن تشوه وجه الحركة الوطنية ، أو عناصر ذات اتصال بأمريكا . لقد اشترك بعض المهيجين فى حريق القاهرة ، وهذا أمر لا خلاف فيه ، ولكن المسئول الذى كان عليماً بكل ما يجرى فى الخفاء وهو فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية يتهم الذى استفاد من هذا الحريق ويستدل على ذلك بأنه برغم وجود بعض العناصر التى ساهمت فى إحداث الشغب واستغلاله فإن المواد التى استعملت فى الحريق لم تكن فى متناول الأفراد ولا يمكن للأفراد الحصول عليها بسهولة ، كما أن فؤاد سراج الدين باشا نفى أن يكون أحمد حسين – زعيم مصر الفتاة – ضليعاً فى المؤامرة ، فقد كان الأمر مدبراً بدقة ابتداء من مصر الجديدة إلى حلوان ، وهو أمر أحكم إحكاماً كبيراً .

ولكن ما دور القصر فى الحريق ، لقد كان من المدعوين على الغداء الملكى جميع ضباط بوليس القاهرة من رتبة صاغ فما فوقها مع ثلثمائة من ضباط الجيش بمناسبة ميلاد ولى العهد .

يمكن أن يكون للملك فكرة معينة حول الحريق ، ولكن تصرفاته يوم الحريق كانت تصرفات مشبوهة مريبة . وربما كان بعض من حوله قد أفهموه بأنهم يدبرون

أمراً بقصد إتاحة الوسيلة للإطاحة بالحكومة الوفدية ولكن الملك أيضاً لم يكن طرفاً فى المؤامرة بأى حال ، بل إن المؤامرة اتسعت أيضاً لتلتهم الملك كذلك .

وقد سرد وزير الداخلية حوادث ذلك اليوم بالتفصيل فى بيان خطير نشرته جريدة المصرى يوم ١٠ فبراير ١٩٥٢ أثناء وزارة على ماهر باشا بعد إقالة الحكومة الوفدية ، كشف فيه الستار عن ظروف الحريق وما اكتنفه من ملابسات وحلل فيه الوقائع تحليلاً يكشف عن المتآمرين فى حريق القاهرة .

ولكن الحكومة صادرت الجريدة ولم تسمح بنشر البيان ، ولكن الجريدة احتالت على النشر وضللت الرقيب ونشر البيان وكان له دوى هائل .

وكان فى إمكان القصر أن يطلب من رجال الشرطة الانصراف لإخماد النيران . . ولكن ذلك لم يحدث ، بل حدث أنه بعد الغداء جمع الملك الضباط وبدأ فى الكلام معهم .

ويطلب وزير الداخلية إنزال الجيش للاشتراك فى إخماد الحريق ، ولكن لا مجيب ، ويسوف حيدر باشا فى الأمر بحجة عرض الأمر على الملك (خشية حيدر من مشاركة الجيش للثوار) .

وفى الساعة الثانية والنصف طلب فؤاد باشا عرض المسألة على مسامع الملك . . ولكن قبل أن يقابل فؤاد باشا الملك لينقل إليه المأساة ويطلب إخماد الحريق ، يجد حيدر باشا وحافظ عفيفى باشا يجلسان فى المكتب وكأن شيئاً لم يكن وكأن القاهرة لم تصب بأضرار .

ومن الطريف ، أن حيدر باشا وحافظ عفيفى باشا قابلا أنباء الوزير بشىء من البرود ، وكان كل منهما يدعو الآخر إلى رفع الأمر إلى الأعتاب الملكية إلى درجة أن وزير الداخلية صرخ فيهما بعد أن فقد أعصابه .

وقام حيدر ثم عاد ليقول إن الملك أمر بنزول الجيش . .

ووصل الجيش إلى حديقة الأزبكية فى الساعة الخامسة والربع واتصل الأستاذ حسين صبحى بك مدير الأمن العام بوزير الداخلية فى القصر الملكى ليقول له :

— إن الجيش نزل إلى الشوارع ، ولكنه لا يحرك ساكناً .

واتصل الوزير بعثمان المهدى باشا رئيس أركان حرب الجيش الذى قال له :

– إن معاليكم لم تصدروا أمراً إلينا بإطلاق الرصاص . .

وكان فؤاد باشا من قبل قد اتصل بحيدر باشا الساعة الحادية عشرة صباحاً ولكن حيدر باشا قال له :

– بلاش . . نزِّل البوليس .

فأجاب فؤاد باشا :

– لكن البوليس فقد أعصابه بعد معركة الإسماعيلية وانضم لطلبة الجامعة فى المظاهرات .

فقال حيدر باشا :

– سأعرض الأمر على الملك مستأذناً فى ذلك لأنه القائد الأعلى للجيش أنا ما ليش دعوة . .

وقد تناقل الخاصة وقتئذ أن فؤاد باشا قال لحيدر باشا فى غضب أنه سبق أن قال له وقت احتدام معارك الفدائيين والبوليس فى القناة إن الاحتياطات كاملة لإنزال الجيش فى الشوارع عند حدوث أى شغب ، وأن حيدر باشا رد عليه أنه الآن يخشى انضمام الجيش إلى الجمهور الغاضب بعد الاعتداء الإنجليزى الوحشى على رجال البوليس والمظاهرات التى قام بها جنود البوليس وشاركهم الجامعيون والشعب .

وكان معروفاً وقتها أن حيدر باشا غير راض عن سياسة الملك ، وأن يده مغلولة بالنسبة للجيش رغم أنه القائد العام ، وأن الأستاذ مرتضى المراغى وزير الحربية واللواء حسين سرى عامر هما صاحبا الرأى لدى الملك مما دعا حيدر باشا إلى تقديم استقالته ورفض الملك لها .

كما أن العلاقة العائلية بين المرحوم حيدر باشا والمرحوم المشير عبد الحكيم عامر كانت معروفة وأن المرحوم صلاح سالم كان يعمل فى مكتب حيدر باشا .

وربما كان لدى حيدر باشا إلى جانب التقارير الرسمية معلومات عن الإعداد لحركة الجيش فى يوليو ١٩٥٢ .

هذه حدود معلوماتى عن حريق القاهرة . . ولا يزال السؤال حتى الآن قائماً : من الذى دبر حريق القاهرة .

علاقة الوفد بالولايات المتحدة الأمريكية :

والواقع أن علاقة وزارة الوفد الأخيرة بالأمريكان كانت علاقة طيبة . ولم يكن مرد ذلك بحال إلى الدكتور أحمد حسين (باشا) الذى كان وزيراً للشئون الاجتماعية فى عهد الوفد حتى استقال . ولكن كان مرجع ذلك إلى تقدير الولايات المتحدة الأمريكية للأسلوب الذى كان يتبعه الوفد فى إدارة البلاد وسياستها فى هذه الآونة الدقيقة من التأييد والشعبية التى يتمتع بها الوفديون .

ولا أدل على ذلك من أن السفير الأمريكى فى القاهرة مستر جيفرسون كافرى كان وثيق الصلة بالحكومة ، بل إنه كان يقدم لها – كما قال فؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية – يد العون أثناء صراعها مع الإنجليز بعد إلغاء المعاهدة إلى حد أن العلاقات قد ساءت بين السفارة البريطانية والسفارة الأمريكية بالقاهرة ، ووصلت إلى درجة القطيعة بينهما . وكان ذلك بعد خروج الدكتور أحمد حسين باشا من الوزارة ، وكان فؤاد باشا دائم الاتصال بالسفير الأمريكى ويستعين به على الإنجليز للحد من تصرفاتهم الطائشة خلال معركة القناة .

وعلى سبيل المثال : فقد منع الإنجليز تدفق السولار إلى القاهرة من منطقة القناة ، وكانت مواد الوقود تكفى البلاد أسبوعاً واحداً ثم تتعطل المرافق العامة كالمياه والمجارى والكهرباء وذلك بقصد الإضرار بمركز الحكومة بعد إلغاء المعاهدة ، وكان فؤاد باشا يقابل السفير الأمريكى عادة فى منزل الاقتصادى المصرى الكبير « أحمد عبود باشا » وفى ذلك الوقت حذر وزير الداخلية السفير من مغبة تصرف قوات الاحتلال وإقدامها على مثل هذا التصرف الخطير . . وقال الوزير :

– إن مثل هذا التصرف سوف تنعكس آثاره على الأجانب ولا ندرى عواقب الفتنة التى سوف تتمخض من ثورة الشعب على الأجانب .

وقال السفير :

– إننا نريد معركة أرضها قناة السويس ، ونرجو أن تظل محصورة فى القناة وحدها .

واتصل السفير الأمريكى بوزارة الخارجية الأمريكية وأرسل لها تقريراً عاجلاً عن

تصرف قوات الاحتلال البريطاني .

واتصل وزير الخارجية الأمريكي بزميله البريطاني فألغى القرار البريطاني وأخطرت وزارة الخارجية الأمريكية مستر كافرى بهذا الإلغاء قبل أن يصل إخطار الخارجية البريطانية لسفيرها بالقاهرة ، فسارع مستر كافرى بإبلاغ فؤاد باشا .

وعلى الجانب المقابل ، حاولت الحكومة المصرية الاتصال بالاتحاد السوفييتى لتزويدها بالسلاح أثناء معركة القنال ، ولكن الاتحاد السوفييتى لم يستجب لطلب الحكومة وعلل ذلك بارتباطاته الكثيرة ، كما حاولت الحكومة الاتصال بدول المجموعة الشيوعية ، ولكن هذه الدول لم تخرج عما سار عليه الاتحاد السوفييتى من الامتناع عن تزويد مصر بالسلاح ، وكل ذلك طبعاً كان رعاية لبريطانيا .

وكان مستر جيفرسون كافرى إذا استطرد فى شرب الويسكى ينطلق لسانه بعض الانطلاق ، وفى مقابلة له مع فؤاد سراج الدين باشا بمنزل أحمد عبود باشا سأله فؤاد باشا عما إذا كان الروس قد توصلوا لصنع القنبلة الذرية . . فأجابه بأنه يعتقد ذلك ، ولكن ليس على المستوى الأمريكى .

فقال فؤاد باشا :

ولماذا لا تنتهز أمريكا الفرصة لحل المسائل المختلف عليها مع الروس مع التلويح باستعمال القوة أو استعمالها فعلاً :

فضحك مستر كافرى قائلاً : يا معالى الوزير إن الذى يعلن الحرب فى الاتحاد السوفييتى شخص واحد أما فى أمريكا فلابد من موافقة الكونجرس واتخاذ إجراءات طويلة . والروس يعلمون ذلك .

رفض الوفد الاشتراك فى حرب كوريا :

لما استطاعت الولايات المتحدة فى غيبة الروس وحيث قررت الأمم المتحدة تشكيل قوة دولية للفصل بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية . طلب من الحكومة المصرية المشاركة بقوة رمزية بين قوات (الأمم المتحدة) فى كوريا ، فرفض النحاس باشا

هذه المشاركة بأية صورة كانت .

وأذكر أنه فى هذا اليوم كانت الحكومة تعتزم الاعتراف بالصين الشعبية بعد انتصارها على قوات شان كاى شيك سنة ١٩٤٩ ، ولكن السفير الأمريكى تدخل وضغط على القصر لمنع الاعتراف بالصين الشعبية ، وأرجأ مجلس الوزراء الاعتراف بالصين إلى جلسة أخرى وكانت النية متجهة أن يصدر الاعتراف بهدوء وبشكل غير ملفت للأنظار .

الوفد والاتحاد السوفييتى :

كانت وزارة الوفد عام ١٩٤٢ أول وزارة تعترف دبلوماسياً بالاتحاد السوفييتى وتقيم معه علاقات سياسية وذلك ليس إيماناً بالمبادئ البلشفية أو اليسارية ، ولكن لما يحتمل من فوائد تجارية . .

وكان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية أحد الحلفاء ضد المحور الألمانى الإيطالى اليابانى . وكانت مصر تتلقى الرأى البريطانى ، بل الأمريكى وتبحثه فى نطاق ما تستطيع كسبه لمصر .

وقد حاول الملك فاروق استغلال الفرصة ضد حكومة النحاس باشا فادعى الغضب لأن الاعتراف يفتح الباب المصرى للشيوعية .

وبعد قيام العلاقات مع الروس تبين للحكومة أن السياسة السوفييتية كانت – وربما لا تزال – حريصة على عدم إغضاب حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص ، فقد كان قانون الإعارة والتأجير الأمريكى وسيلة الروس إلى هزيمة الألمان وردهم عن موسكو .

صلة الوفد باليسار :

ومن الأمور الواجب إزاحة الستار عنها مسألة صلة حزب الوفد باليسار . وقد قلنا إن الوفد كان أول من أنشأ علاقات سياسية مع الاتحاد السوفييتى أثناء وزارة ١٩٤٢ ، ولكن دون غايات سياسية ، بل كان بقصد إقامة علاقات تجارية وبقصد التوازن مع

بريطانيا . وقد أبدى الملك فاروق معارضته بدعوى خطر الشيوعية على البلاد .

ويلاحظ أن الوفد قد أبرم اتفاقية الذرة مع يوغوسلافيا وهى إحدى الدول الشيوعية التى كانت تدور فى فلك الاتحاد السوفييتى حتى ١٩٤٨ . ولكن روسيا كانت حريصة على عدم إغضاب الولايات المتحدة بعد خروج أمريكا من الحرب العالمية الثانية منتصرة ، وقد حصلت على القنبلة الذرية التى لم تكن روسيا تملكها فى هذا الحين .

ولم تستطع حكومة الوفد فيما يبدو أن تفيد من هذا الموقف ، لأن السياسة الروسية كانت ملتزمة بعدم الصدام مع أمريكا وإنجلترا .

وفى أثناء هجوم الفدائيين على معسكرات الاحتلال – بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى أكتوبر سنة ١٩٥١ – طلب وزير الداخلية شراء أسلحة من دول الكتلة الشيوعية كروسيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا على أن يكون الدفع بالنقد الفورى ولكن هذه الدول لم توافق بحجة أن مصانعها مرتبطة بعقود لسنوات طويلة . ولكن فى الحقيقة كانت تعلم أن هذا السلاح معد للحرب .

أما بالنسبة لموقف الوفد من اليسار فى الداخل . . فإن وزير الداخلية الوفدى ينفى صلة الحزب باليسار ، ولم تكن هناك قيمة تذكر قبل ١٩٥٢ لما يطلق عليه تيار يسارى ، فالجهود الشيوعية لم تزد عن كونها محاولات فردية كإنشاء الخلايا عن طريق أفراد معروفين للبوليس السياسى ، وكان بعض الأفراد ينضم للخلايا بقصد الابتزاز ، أما القلة فكانت تؤمن بمبادئ اليسار وهذه القلة لم يكن يؤبه لها ولا تشكل خطورة بوصفها تياراً سياسياً يمكن أن يلعب دوراً فى الأحداث .

وكانت سياسة حزب الوفد سياسة ليبرالية تبتعد عن الصدام حتى أثناء الظروف العسكرية لم تستغل ذلك للبطش باليسار ، بل كانت معظم حركات الأفراد الذين يعتبرون من اليسار مكشوفة لحكومة الوفد . إذ كانوا يوزعون المنشورات فى ظل حماية القانون دون أى ضغط أو إرهاب من جانب الوفد .

ويقال إن الهيئة الوفدية كانت تضم لفيفاً من اليساروليكن سكرتير الحزب فؤاد سراج الدين باشا ينفى ذلك بصورة قاطعة ، فاليسار لم يكن القصد منه الشيوعية ، بل كان يقصد به المطالبة بالإصلاحات الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة . وهذا ما كانت تلتزم به

الحكومة الوفدية ذاتها . بل كان فؤاد سراج الدين باشا نفسه يدعو إلى زيادة الضرائب التصاعدية . وفى عهد حكومة الوفد فرضت ضرائب التركات وضرائب الدخل العام وأطلقت مجانية التعليم وقرر الضمان الاجتماعى وهى مبادئ اشتراكية صحيحة ولكنها لم تكن مبادئ شيوعية ، ووزارة النحاس باشا – ٤ فبراير ١٩٤٢ – هى التى أصدرت تشريعات حماية العمال .

ويذكر فؤاد باشا سراج الدين أنه قدم إليه تقرير مفاده أن نجل عباس سيد أحمد باشا وهو الأستاذ محمد سيد أحمد المحرر حالياً بالأهرام ونجل الوزير عبد اللطيف باشا محمود وهو الأستاذ محمود النبوى عضوان فى خلايا شيوعية وقابل وزير الداخلية فى نادى السيارات بالإسكندرية المرحوم عباس سيد أحمد باشا بعد أن طوى التقرير فى جيبه وقال له قبل أن يعطيه التقرير :

– إن ابنك متعب وشيوعى النزعة . . فماذا أفعل عندما يقبض عليه . . هو عمره كام . . .

فقال عباس باشا سيد أحمد :

– ٢٥ سنة

فقال الوزير :

– أنت بتدى له كام مصروف جيبه ؟

فقال :

– ٥ جنيهات

فسأله عن إيراده فقال :

– ٥٠ الف جنيه فى السنة

فضحك فؤاد باشا قائلا :

– لابد أن يصبح شيوعياً . . اعط له ٢٠ جنيهاً . وأنا لا أدرى ماذا أفعل عندما يقبض عليه . . هل أحبسه ؟

فقال عباس باشا :

– عالجه أنت .

فرد وزير الداخلية :

— أنا إذا عالجته بالسجن . . يخرج مجرماً

وتكررت نفس القصة بالنسبة لعبد اللطيف محمود باشا ، ولكن فؤاد باشا اقترح أن يعطى الأب لولده ٥٠ فداناً ، بإيجار عشرة جنيهات ، بشرط أن يعمل فيها ويستولى على الإيراد .

ولم تنقض سنة عندما قابل فؤاد باشا عبد اللطيف محمود باشا الذى ذكر له أن محمود النبوى يغالطه فى الحساب كأكبر رأسمالى ؟ ! . .

ويقينى . . أن الهيئة الوفدية لم تكن تضم بين صفوفها شيوعياً واحداً .

وإذا كانت للبعض أفكار تقدمية فإنها كانت تتفق وطبيعة التطور ومركز الوفد بالنسبة للشعب بوصفه الحزب الذى يعبر عن الأمة .

وأذكر أن بعض النواب قدموا مشروعاً لرفع سعر الكيروسين فثار بعض شباب الوفد على هذا المشروع وتلقف خصوم الوفد هذا النقد واتهموا الشباب بأنهم شيوعيون ، ولكن فؤاد باشا سراج الدين خطب فى سرادق أقيم فى شبرا بمناسبة انتخابات سنة ١٩٥٠ تأييداً لمرشح الوفد الأستاذ حسين أبو الفتح قائلا :

— إن خصومنا يتهموننا بأن الوفد هيئة شيوعية بقصد الإيقاع بينه وبين القصر ، ولكننى أنفى ذلك وإن كنت أرحب بالأفكار التقدمية . وإذا كانت مبادئ الوفد فى التقريب بين الطبقات ورفع الضرائب والإصلاح الداخلى مبادئ شيوعية فنحن شيوعيون .

والخلاصة أن الوفد كان حزباً أقرب إلى الاشتركية الصحيحة المعتدلة .

ولادة الأمير أحمد فؤاد

إبلاغها أزعج مجلس الوزراء :

أذكر أنه بعد ولادة الأمير أحمد فؤاد – ولى العهد – اتصل بمجلس الوزراء معالى المرحوم عبد اللطيف باشا طلعت – كبير الأمناء بالقصر الملكى – ليبلغنى أن سعادته يريد مقابلة رفعة النحاس باشا لأمر عاجل .

وحددت المقابلة مع مصطفى النحاس باشا بمنزلة بعد نصف ساعة .

وفى الميعاد قابل رئيس الوزراء كبير الأمناء ولم تستغرق المقابلة أكثر من دقيقتين ، خرج بعدها النحاس باشا لكى يودع عبد اللطيف باشا طلعت وكان مبتهلا مبتسماً .

وطلب رفعة النحاس باشا منى دعوة مجلس الوزراء فوراً .

وبدأت الشكوك تساورني ، ولكن كان من بواعث اطمئنانى أن رفعة النحاس باشا كان قرير العين مطمئن البال .

وبدات أتصل بمديرى مكاتب الوزراء وألقيت الرعب فى قلوبهم بأن الوزارة مصيرها معلق فى يد القدر وأن مجلس الوزراء دعى لاجتماع عاجل بناء على طلب القصر ، وأنه يجب على الوزراء الحضور إلى مجلس الوزراء فى أقل من نصف ساعة .

وجاء الوزراء وأشهد أنهم كانوا منزعجين قلقين .

وكان الجد مرتسماً على وجهى .

ودخل الوزراء وكأن على رؤوسهم الطير للاجتماع ، ولكن فؤاد باشا سراج الدين كان يعرف المسألة بحذافيرها فطلب منى أن أستمر فى الدور إلى النهاية ودخل وهو مقطب الجبين بادى القلق بشكل لا يخفى .

وعندما وصل النحاس باشا إلى مكتبه بالرئاسة طلب منى أن أدخل لمجلس الوزراء أثناء انعقاده محمود بك يونس الأمين بالقصر الملكى .

وبدأ الاجتماع عندما دخل النحاس باشا ورحب بالوزراء وطمأنهم .

وبعد دقائق وصل محمود بك يونس ودخل لمجلس الوزراء فى التو واللحظة .

ثم بدأ يتلو خطاباً موجهاً من الملك إلى رئيس وزرائه ، ومكتوباً بماء الذهب ويتضمن إشادة بجهود الوزارة وعهدها الزاهر ، وتمنيات الملك لرئيس الوزراء ولوزرائه بالتوفيق والسداد .

الأمير محمد على يهاجم سياسة الوفد :

كان معروفاً أن الأمير محمد على ولى عهد الملك فاروق وثيق الصلة بالإنجليز ، بل كانت الأحلام تراوده بخلع الملك وتوليته العرش .

ولما ساءت علاقة حكومة الوفد بالإنجليز ، وكان الملك فاروق فى كابرى والرئيس مصطفى النحاس باشا بباريس ، كان المرحوم المهندس الكبير عثمان محرم باشا وزير الأشغال رئيساً للوزراء بالنيابة ، فوجئ الناس بحديث للأمير محمد على نشرته «الأهرام» وتضمن مطاعن ضد الوزارة وانتقاداً لسياستها الاقتصادية .

وكان هجوم ولى العهد سابقة غريبة فوجئت بها الحكومة .

وكان فؤاد سراج الدين باشا وزيراً للمالية بعد إخراج الدكتور زكى عبد المتعال ، فنشر حديثاً فند فيه المطاعن ، وأوضح أن (حكومة جلالة الملك) تلتزم جادة الصواب فى الشئون الاقتصادية . وأن هذه الانتقادات لا أساس لها من الصحة .

كما أن (حكومة جلالة الملك) تحتج أشد الاحتجاج على آراء ولى العهد .

وتقاطرت التهانى على فؤاد باشا الذى قال :

إن واجبى الرد على أى إنسان ولو كان ولى العهد ، وقد تعمدت أن أقول (حكومة جلالة الملك) كى أضع الأمور فى نصابها الصحيح .

وحدثت أزمة بين ولى العهد ووزير المالية . .

وحاول سكرتير ولى العهد المرحوم أحمد مختار تخفيف الأزمة باعتذار من فؤاد باشا الذى رفض لأن الأمير هو الذى بدأ بالهجوم .

وفى اليوم التالى طلب سكرتير ولى العهد أن يقابله وزير المالية بقصره الساعة الحادية عشرة ، فاعتذر فؤاد باشا بانشغاله ، وحدد موعداً آخر بعد يومين .

وتمت المقابلة بقصر الصفا بالإسكندرية وعاتبه ولى العهد قائلا :

أنت زى ابنى وأنا كنت على صلة بوالدك وأزوره .

فقال فؤاد باشا :

أنا لم أفعل شيئاً ، وسموك تعلم أننا لم نتأخر فى تحويل أموال للخارج لأشخاص ملازمين لك بالمنزل ولك ، ودائماً كنا نعمل ما تريد . وكنت أنتظر أن سموك تكلمنى بملاحظاتك .

وحاول ولى العهد تخفيف الموقف فقال :

أنت عارف اللى يمشى وراء الصحفيين يغرق .

وفى اليوم التالى ترك الأمير بطاقته بمنزل فؤاد باشا وكذلك فعل مع المرحوم عثمان محرم باشا رئيس الوزراء بالنيابة .

ولما عاد الملك من الخارج روى له كريم ثابت القصة .

وفى أول مقابلة ملكية مع فؤاد باشا قال له الملك :

أنت هلكت أبودقن .

الملك يرفض طلب الوفد بإحالة حيدر إلى المعاش :
والجيش يستقبله بالتصفيق :

تقدمت حكومة الوفد يطلب إحالة حيدر باشا وعثمان المهدى باشا إلى المعاش بناء على طلب مصطفى نصرت باشا وزير الحربية .

وفى ٦ مايو ١٩٥١ – يوم الاحتفال بعيد جلوس الملك بنادى الضباط بالزمالك كانت سيدة الغناء أم كلثوم ستحيي الحفل – سألت الوزارة السراى عن اسم مندوب الملك الذى سيحضر الحفلة ولم تتلق الوزارة جوابا . وكان سؤال الوزارة عن اسم المندوب حتى أنها لو علمت أنه حيدر لاعتذر مصطفى نصرت عن استقباله ، ولكن السراى تكتمت الخبر وفوجئ معالى مصطفى نصرت باشا بوصول مندوب الملك الفريق محمد حيدر باشا الذى اضطر لاستقباله كمندوب عن الملك .

وعندها استقبل حيدر باشا من أكثر من أربعة آلاف ضابط بعاصفة من التصفيق استمرت أكثر من خمس دقائق .

وهنا ، أشفق الوزراء على موقف مصطفى نصرت وهو رجل مسن ، ثم قام نصرت باشا وزير الحربية ليلقى الكلمة التقليدية فى هذه المناسبة ولم يصفق له أحد مطلقاً .

وبعد غناء أم كلثوم . . ودع نصرت باشا . . حيدر باشا .

وفى صباح اليوم الثانى – جاء كريم ثابت برسالة من الملك إلى فؤاد سراج الدين قائلا :

– إن شاء الله يكون مصطفى نصرت والناس سمعوا أم كلثوم وانبسطوا ، وعلشان تعرفوا قد إيه الجيش بيحب حيدر باشا .

وهذا طبعاً معناه . . أن رأى حكومة الوفد فى حيدر باشا خطأ .

رفض الوفد تعيين إسماعيل شرين محافظاً للقاهرة

حضر حسن يوسف لمقابلة فؤاد سراج الدين وقال له :

– إن الملك يريد تعيين إسماعيل شرين محافظاً للقاهرة .

فرد سراج الدين قائلا :

– ليس من مصلحة الملك تعيين إسماعيل شرين محافظاً للقاهرة ولا إسماعيل شرين فى حاجة لمرتب محافظ وهو زوج الأميرة فوزية أخت الملك . . وأنا لا أقبل أن يقابلنى زوج أخت الملك على رصيف المحطة بوصفى وزيراً للداخلية وهذا يثير عليه الكثيرين ويصبح ضمن عشرين واحداً منتظرين وصولى . . أرجو إبلاغ رأيى هذا للملك . . يمكن تعيينه فى أى شركة إن كان يريد عملا بجانب عمله .

وأعاد حسن يوسف الكرة مرة أخرى وقال لفؤاد باشا :

– إن الملك يرجوه فى تعيين إسماعيل شرين محافظاً .

فرفض سراج الدين باشا وقال حسن يوسف باشا :

– لو أصدرت الوزارة مرسوماً بتعيين محافظ للقاهرة فإن هذا المرسوم لن يوقعه الملك .

وفى الحال أصدر سراج الدين باشا قراراً بندب وكيل المحافظة محافظاً بالنيابة وظل المحافظ بالنيابة إلى أن انتهى حكم الوفد .

صلاح الدين باشا واستفتاء السودان :

أثناء انعقاد جمعية الأمم المتحدة بباريس فى يناير سنة ١٩٥٢ وكان صلاح الدين باشا – وزير الخارجية – يستعد للسفر لإلقاء خطبة فى الجمعية العمومية أراد فؤاد باشا سراج الدين أن يعلم فحوى الخطبة قبل إلقائها على ضوء السياسة التى كانت تنتهجها حكومة الوفد بالنسبة لقضية الاستقلال والسودان .

ودار حديث بين فؤاد باشا سراج الدين ووزير الخارجية .

وقال وزير الخارجية – وعلى شفته ابتسامة اعتاد أن يرسمها على وجهه عندما كان يصادف مسائل خطيرة .

– إننى أنوى أن أقذف فى وجه الإنجليز بقنبلة خطيرة أثناء الجمعية العمومية .

فقال له فؤاد باشا . .

– ما هى ؟

فقال :

– لقد صممت أن أوافق عل الاقتراح بعمل الاستفتاء فى السودان بشرط خروج الموظفين الإنجليز من السودان قبل إجراء الاستفتاء .

ولكن فؤاد باشا عارض هذه الفكرة بشدة لأنها كانت تخالف رأى الوفد فى قضية وحدة وادى النيل ، وإصراره على الوحدة منذ عهد بعيد .

فقد تحطمت المفاوضات التى أجراها سعد زغلول وخليفته مصطفى النحاس باشا منذ سنة ١٩٢٤ على صخرة السودان ، وقال النحاس باشا كلمته المدوية فى مفاوضته مع « هندرسون » :

– تقطع يدى . . ولا أفرط فى السودان .

وكانت إنجلترا منذ سنة ١٩٤٧ – أى منذ عرض قضية السودان على مجلس الأمن – تطلب الاستفتاء ولكن الوفد – وهو يعبر عن الأمة بشطريها أصدق تعبير – كان يرفض هذه الفكرة من أساسها باعتبارها منازعة فى حق مسلم به لمصر ، كما أخذت أمريكا أخيراً فى تأييد دعوى الاستفتاء .

وكانت حجة فؤاد باشا سراج الدين دامغة وهى أن : قبول مصر لفكرة الاستفتاء معناه بوضوح هو أنه يعطى لإنجلترا ذريعة وإثارة للتشكيك فيما نادى به الوفد منذ فجر الثورة المصرية سنة ١٩١٩ .

وأخيراً سأل وزير الخارجية :

– يا صلاح باشا ، هل أخذت رأى رفعة النحاس باشا ؟

ولكن صلاح الدين باشا أجاب بالنفى . . ثم قال :

– مادمت أنت ترى ذلك – وأنت سكرتير الوفد – فأرى أنه لا داع للرجوع إلى رفعة الرئيس .

. . وسافر صلاح الدين باشا إلى باريس وألقى خطاباً يتضمن كل ما ذكره لفؤاد باشا ونشرت الصحف نص الخطاب .

ولم تمض أكثر من ساعات ، إلا واتصل النحاس باشا بفؤاد سراج الدين باشا قائلا :

– شفت الكلام اللى قاله صلاح الدين . ما كنا خلصنا من زمان لو كنا عاوزين نعمل استفتاء .

. . وتصادف أن يوم نشر الخطاب كان هو اليوم المقرر لاجتماع مجلس الوزراء وتعمد فؤاد باشا سراج الدين أن يمر على منزل النحاس باشا قبل الذهاب إلى مجلس الوزراء ليصطحب رفعته .

واجتمع مجلس الوزراء .

وتكلم الدكتور طه حسين « باشا » وزير المعارف بعد أن رفض التقيد بجدول الأعمال بسبب مسائل خطيرة لا يمكن إغفالها أو التغاضى عنها . ثم ذكر واقعة خطاب صلاح الدين باشا وما تضمنه من اقتراح لإجراء استفتاء فى السودان . وقال طه حسين :

– إن هذا يناوئ سياسة الوفد .

وتساءل :

– وهل الوفد قد غير من مبادئه ؟

وطالب وزير المعارف بإقالة وزير الخارجية فوراً .

وقامت زوبعة بين الوزراء وكان النحاس باشا واجماً لم ينطق بحرف إذ كان حزيناً .

وتكلم وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا موجهاً الخطاب إلى رفعة مصطفى النحاس باشا .

– لقد كنت قاضياً ، ورفعتكم تعلم أنه لا يجوز محاكمة متهم دون سماع دفاعه ، وحق الدفاع حق مقدس ، فكيف تحكمون على إنسان دون أن تسمعوا دفاعه فربما كان ذلك راجعاً إلى خطأ فى الترجمة أو النقل . وأرى تكليف إبراهيم فرج باشا وزير الخارجية بالنيابة الاتصال فوراً بالدكتور صلاح الدين باشا وأن يطلب منه باسم مجلس الوزراء العودة فوراً إلى القاهرة .

. . وبالفعل اتصل إبراهيم فرج باشا بالوزير الغائب الذى وصل القاهرة يوم ٢٥ يناير ١٩٥٢ وهو يوم مشهود . وأقيلت الوزارة دون أن يجتمع مجلس الوزراء .

الأيام الأخيرة
لحكومة الوفد :

عندما ألغى النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦ ثم رفض مشاركة مصر فى حرب كوريا كان يعلم أن الكتاب ربما قد بلغ أجله ولا بد أن ينتهى عهد حكومة الوفد عاجلا أو آجلا .

كان هذا الإحساس يغمر مصطفى النحاس باشا وكان صادق الحس ، مؤمناً أنه قاد مصر فى فترة حاسمة من تاريخها ، كافح استبداد القصر وتعنت الإنجليز ، ولم تلن له قناة .

بل ، أذكر أن النحاس باشا ارتد – بعد إلغاء المعاهدة – شاباً غض الإهاب متوقد الحماسة كأنه ابن العشرين .

ولكن القصر والإنجليز لم يغفرا لمصطفى باشا النحاس إقدامه على إلغاء المعاهدة ، فبدأت الحملات المسعورة تنشر أنباء مختلفة تتسم بالمبالغة والاختلاق عن محاربة الوزارة للفدائيين واعتقالهم بقصد زعزعة الثقة بين المقاتلين فى الجبهة والوزارة فى الداخل .

وتطوعت صحف القصر والإنجليز وخرجت صفحاتها بالحملات الجائرة على مظاهر الفساد الداخلى فى الوفد والتشهير بالأخطاء والسرقات واستغلال النفوذ بغية صرف اهتمام الناس إلى الوضع الداخلى ، وإضعاف ثقة الشعب فى الوزارة التى اختارها بأغلبية ساحقة سنة ١٩٥٠ .

وقد تمت مشاورات متصلة قام بها القصر وأعوانه للبحث عن وزارة تخلف وزارة الوفد ويتوفر فيها مواصفات خاصة من أهمها الادعاء بالاستمرار فى مقاومة الإنجليز والقدرة على إلهاء الشعب تدريجياً وفى هدوء عن قضية الاستقلال .

كما قام الإنجليز باستفزازات وتحرشات عنيفة لا غرض من ورائها سوى تعريض الحكومة لهزات عنيفة ، وإثارة موجة السخط فى الداخل بقصد إثارة الشعب لإحراج

الحكومة واتهامها بعدم القدرة على المحافظة على الأمن وحراسة أموال وأرواح الأجانب .

فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٥١ هدم الإنجليز حياً بمدينة السويس ، هو كفر أحمد عبده . . وأبادوه من الوجود .

وكان القائد العام للقوات البريطانية « أرسكين » قد طلب من محافظ السويس إبراهيم زكى الخولى إخلاء منازل الكفر بحجة أنه يقع بجوار وابور المياه الذى يزود المعسكرات البريطانية بالماء ولأن القيادة البريطانية تنوى أن تمد طريقاً وتقيم جسراً يصلان بين المعسكرات البريطانية وهذا الوابور .

واتصل المحافظ بوزارة الداخلية فرفض فؤاد سراج الدين باشا طلب القيادة وأمر قوات البوليس بالسويس بحماية مساكن الكفر والحيلولة دون هدمها ودفع كل اعتداء يقع على ساكنيها من القوات البريطانية .

ولكن ، فى يوم الجمعة ٧ ديسمبر ، وجهت القيادة البريطانية إنذاراً باحتلال الحى فى صباح اليوم التالى بقوات كبيرة من المشاة تؤيدها المدفعية والدبابات لهدم الحى .

وأبلغ الإنذار إلى مصطفى النحاس باشا الذى قرر رفض طلب القيادة البريطانية وعهد إلى المحافظة باتخاذ الإجراءات اللازمة لمقاومة الاعتداء على الأهالى ومقاومة تنفيذ الإنذار بالقوة .

وكان رأى الحكومة قاطعاً فى رفض العدوان الذى لم يكن له مبرر من ضرورة حربية .

وقد أوضحت وزارة الخارجية المصرية فى مذكرتها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فظاعة العدوان البريطانى المسلح على القرية الآمنة ، وكان القصد من ذلك كله هو إطلاق عقال المظاهرات وإشاعة الفوضى فى الداخل بقصد إقالة الوزارة .

ولا أكذب على التاريخ ، عندما أقول إن النحاس باشا كان رجل الديمقراطية فى مصر فقد أطلقت الحريات فى عهد الحكومات الوفدية . ولكن أعداء الوطن كان لا بد أن يبحثوا عن وسيلة للحد من الحريات العامة لأن وأد القضية لا يمكن أن يتيسر فى ظل الحريات .

وتمت الخطة بحذافيرها . .

وأحرقت القاهرة . .

وساطة جلالة الملك عبد العزيز :

بعد إلغاء مصطفى النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦ ازداد تدهور العلاقات السياسية بين مصر وبريطانيا وبدأت حركة الكفاح المسلح بمنطقة القناة ضد القوات البريطانية مما أقلق الحكومة البريطانية .

وتقدمت العراق للوساطة بين مصر وبريطانيا عن طريق سفيرها المرحوم نجيب الراوى ولكن مصر رفضت هذه الوساطة .

وقال النحاس باشا :

إن نورى السعيد ملكى أكثر من الملك ،

ثم تدخلت المملكة العربية السعودية لبذل مساعى الوساطة بين مصر وبريطانيا .

وفى الخامس من ربيع الثاني سنة ١٣٧١ هـ أرسل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود كتاباً خاصاً إلى رفعة النحاس باشا يبدى فيه قلقه الشديد من تردى العلاقات المصرية البريطانية ويعلن استعداد جلالته للتدخل لعلاج الموقف على الأسس الآتية :

١ – اعتبار معاهدة ١٩٣٦ ملغاة وكأن لم تكن .

٢ – تقوم القوات البريطانية بالجلاء عن منطقة القناة إلى أماكن خارج المملكة المصرية .

٣ – يقوم الجيش المصرى بالحلول محل القوات البريطانية تباعاً بمنطقة القناة .

٤ – يتم تسليح القوات المصرية وتدريبها لتصبح قادرة بنفسها على مهمة الدفاع عن مصر .

٥ – تعقد معاهدة صداقة جديدة بين مصر وبريطانيا وينظم أمر الدفاع باتفاق ثنائى يقوم على التعاون ، ويوضح فيه شكل التعاون ووسائله فى حالتى السلم والحرب .

٦ – يترك أمر السودان لاختيار أهله ويجرى استفتاء خالص من كل شائبة .

وقد قبل رفعة النحاس باشا هذه المبادرة الطيبة من الملك عبد العزيز وكتب إلى جلالته الرد التالى :

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود – حفظه الله .

تشرفت باستلام كتاب جلالتكم المؤرخ ٥ من ربيع الثانى سنة ١٣٧١ هـ الذى تفضلتم فيه جلالتكم بالإعراب عن مكنون محبتكم لمصر وما ينطوى عليه قلبكم الكبير من أمانى الخير لها والرغبة الصادقة فى دفع السوء عنها . وإنى باسم الشعب المصرى واسمى لأقدر هذا الشعور النبيل الخليق بملك عربي جليل ، وستبقى ذكرى هذه العواطف الشريفة خالدة فى قلوب المصريين مقرونة بالود والإكبار والامتنان .

إن البواعث الكريمة التى حدت بجلالتكم أن تتفضلوا باقتراح أساسى لحل النزاع الذى استفحل أمره بين مصر وإنجلترا باعتباره اقتراحاً شخصياً من جلالتكم قد تلقيته بما يستحقه من عناية واعتبار ووضعت إلى جانبه ما رأيت من التعديلات المرافقة التى أعتقد أنها تكفل تحقيق ما تصبو إليه جلالتكم من مطالب مصر القومية عن طريق الوفاق والاتفاق .

وأرجو أن تتفضلوا يا صاحب الجلالة .

بقبول موفور الشكر والاحترام .

مصطفى النحاس

أما هذه التعديلات التى أشار إليها كتاب رفعه النحاس باشا فقد انطوت على ما يلى :

١ – تعتبر المعاهدة التى كانت معقودة بين مصر وبريطانيا سنة ١٩٣٦ وملحقاتها واتفاقية سنة ١٨٩٩ ملغاة اعتباراً من تاريخ العمل بالقوانين المصرية التى أصدرها البرلمان المصرى بإلغائها فى ١٦ ، ١٧ أكتوبر من سنة ١٩٥١ .

٢ – يبدأ جلاء القوات البريطانية والجوية والبحرية فوراً عن منطقة قناة السويس إلى أماكن خارج القطر المصرى على أن يتم الجلاء الكامل فى مدة لا تزيد على ستة أشهر .

٣ – تسلم القاعدة العسكرية إلى القوات المصرية ويحل الجيش المصرى تباعاً محل القوات البريطانية التى تجلو عن قناة السويس .

٤ – يسلح الجيش المصرى ويزود بمختلف الأسلحة والمعدات والطائرات .
٥ ، ٦ – ينظم أمر الدفاع باتفاق يبنى على التعاون الصادق بين الذين يتفق معهم في هذا المضمار يوضح فيه شكل ذلك التعاون وحدوده فى حالة الحرب فقط .
٧ – الإقرار فوراً بالوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصرى وفقاً للتشريعات التى أقرها البرلمان المصرى ، على أن يكون للسودانيين حق الاختيار بين الوحدة أو الانفصال ، وذلك فى استفتاء حر خال من كل شائبة .

وقامت الحكومة المصرية بإيفاد المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام بك – وكان سفيراً لمصر فى باكستان – ويقضى إجازة بالقاهرة ، وزودته بكافة البيانات المطلوبة لمقابلة العاهل العربي الكبير .

وبالرغم من قيام هذه الوساطة ، فلم يهدأ الكفاح المسلح بمنطقة قناة السويس ضد القوات البريطانية ، بل زادت حدته وضراوته . وظل عبد الوهاب عزام بك فى السعودية حتى إقالة الحكومة الوفدية فى ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ – بعد حريق القاهرة .

ثم نورى السعيد باشا ثانية .

بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ تفجرت الطاقات الشعبية وخشى الإنجليز على وضعهم فى المنطقة ، وبدأت دعوة الحكومة الوفدية إلى حمل السلاح وتجنيد الفدائيين لإقلاق مضاجع الإنجليز ودفعهم إلى الجلاء عن مصر .

ومما يذكر أنه فى يوم ٢ / ١ / ١٩٥٢ وكان فؤاد باشا سراج الدين بوزارة المالية ، أن طلب سفير العراق نجيب الراوى مقابلته لأمر هام .

وفعلاً تمت المقابلة .

وبعد أن تبودلت كلمات المجاملة ، قال السفير لفؤاد سراج الدين باشا :

– لا أريد أن ألف عليكم ، بل سوف آتى من الطريق المستقيم ، وهو أقصر الطرق ، لقد نجحتم إلى أقصى حد يمكن أن يصل إليه سياسيون مناضلون ، وقد أرسلنى نورى السعيد باشا بطلب الوساطة بين مصر وإنجلترا . والواقع أن الإنجليز طلبوا من نورى السعيد باشا أن يتوسط شخصياً على أساس الجلاء عن منطقة القنال

بشرط أن توقفوا المعركة الدائرة الآن .

وقد رد سراج الدين باشا على السفير :

– أشكر لسعادتكم هذا الإطراء ، ولكنى لا أستطيع أن أقبل الوساطة ، سواء كنت وزيراً أو كنت وطنيًّا ، ولا أستطيع أن أقنع الشعب بأن الإنجليز قد وعدوا بالجلاء عن مصر ، وقد قطع الإنجليز على أنفسهم فى خلال ٧٠ عاماً أكثر من سبعين وعداً ، ولكن وعداً منها لم يتحقق ، والوعد شيء والتنفيذ شيء آخر . فإذا بدءوا التنفيذ فعلاً فلا محالة أن الأمر سوف يتغير وأننا فى هذه اللحظة سوف نفكر فى جدوى الوعد وأهميته .

. . فقال السفير :

– أنت محق يا معالى الوزير ، وسوف أسافر إلى العراق للاتصال بحكومتى .

وبعد أيام عاد نجيب الراوى من بغداد حاملاً رسالة من نورى السعيد باشا تتضمن أن السياسى العراقى الكبير قد اقتنع بوجاهة رأى وزير الداخلية المصرى وأنه اتصل بالإنجليز ، وأنهم قد وافقوا على بدء الجلاء بشرط أن تؤمن ظهورهم لكى يتفرغوا للعملية ، وأن الجلاء أصبح قاب قوسين أو أدنى .

وقد وعد فؤاد سراج الدين باشا بعرض الأمر على مصطفى النحاس باشا . ولكن النحاس باشا لم يقتنع بوساطة العراق ، وكان يدرك بإحساسه العميق بأن الأمر لا يعدو أن تكون مناورة يسهم فيها أحد كبار أنصار بريطانيا فى الشرق الأوسط لتصفية الحركة الوطنية .

وقد حققت الأيام صدق هذه الرؤية ، فلم تمض أيام إلا واحترقت القاهرة وأقيل الوفد وتغير وجه التاريخ .

ولا أدل على أن الإنجليز – كما يروى ذلك الأستاذ فؤاد سراج الدين باشا قد شاركوا فى حريق القاهرة ، وأن كل شيء توقف تماماً بعد الحريق ، وأخمدت الحركة الوطنية .

رأى فى إلغاء المعاهدة :

لا خلاف أن إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ كان عملاً من أخطر الأعمال فى تاريخ مصر السياسى ، وقد تمخض عن نتائج خطيرة عميقة الأثر .

وقد تعددت الآراء فى تصوير واقعة الإلغاء ذاتها .

ويذكر المرحوم محمود سليمان غنام باشا – وهو من الطليعة الوفدية المناضلة لشباب ثورة سنة ١٩١٩ – تصويراً دقيقاً عن هذه الواقعة ، فيقول :

– كان منتقدو الوفد يأخذون على مصطفى النحاس باشا مهادنته للقصر فى الأيام السابقة على إلغاء المعاهدة ، ولكن النحاس باشا كان يدبر أمر إلغاء المعاهدة ، إذ لابد من موافقة الملك على هذا الإلغاء وضمان عدم معارضته ، وكان النحاس باشا يخشى نفوذ رجال القصر من إقناع الملك بعدم الانصياع لرئيس الحكومة ، كما كان النحاس باشا يخشى فى الوقت نفسه من تأثير الإنجليز على الملك لكى يحولوا دون صدور مراسيم الإلغاء .

وفى اليوم المقرر لإلغاء المعاهدة – وهو يوم مشهود فى تاريخ البلاد (٨ أكتوبر سنة ١٩٥١) – اجتمع النحاس بوزرائه جميعاً ، وأخذ عليهم عهداً وإيماناً مغلظة ألا يذيعوا خبر الإلغاء ، خشية أن يتسرب الخبر إلى الصحف وكانت الصحف المعارضة تدعى أن الحكومة لن تجرؤ على إلغاء المعاهدة أبداً .

ويستطرد الأستاذ غنام باشا أنه عندما رجع الوزراء إلى منازلهم لاذ كل منهم بالصمت . . حتى دوى صوت النحاس باشا عالياً . . فى مجلس النواب :

« من أجل مصر ، وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، ومن أجل مصر أطالبكم بإلغائها »

معلومات خاصة :

فى أوائل يناير سنة ١٩٥٢ حضر إلى مجلس الوزراء الأستاذ فريد شحاته سكرتير الدكتور طه حسين وقتها وأخبرنى أن الوزارة مآلها الإقالة قبل انقضاء شهر يناير

. . وقد هالنى هذا النبأ وقلت له : إن الوزارة تتمتع بالعطف الملكى ولا سيما فى الآونة الأخيرة الدقيقة بعد إلغاء المعاهدة .

ولكنه ما لبث أن اتصل بى فى منتصف الشهر ذاته مؤكداً أن الوزارة ستقال ، وقد راهنته على ذلك وأيدنى فى الرهان المرحوم عبد الحليم الغمراوى المحرر بالأهرام .

وفى صباح يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٥٢ عاود المذكور الاتصال بى . . وفى هذه المرة أكد أن ثمة مظاهرات سوف تتفجر صباح السبت ولن تنتهى إلا بإقالة الوزارة فى نفس اليوم .

وبالفعل جاء صباح ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ وكانت الحوادث الشهيرة التى انتهت بحريق القاهرة وإعلان الأحكام العرفية فى نفس الليلة بعد اجتماع مجلس الوزراء بمنزل مصطفى النحاس .

وأثناء تكليفى من رفعة النحاس باشا بإحضار القرارات مع الأستاذ عبد العظيم الدلجمونى مدير الإدارة برئاسة مجلس الوزراء ، اتصل بى أحد الأشخاص تليفونياً ليخبرنى بأنه يعمل لدى أحد الأجانب ، وأن هذا الأجنبى يتصل الآن بمحطة لاسلكية بمنزله وأعطانى رقم التليفون وعاودته لأتأكد أنه المتحدث ، وعلمت بالفعل أنه يعمل فى خدمة هذا الشخص الذى كان يقطن بشارع الأمير فؤاد (محمود عزمى حالياً) بالزمالك .

ثم اتصلت فوراً بالأستاذ حسين صبحى بك مدير الأمن العام وقتئذ وأخبرته بهذه الواقعة ولكنه اعتذر لى بعدم استطاعته أن يفعل شيئاً بسبب أنه لا يوجد بالعاصمة جنود أو ضباط بوليس والكل مشغول بالحريق .

وفى نفس الليلة أقيلت الوزارة وكلف الرئيس السابق على ماهر باشا بتأليف الوزارة الجديدة ، الذى حضر إلى رئاسة مجلس الوزراء الساعة الثانية من صباح يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢ ، وكان قد فرض حظر التجول بسيارة من سيارات الإسعاف أحضرها له الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب سكرتير عام الجمعية .

وفى أول مارس ١٩٥٢ نشرت جريدة أخبار اليوم خبراً مؤداه أن رئيس الوزراء لن يقابل السفير البريطاني فى الموعد المحدد له الساعة الحادية عشرة من يوم السبت

أول مارس ١٩٥٢ .

واتصل بى فريد شحاته مؤكداً لى صحة هذا الخبر وأن الاعتذار سيكون بسبب وعكة صحية ألمت بالسفير بعد مباراة التنس التى قام بها بنادى الجزيرة .

فذهبت إلى وزارة الخارجية لأكون فى استقبال السفير عند حضوره لا سيما وأن رئيس الوزراء كان بمكتبه .

وفى تمام الحادية عشرة أبلغت من السفارة بنفس الاعتذار الذى قيل لى من الشخص المذكور وهو إصابة السفير بوعكة بسبب ماتش التنس .

وأخبرت رئيس الوزراء الذى كلفنى بالذهاب إلى مجلس الوزراء لدعوة مجلس الوزراء إلى الاجتماع .

وفعلا انعقد المجلس ورفع استقالته إلى الملك .

وقد ذهب على ماهر لمقابلة كبير الأمناء حيث قدم له استقالة وزرائه .

وفى هذه الأثناء اتصل بى فريد شحاته مرة رابعة وأخبرنى بأن الهلالى باشا سوف يؤلف الوزارة الليلة .

وبالفعل تحقق ذلك . .

وعندما تصادف وقابلت فريد شحاته وسألته عن مصدر الأنباء الصحيحة التى تأكدت أخبرنى بأن أجنبياً لا يعرف جنسيته ويرجح أنه ربما كان إنجليزياً أو أمريكياً كان يتصل به تليفونياً ويطلب مقابلته ثم يتقابلان على رصيف شارع سليمان باشا أمام محل « لوك » ويسيران معاً ويتحدث الأجنبى معه أثناء سيرهما ويخبره بكافة الأنباء ويختفى . . ثم يعاود بعد ذلك الاتصال به عندما يجدّ جديد أو يكون ثمة نذير فى الأفق .

هكذا رواية فريد شحاته ، وربما كانت أخباره من أحد الأساتذة الإنجليز فى كلية الآداب الذى قد أسلم وتزوج بمصرية ، وعاش بالقاهرة حتى طردته حكومة الثورة .

وكان مشهوراً بأنه يعمل لحساب المخابرات البريطانية . .

وساطة النحاس باشا . . بين . . الهند والباكستان . .

الخلاف بين الهند والباكستان قديم ، وأذكر أنه فى عهد الوزارة الوفدية الأخيرة ، طلب إلى النحاس باشا أن يتوسط لوضع حد لهذا الخلاف .

وكان مصطفى النحاس باشا يتمتع بثقة لاحد لها فى تاريخ الهند الحديث ، بل كان حزب المؤتمر الهندى الذى لا يزال يحكم الهند يترسم خطى حزب الوفد المصرى .

وحدد النحاس باشا موعداً لسفير الهند ، على أن يليه فى المقابلة – وبعد نصف ساعة – سفير دولة الباكستان .

ووصل سفير الهند ورافقته إلى الصالون الوحيد الملحق بمكتب رئيس مجلس الوزراء .

ولكن المغفور له – مصطفى النحاس باشا – تأخر عن الحضور فى الموعد واقترب موعد سفير الباكستان ، ثم أدركتنا العنايه الإلهية ، ووصل رئيس الوزراء إلى مكتبه ، ولكن بمجرد أن جلس على المقعد اتصل القصر برئيس مجلس الوزراء وكان الملك هو المتحدث . . وأضىء المصباح الأحمر أثناء الحديث .

وكانت عقارب الساعة تتحرك . . والموقف يزداد سوءًا والظنون تشد أذنى فما العمل ؟ عندما يحضر سفير الباكستان ، ويلتقى بسفير الهند فى صالون واحد إنها القارعة كما يقولون . . . ؟

واستقبلت السفير بترحاب زائد ، وبدأ ذهنى يعمل بسرعة بحثاً عن الحل وأسعفنى الله أن أقول للسفير :

– يا سعادة السفير ، إننى أعلم بأنك ذواقة تحب الفن ، وسوف أنتهز هذه الفرصة لأرى سعادتكم الآن لوحة مرسومة فى سقف البهو .

ونظرت إلى أعلى ، ونظر السفير معى ، وطفقت أستعين بكل ما أعرفه عن الفنون واللوحات وأهميتها وبدأت أشرح له تاريخ هذه اللوحة التى ترجع إلى مطلع القرن العشرين ، وكيف أن الخبراء قدروا ثمناً لها عشرة آلاف جنيه عندما اشترت الحكومة القصر . . .

ويبدو أن اللوحة والحديث قد استهوى سعادة السفير فظل غارقاً فى التأمل .

وسمعت جرس رئيس الوزراء واستأذنت السفير وتركته يفكر فى اللوحة وروعتها وأهميتها إلى أن أدخلت سفير الهند لمكتب النحاس باشا وخرجت لسفير الباكستان وأتممت قصة اللوحة على مسامعه ، وكان يستزيد الحديث بدقة الفنان وذوقه ، ثم صحبته إلى الصالون دون أن يشعر بالمأزق الذى كنت غارقاً فيه .

وأنقذتنى لوحة الأميرة شويكار . . .

هذا هو مصطفى النحاس باشا .

الإنعام على عبد المجيد عبد الحق بالباشوية

برغم أنف الملك . . .

فى مأدبة الغداء التى أقيمت بمناسبة « سبوع » ولى العهد قبل ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ضمت المأدبة الوزراء وكبار الضباط وأكثر من ٣٠٠ من الشخصيات العامة ، ودخل الجميع لتهنئة الملك رسمياً واستبقى الملك النحاس باشا ووزراءه بقاعة العرش وكان آخر قائمة الوزراء هو الأستاذ عبد المجيد عبد الحق بك .

وارتفع صوت النحاس باشا مهنئاً بولى العهد باسمه وباسم وزرائه . وكان الملك غير موفق فى الرد إذ قال :

– متشكر . . وبكره الولد يكبر ويرازى فى الوزارات ويحل البرلمانات . . وطبعاً مش حتكونوا موجودين وقتها . . وضحك . .

وكان الرد غير كريم إذ ينبئ عن إصرار الملك فى تنشئة ولى العهد نفس النشأة التى نشأ عليها .

وهمس فؤاد سراج الدين باشا فى أذن الملك بطلب الإنعام على عبد المجيد عبد الحق برتبة الباشوية لأنه الوزير الوحيد بالوزارة الذى لم يحصل على هذه الرتبة ولكن الملك رفض بسبب عدائه التقليدى للوفد ورئيسه .

ولم يسمع عبد المجيد عبد الحق ما دار . .

وفجأة صاح النحاس باشا بعبد المجيد **عبد الحق قائلا** :

– اشكر مولانا على الباشوية .

ولكن الملك قال :

– أنا لم أقل شيئاً يا باشا .

فرد النحاس باشا :

– إننا نمثل جلالتك . . فالدستور ينص على أن الملك يباشر سلطاته عن طريق وزرائه .

وتم الإنعام على الوزير إذ أقبل عبـد المجيد عبد الحق معتقداً أن الملك قد أنعم عليه برتبة الباشوية وصافح الملك ولم يكن أمام الملك إلا مصافحته ولكن الملك ظل متجهماً .

وعلى مأدبة الغداء ظل الجو متوتراً ، وكان الملك يتميز غيظاً من الوزراء ، وكان رئيس مجلس النواب المرحوم عبد السلام باشا جمعه جالساً بعد مقعدين من مقعد الملك ، ولكن الملك ابتدره قائلا :

– لقد رأيت صورتك فى الصحف وأنت تقرأ مرسوم ولى العهد دون أن تكون لابساً طربوشاً على رأسك . . وكان يجب أن تلبس الطربوش .

وكان النقد غاية فى قلة الذوق لأن رئيس مجلس النواب كان أكبر من أن ينتظر من الملك درساً فى المراسم أو الإتيكيت .

وتوقع الوزراء أن يرد عبد السلام جمعة على الملاحظة الثقيلة ولكنه ضحك معللا ذلك بأن الجو كان شديد الحرارة .

ومرت الأزمة الأولى .

ولكن مالبث أن مضى الملك إلى الإدلاء بملاحظات أخرى فذكر أن بعض الوزراء كانوا يدخنون السجاير والسيجار فى المناسبات الرسمية .

وأراد وزير الداخلية فؤاد باشا سراج الدين أن يعترض على هذه الملاحظة ولكن الأستاذ غنام وزير التجارة والصناعة همس فى أذن سراج الدين باشا قائلا :

– إنه لم يذكر أسماء . . وهو لا يستحى ويريد أن يفتعل أزمة .

وعدل فؤاد باشا ، فالملاحظة تنطبق على أكثر من وزير .

وفى العودة كان النحاس باشا يركب سيارته وإلى جواره وزير الداخلية وكان ثائراً لأن الملك أنعم على حسين الجندى وزير الأوقاف برتبة الباشوية بسبب اكتشافه نسب الملك إلى النبي عليه الصلاة والسلام واتصاله بالسراى دون إذن رئيس الوزراء ثم يسوف عندما يطلب رئيس الوزراء الإنعام على عبد المجيد عبد الحق .

ولكن فؤاد باشا هدأ خاطره قائلا :

– إن الجندى وفدى على كل حال برغم أنه على يقين أن حسين الجندى كان يتصل بالقصر من خلفه .

وسأل النحاس باشا فؤاد باشا :

– هل تعتقد أن الملك سيعترف بالباشوية ؟

ثم أمر سراج الدين باشا أن يراقب بيان كبير الأمناء عن المأدبة فإذا جاء اسم عبد المجيد عبد الحق دون لقب يمنع النشر فقال فؤاد باشا :

– ولكن منع النشر مشكلة خطيرة .

فرد النحاس باشا بحزم :

– كلمة واحدة . .

ثم صدر البلاغ وكان آخره اسم عبد المجيد عبد الحق مقروناً بالباشوية فطمأن وزير الداخلية رئيس الوزراء على ذلك .

وانتهت أزمة عنيفة مثلت فيها شجاعة النحاس باشا وجسارته عندما رد على الملك بأسلوب جاد معروف عن النحاس باشا طوال زعامته لمصر .

قوة إيمان النحاس باشا :

فى أوائل أغسطس سنه ١٩٥٠ وصلنى من الأستاذ حسين صبحى مدير عام الأمن العام منشور للعلم بأن هناك معلومات أن أشخاصاً يلبسون الزى العربي سيقتلون مصطفى النحاس باشا بخناجر يحملونها فى طيات هذا الزى .

وعلى ما أذكر يوم ١٥ أغسطس اتصل بي صاحب السمو الشيخ محمد بن عيسى

آل خليفة بن عم صاحب السمو أمير البحرين المعظم يطلب موعداً لمقابلة النحاس باشا رئيس الوزراء .

وتحدد الموعد وفوجئت بصاحب السمو الشيخ محمد يحمل خنجرين ظاهرين عند وصوله إلى رئاسة مجلس الوزراء للمقابلة .

ودار فى ذهنى ذلك المنشور الذى وقعت عليه بالعلم ، وما أستطيع أن أطلب من سمو الشيخ محمد خلع الخنجرين ، فدخلت معه ووقفت بينه وبين المرحوم النحاس باشا بشكل غير عادى ، وكلما تحرك حركة عادية قمت بحركة بهلوانية مبعثها ما فى نفسى .

ولما انتهت المقابلة سألنى رفعة النحاس باشا . . إيه الحكاية . . كان لك حركات غير طبيعية ولا مناسبة .

فقصصت على رفعته أمر منشور مدير الأمن العام ، وأننى فى كل حركة كنت أستعد لأى تصرف .

فضحك رفعته وقال :

اسمع يا ابنى ، لقد حاولوا قتلى بالمترليوز ، وأصيب الذين عن يمينى وعن شمالى وخلفى وقدامى . . وقذفوا الديناميت على غرفة نومى ، ولم يحصل لى أى شىء. ولا حتى مجرد إصابة ، وتكررت محاولات الاعتداء على حياتى من قبل ذلك ومن بعده .

إن إيمانى ويقينى أننى سأموت عندما ينتهى أجلى .

عظمة أخلاق النحاس باشا :

كان النحاس باشا قد حدد موعداً لعودته إلى القاهرة ، وفى اليوم السابق على هذا الموعد طلب رسل باشا حكمدار القاهرة مقابلة وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا وأبلغه أن لديه معلومات عن اعتزام جماعة مصر الفتاة الاعتداء على حياة النحاس باشا ولا سيما أن لهم سابقة فى الاعتداء عليه سنة ١٩٣٧ عندما شرع عز الدين عبد القادر فى محاولة الاعتداء على النحاس باشا .

وبسبب خشية الاعتداء كلف الوزير الحكمدار باتخاذ ترتيبات الأمن المناسبة فقال رسل باشا : سأعمل كردونات من جنود البوليس مزدوجة من رصيف المحطة حتى

باب السيارة التى ستقل النحاس باشا على نظام « عسكرى فى ظهر عسكرى » وألا يدخل المحطة سوى كبار الزوار ويبقى الشعب وراء كردون البوليس .

وأضاف الحكمدار إن هذه الترتيبات سوف تغضب النحاس باشا الذى يحب أن يكون الاستقبال شعبياً دون أى تدخل من جانب البوليس .

وقبل موعد الوصول بعشر دقائق لاحظ وزير الداخلية أن مساعد الحكمدار « فيتزباتريك » فى حالة غضب شديد بسبب أن المرحوم الأستاذ حسن ياسين شتمه لوجود جند البوليس يحولون دون الشعب واستقباله لزعيمه مصطفى النحاس .

ثم وصل القطار إلى المحطة ونزل مصطفى النحاس حيث لم يجد فى استقباله غير كبار المسئولين ، وفوجئ وزير الداخلية باختراق الأستاذ حسن ياسين لكردون البوليس ، وتصور فؤاد باشا أنه يريد أن يخاطب النحاس باشا أو يقبله .

وبمجرد رؤية النحاس باشا للاستقبال أبدى غضباً شديداً وفوجئ المستقبلون بأن رفعته ضرب أول ضابط بوليس قابله فى صدره وصرخ فيه « سيبوا الناس » واندفعت الجماهير وتاه الوزراء فى خضم المستقبلين وأصبح النحاس باشا وسط الجماهير لا يظهر منه غير طربوشه وقال فؤاد باشا لمن معه « النحاس باشا ضاع » .

وقد روى لى فؤاد باشا ان ربع الساعة الذى انقضى بين نزول النحاس وركوبه السيارة كان أشبه بربع قرن من الانتظار والترقب .

واستاء وزير الداخلية من ضرب ضابط البوليس ولم يذهب إلى منزل النحاس باشا وقال لبعض زملائه لماذا لم يطلبنى النحاس باشا داخل صالون القطار قبل نزوله .

وكان المفروض أن يتناول الوزراء طعام الغداء على مائدة النحاس باشا ، ولكن وزير الداخلية لم يذهب بل أرسل خطاباً يطلب فيه إعفاءه من منصبه لأسباب صحية كما كان راغباً فى عدم حضور جلسة مجلس الوزراء التى ستعقد مساء ذلك اليوم .

وفى الساعة السادسة فوجئ بإبلاغه أن رفعة النحاس باشا قد وصل إلى منزله .

وسارع فؤاد باشا بلقاء النحاس باشا الذى سأله عن سبب عدم حضوره مأدبة الغداء ، فقال فؤاد باشا « أنا مستقيل » .

فرد النحاس باشا « نحتكم لمجلس الوزراء تعال معى يالله » وعقد مجلس الوزراء فى جو متوتر .

وكان محمد صلاح الدين (بك) سكرتيراً عاماً لمجلس الوزراء فوجه النحاس باشا إليه الكلام : « أكتب أننى أسجل اعتذارى وأسفى لمعالى وزير الداخلية » .

فأمسك فؤاد باشا يد صلاح الدين ومنعه من الكتابة وقال إن الأمر قد انتهى ، ولكن لى رجاء وأمل فى أن تستقبل الضابط الذى ضربته غداً برئاسة مجلس الوزراء وقد وافق النحاس باشا .

وفى اليوم التالى حضر إلى الرئاسة مساعد حكمدار القاهرة « سليم زكى باشا » على رأس لفيف من الضباط بينهم الضابط المذكور الذى ضربه النحاس باشا وكان الضباط يتألفون من أقدم ضابط فى كل رتبة واصطفوا أمام النحاس باشا الذى سأل عن الضابط المضروب ودعاه وقبل رأسه وقال « ما تزعلش يا بنى » أنا فؤاد باشا كلمنى عن الحكاية .

فبكى الضابط وبكى زملاؤه فقال لهم النحاس باشا :

— أرجوكم روحوا قولوا لفؤاد باشا إنكم مش زعلانين .

الرئيس الحبيب بورقيبة يتحدث عن مصطفى النحاس :

أثناء زيارة الرئيس أنور السادات لتونس ، وكنت أرافقه فى هذه الرحلة أراد رئيس المراسم بالقصر الجمهورى فى تونس أن يقدمنى لفخامة الرئيس الحبيب بورقيبه ، ولكن الرئيس ما إن سمع باسمى حتى هتف صائحاً :

إننى أعرفه منذ عهد طويل . . إنه صلاح الشاهد بتاع النحاس باشا . . وكرر هذه العبارات أكثر من مرة ونحن فى طريقنا إلى قاعة الاجتماعات حيث كان الرئيسان السادات وبورقيبة يجتمعان .

وما إن رأى الرئيس السادات حتى صاح بأعلى صوته :

— يا فخامة الرئيس . . إن صلاح الشاهد بتاع النحاس باشا فى تونس الخضراء أثر من آثار وأمجاد الزعيم المصرى الكبير .

والمعروف أن الرئيس بورقيبة أطلق اسم مصطفى النحاس باشا على أكبر شوارع تونس العاصمة بل على الشارع الرئيسي فى العاصمة .

كما أنه عندما ألقى خطاباً أمام الرئيس السادات – وكنت قد نبهت الدكتور مراد غالب وزير الخارجية فى هذا الوقت إلى أن متانة الصلات بين الرئيس التونسى والزعيم المصرى الخالد مصطفى النحاس – قد تجعل الرئيس التونسى ينتهز الفرصة لكى يشيد بعظمة مصطفى النحاس وأمجاده الوطنية وتاريخ كفاحه لنصرة العرب والعروبة .

وقد تحقق حدسى فارتفع صوت فخامة الرئيس بورقيبة ليذكر زعيمين خالدين من زعماء مصر هما : سعد زغلول ومصطفى النحاس ، وليطلق لسانه فى التحدث عن تاريخهما ونضالهما ضد الاستعمار فى كافة صوره .

ومن المعروف أن مصطفى النحاس باشا كان صديقاً للحبيب بورقيبة عندما كان لاجئاً فى مصر من حكم الإعدام الذى أصدرته سلطات الاحتلال الفرنسى خلال الحرب العالمية الثانية وكان موضع إعزاز مصطفى النحاس ومحل تقديره ورعايته بكل ما يحتاج إليه .

وهذا ما لم ينسه الزعيم التونسى ، الذى ظل وفياً لذكرى زعيمنا المصرى الخالد .

النحاس باشا والسباحة :

تبدو رعاية النحاس باشا للسباحة وأبطالها فى أجل معانيها ، عندما كان يداعب أبطالها مداعبة الأب لأولاده .

وفى سنة ١٩٤١ عندما كان يصطاف النحاس باشا فى رأس البر بادر السباح المعروف عبد المنعم عبده . . قائلاً :

– اسمع يا منعم . . انت لازم تفهم ان مش انت بس لوحدك بطل السباحة فى البلد . .
أنا كمان بطل كبير فى السباحة . وبكره إن شاء الله تيجى وتنزل معايا البحر ،
ونعوم قصاد بعض ونشوف بقه . . مين اللى حيسبق التانى ؟ .
وبالفعل تمت المباراة بين الزعيم الكبير والبطل الشاب .

وكان الزعيم رفيق الحاشية ، مرحاً كابن البلد فى نقاوته وصفائه ، ومشجعاً للبطل الشاب بكل صور التشجيع .

ولم يكتف الزعيم بذلك ، بل إنه كلف الصحفى المعروف الأستاذ محمد التابعى لكى يتصل بالموسيقار محمد عبد الوهاب ليقيم حفلاً برأس البر يخصص دخله لمعاونة السباح ، مادياً بعد أن علم أنه مقبل على تجهيز شقيقاته للزواج بصفته رشيد العائلة ، وعندما اعتذر عبد الوهاب عن إقامة الحفل لعذر عائلى ، انتهز النحاس باشا فرصة سفره للقاهرة لمقابلة الملك عقب استدعائه له بعد خطابه المشهور فى رأس البر الذى ندد فيه بسياسة الحكومة والإنجليز وخاصة فى شئون القطن ، وانتهز رفعة النحاس باشا فرصة وجوده فى القاهرة لعدة أيام واتصل بالفنان الكوميدى الكبير ، المرحوم نجيب الريحاني وطلب منه إقامة حفل فى رأس البر يخصص إيراده لمساعدة السباح عبد المنعم عبده .

وأقيمت الحفلة وقدمت فرقة الريحانى مسرحية « لو كنت حليوه » تبرعاً بناء على رغبة النحاس باشا .

ومن الطريف أن السباح عبد المنعم عبده أراد أن يعبر عن امتنانه لمصطفى النحاس باشا فأهداه قفصاً صغيراً من السمان لا يزيد وزنه على كيلو واحد .

وتقبل الزعيم الهدية الصغيرة بقبول حسن برغم أن السيدة قرينته قالت ساخرة عندما نظرت إلى القفص الصغير :

– فين هى الهدية دى ، ح تعمل عزومة على قفص جريد ؟ . . دا حتى ميكفيش نفر واحد .

ولكن الزعيم استمر بلهجة حانية :

– يا سلام يا منعم ، هديتك عظيمة قوى فى نظرى . . أنا متشكر منك جداً وممنون خالص ولم يقتصر تشجيع النحاس باشا على مجرد الرعاية المعنوية بل إنه قد عين البطل عبد المنعم عبده بإدارة التربية البدنية بوزارة المعارف فى وزارة الوفد سنة ١٩٤٢ .

ومن المعروف أن رفعة مصطفى النحاس باشا كان رياضياً فى شبابه وكان يهتم بالرياضة ويشجع الرياضيين الذين كانوا يجدون فى رحابه الأب « المشجع » .

وأذكر أنني كنت برفقة بعض زملاء الصبا وخلان الشباب ، ومنهم اللواء وحيد شوقى ومصطفى شوقى ومحمود شوقى وعبد المنعم شوقى - نقوم برياضة السباحة صباح كل يوم بشاطئ الإسكندرية (جليم) وكان رفعة النحاس باشا وهو مولع ولعاً شديداً بالسباحة وبرفقته البطل المصرى إسحق حلمى كانا يشهدان هذه السباحة ويشجعان الرياضيين الشباب وكان النحاس باشا يدعو الفريق الصغير إلى تناول طعام الإفطار على مائدته بعد انتهاء الرياضة .

إن رياضة السباحة تدين للنحاس باشا ، ومآثره على هذه الرياضة كثيرة ، فقد رصد فى ميزانية وزارة الشئون الاجتماعية سنة ١٩٥٠ مبلغ خمسة آلاف جنيه استرليني لبعثة المانش .

وعندما سافرت البعثة إلى لندن استقبلها قبل سفرها وأوفد أحد المندوبين لوداعها . .

وكان يترقب أخبار الرحلة بشغف كبير واهتمام ظاهر .

وأثناء عبور البطل المصرى المعروف : حسن عبد الرحيم وحصوله على جائزة الديلى ميل (أغسطس سنة ١٩٥٠) كان النحاس باشا يترقب الأخبار وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة بعد أن أمر بإبلاغه نتائج المباراة أولا بأول من نظار المحطات .

وعندما دخل القطار القاهرة كانت أنباء انتصار حسن عبد الرحيم قد وصلت ، وفرح النحاس باشا فرحاً شديداً . وكان وهو يسير ممسكاً بعصاه من منتصفها يختال زهواً وكأنه هو الذى حقق لمصر هذا الفوز العظيم .

وطلب منى أن أرسل برقية للسفير المصرى بلندن لتهنئة السباحين والبعثة وإعطائهم أى مبلغ هم فى حاجة إليه .

وعند رجوع البعثة إلى القاهرة قابلها مصطفى النحاس باشا فى سان استفانو مهنئاً ودعا أفرادها لتناول الشاى ، ووقف منهم خطيباً ومشيداً ببطولتهم ، ثم قال إنه يرى أن الدعاية عن طريق الرياضة خير وأبقى وأكثر ثماراً من الدعاية الدبلوماسية الباردة .

النحاس باشا يرفض شهادتى فى قضية زينب هانم الوكيل :

وأذكر أنه أثناء قضية زينب هانم الوكيل - حرم الزعيم مصطفى النحاس باشا -

رحمها الله أن طلبت زينب هانم من المحكمة سماع أقوالى فى واقعة تتعلق بالقضية .

وقد نشرت مجلة التحرير – وكانت تعبر عن رأى مجلس قيادة الثورة ، ويصدرها ضباط – هذا الخبر .

وقد كنت على استعداد لأن أدلى بشهادتى ، إيماناً منى بإظهار الحقيقة على الملأ ، كما أني عملت وقتاً طويلا بالقرب من مصطفى النحاس واتصلت به منذ شبابي .

وكان الرجل وزوجته – غفر الله لهما – أثيرين إلى نفسى ، ولم يكن من المعقول – وأنا رجل عام – أن أتخلى عن ذكر الحقيقة أياً كان الموضع الذى كنت أشغله ، كما يقول الله سبحانه وتعالى : « ولا تكتموا الشهادة » .

وقد أبديت رغبتى فى التوجه إلى المحكمة للسيد الرئيس اللواء محمد نجيب فأبدى شيئاً من الحذر ، خشية أن يؤول الأمر باعتباره معاداة للثورة .

ولكنى لم أتردد .

واتصل بى المحامى الكبير الأستاذ أحمد رشدى بك . وكان مدافعاً عن السيدة الجليلة زينب هانم ودعانى لمقابلة السيدة زينب هانم . فلبيت ، والتقينا فى منزل مصطفى النحاس وأبديت بجلاء استعدادى للشهادة وليكن ما يكون .

ولكن مصطفى النحاس باشا رفض ذلك وقال بالحرف الواحد للأستاذ أحمد رشدى :

– يا أحمد بك ، لا تتعب نفسك فالحكم مكتوب قبل المحاكمة ، وكل شىء معد مقدماً ولا داعى لإحراج صلاح ، وأنا شايف أن بقاءه فى هذا المنصب خير لنا من إحراجه فى وقائع لن تسمعها المحكمة .

وفى اليوم التالى سحب الأستاذ رشدى طلبه باستدعائى للشهادة . . . . . وصدر الحكم .

القاضى « سعد زغلول » واحترام القضاء :

أخبرني المغفور له رفعة الزعيم الجليل مصطفى النحاس باشا وهو يروى لى ذكريات نضاله أثناء الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ وظروف تكوين الوفد وزعامته للأمة وبعض الجوانب الخفية من حياة الزعيم الخالد سعد زغلول باشا .

وقال مصطفى النحاس باشا بأسلوبه السلس الواضح . . فى ذكريات له عن عظمة سعد زغلول ، وهى حادثة – فيما نعلم – لم ترد فى أى كتاب كتب عن سعد زغلول حتى الآن برغم المؤلفات العديدة التى كتبت ولا تزال تكتب عن نشأة الزعيم الوطنى ودوره فى الجهاد منذ الثورة العرابية وكفاحه ضد دنلوب وهو ناظر للمعارف ، وعضويته عن الأمة فى الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ ، وكان نائب الأمة بحق المعبر عن أمانيها وآمالها والمدافع عن حقها وحقوقها .

قال المغفور له خليفة سعد ، وحامل لوائه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى إن سعد زغلول كان ناقماً على المستشار أحمد طلعت بك ، وكان مستشاراً بمحكمة الاستئناف ، لأنه رشح نفسه ضده فى الانتخابات . وجاءت الانتخابات معبرة عن إرادة الأمة كأى انتخابات نزيهة تعبر فيها الأمة عن إرادتها الحرة بلا تقيد .

وانتصر سعد زغلول على خصومه وسحقهم سحقاً . .

ولما كان – وفقاً لقانون إنشاء المحاكم الوطنية المعمول به منذ سنة ١٨٨٣ – أنه يجوز لمجلس الوزراء ندب أحد المستشارين بمحكمة الاستئناف لرئاسة إحدى المحاكم الابتدائية . . أراد الزعيم سعد زغلول أن ينتقم من المستشار أحمد طلعت وأن يستعمل هذا الحق المقرر لمجلس الوزراء فى ندب مستشار الاستئناف لوظيفة أقل .

واستدعى سعد زغلول رئيس إدارة قضايا الحكومة لبحث مسألة ندب المستشار ، ولكن رئيس إدارة قضايا الحكومة وكان المرحوم بيولا كازيللى ، أفتى بعدم جواز هذا الندب وقال لسعد زغلول : إنه ليس سعد زغلول القاضى هو الذى يطالب بالمساس بالقضاء ، وليس سعد زغلول القاضى الذى عرفته المحاكم نزيهاً ، هو الذى يهدر حقوق الإنسان ، كما أن هذا النص الوارد فى قانون إنشاء المحاكم الأهلية لابد أن يفسر على ضوء الظروف التاريخية وقت صدوره وسعد زغلول – القاضى منذ ١٨٩٢ والمستشار بعد ذلك – يعرف مثل هذه الظروف ، فلم يكن هناك مستشارون مصريون فى وقت صدور القانون .

واقتنع القاضى سعد زغلول بوجاهة الحجج التى ذهب إليها بيولا كازيللى وصرف النظر عن الموضوع .

البوليس يقبض على كل من يلقى ملبساً على النحاس باشا :

بعد زيارة رفعة مصطفى النحاس باشا لأوربا سنة ١٩٥٠ ، وصل إلى ميناء الإسكندرية واستقل سيارة مكشوفة وإلى جانبه معالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية ، وكان من المعروف أن رئيس الوزراء بالنيابة – عثمان محرم باشا – هو الذى كان يجب أن يجاور مصطفى النحاس باشا أثناء ركوبه السيارة ، ولكن الزعيم كان يريد أن يجعل من فؤاد باشا – وهو عنصر الشباب والدم الجديد فى الوفد – خليفة له ، بشكل يوحى بأن الزعيم إنما يبايع فؤاد باشا بعد انتقاله إلى رحمة الله .

وكان حماس الجماهير كبيراً حتى ألقى الناس على الموكب زهوراً وملبساً وخشى البوليس على حياة الزعيم من الملبس وخافوا أن يكون « قنابل » فألقوا القبض على المستقبلين والذين اشتعلوا حماساً .

واشتكى المعتقلون من سبب الاعتقال إذ لم يكن له من سبب سوى حماسهم وحبهم للزعيم الوطنى .

واستاء مصطفى النحاس باشا ، وكان لا يخشى الموت لإيمانه العميق وأمر بالإفراج عنهم . . وقال لرئيس الحرس :

– اللى يرموا الملبس تقبضوا عليه . . أمال اللى يرمى قنابل تعملوا فيه أيه ؟ . . شيء عجيب ! !

أخلاق الشيخ الكبير :

وأذكر أنه بعد إعفاء رفعة النحاس باشا من الوزارة اثر حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ أن أسندت رئاسة الوزارة إلى رفعة على ماهر باشا واتصل بي بالرئاسة شخص كان يشغل مركزاً دينياً كبيراً فى مجلس الوزراء ، وكان معروفاً بوفديته منذ عهد بعيد ، كما كان لمصطفى النحاس باشا أياد بيضاء عليه وعلى أخويه وكان أزهرياً عريقاً . وسألته :

حضرتك مين ؟

– أنا فلان . . وأشغل الوظيفة الفلانية .

ولكنه سألني . .

– من أنت ؟

وكأنه كان يدرك أن المتكلم شخص آخر غير صاحب هذه الذكريات وكان موقناً بأن المتحدث قد أعفى من منصبه بسبب إقالة مصطفى النحاس باشا .

وآثرت أن أضلله فأنكرت نفسي ، وطلب أن يسمح له بمقابلة رئيس الوزراء وسألته :

– ما سبب الزيارة ؟

– لتهنئة رفعة رئيس الوزراء .

– وما هو العنوان ؟

– إنني أسكن جنب منزل المرحوم

وتبادر إلى ذهني لأول وهلة أن مولانا يقصد المغفور له دوله أحمد ماهر باشا شقيق رئيس الوزراء . . فقلت :

– فى حدائق القبة بجوار المرحوم ماهر باشا ؟

ولكنه لم يتمهل بل قال :

– بل إنني أقصد النحاس باشا

فارتعت قائلاً :

– وهل انتقل النحاس باشا إلى جوار الله ؟

فأجاب ساخراً . .

– لم يمت النحاس باشا ولكن النحاس باشا لن تقوم له قائمة بعد المأساة التى انتهى إليها لقد ذهب النحاس باشا إلى الأبد .

وحزنت ، وأحسست بالألم يعتصرني .

وبكى قلبي على الوفاء ، وترحمت على الأوفياء .

ونقلت الحديث إلى رفعة على ماهر باشا . . وبان على وجهه الاستياء ، وأمر باستدعاء الشيخ وكيل الوزارة الذى هرع لمقابلة رئيس الوزراء لتقديم فروض الولاء والدعاء لرفعته بالمجد والسؤدد .

ولكنه فوجئ بأن رئيس الوزراء يطلب من فضيلته تقديم الاستقالة . . !
وقدم الاستقالة فعلاً . .

النحاس باشا أخلص الناس وطنية :

سألت دولته عن اختيار النحاس باشا رئيساً للوفد ، وهل كان هناك من ينافسه ؟
فقال دولته :

– لقد انتخب مصطفى النحاس رئيساً للوفد بلا منازع ، والحقيقة التى يجب أن يعلمها أبناء هذا الجيل أن مصطفى النحاس كان من أخلص الناس وطنية ومن أكثرهم فهماً للقضية المصرية والشيء الذى كان يؤخذ على النحاس باشا . . شدة عناده وربما كان محمدة فيه . . قلت :

– وما هى أسباب انشقاق السعديين وانفصالهم عن الوفد وخروج أحمد ماهر والنقراشى. فقال دولته :

– مشروع خزان أسوان ، وقد لعب مكرم باشا عبيد دوراً كبيراً أدى إلى هذا الانشقاق ، كان مكرم يخشى ماهر والنقراشى ، وكان وثيق الاتصال بالنحاس باشا فى غدواته وروحاته ، وجاء مشروع خزان أسوان فوقع الخلاف الذى انتهى بهذا الانقسام .

. . .

لقد كانت شركة بريطانية تقدمت بعطاء عن مشروع كهربة خزان أسوان ، ورأت أغلبية مجلس الوزراء أن يتم الاتفاق على هذا المشروع بالممارسة . ولكن النقراشى باشا ومحمود غالب باشا ومحمد صفوت باشا والفريق على فهمى باشا رأوا أن مشروعاً كهذا لا يصح أن يبت فيه بالممارسة ، بل لا بد أن يعرض فى مناقصة عالمية . وهنا رأى النحاس باشا أن تستقيل الوزارة ليعيد تشكيلها من جديد مستغنياً عن النقراشى وغالب وصفوت وعلى فهمى .

وهنا . . ظهر الرأى المخالف للطريقة التى اتبعت فى إقصاء الوزراء عن مناصبهم لا لشيء إلا لأنهم استمسكوا برأى ، وهو ولا شك أقرب إلى المصلحة العامة وإلى الطمأنينة للجماهير على سلامة تصرف الحكومة فى أموال الدولة .

وعندى فوق ذلك أن الخلاف الشخصى الداخلى فى الوفد بين مكرم باشا صاحب النفوذ الظاهر المستمر على النحاس باشا وبين النقراشى وهو من عمد الوفد الأصلية وحراس مبادئه القوام على تنظيمه قد فعل فعله فى تغيير النفوس وتهيئتها لانتهاز أول فرصة للتخلص من تشدد النقراشى فيما يراه حقاً واستعمال حقه هذا فى مصارحة الرئيس ولو كان على غير رأيه .

وقد انضم إلى النقراشى (٦٨) من أعضاء الهيئة الوفدية وكان هؤلاء من أصلاء الوفديين الذين أسهم أكثرهم بنصيب فى الحركة الوطنية .

واضطر الوفد أن يسد هذه الثغرة فملأها ، ولكن من أناس بعضهم لم يكن له سابقة جهاد بل كان بعضهم حرباً على الحركة الوطنية . . ولا داعى لذكر أسماء . .

بل إن من أعضاء الهيئة الآخرين من قدم استقالته وأعطانى إياها أمانة وبقيت فى جيبى بضعة أيام وجاءونى بعدها يطلبون هذه الاستقالة فسلمتها اليهم دون أى محاولة للتشهير بواحد منهم أو الكشف عن أسمائهم .

كان من نتيجة هذا أن تكاثر الناس فى دهشة واستغراب يتساءلون . . كيف يفصل عضو من أعضاء الوفد كالنقراشى وهم يرونه من كيان الوفد الأصيل ، لا كأى فرد أو عضو من المنتسبين !

وانقسمت الآراء فى الهيئة الوفدية مستنكرة هذا التصرف ، وكان من أثر ذلك محاولة بذلها مكرم باشا ليغطى أثر الجرح الذى ضج الوفد منه . . فعرض على النقراشى – عضوية مجلس إدارة قناة السويس والمرتب الضخم والامتيازات الكثيرة ، ولكن النقراشى رفض هذا كله وكان له تصريح فى كلمات أنه لا يطلب إلا حكماً صالحاً .

ونفخ النافخون فى نار الخلاف ونتج عن ذلك فصل النقراشى من الوفد ، ولكن ماهر باشا أعلن فى اجتماع الوفد أنه لا يلتزم بهذا القرار وأنه يعتبر النقراشى دائماً عضواً فى الوفد من حقه أن يطلعه على كل مداولاته وأسراره فقبل الوفد ذلك ولم يعترض على ذلك مصطفى النحاس باشا أو مكرم . . وكان هذا طبيعياً تفادياً لمضاعفة الأثر بخروج ماهر مع النقراشى فى وقت واحد .

فقلت له :

– أود يا سيادة الرئيس أن تذكر لى الظروف التى جاءت بوزارة الدكتور أحمد ماهر باشا . بالحكم عام ١٩٤٤ .

. . فأجاب دولته :

– كانت الظروف كلها فى ذلك الوقت تدعو إلى تغيير الوزارة ولا داعى لذكر الأسباب وتولى أحمد ماهر الوزارة وألف هيئة استشارية من جميع الأحزاب غير الوفدية ومن بعض المستقلين للمفاوضات مع بريطانيا ، ولكن لم يقدر لهذه الهيئة أن تمارس المهمة التى شكلت من أجلها فقتل أحمد ماهر فى البرلمان وتولى النقراشى من بعده الحكم ، ولم يتم شئ فى هذا الموضوع ثم تولى صدقى باشا الحكم فاتصل بالإنجليز ووافقوا على المفاوضات وبعثوا اللورد « ستانسجيت » وجرت بين الاثنين مباحثات تمهيدية ، وبعد ذلك اشتركنا مع صدقى باشا فى الحكم وتوليت أنا – وزارة الخارجية – وسافرنا إلى إنجلترا وعقدنا جلسة طويلة واحدة مع مستر « بيفن » وزير خارجية إنجلترا فى ذلك الحين تم الاتفاق فيها على جميع أسس الاتفاق الجديد أو مشروع المعاهدة – سمها كما شئت – وقد كان انطباعى عن هذه الجلسة لشخصية مستر بيفن أنه كان رجلاً مستقيم الطريق واضح الغاية وكان يقصد فعلاً إلى إنهاء الوضع القائم على أسس يتحقق معها استقلال مصر مع تنفيذ الجلاء .

وفى هذه الجلسة تحددت المسائل واضحة والجلاء بنوع خاص وعلى أساس أن يكون فى مدى محدد وقد طلبت بالذات تحديد يوم الجلاء من الشهر والسنة فوافق وحدد اليوم التاسع عشر من سبتمبر سنة ١٩٤٩ وقد عرض مستر بيفن مشروعه على مجلس الوزراء البريطانى مصحوباً باستقالته إذا لم يوافقه المجلس عليه .

وفى هذا الوقت كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة منعقدة وكان مستر بيفن سيحضرها بصفته وزير خارجية بريطانيا فرجانا كل الرجاء وألح فى ذلك كثيراً بألا ندلى بأية تصريحات من قريب أو بعيد عن مضمون المشروع حتى يعود من هيئة الأمم قائلاً لأنكم لا تعلمون أن مجلس الوزراء البريطانى وافق على المشروع

مرغماً وتحت التهديد بالاستقالة وذلك دفعاً لأية محاولة لهدمه من جانب الكارهين وغير الموافقين عليه أو من جانب الذين وافقوا مكرهين تحت الضغط والتهديد ، بالاستقالة . . وقد يتيسر هذا فى غيابى لعدم وجود من يدافع عنه .

والواقع – فى رأيى – أنه كان اتفاقاً عظيماً مشرفاً حتى إن بعض المصريين الذين عرفوا بمضمون هذا الاتفاق دهشوا للتوفيق الذى حصل عليه المفاوضون المصريون فأخذوا يزايدون والعجيب أن لطفى السيد باشا – كان أحد الوزراء الذين وافقوا على المشروع وكان أحد أعضاء هيئة المفاوضات ثم انضم إلى المعارضين منهم وكان صوته هو المرجح لرفض الهيئة للمشروع .

المهم أن بعض الصحفيين المصريين أذاعوا على لسان صدقى باشا عبارات انتهزها خصوم الاتفاق فى إنجلترا وفى مصر مما حمل مستر « أتلى » رئيس الوزارة البريطانية أن يصدر بياناً فى غيبة مستر بيفن يقول فيه : إن صدقى باشا أعطى بيانات مضللة وكان هذا هو النذير بفشل المفاوضات .

وعاد بيفن حزيناً ، لم يستطع أن يصلح ما قد فسد ، وظلت المرارة فى نفسه عند مروره قبل وفاته بالقاهرة فى عهد حكومة سرى باشا وصرح بأنه آسف وحزين لضياع هذا الجهد ، ويقول فى معرض تأييده للوفد . . لقد أخطأنا المفاوضة مع حكومات الأقليات .

حديث خاص مع دولة إبراهيم عبد الهادى باشا :

وقلت للرئيس السابق إبراهيم عبد الهادى :

– ألم يجدد الإنجليز معكم المحاولة مرة أخرى حينما توليتم الوزارة عام ١٩٤٩ ؟

– نعم حدث . . وبعد أشهر قليلة من توليتى الوزارة وصلنا إلى حالة هدوء داخلى كامل بعدما انحسرت موجة الجريمة التى اجتاحت البلاد ، يومئذ زارنى الأستاذ حسن يوسف وكيل الديوان الملكى وأبلغنى أن المارشال سليم قائد قوات الإمبراطورية موجود ويريد أن يستأنف مع الحكومة المصرية محادثات فى شأن العلاقات بين مصر وإنجلترا ، فرحبت بذلك واتفقنا على أن ندعوه

للعشاء بقصر الزعفران واستجاب الرجل للدعوة والتقينا بغير ضجة أو ضوضاء . . وحضر معنا خشبة باشا وزير الخارجية وحسن يوسف باشا ومحمد حيدر باشا ، ومن الجانب البريطاني المارشال سليم وآخر .

بعد العشاء اجتمعت والمارشال سليم على انفراد فعرض وجهة نظره التي تقضي بإقامة أساس لتأمين الشرق الأوسط من خطر العدوان الأجنبي . . فكان ردي عليه بأن ذكرته بمفاوضاتنا السابقة مع الحكومة البريطانية عام ١٩٤٦ ، وأن هذا الموضوع بذاته أشير إليه يومئذ وانتهينا فيه إلى نتيجة ، كنت أحد الموقعين عليها وإن كان هناك جديد ، أرجو أن يسلم إليّ مكتوباً .

فاستجاب وأرسل إلى مذكرة لا يخرج ما فيها عن شيء مما سبق أن صفيناه في مباحثات (صدقي - بيفن) عام ١٩٤٦ .

وقد شرحت له وجهة النظر المصرية مرة أخرى على أساس أن الاحتلال أصبح فوق كونه مكروهاً فإنه لا فائدة فيه إلا إثارة الكراهية زيادة عما هي وعدم التصديق لأي عهد تتعهد به إنجلترا طالما كان الاحتلال قائماً .

ولكنه أراد أن يجعل من وجود أسلحة ومعدات ضخمة في القاعدة في فايد والسويس ولها مخابئ تحت الأرض ومنها أجهزة كهربائية معقدة ليس من السهل استعمالها بغير خبرائها مبرراً لبقاء هؤلاء الخبراء في القاعدة .

فرددت عليه بأن ذلك لا يستوجب بقاء جيش ، وبما أننا ننوي أن نكون عند وقوع حرب حلفاء فلا بأس من أن تبقى هذه الأجهزة أمانة لدينا كحلفاء لكم ، فإذا وقعت الحرب يمكن أن تكون معدة للاستعمال .

فكان جوابه : نحن لا نأمن عليها غير رجالنا .

فرددت عليه بقولي :

- بأن من لا يؤتمن على بعض أسلحة ، فكيف يؤتمن على أن يكون حليفاً ومادام الأمر كذلك فارفعوها واحملوها إلى حيث تشاءون .

. . فوافق على ذلك .

وقد عينا من قبلنا خبراء مختصين مصريين لتحديد المدة اللازمة لنقل هذه المعدات

والأسلحـة ونقلها وهم : القائمقـام أحمـد حمدى هيبـة - وكان معروفاً بأنـه من أوسع الضباط الكبار علماً ومعرفة - كرئيس للمجموعة المصرية يعاونه البكباشى عز الدين عاطف - للسلاح البحرى والبكباشى إبراهيم جزارين - للطيران وصلاح جوهر ، واجتمعوا بالخبراء البريطانيين وجاءوا بتقريرهم .

وفى هذا التقرير تحديد للمواعيد التى يتم فيها الجلاء البرى والبحرى والجوى ، أما ما يتعلق بمهمات البحرية والطيران فأمر لا يستغرق حمله أكثر من أسبوعين . وأما المخازن الأخرى فهى تحتاج إلى ستة أشهر .

ولكن الجانب البريطاني لم يوافق على هذا التقرير وحاول المارشال سليم أن يكون الرأى القاطع فى تقرير ذلك من الحكومتين ، فتمسكت بقرار العسكريين وقلت :

- إن كل حكومة تستشير من خبرائها العسكريين من تختار ولكن المفاوضات والقرار النهائى شأن الحكومة وحدها .

وقفت الأمور عند هذا الحد ،ثم أرادوا بعثها بعد ذلك بقليل فتمسكت بوجهة النظر السابقة ، ولكنهم أرسلوها كلمة نقلها إلى الطيار إبراهيم جزارين إذ جاءني يقول إنه حدث فى الاجتماع الأخير أن رئيس المجموعة الإنجليزية قال :

- إن من يتمسك بهذا الرأى يجب أن يكون فى غنى عن مركزه .

. . وكان هذا التبليغ بحضور الضباط الثلاثة .

فطمأنتهم بأن هذا الكلام ليس موجهاً إليكم أنتم بقدر ما هو موجه إلىّ كرئيس للحكومة ، ثم عقبت على ذلك قائلاً :

- ومع ذلك ، فإن حدث لأحدكم ضرر ، أعاهدكم أن لقمة العيش التى عندى ستكون قسمة بينكم وبينى .

كل هذا يعلمه السيد إبراهيم جزارين والسيد عز الدين عاطف والسفير الحالى صلاح جوهر ورحمة الله عليه : أحمد حمدى هيبة .

علاقات الملك وإبراهيم عبد الهادى باشا :

وقلت للرئيس السابق إبراهيم عبد الهادى :

- أريد أن تحدثنى عن سبب أو أسباب إعفاء الملك لكم من الوزارة ، ولم تمض فى الحكم إلا سبعة أشهر . . إن لم تخنى الذاكرة ؟

فقال :

- لقد وضعت تشريعاً يقضى بالحكم على من يضبط معه سلاح بخمس سنوات سجن فضبط مصطفى كمال صدقى وكمال يعقوب على ما أذكر ، وقدما للمحاكمة فحكمت المحكمة على مصطفى كمال صدقى بخمس سنوات .

ولما كان الحكم لا يصبح نافذ المفعول إلا إذا صدق عليه الحاكم العسكرى وبعد الحكم مباشرة جاءنى حسن يوسف وقال لى :

- إن مولانا يريد عدم التصديق على الحكم .

فقلت له :

- بلغ مولانا أن هذا ليس من مصلحته كما أننى لا أقبل هذا لأننى أنا واضع التشريع ولا أستطيع أن أهدره بنفسى فى بدء تطبيقه فذلك أمر عسير على نفسى ، ولا أستطيع مطلقاً أن أهدم قانوناً أنا مشترك فى وضعه . . دامش ممكن . . مستحيل . . قل لمولانا هذا . . . هذه أول مسألة أغضبت الملك .

والمسألة الثانية . . أنتم كلكم تعرفون أن عثمان باشا المهدى ضابط كبير ورجل طيب الله يرحمه ويحسن إليه . . رشحته السراى ليكون رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش ، ولكنى كنت أرى أن فؤاد صادق باشا أصلح لهذا المنصب كقائد محارب ، ولكن حيدر باشا – كما علمت – أفهم الملك أنه لو تم تعيين فؤاد صادق فسيكون كعرابى باشا ، وتفادياً للحرج ووفق على تعيين عثمان المهدى باشا رئيساً للأركان مع وعد بتعيين فؤاد صادق مفتشاً عامًّا للجيش .

ويقضى القانون بأن من يعين فى وظيفة مدير عام فما فوق يكون بمرسوم ترفعه الحكومة إلى الملك للتصديق . . فوضعت المرسوم وصدق عليه الملك – وبعد حوالى شهر ونصف

من تاريخ صدور المرسوم علمت من الأستاذ كامل سليم بك – سكرتير عام مجلس الوزراء يومئذ وهو رجل أمين – أن السراى طلبت منه إرسال المرسوم الخاص بتعيين عثمان المهدى رئيساً للأركان . فرابني هذا الطلب لأن السراى لديها – ولاشك – صورة من هذا المرسوم فى محفوظاتها ، فلماذا . . وما هو الداعى لطلب النسخة الأصلية من المرسوم ؟ لذلك أبديت له عدم موافقتى على إرساله .

وفى اليوم التالى جاءنى حسن يوسف باشا – فكرر الطلب ، فلم أوافق لعدم اقتناعى بذلك وقلت له :

– إذا كان المراد الاعتراض على عثمان المهدى فذلك جاء متأخراً ، لأن تعيينه حدث وجرى بموافقة الملك ، فما الذى جد فى هذه الفترة القصيرة ليبرر العدول عن هذا؟ والموافقة على ذلك تضييع لحق قانونى دستورى لا أوافق عليه لأنه اختلاس لحق الأمة ، وما دمت لم أفكر فى أن أختلس لنفسى شيئا فلا أظن أن أحداً يحملنى على أن أختلس لصالح الملك شيئاً .

. . وقد تكرر طلب هذا المرسوم فى اليوم التالى بواسطة كريم ثابت ورددت عليه بنفس الرد ، والحمد لله الذى أنطق بهذا كريم ثابت نفسه فى مذكراته التى نشرتها إحدى الصحف فى هذا العهد وهى جريدة الجمهورية .

. . ثالثا – المحروسة والاعتماد الخاص بها . .

جاءني حيدر باشا بعد أن انتهينا من وضع الميزانية واقترح حسين فهمى وزير المالية إذ ذاك كما انضم لحيدر باشا أن يكون الاعتماد الخاص بالمحروسة اعتماداً خاصاً غير داخل فى ميزانية وزارة الدفاع .

ولما عرض على اللجنة المالية فى مجلس النواب لقى ما يستحق من معارضة فجاءنى حيدر باشا يعلن أنه غير قادر على إقناع اللجنة المالية التى طلبت حضور رئيس مجلس الوزراء شخصياً .

فذهبت وأدركت خوف اللجنة المالية التى كنت أشاركها فى وجهة نظرها وتداولت معها (اللجنة) وأعطيت كل الضمانات التى ترى فيها كفالة وصيانة لعدم تمكين أى راغب فى التلاعب بالاعتماد ، واستقر الرأى على أن يُعهد إلى رئيس مجلس الوزراء

شخصيًّا الإشراف على هذا الاعتماد وأن يكون التصرف فيه قائماً على أساس تقرير من خبراء دوليين يقررون أن إصلاح يخت المحروسة خير من شراء قطعة بحرية جديدة تنوب عنه ، وذلك لأن المتقدمين من قبل البحرية بطلب الاعتماد ادعوا أن هيكل المحروسة من مواد صلبة وأمتن من المواد المستعملة فى السفن من أمثالها فى الوقت الحاضر وأن تطرح العملية على شركات عالمية للمناقصة .

ووافق مجلس النواب على هذا كما وافق عليه مجلس الشيوخ كذلك ، ولما وافق عليه مجلس الشيوخ كنت قد خرجت من الوزارة ولم يجر أى تصرف فى هذا الاعتماد فى مدة حكمى .

ولما جاءت وزارة حسين سرى أهملت كل هذه الشروط والقيود ونفذ الاعتماد .

وفى عهد حكومة الوفد كذلك صرف مبلغ فرق دولارات زيادة .

حكاية المحروسة هذه كانت ذات أثر فى نفس الملك ، وقد لوح لهذا فى المأدبة التى أقامها للوزراء عند السفر إلى الإسكندرية قبل الاستقالة بأيام حيث عرض الحديث على المائدة أن الموسيقى التى تسمع ألحانها هى موسيقى المحروسة وبأثر هذه القضية على نفسه شهد الأستاذ حسن يوسف عرضاً أمام إحدى الهيئات القضائية فى المحاكمات التى جرت خلال هذا العهد – بأن حكاية المحروسة هذه كانت من أشد ما أغضب الملك على الوزارة ورئيسها .

وقد فاتنى أن أذكر الصدى الذى نتج عن عدم الموافقة على إلغاء محاكمة مصطفى كمال صدقى ومبلغ ما ترك من الغضب فى نفس الملك حيث لم أقبل رغبته فى عدم المصادقة على الحكم فقد تذكرون أن زميلى فى الوزارة مصطفى مرعى – وكنت أشركه فيما يختص بالأحكام العرفية – قد استقال من وزارة حسين سرى التى تلت وزارتى فى الحكم ، وكان من بين أسباب هذه الاستقالة ما أراد سرى باشا أن يشركه أو يورطه فيه من عدم التصديق على الحكم المشار إليه فرفض مصطفى مرعى واستقال .

أعود فأقول : إن حسن يوسف يقول لى :

– مولانا عاوز المرسوم الخاص بتعيين عثمان المهدى .

فقلت له :

– مولانا عاوز . . مولانا يا حسن باشا . . مولانا على عينا وراسنا ، لكن تسليم مرسوم مثل هذا للسراية يبقى معناه إيه ؟

وذهب إلى كامل بك سليم سكرتير عام مجلس الوزراء وقال له :

– إن مولانا عاوز مرسوم عثمان باشا المهدى .

فجاءنى كامل سليم بك وأبلغنى ما قاله حسن يوسف فقلت له :

– هذه وثيقة من وثائق الدولة وهى أمانة عندك ، وأنت المسئول عنها .

. . وقلت له كلاما آخر . . لاداعى لذكره .

جاءنى حسن يوسف وأعاد على نفس الطلب فقلت له :

– لما يكون فيه مستند عندى وعاوزين صورة منه ممكن . أما المرسوم الموقع من الملك فلا . . وأنا أفهمتك هذا .

فقال :

– مولانا عايزه . .

فقلت له :

– عاوزه ليه يا سيدى ؟ علشان يغيره بأمر ملكى . . إزاى يا حسن باشا . . الناس يقولوا إيه ؟

الراجل بتاعكم وانتم طالبينه بالذات ونفذنا الطلب . . إيه تانى ؟ عاوزينى أسرق حق دستورى من حقوق البلد علشان أديه لكم ؟ وأنا مابسرقشى لنفس الحكاية . . مرسوم ملكى يصبح أمر ملكى . . ؟ دا شيء ؟ غير معقول .

بعد الظهر كلمنى الملك فى هذا الموضوع بالتليفون قائلا :

– سعيدة

فرددت عليه :

– سعيدة مبارك يا مولانا . .

قال :

– إيه الحكاية بتاعت عثمان المهدى ؟

قلت :

– تم تعيينه للأركان كطلب مولانا .

قال :

– لا . . الموضوع اللى كلمك فيه حسن . .

قلت :

– لن أوافق يا مولانا على هذا الرأى ، لأنه ليس من مصلحتك ولا من مصلحة البلد ثم الناس تضحك علينا يا مولانا . . الحاجة اللى عملناها وصدق عليها الملك نرجع فيها تانى بعد شهر واحد . . !

. . فسكت . . وقبلها . .

والواقع أننى أحسست أن فى الجو شيئاً غير عادى فاستصدرت جميع القوانين التى أريدها ، وسافرنا إلى الإسكندرية وعزمنا الملك على الغداء فى قصر المنتزه ثم انتقلنا إلى التراس المطل على البحر وكان الملك عنده قدرة كافية فائقة فى الحديث اللطيف إن شاء ، وأن يأتى ببعض الطرائف والأشياء مما يؤنس الجالسين معه ، وحرصاً منه على أن يضفى على الجلسة جوًّا عائليًّا صرفاً أحضر الأميرات ليسلمن علىّ .

وكان قبل هذا تناثرت الأحاديث بأن وزارتي ستستقيل بعد أيام ، فكنت أؤكد لمن يفاتحنى فى هذا بأن الوزارة قوية وتسير وفق البرنامج الذى وضعته لنفسى ولا أنكر أننا قضينا وقتاً جميلا فى ذلك اليوم .

وبعد بضعة أيام أقام مأدبة فى سراى رأس التين لأعيان ووجهاء الإسكندرية وكنت أحد المدعوين . . فمال الملك على أذني وقال لى :

– حتعمل إيه فى الإخوان المسلمين ؟

قلت :

– اللى يعمل حاجة تستحق المحاكمة بنقدمه للمحاكمة وبعضهم فى المعتقل .

فقال :

– بلغنى أنكم تضربونهم .

قلت :

– هذا غير صحيح . . دا بعضهم تزوج فى المعتقل وأعطينا لهم حق شراء كل ما

يحتاجون إليه من المتعهد ، خلافاً للتعيينات المقررة لهم .

.. فقال كلاماً آخر .. رددت عليه بأن هذا طبيعة الخصوم السياسيين عندما يريدون التشهير بالحاكم .

وخرجت من عنده وأنا على يقين بأن ما قاله هو حيثيات الحكم لخروجى من الوزارة ..

.. وقد كان ..

عندما طلبت من الملك ..
إطفاء النور

عندما كانت الوزارة تنتقل من مقرها الصيفى بالإسكندرية إلى قصر عابدين قبل الثورة – كان يصدر بيان من كبير الأمناء يحدد فيه موعد الانتقال إلى القاهرة .

وأذكر أنه حدد يوم أول نوفمبر سنة ١٩٥١ لانتقال الحكومة إلى العاصمة كما حدد يوم السبت ٣ نوفمبر سنة ١٩٥١ لإقامة مأدبة غداء يحضرها رئيس الوزراء بعابدين .

وفى يوم الخميس أول نوفمبر سنة ١٩٥١ – وكنت أقود سيارتى بشارع إبراهيم باشا (الجمهورية حالياً) عند تقاطعه بشارع الساحة (رشدى باشا حالياً) فوجئت بسيارة واقفة ويخرج منها نور قوى يبهر البصر ، فأخذت أنبه قائدها إلى إطفاء النور عن طريق إضاءة وإطفاء نورى ، ولكن قائد السيارة لم يستجب وسدد الكشاف إلى عينى مما جعلنى لا أتبين طريقى .. واضطررت – عند فتح الإشارة – أن أكسر عليه ، وبصوت عال صحت به :

– ما تفتح يا أخينا ..

وهنا صدمت عندما شاهدت الملكة ناريمان بجوار السائق ، فعلمت أنه الملك ..

وأصابنى دوار أشبه بدوار البحر ... وذبت خجلا .. ثم وجدت جندى المرور يوقف سيارتى ليطلب منى رخصة السيارة ورخصة القيادة .. ونبهنى أننى قد شتمت الملك .. وحاولت أن أدافع عن نفسى وقلت له :

- إن سائق السيارة المضيئة ليس الملك لأن الملك سوف يشرف العاصمة صباح السبت كما جاء فى الصحف وهو الآن مازال بالإسكندرية .

ولكن دفاعى لم يجد وأخذ منى رخصتى القيادة والسيارة بعد أن عطلنى الجندى حوالى نصف ساعة .

وفى اليوم التالى اتصلت بالأخ اللواء حسن مشرفة مدير المرور مستفهماً عما تم فى طلب القصر مصادرة السيارة بعد حادثة الأمس .

ولكنه أخبرنى بأن أحداً لم يتصل به .

وذهب النحاس باشا يوم السبت ٣ نوفمبر سنة ١٩٥١ لحضور مأدبة الغداء بالقصر وكنت أثناء ذلك مترقباً ما سوف تأتى به الأيام ومنتظراً أن يصدر أمر ملكى بإحالتى إلى المعاش أو نقلى إلى أسوان وهذا أضعف الإيمان .

ولكن لم يحدث . .

ومرت الدقائق وكأنها سنوات . .

وعاد النحاس باشا من القصر واتصل بى فى المنزل وطلب منى أن أتوجه غداً فى الصباح لمقابلة معالى عبد اللطيف باشا طلعت كبير الأمناء لأمر هام . . بناء على طلب الملك شخصياً .

ويعلم الله ، كيف مرت على هذه الليلة الليلاء ، إذ استبدت الهواجس بنفسى ودارت برأسى الظنون ، وقلبت الأمر من جميع وجوهه ، فلم أجد سبباً إلا واقعة شتمى أو سبى للملك .

وتوكلت على الله . . وليكن ما يكون . . وقابلت معالى عبد اللطيف باشا - فى يوم مازال مسجلا فى ذاكرتى وهو الأحد ٤ نوفمبر سنة ١٩٥١ - الذى بادرنى بابتسامة لطيفة وقال لى :

. . إن مولانا يطلبك للعمل بالقصر .

وفوجئت بذلك . وخشيت أن يكون طلب العمل بالقصر وسيلة للانتقام من شخصى . . ولكنى خشيت أن أرفض فأزيد الطين بلة .

ووافقت ، ولكن قلت لعبد اللطيف باشا :

- أرجو أن تبلغ مولانا شكرى وتقديرى ، غير أنى لا أريد أن أترك رفعة النحاس باشا ، إذ أن لرفعته مآثر كبيرة علىّ ، كما أننى ربيت فى بيت النحاس باشا .

وخرجت من القصر . . ثم نقلت ما دار إلى رفعة النحاس باشا فقال . :

- يا ابنى هناك أحسن لك ، وانت عارف أن احنا يوم هنا ويوم فى الشارع أما هناك ففيه استقرار .

ولكنى قلت له :

- سوف أتحمل المصير الواحد .

ولم أكن أدرى . . ماذا سوف تخبئه الأيام ، إذ لم تمض سنة واحدة حتى قامت الثورة وأعفى بعض رجال الحاشية الملكية من مناصبهم ، كما أننى أصبحت من أشد الناس إيمانا بأن الله يرتب الحوادث كما يشاء وأن الرزق بيده - سبحانه وتعالى .

وكما تقول الآية الكريمة : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » .

لماذا نفذت الثورة الحكم على فؤاد سراج الدين ؟

بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ حاول الرئيس جمال عبد الناصر الاتصال بالسياسيين لمعرفة رأيهم فى حل الأحزاب السياسية . وقد وافق المرحوم حسن الهضيبى مرشد الإخوان المسلمين على حل الأحزاب .

ويقال إن عبد الناصر عارض إلغاء الأحزاب بعد ذلك .

وقد حاول الإخوان منذ بدء الثورة احتواءها ، وذهب وفد منهم لمقابلة اللواء محمد نجيب ودامت المقابلة أكثر من ثلاث ساعات .

واجتمع بهم وقتئذ جمال عبد الناصر مرحباً . . وفى هذه الأثناء اعتقل فؤاد سراج الدين ووجهت إليه اتهامات كان من الراجح أنه برئ منها . وحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاما .

ويبدو أن هناك عاملا خارجياً فى الحكم على فؤاد سراج الدين بهذه العقوبة ، وكانت حكومة الثورة تخشى من إطلاق سراح سراج الدين باشا وهو من أقوى الشخصيات

السياسية وسكرتير لأكبر الأحزاب السياسية التى عرفتها البلاد فى تاريخها الحديث .

كما أن تنفيذ الحكم فى سراج الدين باشا كان مرده أيضاً إلى عامل داخلى تمثل فى الصراع الذى نشب بين الإخوان المسلمين وبين الثورة ، وكان لابد من القضاء على كافة خصوم الثورة قبل الانقضاض على الإخوان المسلمين ، وصدق على الحكم الصادر بعقوبة فؤاد باشا من مجلس الثورة دون تعديل ، وكان الصاغ كمال الدين حسين معارضاً فى هذا الحكم بعد أن اعترض عليه اللواء نجيب نفسه فثار عبد الناصر على كمال الدين حسين ثورة شديدة قائلا :

– إن الوفد إذا كان بريئاً فلا بد من عودته إلى الحكم .

واستمرت المداولات بين أعضاء مجلس الثورة وقتاً ليس بالقصير وانتهت بتراجع الأعضاء جميعاً عدا كمال الدين حسين الذى أصر على البراءة وصدر قرار المجلس بإجماع الآراء فيما عدا رأى العضو المعارض .

وأذكر أن اللواء نجيب رفض أن يقابل السيدات شقيقات فؤاد باشا خشية أن يتأثر بالمقابلة ، وقد ظل سراج الدين باشا عامين فى سجن الأجانب قضاهما فى غرفة بها ثلاجة وراديو وكانت زيارته مفتوحة .

اتصال الوفد
بالضباط الأحرار ومحمد نجيب :

وقد حدث فى أكتوبر سنة **١٩٥١** بعد إلغاء معاهدة **١٩٣٦** أن اتصل بعض الضباط الأحرار بمعالى فؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية وقتئذ من بينهم قائد الجناح وجيه أباظة والبكباشى أحمد أنور ودار حديث بين الوزير والضباط فى منزله حول إلغاء المعاهدة ، والموقف المشرف للحكومة وتصعيد حركة المقاومة ضد الإنجليز .

وأخبر الضباط الوزير بإمكانه الاعتماد على الجيش وأن الجيش لن يسمح للملك بالانقلابات الدستورية . .

فقال فؤاد باشا :

– ان هذا موقف عظيم منكم . . ونحن لا نريد من الجيش أكثر من ذلك . . ولكننا

لا نريد أن يعمل الجيش بالسياسة . . كما أن موقف الحكومة من الملك واضح لاخفاء فيه وأنها قادرة على تحمل مسئوليتها التى فرضتها عليها الأحداث . . إما أن تخرج أو يخرجنا ، فإن استقالتنا فى جيبنا . . ويومئذ سوف تعلمون أننا عجزنا . . فاعملوا ما تريدون . .

وكانت، هذه المرة الأولى للقاء الذى تم بين فؤاد باشا سراج الدين والضباط الأحرار . . ولم يكن يعلم أنهم من الضباط الأحرار أو أنهم ينتمون إلى تشكيل ثورى فقد كان كلامهم كلاماً عاماً حول أحداث الساعة .

والواقع أن فؤاد باشا كان فى استطاعته أن يعرف من اتصل به ولكنه لم يفعل لإيمانه أنه يتحدث إلى وطنيين دفعتهم وطنيتهم وشبابهم إلى التطوع والتحرك من أجل مصر .

ويذكر فؤاد باشا سراج الدين أنه فى أثناء معركة القنال طلب اللواء نجيب مقابلته وذلك عن طريق الأستاذ الصحفى محمد خالد وحدد مكان المقابلة فى عيادة لطبيب أسنان بشارع خيرت بالسيدة زينب . . وفعلا تمت المقابلة وتوقع فؤاد سراج الدين باشا أن يقول اللواء نجيب معلومات عن حكاية نادى الضباط ولكن اللواء نجيب تحدث حديثاً عاماً .

وقد تساءل فؤاد سراج الدين حول الغاية من مقابلة اللواء محمد نجيب وعلل ذلك أنه يريد إثبات وجوده وخاصة فى المكان الذى تمت فيه وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر ويبدو أن فؤاد باشا اعتقد أن محمد نجيب كان هياباً من الموقف .

وبعد خروج الوفد من الحكم توقع سكرتير الوفد أن يتصل به اللواء نجيب و يمده ببعض المستندات ضد القصر أو الحكومة ، ولكن اللواء لم يفعل وتحاشى الاتصال بالأستاذ سراج الدين .

ثم قامت الثورة وكان رفعة النحاس باشا وفؤاد باشا فى أوربا فعادا إلى القاهرة فى اليوم التالى لقيام الثورة .

وطلب النحاس باشا من سراج الدين باشا مقابلة اللواء نجيب لسؤاله عن الانتخابات والدستور والبرلمان .

وطلب فؤاد باشا بوصفه سكرتير الوفد أن يقابل اللواءنجيب باعتباره رئيساً لمجلس

الثورة عن طريق السيد عيسى سراج الدين وكان من الضباط الأحرار ومن عائلة سراج الدين ويعمل الآن سفيراً بوزارة الخارجية .

ومن المعروف أن بعض جلسات الضباط الأحرار كانت تعقد بمنزل عيسى سراج الدين لقرابته لوزير الداخلية وعدم تطرق الشك إليه ولأن زوجته سيدة تركية لاتعرف اللغة العربية جيداً .

ولكن عيسى سراج الدين أخبر فؤاد باشا أن اللواء لن يقابله لأنه يخشى أن يضعه السياسى الكبير فى جيبه ولكن اللواء طلب إبلاغ معاليه رسالة معينة .

وحدد موعد المقابلة فى منزل اللواء نجيب بحلمية الزيتون وحضر هذه المقابلة جميع أعضاء مجلس الثورة ودامت المقابلة من الساعة الرابعة مساء إلى الساعة الواحدة صباحاً .

ومما يذكر أنه فى هذا اليوم فتش البوليس جريدة المصرى بحثاً عن أصل خبر نشرته الجريدة فى الصباح لهذا اليوم مضمونه أن النية تتجه إلى توفير بعض الوظائف الزائدة على الحاجة .

وجاء الأستاذ أحمد أبو الفتح لمقابلة محمد نجيب ثائراً من عملية التفتيش ، ولكن الضباط هدءوا ثائرته وأكمل الجلسة مع فؤاد باشا والضباط .

وقد دار حوار شيق بين السياسى فؤاد سراج الدين وشباب الثورة حول المسائل الشخصية ثم تطرق فيما بعد إلى الأحداث التى كانت تهم الرأى العام فى هذا الوقت ومن أهمها قانون تحديد الملكية الزراعية .

وكان رأى فؤاد باشا واضحاً وصريحاً . . ومع إيمانه بالمبدأ فإنه ينكر وسيلة تطبيقه .

ويبدو أن الحديث قد أتعب فؤاد سراج الدين فطلب منه صلاح سالم متأدباً أن يجتمع بهم مرة كل أسبوع للتشاور ، كما طلب جمال عبد الناصر أن يبقى فؤاد سراج الدين بالقاهرة .

وفى نهاية الجلسة أقترح أحمد أبو الفتح أن تعقد الجلسة التالية بمنزله .

ولكن هذا الأجتماع لم يتحقق أبداً .

فى اليوم التالى صدرت مجلة « آخر لحظة » وكانت تصدر عن أخبار اليوم ويحررها الأخوان مصطفى وعلى أمين – خبراً مفاده أن فؤاد سراج الدين قد اجتمع

بالضباط الأحرار ثم خرج مصرحاً بأنه وضع أعضاء مجلس الثورة فى جيبه وكان النشر بقصد الإيقاع بين فؤاد باشا ومجلس الثورة .

وبالفعل . . علم فؤاد باشا من الأستاذ أحمد أبو الفتح أن الرئيس عبد الناصر أجل الاجتماع .

وبعد أيام قلائل . . صدر الأمر باعتقال فؤاد سراج الدين باشا بسبب هذا الخبر المدسوس والذى نشرته إحدى صحف أخبار اليوم بقصد توسيع الهوة وإفساد العلاقات بين الوفد . . والثورة .

أزمة بسبب راقصة :

فى صيف ١٩٥١ كان الملك فاروق فى دوفيل ، ووعد جلالته أحد أصحاب الكاباريهات باستقدام راقصة من القاهرة ، تحيي ليالى ألف ليلة فى المدينة الفرنسية الصاخبة .

وتقدمت الراقصة بطلب تأشيرة الخروج من القاهرة ولكن وزير الداخلية رفض السماح لها . . وحدثت أزمة . . بين القصر والحكومة ، وفشلت الحاشية الملكية فى إقناع وزير الداخلية بأن سفر الراقصة لتمثيل مصر فى الخارج إرادة ملكية سامية لايمكن للحكومة إزاءها إلا الطاعة والتسليم .

ولكن وزير الداخلية لم يقتنع ، بل أصر على الرفض إصراراً شديداً .

وأذكر أن الملك بنفسه – أتصل بوزير الداخلية محاولا جعل الوزير يستجيب .

ولكن الوزير رد على الملك بقوله :

– إننى أرفض التصريح لهذه الراقصة لأن فيه مساساً بالعرش ، وأنا أدرى بمصلحة العرش .

واهتزت العلاقات بين السراى ، وفؤاد سراج الدين باشا ، ووصلت إلى حد التوتر الذى ينذر بوقوع شىء للحكومة .

ولكن فؤاد سراج الدين بقى صامداً .

وأشار خصوم الوفد على الراقصة « الملكية » بأن ترفع دعوى أمام مجلس الدولة

ضد وزير الداخلية شخصياً لإلغاء القرار والحكم عليه بالتعويض لمساسه بالحرية الشخصية لإحدى الراقصات .

ورفعت الدعوى بالفعل الراقصة سامية جمال .

وصدر حكم المجلس برفض الدعوى باعتبارها تدخلا فى سلطة الإدارة التى هى أعلم بمصالح البلاد .

ولم تسافر سامية جمال كما طلب الملك .

الدكتور النقيب يمنع النحاس باشا :
من زيارة والدة ناريمان

كانت السيدة أصيلة هانم والدة ناريمان مريضة وتعالج بالجناح الملكى فى مستشفى المواساة ، ولما أبلغت المرحوم مصطفى النحاس باشا أبدى رغبته فى زيارتها فاتصلت باللواء أحمد لبيب الشاهد (زوج أختها) والسيد مصطفى صادق (شقيق زوجها) اللذين كانا فى انتظار المرحوم النحاس باشا على باب المستشفى .

وصعدنا جميعاً إلى الجناح الملكى فاستقبلنا المرحوم الدكتور أحمد النقيب باشا مدير المستشفى ورحب بالنحاس باشا وسأله عن غرضه فأبلغه رغبته فى زيارة أصيلة هانم ، فاعتذر النقيب باشا بأنه لا يسمح لرفعته بالزيارة وذلك بناء على أوامر الملك . فاستاء النحاس باشا وبدا الغضب ظاهراً على وجهه ثم قال :

طيب ننزل نزور زوجة عبد المنعم النحاس . . . وغادر الجناح .

وسارعت إلى غرفة أصيلة هانم ورويت لها مافعله الدكتور النقيب خاصة وأننى أبلغتهم بالزيارة قبل موعدها .

فاتصلت أصيلة هانم تليفونياً مع الملك فى قصر المنتزه فطلب ذهابى إلى هناك فسارعت وقابلت جلالته ورويت له ماحدث فقال :

تروح حالا تجيب رفعة النحاس باشا إلى المستشفى وإذا لم يحضر فسأسجنك .

فقلت يامولانا :

ماينوب المخلص إلا تقطيع هدومه وأنا ذنبى إيه .

فقال :

هذا أمر تروح الآن ويذهب رفعة النحاس باشا للمستشفى .

فسارعت بسيارتى إلى فندق سان ستيفانو وكان المرحوم النحاس باشا يتوضأ لصلاة العصر ففاجأنى قائلا :

إيه اللى حصل ده . . . أنا ما اعرفتش اتغذى وحكمت أعصابى لأنه كان واجب أضرب النقيب بالعصا وأدخل .

فقلت :

أنا حاضر من عند الملك الآن وقد أخبرته بمافعله النقيب فأبلغنى أنه ذاهب بشخصه الآن إلى المستشفى وسيكون فى استقبال رفعتك ، وإذا لم تذهب فسيصدر أمراً بسجنى .

فقال إن السيارة قد صرفت فقلت لرفعته إن سيارتى موجودة فقال :

بتسوق كويس .

فقلت ربنا يسهل وفى ذهنى أننى أتحمل مسئولية كبرى حينما أقود السيارة التى يركبها زعيم البلاد .

وارتدى رفعته ملابسه وذهبنا للمستشفى وصعدنا للدور العلوى حيث الجناح الملكى ، وفتحت باب غرفة أصيلة هانم فوجدنا الملك جالساً ، فلما رآنا وقف وقال :

أهلا مصطفى باشا . . أنا آسف من اللى حصل . . . تصرف النقيب تصرف خاطئ ، وأنا لم أصدر أمراً بعدم الزيارة ، وأنا شاكر أنك حضرت للسؤال عن حماتى ، كما أشكرك على قرار تعديل معاشها وبالنسبة للنقيب إذا لم تقبل اعتذاره يحال الآن إلى المعاش .

فرد النحاس باشا بأسلوبه المعروف :

نقيب إيه ومعاش إيه ياجلالة الملك ، أنا بيقولوا على إننى مغرم بتقبيل السيدات ، وأنا شايف قمر نايم ولسه ماسلمتش عليه ونفسى أقبله ، وجلالتك بتقول حماتى دى صغيرة وزى القمر .

وعن إذن مولانا . .

واتجه رفعته إلى أصيلة هانم وقبلها وألقى بيتاً من الشعر عن الجمال لا أذكره .

فضحك الملك .

وقال النحاس باشا : إننى بعد هذه القبلة نسيت الإساءة التى صدرت من الدكتور النقيب الذى لم يفهم ماقلته له إننى رئيس وزراء ومن حقى التفتيش المفاجئ على أى مستشفى .

هدية الملك للنحاس باشا :

خاتم زمرد :

يوم ١٥ يونيو سنة ١٩٥٠ وفى الساعة الخامسة مساء وصلت إلى جناح المرحوم مصطفى النحاس باشا بفندق سان ستيفانو سلة فواكه من مزارع الخاصة الملكية مع مندوب ملكى قال لى :

هذه السلة هدية من جلالة الملك لرفعة النحاس باشا بمناسبة عيد ميلاده ، فصعدت بالسلة إلى غرفة المرحوم النحاس باشا الذى فتح غطاءها فوجد كمية من المشمش وفوقها علبة مجوهرات ، وفتحها رفعته فوجد بداخلها خاتماً من الزمرد فسألنى رفعته .

الخاتم ده حريمى ولا رجالى . . .

فقلت :

إنه رجالى وإن الملك أرسله هدية بمناسبة عيد ميلاد رفعتك اليوم ولبسه – رحمه الله عليه – فوراً ونادى على المرحومة قرينته وقال لها شوفى هدية الملك فى عيد ميلادى ، عرف أزاى مقاس صباعى ، لازم القلم السياسى بتاعه عارف كل حاجة .

فقالت رحمة الله عليها :

دا جميل خالص أعطه لى .

فقال : هدية الملك لاتهدى ولاتخلع من يدى . .

صحف المعارضة تستغل الخاتم :

ومما يذكر أن بعض الصحف المعارضة للوفد دست أحد مصوريها ليصور الخاتم فى يد المرحوم النحاس باشا عدة صور ، وخاصة « أخبار اليوم » .

وحرصت على أن تنشر هذه الصور بين حين وآخر وتتهم المرحوم النحاس باشا فى نزاهته ، وكيف يستطيع الحصول على ثمن هذا الخاتم .

وكان رفعته دائم الصبر كعادته . .

وإننى أتساءل الآن : هل كان الملك بعد أن ساءت العلاقات بينه وبين النحاس باشا ، وبلغت الأزمات مع الحكومة الإنجليزية غايتها . وراء ماتنشره هذه الصحف التى كانت وثيقة الصلة بالقصر الملكى ، وقد علمت أن الخاتم هدية ملكية .

إننى لاأقطع بذلك بل أشك .

والمعروف أن الملك الراحل – رحمة الله عليه – كان واسع الخيال فى مناوراته .

سرقة حذاء النحاس باشا

فى سنة ١٩٤١ ، كان النحاس باشا يصطاف فى رأس البر ، وكان مولعاً بالسباحة وكان يصطحب كاتب هذه الذكريات فى رياضته المفضلة ، ويضم إلى زمرة مرافقيه الرياضى الكبير إسحق حلمى وابن دمياط البار : عبد المنعم عبده .

وفى أحد أيام الجمع ، والنحاس باشا ومكرم باشا عبيد يعومان فى مياه الجربى . . .

قال النحاس باشا ، مداعباً مكرم عبيد باشا :

– امتى يا مكرم تسلم علشان تصلى معانا الجمعة . .

فضحك مكرم باشا . .

وانتهت فترة الاستحمام ، وخرج النحاس باشا من البحر إلى عشته ، وارتدى ملابسه وذهبنا جميعاً لأداء الصلاة فى دمياط .

واستقبل النحاس باشا ومرافقوه استقبالاً حماسياً حافلا .

وبعد أن أدى رفعته الصلاة ، خرج يفتش عن الحذاء فلم يجده . وكانت حادثة من أطرف الحوادث التى مرت بالنحاس باشا . .

وخرج أهالى دمياط عن بكرة أبيهم ليكسروا حوانيت الأحذية بحثاً عن حذاء ملائم لرفعة الباشا ، ولكنه رفض .

وعاد بالسيارة . . دون حذاء . ! !

وعندما علم بهذا الخبر ، استغرق فى الضحك وقال لرفعة النحاس باشا مداعباً :

وجد مكرم باشا منتظراً فى عشته برأس البر .

– عايزنى أسلم ياباشا ، علشان جزمتى تنسرق ؟

الباشوية للشيخ طه :

فى أثناء المشاورات التى سبقت تشكيل وزارة مصطفى النحاس باشا سنة ١٩٥٠ قابل حسين سرى باشا رئيس الديوان الملكى مصطفى النحاس باشا فى منزله وأبلغه اعتراض السراى على شخص واحد فى هذا التشكيل هو المرحوم الدكتور طه حسين (بك) الذى رشح وزيراً للمعارف وقد برر ذلك بأن الملك يعتقد أن الدكتور طه حسين متطرف ويسارى الاتجاه والتفكير .

وكان طه حسين ينادى بتأميم التعليم وأن التعليم كالماء والهواء ، وقد جعل التعليم الابتدائى بالمجان عندما كان مستشاراً فنياً للمرحوم نجيب الهلالى باشا وزير المعارف فى وزارة الوفد سنة ١٩٤٢ .

وبالرغم من أن طه حسين لم يكن وفدياً ، فقد أصر مصطفى النحاس باشا على ترشيحه تقديراً منه للشيخ طه ، كما كان يطلق عليه مداعباً ، وطلب من رئيس الديوان إبلاغ الملك أن الوزارة إما أن تشكل وبها طه حسين وإما ألا يشكلها أصلا ويعتذر عن عدم تأليفها .

وأصر النحاس باشا على موقفه ، ولم يذعن لرجاء سرى باشا .

وقد نزل الملك على إرادة الزعيم الكبير وعين طه حسين وزيراً للمعارف واستمر يشغل هذا المنصب حتى أقيلت وزارة الوفد .

وطبق فى هذه الوزارة سياسة تأميم مرفق التعليم وصدر قانون بجعل التعليم الثانوى بالمجان ، كما أنشئت جامعة (إبراهيم) وجامعة (محمد على) اللتين أطلق عليهما فيما بعد (عين شمس) و (أسيوط) .

وكانت حكومة الوفد سنة ١٩٤٢ قد أنشأت جامعة فاروق – (جامعة الإسكندرية) فيما بعد .

وأذكر أنه بعد شهور معدودة من تشكيل الوزارة افتتح الملك معهد الصحراء فى مصر الجديدة ، وألقى الدكتور طه حسين فى حفلة الافتتاح خطاباً أشاد فيه بمآثر محمد على وخلفائه على التعليم فى مصر ، وما قدموه من خدمات جليلة فى هذا الشأن .

وكان الملك مسروراً قرير العين ، إذ لم يكد الدكتور طه حسين ينتهى من إلقاء خطابه حتى كان الملك قد منحه رتبة الباشوية وهنأه بنفسه .

وكان طه حسين (باشا) أول وزراء الحكومة الذين منحوا هذه الرتبة وسبق زملاءه الذين لم يكونوا يحملونها بنحو عام كامل .

ترشيح فؤاد سراج الدين رئيساً للديوان الملكى

وأذكر أن أندراوس قال لفؤاد سراج الدين باشا – وكان وزيراً للداخلية – إن الملك يرشح وزير الداخلية رئيساً للديوان الملكى .

ولكن فؤاد باشا اعتذر عن قبول هذا المنصب ، وضحك على مجرد الفكرة وعرف أن المقصود منها هو بث الفرقة فى صفوف الوفد .

فقال أندراوس :

– إن الملك يقول . . إنه إذا عين غير وفدى فإن الوفد يثور ويحتج ، والسوابق على ذلك كثيرة منذ سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤ إلى مصطفى النحاس باشا فى وزارة سنة ١٩٣٦ .

فرد فؤاد سراج الدين باشا :

– إننى أقبل على شرط واحد ، هو أن أحتفظ بعضويتى فى الوفد .

فقال أندراوس :

– لعلك تذكر أنك اعترضت على تعيين إبراهيم عبد الهادى باشا رئيساً للديوان وهو نائب رئيس الحزب السعدى .

فقال سراج الدين باشا (ضاحكاً) :

– يا باشا بلاش حركات . . . أنتم عايزين أخرج من الوفد ، وبعدين أنتهى سياسيًّا وأفقد عضويتى فى الوفد ؟

وكان يستوى لدى فؤاد باشا سراج الدين أن يكون أى شخص رئيساً للديوان لأن قوة الوفد ليست فى القصر ، بل هى فى الشعب .

ولعل ذلك هو ما حدا بالحكومة الوفديه بعدم الاعتراض – بصورة جدية على تعيين حافظ عفيفى باشا رئيساً للديوان الملكى ، فقد كان بعيداً عن الأحزاب .

القصر يرفض تعيين فؤاد سراج الدين نائباً لرئيس مجلس الوزراء

فى أثناء سفر النحاس باشا إلى أوربا فى صيف سنة ١٩٥٠ وكان فؤاد باشا سراج الدين وزيراً للداخلية وسكرتيراً عاماً للوفد المصرى ، كما كان الشخص الذى يؤهل لخلافة مصطفى النحاس باشا فى زعامة الوفد .

وكان النحاس باشا فيما أعلم يزكى فؤاد باشا تزكية خاصة وينزله فى قلبه منزلة الابن ، إذ كان فؤاد باشا يمثل الشباب الذى هيأته الأقدار لأن يتولى دفة الأمور .

وكان وفقاً للتقاليد يتولى منصب رئيس الوزراء بالنيابة أقدم الوزراء ، وهو المهندس الكبير المغفور له عثمان محرم باشا ، وأراد النحاس باشا أن يضفى على فؤاد باشا شيئا من شرعية النيابة ، فاقترح على القصر أن يصدر مرسوم بتعيين فؤاد باشا سراج الدين نائباً لرئيس مجلس الوزراء .

وبالرغم من أن الوفد فى وزارته الأخيرة لم يشرك فيها الهلالى باشا ، فإن القصر قد استشار الهلالى وهو صاحب العقلية القانونية والدستورية الفذة ، فأفتى بقانونية الاقتراح .

ولكن القصر رفض لسبب غير مفهوم وليس ذلك إلا إشاعة الفرقة فى صفوف الوفد .

وأذكر أن فؤاد باشا لم يكترث لذلك ، بل قابل الموضوع بروح الرياضى الذى أدرك مغزاة وفوت على القصر ورجاله ما يرمون إليه .

عثمان باشا محرم يرفض مقابلة السفير البريطانى يوم الجمعة

وفى أثناء سفر النحاس باشا إلى أوربا فى ذلك الوقت كان المرحوم المهندس عثمان محرم باشا وزير الأشغال رئيساً للوزراء بالنيابة .

وأذكر أنه فى يوم الخميس ١٧ أغسطس سنة ١٩٥٠ اتصل بى السفير البريطانى

السير رالف ستفينسون وطلب مقابلة رئيس الوزراء لأمر هام للغاية ، وحدد للمقابلة يوم الجمعة ١٨ أغسطس سنة ١٩٥٠ انتظاراً لوصول رسالة ترد من لندن مساء الخميس ، ويجب إبلاغها فوراً إلى الحكومة ، ولا تحتمل أى تأخير .

وبالفعل اتصلت بالمرحوم المهندس الكبير عثمان باشا محرم ، وعرضت عليه رغبة السفير فرفض معاليه أن يجتمع بأى إنسان حتى لو كان ملكة بريطانيا العظمى يوم الجمعة ، أو أن يخاطب أى إنسان فى العمل أيام الراحة الأسبوعية وطلب إبلاغ رأيه إلى السفير وأن تتم المقابلة صباح السبت التالى ١٩ أغسطس سنة ١٩٥٠، فى بولكلى .

وفعلا ، تمت المقابلة ، وحضر السفير إلى مقر رئاسة المجلس .

وبعد أن انتهت الزيارة ، قال لى عثمان باشا محرم :

– إن السفير البريطانى كان محرجاً لأنه كان يخشى أن تسأله حكومته عن سبب عدم مقابلته لرئيس الوزراء المصرى فى الموعد الذى حدده .

ولكن عثمان باشا قال له :

– أرجو أن تبلغ حكومتك ما أبلغك به صلاح بك . . فلو جاءت الملكة نفسها إلى القاهرة وطلبت مقابلتى يوم الجمعة لاعتذرت .

الملك يعتزم قتل كريم ثابت باشا :

وأذكر ذات يوم ونحن فى بولكلى فى صيف سنة ١٩٥١ ، أن أفضى إلى المرحوم محمد وصفى قائد حرس الوزارات بأن الملك أصدر أمراً بقتل كريم ثابت باشا .

عجبت لهذا الخبر وسألته فى دهشة :

– هل ستنفذ أنت هذه المهمة . . ! ! ؟

فقال مستنكراً :

– لا ، إن الأوامر قد صدرت إلى الحرس الحديدى الملكى لتنفيذ هذه المأمورية ، ولا أعرف الشخص المكلف بها ، وإنما أعلم أنه سوف يغتال بمدفع رشاش هذا اليوم .

. . . وفى صباح اليوم التالى لم يقتل كريم ثابت . ! !

وقابلت وصفى ضاحكاً . . . وأنا أقول :

– إنه لم يقتل ، إن أخبارك أصبحت لا يوثق بها . .

ولكن محمد وصفى لم يفقد ثقته بأمر الملك وأجاب :

– لقد نجا كريم ثابت بفضل صلاح الدين باشا .

وسألته :

– كيف كان ذلك . . . ؟

فأجاب :

– لقد قابل كريم ثابت فى أثناء تنزهه على الكورنيش أمام فندق سان استفانو الدكتور صلاح الدين باشا وزير الخارجية فحياه وأقبل عليه ، وسار إلى جواره متحدثاً . . . وهنا شاهده « المنفذون » فأحجموا عن تنفيذ المهمة خوفاً من قتل وزير الخارجية معه .

. . وهكذا نجا كريم ثابت من موت محقق ، ولا أعلم سبب الأمر باغتياله حتى الآن ، وكل ما أعلمه أن الملك لما علم بنجاته مصادفة رفع غضبه عنه وقال :

– اتركوه . . له عمر . .

موت محمد وصفى قائد حرس الوزارة :

ذات مساء – وبعد منتصف الليل فى أوائل وزارة على ماهر باشا التى تألفت بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ – مر على بمكتبى المرحوم محمد وصفى يرتدى جاكت كحلية وبنطلوناً رمادياً . . وخرجنا ومعنا المرحوم البكباشى رشاد مهنا (ضابط البوليس) للنزهة ، واشترينا مانجو ثم ذهبنا إلى الحسينية لنأكل زبادى من أشهر محل لعمل الزبادى وأمضينا وقتاً سعيداً نستمع إلى نكات رشاد مهنا حتى الساعة الثالثة صباحاً وأوصلنا وصفى إلى منزله وذهب كل منا إلى منزله .

وفى الصباح الباكر اتصل بى المرحوم رشاد مهنا وقال :

– إن مراسلة (سفرجى) وصفى اتصل به وأخبره أنه طرق باب حجرة نومه ولكن وصفى لم يرد . .

فذهبنا مسرعين إلى منزله وفتحنا الباب بالقوة فوجدنا المرحوم محمد وصفى نائماً على ظهره واضعاً رجلا على رجل يقرأ مجلة روز اليوسف . . وقد فارق الحياة .

وقد أشيع أن وصفى مات منتحراً لاتهامه بمقتل عبد القادر طه فى المنيل والشيخ حسن البنا .

وسبب الإشاعة أنه مات منتحراً ، أن وجدت علبة الحبوب المنومة خالية من الحبوب وظنوا أنه ابتلعها كلها .

وأرى إحقاقاً للحق . وقد شاهدته نائماً على سريره ممسكاً بمجلة روز اليوسف ، وتذكرت ليلة وفاته لهونا وضحكنا وتواعدنا على المقابلة فى الصباح . . كل هذه الشواهد تجزم بأنه مات بسكتة قلبية لا منتحراً .

القسم السياسي يراقب الدكتور يوسف رشاد :

ذات يوم –وبعد منتصف الليل– وكنت أقطن بجليمونوبلو برمل الإسكندرية فى أثناء انتقال الوزارة إلى الإسكندرية للمصيف فى أغسطس سنة ١٩٥١ –أخبرني « السفرجى » أنه سمع من اثنين يجلسان تحت نافذة منزلى أنهما فى انتظار ارتكاب جريمة قتل خصوصاً أن معهم سيارة أجرة تنتظرهما للهروب ، ففتحت النافذة وأمسك السفرجى والبواب بأحدهما وفر الآخر بالسيارة وأحضراه لى فسألته عن سر وجوده فى هذه الساعة وسبب حمله هذا السلاح فكان جوابه أنه مخبر ولن يبوح بأكثر من ذلك .

فاتصلت بالأميرالاى زهران رشدى بك – رئيس القلم السياسى بالإسكندرية الذى طلب التحدث إلى المخبر المقبوض عليه وسأله بعض الأسئلة وأعطاه المخبر رقمه فطلب زهران التحدث معى وقال :

– مضبوط هو مكلف بمأمورية معينة .

فتركته ظناً أنه يراقبنى أنا شخصياً .

وفى صبيحة اليوم التالى توجهت إلى الرئاسة وأخبرت رفعة مصطفى النحاس باشا بكل ما حدث ، وهنا . . ثار رفعته وطلب الاتصال بمدير الأمن العام السيد حسين صبحى ، وطلب منه تقريراً بذلك ووصل التقرير يفيد أن الأوامر الصادرة إليه من الملك هى

مراقبة مصطفى كمال صدقى والدكتور يوسف رشاد اللذين كانا يسهران فى المنزل المجاور الذى يقطنه المستشار على رضا .

الوفد باق يا صاحب الجلالة :

فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥١ وكان الملك عائداً من مصيفه بالإسكندرية أقيمت مأدبة غداء بقصر القبة حضرها الوزراء . مع رفعة النحاس باشا .

ولم يكد الملك يجلس على كرسيه حتى ابتدأ الوزراء – وكان وجهه متهللا – بصوت عال :

– الوفد بيكش والا ايه . . ؟ الهلالى طلع منه .

وكان الوفد قد أصدر قراراً بفصل الهلالى باشا من عضوية الوفد .

وما كاد الملك ينتهى من عباراته حتى انتفض النحاس باشا غاضباً وضرب المائدة بقبضة يده بعصبية اهتزت الأطباق بسببها ، وقال صارخاً :

– الوفد باق يا صاحب الجلالة . . ولا يكش يا مولاى ، بل الوفد بينضف بينضف . .

وكانت بوادر أزمة فى الجو أعادت إلى الأذهان ما فعله سعد زغلول عندما ضرب المائدة بقبضة يده أمام الخديو عباس حلمى الثاني انتهت بإخراجه من الوزارة .

ولكن الملك بلع الإهانة حيث كان يحس بالخشية أمام الزعيم العنيد الذى لا يزال يتمتع بحماسة الشباب برغم شيخوخته ، كان صلباً لا تلين له قناة ، وقال :

– يا باشا أنا ماليش دعوة بالأحزاب – تطلع حد أو ما تطلعش ، أنا قصدى واحد خرج من الوفد .

وأعاد النحاس باشا فى صوت هادئ قوله :

– يا مولاى إن الوفد باق لأن الشعب باق ، لا يموت . .

وأراد الملك أن يغير الحديث . . وخشى أن ينزلق فى جدال عن الديموقراطية والحرية مع زعيم الديمقراطية والحرية .

ووجه الحديث إلى إبراهيم باشا فرج وكان وزيراً للخارجية بالنيابة . . قائلا :

– ايه رأى وزير الخارجية فى الاتصالات بتاعت صلاح الدين اللى فى باريس مع الشيوعية ؟

وكان وزير الخارجية يحضر اجتماعات الأمم المتحدة .

ولم يترك النحاس باشا هذه الملاحظة تمر دون تعليق :

– شيوعية ايه يامولانا ، هو لما صلاح الدين يقابل السفراء والوزراء فى اجتماعات دولية يبقى فيها ايه ؟

وسكت الملك .

حول إلغاء معاهدة ١٩٣٦ :

عقدت معاهدة ١٩٣٦ فى ظروف دولية معينة وبانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت بوادر انتفاضه وطنية عامة ، معادية للاحتلال ، تطلبت إعادة النظر فى معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وكانت وزارة النقراشى باشا فى الحكم بعد إقالة الوزارة الوفدية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ .

وبتاريخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥ أرسلت الوزارة مذكرة إلى وزير خارجية بريطانيا تطلب فيها فتح باب المفاوضات لتعديل معاهدة ١٩٣٦ .

وجاء فى هذه المذكرة ما يلى :

« وإذا كانت مصر قد قبلت المعاهدة بكل ما انطوت عليه من قيود تحد من استقلالها فلأنها كانت تعرف أنها قيود أملتها ظروف وأحداث وقتية تزول بزوال هذه الظروف التى قضت بقبولها » .

ولذلك كان لزاماً أن يعاد النظر فى معاهدة ١٩٣٦ بعد أن نفدت الظروف التى فرضت عليها طابعاً خاصًّا لكى تكون متمشية مع الحالة الدولية الجديدة فإن أحكامها التى تمس باستقلال مصر وكرامتها لم تعد تساير الوضع الحالى .

ولما لم تسفر المفاوضات عن نتيجة مع الجانب البريطاني توجهت مصر إلى مجلس الأمن فى أغسطس سنة ١٩٤٧ وتولى النقراشى باشا عرض القضية المصرية ولكن المجلس لم يستطع أن يتخذ قراراً فى هذا الشأن .

وعاد النقراشى باشا بعد أن وصف الإنجليز بأنهم قراصنة ، ولم يكن الوفد راضياً

عن منهج الحكومة النقراشية فى عرض القضية ، إذ لم يكن النقراشي باشا يعبر عن رأى الأمة ، بل كان رئيساً لإحدى الوزارات الانتقالية التى عرفتها البلاد منذ ١٩٢٤ .

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٨ وبمناسبة عيد الجهاد الوطنى الذى مهد السبيل لثورة ١٩١٩ بزعامة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكانت البلاد تحتفل بهذا العيد احتفالا رسمياً وشعبياً ، خطب النحاس باشا فى النادى السعدى خطبة طالب فيها بإلغاء اتفاقيتى : ١٨٩٩ وإعلان سقوط معاهدة ١٩٣٦ إذ لم يعد مقبولا أن يتذرع الاحتلال فى وجوده إلى معاهدة جديرة بالسقوط .

وفى ١٦ يناير سنة ١٩٥٠ جاء فى خطاب العرش الذى ألقاه مصطفى النحاس باشا ما يلى :

« وترى حكومتى أن معاهدة ١٩٣٦ قد فقدت صلاحيتها كأساس للعلاقات المصرية البريطانية وأنه لا مناص من تقرير إلغائها ولا مفر من الوصول إلى أحكام جديدة ترتكز على أسس جديدة تقرونها جميعاً ألا وهى الجلاء الناجز الشامل ووحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى .

وتعلن حكومتى أنها لن تحيد عن التمسك بهذه الأسس وتؤمن إيماناً عميقاً بأن الاعتراف بها من الجانب البريطانى أكبر ضمان لا ستتباب السلام فى ربوع الشرق الأوسط .

وتنتظر حكومتى أن يصل إليها فى القريب ما يحقق تلاقى وجهات النظر فى هذا السبيل ويرضى رغبات شعب وادى النيل العزيز ، ومهما يكن الحال فإن حكومتى ماضية دون تردد أو إبطاء فى تحقيق الأهداف الوطنية ، ولن تترك وسيلة إلا اتخذتها للوصول إلى غايتها بفضل تأييدكم وعون الأمة ويقظتها وفى طليعة هذه الوسائل إعلان إنهاء معاهدة سنة ١٩٣٦ استناداً إلى تعارضها الواضح مع أحكام ميثاق هيئة الأمم المتحدة فضلا عن تغير الظروف التى لابست إبرامها وما يتبع ذلك من إعلان إنكار اتفاقيتى ١٦ يناير ، ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ ، الخاصتين بالحكم الثنائى فى السودان .

وتأمل حكومتى أن يقدر الجانب البريطانى ما تجنيه الديموقراطية وما تكسبه قضية السلام العام من إرضاء شعب الوادى – مصره وسودانه ، بالمبادرة إلى إقرار مطالبه

الوطنية العادلة حتى يتفرغ للمساهمة بنصيبه فى بناء مجد الحضارة والوقوف إلى جانب الديموقراطية لخدمة السلام » .

ولما لم تسفر المحادثات مع بريطانيا اقدم النحاس باشا على وضع حد للتسويف والمماطلة وأقدمت الحكومة فى ٨ / ١٠ / ١٩٥١ على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وملحقاتها وأحكام الاتفاق الخاص بالإعفاءات والميزات التى تتمتع بها القوات البريطانية الموجودة فى مصر ، كما أنهت الحكومة العمل بأحكام اتفاقيتى سنة ١٨٩٩ بشأن إدارة السودان – أى إلغاء الوضع الذى كان قائماً من وجوب أن يكون حاكم السودان بريطانيًّا يتم تعيينه بموجب مرسوم ملكى يصدره ملك مصر ، كما طالبت الحكومة بتعديل المادتين ١٥٩ ، ١٦٠ من دستور ١٩٢٣ لتقرير الوضع الدستورى فى السودان ، وتلقيب الملك بملك مصر والسودان .

وكان إقدام الحكومة على هذه الخطوات تعبيراً عن إرادة الشعب وآماله ونهاية لمرحلة طويلة من مراحل المفاوضات المصرية البريطانية .

وقد قوبل النحاس باشا فى مجلسى البرلمان بالتأييد الكامل وتفجرت الوطنية فى نفوس الشعب .

ولا بد من الإشارة إلى أن الملك ، كان قد نسق خطته مع الإنجليز لمنع إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فقد تلقى عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء بالقصر الملكى أمراً فى أثناء وجود الملك فى الخارج صيف ١٩٥١ للاتصال برئيس الوزراء وإبلاغه بعدم اتخاذ إجراءات إلغاء المعاهدة قبل عودة الملك من الخارج وذلك تنسيقاً للاتجاهات بين الملك والإنجليز للحد من اتجاهات رئيس الوزراء الوطنية .

وطلب السفير البريطاني مقابلة رئيس الوزراء على انفراد .

وفى الموعد المحدد وجد السفير أن الأستاذ إبراهيم فرج باشا – وزير الخارجية بالنيابة – موجود مع النحاس باشا ، وامتعض السفير البريطاني وقال لرئيس الوزراء :

– إننى طلبت مقابلة خاصة لا يحضرها أحد .

فقال النحاس باشا :

– وأنا عند وعدى فالأستاذ إبراهيم فرج يحضر بوصفه سكرتيراً خاصًّا للاجتماع ليدون

ما يجرى فى أثناءه من حديث .

ولم يخرج فرج باشا . وبدأ السفير البريطاني الكلام وقال :

– إن مجلس الوزراء المصرى منقسم على نفسه بشأن فكرة إلغاء المعاهدة .

وسأله النحاس باشا مستفسراً . .

– عن إلغاء ماذا ؟

وقال السفير :

– عن إلغاء معاهدة ١٩٣٦ .

فقال النحاس باشا ساخراً :

– يا سيدى . . إن هذه المسألة لم يبحثها المجلس لأنها لم تعرض عليه أصلا وإنى أنصحكم ألا تستقوا معلوماتكم إلا من مصادر صحيحة ، والمعلومات التى وردت إليكم غير صحيحة ، ومن الأسف أنكم تنساقون إلى مثل هذه الأنباء وتكون النتائج التى تنتهون إليها غير صحيحة .

كان النحاس باشا يلقن السفير البريطاني درساً فى المنطق وأصول البحث ونطاقه .

وذهل السفير البريطاني .

وبقى هذا الحديث مطوياً لم يعرفه أحد .

وعاد الملك من الخارج فى نهاية صيف سنة ١٩٥١ .

وبدأت المناورات التى كان يدبرها القصر لاختلاق أزمة « مفتعلة » مع الوزارة سعياً للتخلص منها قبل إقدامها على إلغاء المعاهدة .

وكان الاتفاق مدبراً على أن يؤجل الملك مقابلته رئيس الوزراء بضعة أيام ثم يعين له اليوم والساعة لتلك المقابلة وأنه سوف يعمل على إثارة النحاس باشا بطلب إخراج وزيرين وفديين أولهما مصطفى نصرت باشا وزير الحربية وكان يقوم برحلة فى الخارج يطوف فيها ببعض دول أوربا لعقد صفقات أسلحة لازمة للجيش ومعه لجنة من الضباط ، وذلك لإشعار الجيش بعدم الرغبة فى تزويده بما يحتاج إليه من أسلحة .

والثاني هو عبد الفتاح الطويل باشا بسبب التحقيقات فى صفقة الأسلحة .

وعلم النحاس باشا بالمناورات .

وقابل الملك . . وأخفقت المناورات . . ولم يخرج أحد من الوزراء ، وأخفقت المحاولات لمنع النحاس باشا من إلغاء المعاهدة ودخل الوزارة بعد هذه المقابلة وزيران جديدان أحدهما حسين الجندى وكان وكيلا لمجلس الشيوخ وعبد المجيد عبد الحق وكان وكيلا لمجلس النواب .

ثم استطلع الملك رأى الهلالى باشا وكان يطمئن إلى الهلالى باشا ويثق بذكائه وحسن مشورته حول إلغاء المعاهدة ، فقال الهلالى باشا .

- إن الوفد لا يمكن أن تقدم وزارته على إلغاء المعاهدة ، بل إن النحاس باشا « يخوف » الملك ويحاول إحراجه أمام الشعب بإظهاره أنه يحول دون ما أجمع عليه الشعب ونصحه بتأجيل الأزمة مع الوزارة والمسألة لا تخلو من أمرين :

الأمر الأول : ألا تقدم الوزارة على إلغاء المعاهدة وكفى الملك شر القتال وفى هذا الفرض تخسر الوزارة تأييد الشعب ويفقد النحاس باشا شعبيته وزعامته .

الأمر الثاني : أن يجرؤ النحاس باشا على إلغاء المعاهدة وهو فرض خيالى بحت ، فإن ذلك سيكون إيذاناً بدق آخر مسمار فى نعش الوزارة ، ولن تعدم حيلة فى الإطاحة بها بعد ذلك بصورة أو أخرى .

الدكتور وحيد رأفت أعد التشريعات :

كان الحل بعد أن توقفت المفاوضات – فى رأى سراج الدين باشا – هو تنفيذ ما طالب به الوفد ، وهو فى المعارضة فى أثناء حكومة المغفور له : محمود فهمى النقراشى باشا أو دولة إبراهيم عبد الهادى باشا ، ألا وهو إلغاء المعاهدة بقانون يعرض على البرلمان يعدل الدستور ليصبح ملك مصر « ملكاً على مصر والسودان » وكانت حجة فؤاد سراج الدين باشا تقوم على أن الإنجليز – وهم طرف فى معاهدة ١٩٣٦ – قد أخلوا بأحكام هذه المعاهدة ، فقد كانت تنص على وجود عشرة آلاف جندى بمنطقة القناة فى حين كان يحتل المنطقة ثمانون ألف جندى ، كما أنه يجوز للدول إلغاء المعاهدات إذا تغيرت ظروف إبرامها ، والمسائل الدولية رهينة الظروف ، والظروف متغيرة بطبيعتها .

وكان رأى فؤاد باشا من الوضوح وقوة الحجة ، بحيث إن الزعيم مصطفى النحاس باشا أيدها بحماس شديد ، وأضاف عليها حججاً من عنده ، وقبّل فؤاد باشا . . . وهنأه .

وكان مصطفى النحاس باشا ديمقراطيًّا فى نزعته، ليبراليًّا فى تفكيره ، حرًّا فى اتجاهاته لا يعرف التعصب ، يمتاز بعقلية القاضى الوطنى الذى يزن المسائل بميزان العدل والإنصاف وتسود روحه النزاهة والأصالة ، وكان يترك الجميع يتكلمون ثم يتكلم فى النهاية ، فإذا سمع ما أعجبه ، اهتز طرباً كالأب الحنون عندما يسمع شدو أولاده ، أما إذا لم يعجبه ما قيل ، فإنه يدلى برأيه ، وفى المسائل الوطنية فإن المسائل لا تتصل بالحكومة وإنما تتصل بالوفد والوفد هو الأمة ، والوفد يعنى رئيس الوفد . . منذ أيام سعد باشا .

وقد بقى الوفد برغم خروج البعض عليه ، وظل مصطفى النحاس باشا ثابتاً كالطود .

كان منهج النحاس باشا الديموقراطية فى كل صورها بشرط ألا تمس هذه الديمقراطية حقوق الشعب الذى اختار النحاس زعيماً فى فترة زعامة امتدت ربع قرن من الزمان شهدت أمجاد مصر وعظمتها وروعتها .

ولقد اعتنق الزعيم مصطفى النحاس باشا فكرة ، أصبح لا يتنازل عنها ، وهى إلغاء المعاهدة ، وتبناها باعتباره زعيم الجهاد الوطنى ، وعندما كان يتعلق الأمر بالجهاد فمصطفى النحاس باشا لا يعرف سوى أن الحكم وسيلة ، وإذا اختلف مع الجهاد – أى الغاية – فإن الوفد لا بد أن يترك الحكم لتبدأ مسيرة الجهاد .

وكان النحاس باشا يتوقع أن يتمخض إلغاء المعاهدة عن نتائج خطيرة كان يدرك مداها وكان يتوقع أيضاً أن يتلقف خصوم الوفد إلغاء الوفد للمعاهدة لكى يبرروا سبب الإلغاء بأسباب تختلف عما كان الأمر فى الواقع أو الحقيقة .

وقد تم تشكيل لجنة من وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الشئون البلدية والقروية لإعداد بيان يلقيه النحاس باشا أمام مجلسى البرلمان يتضمن إلغاء المعاهدة . . وكان يساعد هذه اللجنة مستشار من كبار مستشارى مجلس الدولة وهو الدكتور

وحيد رأفت . . وتكتمت الوزارة نبأ الإعلان عن إلغاء المعاهدة حتى الوزراء الذين لم يعلموا به إلا فى الوقت المناسب .

وبعد أسبوع ، ألقى النحاس باشا – وكأنه عاد إلى شبابه الأول عند اندلاع ثورة ١٩١٩ – بياناً وطنياً ، توجه بالعبارة الشهيرة الخالدة :

« من أجل مصر . . وقعت معاهدة ١٩٣٦ »

« ومن أجل مصر . . أطالبكم اليوم بإلغائها »

. . وقد أعد الدكتور وحيد رأفت التشريعات ، بدقة وبسرعة .

وأذكر . . أن هذه كانت أول التشريعات التى عدلت من دستور ١٩٢٣ قبل إلغائه فى عهد الثورة .

وكان مصطفى النحاس باشا بعقلية القانوني الضليع – كما أذكر – يعارض عملية تعديل أحكام الدستور حتى لو كان هذا التعديل إلى الأحسن ، إيماناً منه بقدسية الدستور ، وأنه يجب أن يظل فى منأى عن أى تعديل أو تغيير وأن الأمة – وهى دائماً مصدر السلطات وستظل مصدر السلطات – وحدها صاحبة الرأى ، وأنه لا يجوز لأى فرد – كائناً من كان أن يمس المبادئ العليا وذلك بغية حماية الدستور من التعديلات تحت دوافع من بعض النزوات .

واجتمع مجلس الوزراء يوم الأحد ببولكلى ، على أن يجتمع النواب والشيوخ يوم الاثنين وفى يوم الأحد عرضت التشريعات على مجلس الوزراء واتسمت هذه العملية بالسرية بمقدار الخطورة التى انطوى عليها هذا الإجراء ، إذ قد يضغط الإنجليز على الملك لإقالة الحكومة قبل أن تعرض المراسيم الجديدة على البرلمان ، وتضيع الفرصة .

وكانت خطة الوفد أن تسلم المراسيم إلى حسن يوسف باشا – رئيس الديوان الملكى – بالنيابة مع تحذيره بخطورة سرية هذه المراسيم ، وإذا تسربت فإن السراى سوف تتحمل تبعة هذا الأمر . . وفى هذا خطورة على القصر ورجاله ، كما حذر حسن يوسف باشا من الاتصال بالياس أندراوس تحذيراً شديداً ، خشية أن يقوم أندراوس بإبلاغ السفارة البريطانية – وهو صديق معروف لها « فتبوظ » المسألة بأكملها .

وكان النحاس باشا قد قرر أنه فى حالة عدم موافقة الملك على التصديق على

المراسيم فإنه سوف يعلن أمام البرلمان أنه عرض الأمر على القصر الملكى ولكن القصر لم يوافق ، وفى هذا البيان سوف تكون الطامة الكبرى على القصر الذى كان سيواجه ثورة عارمة من الشعب . . وهو أمر . . لا تحمد عقباه ، ولا تعرف نتائجه .

ما بعد إلغاء المعاهدة :

أصدر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥١ بعد إلغاء المعاهدة قرارات سرية بالدرجة الأولى نصها كما يلى :

أولاً : اتخاذ كل السبل المؤدية لعدم تعاون العمال مع القوات البريطانية عن طريق مكاتب مصلحة العمل والنقابات والشيوخ والنواب والهيئات الأهلية على أن تصرف لهم الحكومة أجورهم من يوم توقفهم عن العمل ، وأن تدبر لكل منهم ما يناسبه من عمل .

ثالثاً : عدم اتخاذ إجراء رسمى حالياً بالنسبة لموردى تموين القوات البريطانية على أن يسلك حيالهم السبل السابقة لحملهم على عدم التعاون مع هذه القوات .

ثالثاً : زيادة سعر كل من سكر البطاقات والطوارئ بمقدار قرشين فى الأقة الواحدة اعتباراً من أول نوفمبر سنة ١٩٥١ وكذلك زيادة ثمن الكسب بمقدار جنيهين فى الطن الواحد مع الاستيلاء عليه .

على أن تخصص حصيلة هذه الزيادات لمواجهة تكاليف القرار الأول .

رابعاً : الإذن لوزير المواصلات فى صرف استمارات سفر مجانية على خطوط السكك الحديدية المصرية للعمال المشار إليهم فى القرار الأول الذين قيدوا – ويقيدون أسماءهم فى مكاتب العمل المختصة وذلك للسفر من مقر أعمالهم الحالية إلى البلاد التى يطلبون التوجه إليها هم وعائلاتهم الذين كانت تقيم معهم فعلا فى مقر أعمالهم ، كذلك استمارات مجانية لنقل أمتعتهم المملوكة لهم والتى كانت بمقر عملهم

على أن تكون هذه الاستمارات صالحة للاستعمال لمدة شهر من تاريخ الصرف مع جواز استعمالها كاملة أو مجزأة – ومع الترخيص لمكاتب العمل المختصة فى صرف الاستمارات المشار إليها .

خامساً : إرجاء اتخاذ قرار يتعلق بالحاكم العام للسودان مؤقتاً .

سادساً : إحالة مسألة وادى حلفا على وزير العدل .

سابعاً : الجيش المصرى الموجود بالسودان لا يغادر السودان إطلاقاً مهما كانت الظروف والأحوال ، وعليه أن يقاوم بالقوة كل محاولة لإخراجه منه لآخر رجل ولآخر طلقة .

ثامناً : مقاومة القوات البريطانية إذا ما اجتازت منطقة القناة مهما كانت النتائج والدفاع عن القاهرة إلى النهاية .

تاسعاً : إرسال برقية إلى مجلس الأمن بتحميل الإنجليز مسئولية تهديد السلام العالمى من جراء اعتداءاتهم التى تزداد كل يوم على سيادة مصر وأراضيها وأهلها ومرافقها العامة .

عاشراً : استدعاء سفراء الدول الكبرى وتبليغهم ما ذكر فى القرار التاسع بشكل أوسع وأوضح .

الحادى عشر : تكليف سفير مصر فى لندن بتقديم احتجاج صريح إلى وزارة الخارجية البريطانية على هذه الاعتداءات .

الثانى عشر : تكليف سفراء مصر بالخارج بعقد مؤتمرات صحفية وإعطاء البيانات الصحيحة عن اعتداءات الإنجليز الأخيرة .

الثالث عشر : الاتفاق مع الأمين العام لجامعة الدول العربية للاتصال بالدول العربية لاستدعاء وزراء الدول الأربع المتحالفة لمقابلة حضرات وزراء الخارجية فى الدول العربية وإظهار استيائهم مما يقع فى مصر .

الرابع عشر : عدم منح أى تصريح جمركى بإدخال مواد أو عتاد للقوات البريطانية حتى فى حالة قيامهم بدفع الرسوم المقررة .

الخامس عشر : إخطار وزراء الداخلية والحربية والبحرية والخارجية بكل ما يقع

من السلطات البريطانية فى دائرة اختصاص أى وزارة فى اليوم نفسه .

السادس عشر : تأليف لجنة مشتركة من مديرى مصالح السكك الحديدية والجمارك والموانى والسواحل والحدود والجوازات والجنسية لتنسيق العمل بينهم فيما يختص بالحالة التى نشأت عن إلغاء المعاهدة وتفويض وزير المالية فى الإشراف على أعمال هذه اللجنة واعتماد قراراتها .

السابع عشر : تكوين لجنة وزارية من :

١ —	فؤاد سراج الدين باشا	وزيرا الداخلية ووزير المالية
٢ —	عبد الفتاح حسن باشا	وزير الشئون الاجتماعية
		ووزير الحربية بالنيابة
٣ —	عبد المجيد عبد الحق باشا	وزير الدولة

وتفويضها فى إتخاذ القرارات التنفيذية المترتبة على قرارات مجلس الوزراء الخاصة بهذه المسألة .

ويستفاد من هذه القرارات أن الحكومة كانت قد أعدت العدة لكافة الاحتمالات وأنها كانت مستعدة لكافة النتائج والآثار القانونية المترتبة على إلغاء المعاهدة وأنها لم تكن مرتجلة فى قرار الإلغاء ، بل كانت صادقة وحريصة .

ولكن ما لبث أعداؤها أن ائتمروا عليها ، وكانت كارثة الحريق التى شوهت وجه القاهرة الجميل ذات صباح .

وختمت عهداً . .

وبدأت عهداً . .

صفقة من الحديد الخردة :

أذكر أنه فى أحد أيام نوفمبر سنة ١٩٥١ حضر إلى رئاسة مجلس الوزراء السيد (م . ح) والسيدة قرينته ، وطلب الإذن بمقابلة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا دون موعد سابق .

واستأذنت رفعة الرئيس الجليل الذى علم بأن زوجة السيد المذكور هى مدام (ح) فاغر ورقت عيناه بالدموع وأخبرني فى صوت متهدج :

– إن لوالد هذه السيدة ديناً فى عنقى لا أنساه .

فقد طلب والدها أن يرافق النحاس باشا عند نفيه وسعد زغلول وصحبه إلى سيشل سنة ١٩٢١ . وكان الوالد مثال الإخلاص النادر ، إذ ارتضى النفى الاختيارى وكان يتولى رعاية النحاس باشا – رحمه الله – فى أثناء مرضه ، ويلازمه كظله حتى أبله الله من مرضه .

وكان النحاس باشا نموذجاً للوفاء الخالص .

وما إن رأى النحاس باشا السيدة وزوجها حتى قبلها كابنته ، وكانت عاطفة الأبوة من أجمل مزاياه ، كان أبو الجميع يظلهم بعطفه ، وسألها وزوجها عما يستطيع به الوفاء بالدين القديم .

وتقدم الزوج على استحياء بطلب للرئيس الجليل يطلب الموافقة على تصدير مائة ألف طن من الحديد الخردة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهذه الكمية وغيرها توجد فى الصحراء الغربية ومن مخلفات جيش الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، وأبدى استعداده لدفع عشرة جنيهات عن كل طن – أى أن الصفقة تبلغ مليون جنيه تدفع للحكومة المصرية .

والجدير بالإشارة أن السيد المذكور كان قد نشر تعليقاً مصوراً فى مجلة آخر ساعة فى اليوم نفسه جاء فيه أن كميات الحديد الضخمة بالصحراء تتعرض لغزوات البدو كما أن الأستاذ حسين حجاب الذى كان قد اشترى من الجيش البريطاني كل المحلفات قد أعلن بناء على شهادة مصنع الحديد الوحيد فى مسطرد أن المصنع لم يعد فى حاجة إلى هذه الكميات . . وأنها أضحت نهباً للبدو ، ويجب حمايتها .

والواقع أن عرض الصفقة كان مغرياً ، فالحكومة المصرية تحصل على مليون من

الجنيهات دون غرم وعلى الفور قام النحاس باشا بعد اقتناعه بالتأشير على الطلب بما يلى :

معالى أحمد حمزة باشا

برجاء استخراج التصريح المطلوب

مصطفى النحاس

ولم يكتف النحاس باشا بذلك بل طلب منى أن أتوجه بصحبة السيدة وزوجها بسيارتي إلى وزارة التموين لإنجاز ما يطلبان .

وقدمت الطلب إلى الأستاذ أحمد حمزة باشا الذى أبدى استغرابه لهذا الأمر .

على أنه لفت نظرى بعد المقابلة أن (م . ح) وقد لاحظ أن سيارتي صغيرة الحجم بادرني بقوله :

– غداً سوف تجد سيارة كاديلاك بدل هذه السيارة الصغيرة وعشرين ألف جنيه .

وقد كان هذا القول مثاراً للدهشة وتوجست أن يكون وراء الأكمة ما وراءها من الطلب والعرض المغرى . . والملابسات التى أحفت بالموضوع جميعاً .

على أن هذه الظنون قد تأكدت عندما رجعت إلى مكتبي وكان رفعة النحاس باشا قد غادر الرئاسة إلى منزله ووجدت صحفيين ،وهما من أقرب من عرفت إلى قلبي وكانا زميلين فى جريدة الأخبار وهى جريدة كانت سافرة العداء للوفد وزعيمه ومن أخطر الصحف المعارضة فى هذا الوقت .

وابتدرني أحدهما قائلاً :

– هل تم التصريح ؟

فتجاهلت السؤال وقلت له : أى تصريح تقصد ؟

فقال والابتسامة تعلو شفتيه :

– ياسيدى لا تتغابي ، تصريح الحديد الخردة .

وتظاهرت بأن المسألة عادية . وسألته :

– وما أهمية هذا التصريح ؟

فقال :

– هل لازلت مصراً . . لقد قبض النحاس باشا نصف مليون جنيه رشوة .

وصعقت . . لقد كانت المسألة جميعها أمام عيني تترى بفصولها وحوادثها ولكن ما أكد الشكوك هو عرض السيارة الكاديلاك والعشرين ألفاً من الجنيهات .

وكانت المسألة لعبة يراد بها الإيقاع بزعيم من أنزه زعماء مصر فى تاريخها الحديث والمعاصر .

ولم أتردد ، بل توجهت لمقابلة الزعيم الجليل وكان يتوضأ . . للصلاة . . .

وقصصت عليه ما سمعت وما حدث .

فطلب منى أن أحضر الطلب من وزير التموين بنفسى وفى لحظات كان الطلب أمام رفعة النحاس باشا .

واحرقنا الطلب ، وأخفينا معالمه ، وكأن شيئاً لم يكن .

وفى الصباح التالى حضر إلى الرئاسة السيد (م . ح) مستفسراً عن مصير الطلب وأجبته بحدة لا تخلو من مرارة .

– لقد رفض الطلب .

وخرج صاحبنا دون أن يدرى لذلك سبباً مشيعاً باللعنات .

ومن الطريف أن المسألة تكررت فصولاً مع الرئيس اللواء محمدنجيب ، إذ حضر السيد (م . ح) مرة أخرى إلى دار الرئاسة ومعه أحد أقرباء اللواء محمدنجيب وعرض نفس الأمر بكافة التفاصيل والجزئيات وكاد الرئيس نجيب أن يوافق .

ولكنى أيضاً هذه المرة لم أكتم اللواء نجيب القصة بحذافيرها من الألف إلى الياء .

وقلت له :

– إن مصطفى النحاس كان نزيهاً وهذه المسألة لا تحتاج إلى دليل ، أما أنت فلو كنت نبياً لا تهمت بالرشوة .

وأذكر أنه أعطى لقريبه درساً لا ينساه وطرده شر طردة وأنذره بالعقاب لو عاد للأمر مرة أخرى .

مصر وقضية فلسطين :

لم تكن قضية فلسطين الشاغل الأول لمصر فى الفترة التى تلت إنتهاء الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت قضية مصر واستقلالها أهم ما يشغل أفئدة المصريين فى هذه الآونة الحرجة .

أما البلدان اللذان استغلا القضية ورفعا الشعارات فقد كانا : سوريا والعراق وكانت وجهة النظر العراقية هى ضم سوريا إلى العراق وتكوين « الهلال الخصيب » ، علاوة على أن الملك عبد الله كان ينوى ضم باقى الأراضى الفلسطينية إلى إمارته الصغيرة .

ويلاحظ أن الشعب المصرى كان مهتمًّا اهتماماً كبيراً بقضية الاستقلال الوطنى فيما عدا البعض . . كعزام باشا . . وغيره من الذين تراودهم بعض الأفكار النظرية عن القضايا العربية .

وقد كان لإنشاء الجامعة العربية سنة ١٩٤٤ بعد أن وقع النحاس باشا البروتوكول أن وجهت الأنظار إلى القومية العربية ، وعند حضور سماحة الحاج أمين الحسينى مفتى القدس إلى مصر دعاه عزام باشا لإثارة قضية فلسطين .

وبدأت الحملة للفت أنظار الجماهير إلى القضية وذلك بقصد جلب العطف على سماحة الحاج أمين الحسينى شخصياً .

وقد استغل الإخوان المسلمون قضية فلسطين استغلالاً كبيراً بعد أن تناولت الصحف المصرية القضية بالتحليل والتعليق وإثارة المشاعر .

ولكن الاهتمام الرسمى لم يتجاوز حدود الاتصال والمشاركة فى الرأى .

وفى أثناء المفاوضات بين الحكومة المصرية برئاسة إسماعيل صدقى باشا والحكومة الإنجليزية سنة ١٩٤٦ لم تعرض مسألة فلسطين على مائدة المباحثات وكان فى ذهن المفاوضين المصريين أن الإنجليز ليسوا بحاجة إلى قاعدة عسكرية بعد إتمام الجلاء عن مصر وبخاصة أن لهم هذه القاعدة فى قبرص وفلسطين .

ويعلم الله ماذا كان سوف يحدث لو كان الإنجليز قد جعلوا من فلسطين قاعدة

عسكرية لهم إذا كانت هذه المعاهدة قد أبرمت . . ؟

وفى سنة ١٩٤٧ ظهر مشروع التقسيم الذى وضعته الأمم المتحدة وبدأت الدعاية قوية ضد هذا المشروع ولكن . . أكرر . . أن المسألة الفلسطينية لم تكن محل دراسات جادة أو عميقة أو صريحة لمعرفة حقيقة الأوضاع وقوة اليهود ومركز الإنجليز فى فلسطين ، بل أكثر من ذلك لم يكن قد ظهر فى الأفق أن إنجلترا قد تحولت إلى دولة من الدرجة الثانية بحيث يتعين عليها أن تكون تابعة للولايات المتحدة الأمريكية بشأن توطين اليهود فى شكل دولة وليس مجرد استيطانهم فى بلد عربى . . وهو ما سوف تكشف عنه الأيام فيما بعد .

وقد اشتدت الحملة الدعائية فى الداخل حتى سنة ١٩٤٨ وقد تصدى لذلك الذين رأوا أنهم أعلم بحقيقة الأمور العربية وخاصة أمين الحسينى وعزام باشا كما ساندهم فى ذلك بعض الشخصيات التى اختلطت بأمين الحسينى وتجاوبت معه .

وكان التصدى للأفكار الوطنية فى هذه الآونة لا يكلف الناس كثيراً وبخاصة إذا كانت بعيدة عنهم .

وعلى سبيل المثال : كانت اللجنة العربية العليا التى ضمت شخصيات منها توفيق دوس باشا وعلوبة باشا وفؤاد أباظة باشا ورشوان محفوظ باشا وآخرون .

كانت هذه اللجنة تقوم بالخطابة وإشعال الحماس ولاشىء غير ذلك .

وقد استهوت هذه التنظيمات بعض الشباب خاصة الإخوان المسلمين بتكوين تشكيلات لنصرة قضية فلسطين – مع فارق المميزات بين الطائفتين من حيث السن والنضج وطريقة التفكير .

كما شاع بين الناس فكرة أن اليهود مجرد عصابات من اليسير القضاء عليها بقليل من التعاون العربى ، وكان يبدو أن المروج لهذه الفكرة عزام باشا شخصياً .

وتطوع بعض الشباب لحمل السلاح كما استقال بعض الضباط من الخدمة وقادوا بعض الشباب المتطوع والمتحمس للفكرة .

ولكن الأحداث توالت . . وأدت إلى تحرك السلطات الرسمية لإنقاذ فلسطين وعلى حين فجأة . . تحرك الجيش بأمر الملك . . والله يعلم من الذى ملأ رأس الملك

بهذه الفكرة وبخاصة أن اللواء حيدر باشا كان طوع بنان الملك .

ودخل الجيش الحرب .

وبيقين . . فإن دولة النقراشى باشا لم يكن يعلم بنية دخول مصر الحرب ولم يكن راضياً عن ذلك . . ووقف الرجل حائراً ، فإما أن يسكت وإما أن يضرب جيش البلاد فى ظهره ويعلن استقالته على الملأ . . وربما أدى إلى إخماد جذور الحماس التى سرت بين الناس مسرى النار فى الهشيم كما أن ذلك لا بد أن يؤجج الفتنة فى الجبهة الداخلية .

ولم يجرؤ أحد على إعلان معارضته دخول مصر الحرب سوى إسماعيل صدقى باشا الذى اتهم فى وطنيته بسبب هذا الموقف .

وبدأت الحرب . .

والحق نقول - إن حرب سنة ١٩٤٨ كانت صفحة مشرفة للجيش المصرى ، بالرغم من أنه كان قليل العدد والعتاد ، فقد كان موفقاً فى المعارك التى خاضها .

والذين يدعون أن الجيش المصرى قد هزم فى هذه الحرب فإن ادعاءهم هذا قائم على غير أساس فقد أوقفت الحرب أكثر من مرتين وكان جيش مصر مقتحماً فلسطين ومحتلاً اللد والرملة .

ولم تطأ قدم يهودية أرض سيناء .

أوقفت الحرب أول مرة ثم عاد اليهود فى الجولة الثانية وغرروا بالجيش المصرى الذى لم يتقدم أحد لمناصرته من الدول العربية التى شاركت فى القتال كالعراق والأردن . . وفى هذه المرة حوصر قسم من الجيش فى الفالوجا - ومع ذلك استمرت الحرب . . والجيش يقاوم .

وفى أثناء ذلك اغتيل المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا وعهد إلى إبراهيم عبد الهادى باشا بتشكيل الوزارة خلفاً له .

وفى هذه الظروف التعسة حاول الإنجليز الضغط على دولة عبد الهادى باشا من أجل مد العمل بمعاهدة سنة ١٩٣٦ مقابل حصول مصر على السلاح . ولكن رئيس الوزراء رفض ذلك الضغط وأبت وطنيته أن ينفخ فى روح هذه المعاهدة التى كان

يجاهر منذ أن كان وزيراً للخارجية بأنها قد استنفدت أغراضها .

وتدخلت الأمم المتحدة لوقف القتال وكان رئيس الوزراء يتعرض لضغط شديد من جانب القصر لإعلان ذلك وكان حيدر باشا وزير الحربية والبحرية حينذاك يعلن فى كل مناسبة أنهم فى حاجة إلى رجل سياسى . . ثم . . تقررت الهدنة .

وجاء إلى دولة الرئيس القائم بأعمال السفارة الأمريكية بالقاهرة وأنبأ دولته بإبرام الهدنة قبل أن يصل رأى الحكومة فى القبول أو الرفض عن طريق الخارجية المصرية .

وقبلت الهدنة ووقف القتال وكانت مفاوضة رودس التى تمسك فيها الجانب المصرى بأن الإنسحاب يكون عن طريق الأمم المتحدة وعدم إجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل . . وكان وفد مصر مؤلفاً من اللواء محمد إبراهيم سيف الدين والاميرالاى كامل الرحمانى والقائمقام إسماعيل شيرين واليوزباشى محمود رياض (أمين الجامعة العربية الحالى) واليوزباشى صلاح جوهر - السفير حالياً .

وتم الاتفاق مع حفظ كرامة مصر . وكان رالف بانش مساعد سكرتير عام الأمم المتحدة ، الوسيط بين مصر وإسرائيل ، وكان من بين شروط إسرائيل لرفع الحصار عن الفالوجا تجريد القوة المصرية من السلاح ولكن دولة عبد الهادى باشا رفض الشرط وأصر على خروج الجيش المصرى بسلاحه وكرامته واحترامه .

على ماهر يؤلف وزارة الأحكام العرفية :

لا أستطيع أن أنسى ذلك اليوم الحزين ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ذلك اليوم الذى صارت فيه الحضارة التى أنشأها العلم والفن المصرى ناراً ودخاناً وتراباً ورعاعاً لا تقدر أية مسئولية وأى فكر ولا تقف عند حد .

فقد فوجئت ذلك الصباح بالمظاهرات يقودها المرحوم اليوزباشى عبد الهادى نجم الدين ضابط البوليس (صار لواء ومدير الأمن بمحافظة الغربية فيما بعد) والذى قيل وقتها إنه ذو إتصال بالهيئة السعدية ، والمتظاهرون جنود البوليس والطلبة وأبناء

الشوارع ، وضابط الأمن يهتف ضد الملك والحكم القائم ، وباعة السميط والخس والجزر ينتهزون هذه الجموع الحاشدة مقيمة فى حديقة مجلس الوزراء للدخول والبيع ، وحرس المجلس من الجنود لا يتحرك ، حتى لقد خفت على حياتي ووضعت كرسياً فى غرفة ماكينة الأسانسير بالدور العلوى للإختفاء .

واتصل بي المرحوم مصطفى النحاس باشا ووصفت له الحال فأبلغنى بقدومه إلى المجلس من الباب الخلفى من شارع محمد سعيد باشا . ولما شاهد الحال اتصل تليفونياً بعبد الفتاح حسن باشا وزير الدولة بالداخلية ، وعاد رفعته إلى داره .

وجاءنا عبد الفتاح باشا يخطب المتظاهرين من غرفة مكتبي وفى مواجهته فى غرفة حرس المجلس ضابط الأمن نجم الدين يوالى هتافاته ضد كل السلطات .

وبدأت أخبار الحرائق فى معالم قلب القاهرة تتوالى حتى الساعة الثالثة بعد الظهر .

سفرجي يبلغنى أن إنجليزياً يتصل لاسلكياً :

واتصل بي مصرى قال إنه يعمل سفرجياً لدى إنجليزى ساكن فى شارع الأمير أحمد فؤاد بالزمالك بجوار عمارة بهلر ، وإن الإنجليزى يجرى اتصالات لاسلكية ، وأبلغنى رقم تليفونه ، ولما تأكدت باتصالى به من رقم التليفون اتصلت بمدير الأمن العام حسين صبحى الذى رد على بأنه لا يمكن عمل أى شيء لعدم وجود أى ضابط بوليس .

وبعد نزول الجيش فى الخامسة مساء ذهبت إلى منزلى ، وفى الساعة السادسة والنصف اتصل بي المرحوم محمود شوقى سكرتير عام مجلس الوزراء وأبلغنى تعليمات المرحوم النحاس باشا بدعوة الوزراء للإجتماع بمنزله وتكليف عبد العظيم الدلجموني إعداد مرسوم إعلان الأحكام العرفية وتعيين حاكم عسكرى ، وفهمت أن هذه رغبة القصر وأن النحاس باشا عارض الفكرة ولم يصر على المعارضة .

مظاهرة معادية للنحاس باشا :

وعلم وحيد بهادر مدير مكتب وزير الداخلية أن مظاهرة تسير عند الإسعاف فى اتجاه منزل النحاس باشا وأنها تهتف ضده ، ولما لم يجد مسئولا فى الوزارة لتفريقها حمل مدفعاً رشاشاً وركب سيارة مكشوفة وفرق المظاهرة .

وانتهى مجلس الوزراء حوالى الساعة الحادية عشرة مساء وأعلنت الأحكام العرفية وذهبت لمنزلى .

إقالة الوزارة :

وفى الساعة الواحدة اتصل بي الأميرالاى محمد وصفى قائد حرس الوزارة وأبلغنى إقالة الوزارة ، وأن رئيس الوزراء الجديد نجيب الهلالى باشا أو على ماهر باشا . وبعد دقائق اتصل فريد شحاته سكرتير الدكتور طه حسين وقال إن على ماهر باشا سيؤلف الوزارة وعاود الأميرالاى وصفى الاتصال مؤكداً ذلك .

وكنت فى حيرة فسألته :

ايه رأيك أحضر والا تبقى مسألة بايخة والكل يعرف علاقتى بالنحاس باشا . . . .

فضحك المرحوم وصفى وقال :

على باشا يسعده أن تعمل معــه إن لم يكن ذلك يضايقك .

ووصلتنى سيارة إسعاف أرسلها إبراهيم عبد الوهاب (وزير فى وزارة ماهر باشا) وكان سكرتيراً عاماً لجمعية الإسعاف وعلى ماهر باشا رئيسا .

ولما قابلت على ماهر باشا كان معه المرحوم محيي الدين فهمى والأستاذ مصطفى أمين والمرحوم علي أمين .

نشاط على ماهر :

وأذكر أن المرحوم على ماهر باشا كان يحضر إلى مجلس الوزراء فى التاسعة صباحاً ، ويشرب فنجان شوربة الساعة الواحدة ويبقى حتى الرابعة ويذهب لمنزله أو الدهبية

الخاصة ويعود الساعة الخامسة ويبقى حتى منتصف الليل .

وكان يعقد اجتماعات فى مكتبه وفى الصالون الملحق به وفى قاعة اجتماع مجلس الوزراء ومكتبى .

اختيار على ماهر :

وقد روى لى المرحوم نجيب الهلالى باشا أن الملك بعث إليه مساء ٢٦ يناير المرحوم حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان الملكى بمنزله بالمعادى لتكليفه تشكيل وزارة ، وإنه فوجئ بوجود إلياس أندراوس باشا يرافق حافظ باشا فأبدى له فى خلوة استياءه من هذه الرفقة فخفف حافظ باشا الأمر بأن إلياس ركب معه كرهاً ، واعتذر نجيب باشا عن تأليف الوزارة .

وفى أثناء وجود حافظ باشا وصل الأستاذ فريد زعلوك وأبلغ نجيب باشا أن على ماهر باشا أرسل إليه المرحوم الأستاذ حمادة الناحل المحامى يطلب أن يرشح الهلالى باشا ماهر باشا لرئاسة الوزارة مع وعد بتعيين فريد والدكتور نور الدين طراف وزيرين ورشح الهلالى باشا على باشا الذى لم يشرك الاثنين معه .

مرسوم بحل البرلمان :

رأى على ماهر باشا أن يواجه الوفد محتاطاً لكل الظروف فاستصدر مرسوماً ملكيًّا بتأجيل مجلس النواب ذى الأغلبية الوفدية الساحقة شهراً وحمله معه وحضر جلسة المجلس وأشاد بصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا قائلا عنه (سلفى العظيم) فقوبل بالتصفيق والتأييد ولم يظهر مرسوم الحل الذى بقى سراًّ حتى استقالته بيوم واحد .

وبعد أيام قليلة والرجل يبذل أقصى الجهود فى مختلف الجبهات ويواجه أخطر الظروف السياسية التى مرت بالبلاد فوجئت بصديقنا فريد شحاته يقول لى :

قبل نهاية شهر فبراير هذا لازم على ماهر باشا يمشى . .

الأزمات تحاصر على ماهر باشا :

مما لاشك فيه ، أن الملك فاروق لم يكن يطمئن إلى رفعة على ماهر باشا لأسباب كثيرة معروفة لدى المتصلين بالسراى ، والمعروف أن صلة على ماهر باشا بالملك ترجع إلى عام ١٩٣٦ عندما كان رئيساً للوزراء ثم رئيساً للديوان الملكى ثم أقصى منه بعد ذلك ، وتدهورت العلاقات بعد ذلك بسبب المناورات والدسائس التى حاكها خصومه وفى مقدمتهم أحمد حسنين باشا رئيس الديوان فيما بعد .

وأذكر أن الملك كان يتعمد فى مناسبات كثيرة إهانة على ماهر باشا ، بل إن ماهر باشا كان لايستقبل فى القصر الملكى الاستقبال الذى يليق بحامل قلادة فؤاد الأول والتى لايحملها سوى سبعة أشخاص على قيد الحياة فى مصر ، وتعطى صاحبها أرفع ألقاب الدولة وهو : صاحب المقام الرفيع .

وفى سنة ١٩٥١ عندما دعى ماهر باشا إلى حفل شاى أقامه القصر بمناسبة زفاف الملك ، أجلس فى مكان قصى من حديقة القصر ، وذلك بقصد إهانته والحد من قدره وكرامته .

وقد ذكر لى أنه لايذكر أنه جلس فى مكانه اللائق بالحضرة الملكية إلا فى مناسبتين : الأولى عندما أعلن على ماهر باشا عن تأليف « جبهة مصر » وهى أشبه بالحزب السياسى منه بالجماعة السياسية ، وأراد الملك أن يحرج السياسى العجوز على مأدبة الغداء أمام الجميع فقال له ساخراً : وبصوت عال يحمل الاستهزاء :

– ايه حكاية جبهة مصر ؟

وبدأ يروى أهداف هذه الجبهة ، ولكن الملك لم يعره أذناً مصغية . أما المناسبة الثانية : فقد حدثت عندما دعى إلى مأدبة غداء بالقصر احتفالا بميلاد ولى العهد ، وكان الملك يجلس بين حسين سرى باشا وعلى ماهر باشا ، وأمضى كل الوقت على المائدة أو فى الصالون وهو يوجه حديثه إلى رفعة حسين سرى باشا دون أن يحاول مرة واحدة أن يخاطب على ماهر باشا بكلمة واحدة .

وكان الملك يتعمد إذلال صاحب المقام الرفيع أمام اقرانه . . ولكن على ماهر باشا

كان يتذرع بالصبر ويبتلع الإهانات والإساءات . وكثيراً ما كان يعزو سلوك الملك إلى الخفة والطيش والوشايات والدسائس التى يموج بها القصر .

وبعد مأساة حريق القاهرة ، بدأت المشاورات لتأليف وزارة جديدة واتجه الملك إلى ترشيح على ماهر باشا وجدير بالذكر أن الفريق محمد حيدر باشا طلب من الملك إعادة تكليف مصطفى باشا النحاس بتشكيل وزارة جديدة لأن النحاس باشا يتمتع بالأغلبية المطلقة ، وأنه زعيم الأغلبية بلا منازع ، كما أن حيدر باشا لايمكن أن يطمئن إلى الجيش إلا بوجود مصطفى النحاس باشا فى الحكم ، إذ كانت تساوره المخاوف من انقلاب الجيش على العرش وكان لديه الكثير من المعلومات .

ولكن هذا الرأى لم يلق مايستحقه من الاهتمام لدى صاحب الجلالة . . بل إن الملك رأى أن يكلف حيدر باشا نفسه بتشكيل الوزارة الجديدة . . ولكنه اعتذر .

وطفا على السطح رفعة على ماهر باشا ، ولم ير القصر بداً وخاصة أن الهلالى باشا رشحه فألفها .

ولكن الأزمات حاصرت على ماهر باشا فى وزارته التى استمرت شهراً واحداً ، وأذكر فى أثناء تشكيل هذه الوزارة أن كريم ثابت باشا زار الأستاذ إبراهيم عبد الوهاب الذى كان يتمتع بثقة ماهر باشا واقترح عليه أن يرشحه وزيراً ليقوم ببذل المساعى الحميدة بين القصر والوزارة ، ويكون رسولها لدى القصر الملكى .

ولكن على ماهر باشا رفض بشدة وثار فى وجه إبراهيم عبد الوهاب .

وبدأت الأزمات تطل بوجهها ، فقد أراد القصر تعيين اللواء أحمد طلعت بك (وكان يمت بصلة القرابة إلى ماهر باشا) حكمداراً للعاصمة ، ولكن الوزارة كانت رشحت لشغل المنصب اللواء أحمد عبد الهادى وفعلا صدر هذا القرار ونشر بالصحف ولكن الوسطاء سعوا بين الوزارة والقصر ، وقبل رئيس الوزراء أن يعين اللواء أحمد طلعت حكمداراً للعاصمة .

وثارت مشكلة جديدة بسبب عودة عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر لدى بلاط سان جيمس ، إذ استدعته الحكومة الوفدية بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ – وصدر أمر ملكى بتعيينه مستشاراً للملك فى الشئون الخارجية ، وكان على ماهر باشا يرى أن يعود

عمرو باشا إلى لندن مادام يراد تحسين العلاقات بين مصر وبريطانيا بعد الأزمة الخطيرة التى تعرضت لها هذه العلاقات ، ولاسيما بعد أن قابل رئيس الوزراء على ماهر باشا السفير البريطاني السير رالف استفينسون فى محاولة لإعادة العلاقات الطبيعية بين البلدين ، ولكن الملك لم يوافق على هذا الرأى .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى محاولة النيل من على ماهر باشا وإذلاله ، فقد أراد الملك تعيين الأستاذ كامل القاويش نائباً عاماً مكافأة له على التحقيق الذى تولاه فى قضية مصرع أمين عثمان باشا وأنعم عليه برتبة البكوية .

ولم يخف رئيس الوزراء غضبه واحتجاجه وكانت حجته قوية فى عدم استحقاق الأستاذ كامل القاويش لهذا المنصب الخطير ، فالقاويش أحدث مستشار ولايمكن أن يتخطى زملاءه لمجرد رغبة ملكية تهز الجهاز القضائى واستقلاله .

وتدخل الوسطاء مرة أخرى لإزالة الخلافات وعين القاويش وكيلا لوزارة الداخلية لشئون الإعلام والدعاية .

كل هذه الأزمات – والحق يقال – كانت يسيرة وتافهة إلى جانب أزمة نشأت بين القصر وعلى ماهر باشا منذ تأليف الوزارة ولم يكن فى مقدور الوسطاء أن يتخطوها ، وهى أزمة عاصرت الوزارة منذ ولادتها ، وهى الأزمة التى تمثلت فى مهادنة الوزارة للوفد وزعيمه الكبير مصطفى النحاس باشا وكان على ماهر باشا من الذكاء بحيث أبى أن يكون مخلب قط لضرب الوفد ، ثم سرعان مايتخلص القصر منه وفقاً للعبة التى يجيدها من قديم وخاصة أن على ماهر باشا لاينتمى إلى حزب سياسى أو يتمتع بأغلبية فى البرلمان ، وله فى هذه السياسة باع طويل وقديم .

وطلب القصر من رئيس الوزراء حل البرلمان الوفدى وإجراء مايسمى « بحركة التطهير » وتقديم كل من استغل نفوذه أيام الحكومة الوفدية إلى المحاكمة .

ولكن على ماهر باشا لم يوافق على ذلك ، وأيًّا كانت نواياه أو اتجاهاته فقد كان يرى أن تبدأ الحكومة بمفاوضة الإنجليز ووضع حل للمشكلات الخارجية ، ثم يبدأ بعد ذلك الإصلاح الاجتماعى الداخلى .

وكان قد بادر بزيارة مصطفى النحاس باشا فى منزله فى اليوم التالى لتشكيل الوزارة

ثم أعلن فى مجلس النواب تحياته وتقديره لسلفه العظيم مصطفى النحاس باشا .

ولقد طلب المرحوم على ماهر وهو رئيس الوزراء مقابلة الملك مرتين ولم يوافق الملك على المقابلة .

وربما كان الملك يريد الخلاص من على ماهر ليتمكن من إسناد الوزارة إلى المرحوم أحمدنجيب الهلالى وفقاً للخطة التى كان متفقاً عليها مع الوزير المفوض بالسفارة البريطانية مستر كريزويل ، والذى بناء عليها رشح الهلالى باشا ماهر باشا ليخلف المرحوم النحاس باشا لكى يخلو الطريق أمام الهلالى باشا من أى زعيم آخر يصلح للوزارة فى هذا الظرف الدقيق .

وفى أول مارس ١٩٥٢ وبعد أن نشرت « أخبار اليوم » فى ذات الصباح أن السفير البريطاني لن يقابل رئيس الوزراء ، وأبلغتنى السفارة فى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين أن السفير يعتذر عن الموعد المحدد (الساعة الحادية عشرة) لمقابلة على ماهر باشا بوزارة الخارجية بسبب وعكة برد أصابته بعد لعب التنس فى نادى الجزيرة ، اتصلت من مجلس الوزراء برفعة ماهر باشا بوزارة الخارجية وأبلغته الاعتذار .

عندئذ كلفنى رفعته بدعوة مجلس الوزراء إلى الاجتماع فوراً بدار الرئاسة ثم جاء إلى المجلس ودخل حجرته وطلب منى إبلاغه عندما يكتمل المجلس ومنع أى اتصال به ، فسألته :

– خير يارفعة الباشا .

فقال :

– إننى أعد كتاب استقالة الوزارة .

ولما اكتمل الأعضاء دخل عليهم وبقى معهم حوالى عشر دقائق تلا فيها كتاب الاستقالة الذى حرره عندما حضر لمجلس الوزراء بخط يده ثم أغلق عليه مظروفاً وسلمه إلى المرحوم محيي الدين فهمى بك لتسليمه إلى رئيس الديوان الملكى المرحوم حافظ عفيفى باشا ولما لم يكن حافظ باشا موجوداً بقصر عابدين فقد سلمه محيي الدين بك إلى المرحوم معالى عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء .

الهلالى باشا يشكل الوزارة :

وإثر تقديم الاستقالة فوجئت باتصال تليفوني من فريد شحاتة يقول :

مبروك عليك نجيب الهلالى باشا .

ومضى النهار ومنتصف الليل ووصل المرحوم الهلالى باشا إلى رئاسة مجلس الوزراء ومعه الأساتذة فريد زعلوك ومصطفى أمين وعلى أمين ، وبدأ الاتصال بالوزراء الجدد .

ترشيح محمد نجيب لوزارة الحربية :

واستدعاني الهلالى باشا وسألنى ، هل أعرف اللواء محمدنجيب ، ولما علم صلتى به كلفنى الاتصال به ليعين وزيراً للحربية .

ووافق اللواء محمدنجيب وأبلغت الهلالى باشا الموافقة فاتصل بحافظ عفيفى باشا الذى أبلغه رفض الملك الذى وصف اللواء محمدنجيب بأنه عرابي رقم اثنين . وأذكر أن اللواء محمد نجيب زارني إثر تشكيل الوزارة ظنًّا منه أننى غررت به فأطلعته على بيان بأسماء الوزراء بخط الهلالى باشا واسمه بينهم فضحك وقال :

أنا كنت متوقع اعتراض الملك .

ورد على قبر والد ناريمان :

وافق صباح اليوم الاول لوزارة الهلالى باشا الذكرى الاولى لوفاة المرحوم حسين صادق والد الملكة ناريمان ، وركبت مع الهلالى باشا وهو يرتدى الردنجوت استعداداً لحلف اليمين أمام الملك ، ووضعنا باقة ورد على القبر ، ثم توجه الهلالى باشا إلى القصر.

الملك يطلب تعيين الدكتور النقيب وزيراً :

ولما دخل الهلالى باشا وجد الدكتور أحمد النقيب باشا مرتدياً الردنجوت فصافحه وظن أنه كان فى الحضرة الملكية .

وكان الوزراء قد اجتمعوا فى القصر لحلف اليمين الدستورية ، ودخل الهلالى باشا مكتب الملك ليفاجأ بطلب تعيين الدكتور النقيب وزيراً للصحة وقال الملك إنه موجود وجاهز لحلف اليمين ، وكأنه أراد إحراج الهلالى باشا فى آخر لحظة .

فاعتذر الهلالى باشا بأن الوزارة متجانسة والوزراء منسجمون جميعاً . .

وخرج الهلالى باشا من لدن الملك فوجد أمامه المرحوم محمود غزالى باشا والأستاذ فريد زعلوك فقال لهما :

مفيش حلف يمين .

لكنه فوجئ بالملك من خلفه يقول : ألا تصلح شهادتي فى الدكتور النقيب بأنه صالح للوزارة .

وأصر الهلالى باشا على موقفه .

وذكر لى فريد زعلوك أن الأستاذ محمد حسنين هيكل (كان رئيس تحرير آخر ساعة) اتصل به فى محكمة جنايات الجيزة حيث كان يترافع فى إحدى القضايا ، وأخبره أن الهلالى باشا يؤلف الوزارة وأنه يطلب أن يتوجه الأستاذ فريد إلى منزله . فتوجه إلى المعادى .

وأضاف أن حلف اليمين تأخر حتى الساعة الحادية عشرة مساء بسبب اعتذار الهلالى باشا عن تحقيق طلب الملك تعيين الدكتور النقيب وزيراً للصحة والأستاذ كامل القاويش محافظاً للقاهرة .

مرسوم تأجيل مجلس النواب :

تداول الناس أن الهلالى باشا استعمل الدكتور زكى عبد المتعال باشا والأستاذ مرتضى المراغى باشا للتعجيل باستقالة على ماهر باشا حيث أبلغا « أخبار اليوم » خبر المرسوم الملكى بتأجيل جلسات مجلس النواب شهراً وكان ماهر باشا قد استصدره وأودعه مكتبه .

وقد أكد لى الهلالى باشا زيف هذه الشائعة ، وروى لى أن المسألة أثيرت فى مجلس الوزراء فقال على ماهر باشا للوزراء إن التأجيل لم يعد له مقتض حيث كان الهدف من المرسوم مواجهة مجلس النواب به فيما لو عارضت الأغلبية الوفدية اعتماد الخمسة الملايين من الجنيهات التى قررتها الحكومة لتعويض بعض المحلات التى أحرقت يوم

٢٦ يناير بالقاهرة ، وأن المجلس أقر الاعتماد ولذلك يجب العدول عن تأجيل جلسات المجلس .

وقال الهلالى باشا إنه لم تكن له أية علاقة بهذه المسألة .

على أنه تردد وقتذاك أن الدكتور زكى عبد المتعال باشا ، والأستاذ أحمد مرتضى المراغى باشا اعترضا على رأى ماهر باشا بحجة أن العدول عن التأجيل لايتفق مع كرامة الحكومة وأنهما قدما استقالتهما من الوزارة بالاتفاق مع القصر الملكى الذى كان على تفاهم مع السفارة البريطانية بوساطة المرحوم محمود غزالى باشا صديق الهلالى باشا وعديل الدكتور زكى عبد المتعال باشا ، حيث كان قد تزوج الشقيقة الصغرى لزوجته لما صار وزيراً للمالية فى وزارة المرحوم النحاس باشا .

وإننى أرى أن هذه الفترة الخطيرة فى التاريخ المصرى يجب أن يذاع كل ماقيل عنها من شائعات وما تردد من معلومات عن موقف الملك فاروق وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، والحكومة البريطانية ويكتب عنها تاريخ دقيق .

عندما دخل الهضيبى على إبراهيم عبد الهادى

فى أثناء وزارة رفعة على ماهر باشا أراد أن يجرى مشاورات مع زعماء الأحزاب السياسية للتفاهم عن الوضع بعد إقالة الوزارة الوفدية .

ودعى إلى مقابلة رئيس الوزراء كبار رجال الوفد الأساتذة :

فؤاد سراج الدين باشا

و إبراهيم فرج باشا

و على زكى العرابي باشا

و الدكتور محمد صلاح الدين باشا

. . كما دعى للمقابلة : الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين ، والأستاذ حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى والأستاذ مكرم عبيدباشا رئيس حزب الكتلة الوفدية .

وأخيراً دعا رئيس الوزراء دولة إبراهيم عبد الهادى باشا – رئيس حزب السعديين والأستاذ حسن الهضيبي بك المرشد العام للإخوان المسلمين ، رحمة الله عليه .

وحددت مواعيد المقابلات ، وكان من المفارقات أن يأتي دور الأستاذ الهضيبي بك بعد دولة عبد الهادى باشا مباشرة .

ولكن حدث بعض التأخير فى مواعيد المقابلات . .

وحضر دولة إبراهيم عبد الهادى باشا وقابل رئيس الوزراء .

وفاجأني المرحوم محيي الدين فهمى بك – سكرتير عام مجلس الوزراء بطلب غريب ، هو إدخال فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين مكتب رئيس الوزراء مباشرة فى أثناء مقابلة عبد الهادى باشا .

وحاولت أن أفهم الأستاذ محيي الدين فهمى بك بغرابة هذا الطلب إذ كيف يتفق أن يدخل المرشد العام للإخوان المسلمين على دولة عبد الهادى باشا والمرشد العام يتهم الحزب السعدى باغتيال المرحوم حسن البنا . . . ؟

ولكنه أصر على هذا الطلب ، بحجة أن هذه أوامر أصدرها رفعة رئيس الوزراء .

وأعدت محاولتى ، وحاولت بكافة الوسائل أن أتنصل من هذا العمل والمسئولية الناجمة عنه ، ولكن سكرتير عام مجلس الوزراء أصر على موقفه إصراراً شديداً وكرر أنه طلب على ماهر باشا وحضر الأستاذ الهضيبي ودخل على رئيس الوزراء دون أن يعلم المفاجأة التى فى انتظاره .

وهنا ، وقعت الواقعة ، وحدث انفجار فى مكتب رئيس الوزراء ، وثار دولة عبد الهادى باشا والأستاذ الهضيبي معاً فى الوقت نفسه ، وخرج عبد الهادى باشا مسرعاً فى مشيته .

وكذلك خرج الهضيبي مهرولا غاضباً .

وطلبنى رئيس الوزراء وكان غاضباً غضباً لايوصف ، وصاح بي :

– ايه اللى عملته ده . . انت عملت أزمة كبيرة . .

وقلت – وقد تزرعت بالصبر – بصوت هادئ :

– يارفعة الباشا إن محيي الدين بك هو الذى أمر بذلك .

ولم ينتظر على ماهر باشا بل أسرع إلى مكتب الأستاذ محيي الدين فهمى بك ووجه إليه عبارات اللوم على الإهمال الجسيم الذى صدر منه على رؤوس الأشهاد الموجودين بالمجلس .

وثار محيي الدين بك . . وترك مكتبه .

ويبدو أن على ماهر باشا قد شعر بقسوة ملاحظاته على تصرف الأستاذ محيي الدين بك فهمى . وأراد أن يعتذر للأستاذ محيي الدين بك فغادر مقر الرئاسة إلى منزل الأستاذ محيي الدين بك لاسترضائه .

ولكنه نظر إلىّ قبل أن يتوجه للاعتذار ، وطلب منى أن أصلح ماأفسده محيي الدين بك بكل الوسائل وأن أحضر المرشد العام بعد ربع ساعة .

ولن أصف الحيرة التى وقعت فيها ، فقد كانت المسألة فى نظرى دقيقة ومحرجة وتحتاج إلى قدر من الصبر وسعة الصدر .

على أننى توكلت على الله . . وتوجهت إلى منزل المرشد العام بمنيل الروضة وشرحت لفضيلته – رحمه الله – المسألة بأبعادها وأنها حدثت بسبب خطأ أوقعنى فيه سوء الحظ وأنها لم تكن مقصودة .

وكررت الرجاء ، ولكن المرشد العام رفض بإباء وشمم .

ولم يتطرق اليأس إلى قلبى ، وزعمت للمرشد العام أن هذه الغلطة سوف تؤدى إلى فصلى من الخدمة .

ولان قلب المرشد العام . وحضر معى . . وقابل رئيس الوزراء .

وانتهت الأزمة على خير . . ولكننى أتساءل هل قصدها على ماهر باشا بنفسه أو لا .؟

وأغلب الظن أن الشيب الذى علا مفرقى قبل الأوان يرجع فى المحل الأول إلى هذه الأزمات التى خضت غمارها فى أثناء عملى بمكاتب رؤساء الوزراء .

رحم الله الجميع . وغفر لهم .

استثناء من الاستثناءات :

وعندما جاء الهلالى رئيساً للوزراء فى أول مارس سنه ١٩٥٢ ، أعلن برنامجاً يحارب فيه الوفد محاربة لاخفاء فيها . . . وأصدر فى أثناء ذلك قانوناً بإلغاء الاستثناءات التى منحتها حكومة الوفد لبعض الموظفين فيما عدا الرياضيين تقديراً من الدولة وتشجيعاً لهم مثل : مرعى حسين حماد وسيد العربي وحسن عبد الرحيم وغيرهم من أبطالنا الكبار . .

وذات يوم دخل على شخص لم أره قبلاً وقدم نفسه لى بأنه عبد الفتاح عنايت وهو من الأبطال المصريين خلال ثورة سنة ١٩١٩ ، الذين بذلوا التضحيات فى سبيل مصر وحوكم بتهمة اغتيال السردار سنة ١٩٢٤ حيث قضى زهرة شبابه وراء القضبان بعد إعدام شقيقه ، وقد طالب باستثناء المحكوم عليهم سياسياً من قانون إلغاء الاستثناءات بعد أن وصل إلى الدرجة الأولى بمجلس النواب ، أسوة بأبطالنا الرياضيين وكان هذا الاستثناء من قانون الاستثناءات يستفيد منه شخصان الأستاذ عنايت والمرحوم الشافعى البنا .

واقتنعت بذلك . . وأيدت هذا الاقتراح أمام رئيس الوزراء الذى سألنى هم قرايبك . . ولكننى قلت له : يادولة الرئيس ، أنا لاأتوسط لأقاربي ولا لأصدقائى بل إننى مقتنع بعدالة المطلب .

ووافق دولته وكلف الأستاذ فريد زعلوك باشا بالاتصال فوراً بالسراى وتعديل القانون قبل التصديق عليه .

درس :

بعد تولى الهلالى باشا الوزارة طلب السيد محمود زكى الطويل وكان وقتئذ وكيلا لوزارة شئون السودان الإذن بمقابلة رئيس الوزراء لتهنئته بمنصبه .

وعندما دخل على الهلالى انحنى على يده ليقبلها ولكن الهلالى سحب يده بشدة وقال له :

– لماذا تسلك مثل هذا المسلك وأنت موظف كبير بالدولة . . أنا لا أرضى عن ذلك

فى تعبيرك عن الإخلاص والولاء . . . وأما أن تقبل يدى استخفافا بشأني أو ضحكاً على وهذا مالا أرضاه . . أرجو أن تحترم وظيفتك وتحترم نفسك . . فأنت شقيق زميلى عبد الفتاح الطويل باشا (وكان عبد الفتاح باشا رسول النحاس باشا إلى الهلالى باشا عندما كان النحاس باشا يرغب فى استشارة الهلالى باشا فى شئون الدولة فى وزارة ١٩٥٠) .

وأمر دولته – بعد ذلك – ألا يسمح له بالدخول عليه .

قشاشة والشافعى :

كان المرحوم الأستاذ على قشاشه يعمل سكرتيراً خاصاً للزعيم الراحل مصطفى النحاس باشا ، كما كان الأستاذ أحمد الشافعى يعمل سكرتيراً صحفيًّا للزعيم برئاسة مجلس الوزراء .

وبعد أيام من ولاية الهلالى باشا طلب دولته نقل قشاشه والشافعى إلى وزارة الداخلية وكان مرتضى المراغى باشا وزيراً لها بقصد الاضطهاد ونقلهما إلى أقاصى الصعيد .

وطلب منى رئيس مجلس الوزراء إعداد مذكرة بذلك ، ولكنى سألت دولته مستنكراً عن سبب هذا الإجراء .

فقال دولته : أنا لست فى حاجة إليهما .

قلت لدولته : يادولة الرئيس مجرد اختيار رئيس وزراء لشخص ما معناه أنه موضع ثقته وفى نظرى هى درجة الدكتوراه التى تضاف إلى مؤهلاته العلمية بل أكثر من هذه الدرجة ، وإن كنت لا تريدهما فإننى أطلب منهما أن يختارا الوظيفة المناسبة لهما ويكونا موضع تكريم عند نقلهما من رئاسة مجلس الوزراء .

فقال مقاطعاً : لازم دول أصحابك قوى .

فقلت : يادولة الرئيس . . إننى أدافع عن كياني شخصيًّا . . ما ذنبي لو لم تكن تريدني فلماذا أنقل إلى أقصى الصعيد وأى جرم ارتكبته لكى أنال هذا المصير ؟

فقال باسماً : لقد أقنعتنى . . ونفذ ما تريد .

وبالفعل اختار الأستاذان : قشاشة والشافعى الوظيفة التى نقل كل منهما إليها بعد تكريمهما بصورة لائقة .

تحديد إقامة فؤاد سراج الدين باشا :

فى أثناء وزارة الهلالى باشا رفع إلى وزير الداخلية تقرير من القسم السياسى أنه لم تزل هناك مقاومة بالقناة وأن على رأس زعمائها الأستاذ عبد الحميد صادق المعروف بميوله الوفدية ولكتاباته فى صحف الوفد .

ورأت الوزارة أن الظروف عصيبة بعد حريق القاهرة وأنها كوزارة مستقلة ومحايدة من أهدافها إصلاح الأوضاع لاإشعال الفرقة .

كما نمى إلى علم الوزارة أنه على رأس المحرضين فؤاد باشا سراج الدين الذى يمد حركة المقاومة بالأسلحة والأموال والمفرقعات . . . إلخ . وكان يجتمع بهم ويشجعهم على مداومة الكفاح .

فاقترح الأستاذ مرتضى المراغى باشا وزير الداخلية فى مجلس الوزراء اعتقال فؤاد باشا بموجب الأحكام العرفية ولكن الهلالى باشا اقترح بدلا من ذلك تحديد إقامته بعزبته فى بلبيس .

واستدعاني الهلالى وأخبرنِي بهذا القرار وأخذ رأيي . . وفوجئت وخشيت أن يكون الهلالى باشا يختبرني . .

وعند عودتي إلى منزلى طلبت من السيدة حرمى ألا تدخل على أحداً أو تنبئ أحداً بوجودى فى المنزل خشية أن يتسرب الخبر .

وفى صباح اليوم التالى صدر الأمر بتحديد إقامة فؤاد باشا سراج الدين فى عزبته ونشرته الصحف جميعها .

ولكن سراج الدين طعن فى هذا القرار أمام مجلس الدولة مطالباً بإلغائه وحكم المجلس بإلغاء القرار .

وقد ذكر المرحوم الهلالى باشا للصديق الأستاذ عوض قنديل أنه استشعر من التقرير ومقدمه الأستاذ مرتضى المراغى باشا وزير الداخلية فى وزارة المرحوم على ماهر

باشا وفى وزارته المسئولية الخاصة فى أثناء المناقشة فى مجلس الوزراء (ومن يعرف المرحوم الهلالى باشا العالم الحكيم اللطيف ذى التهذيب الأديب يدرك طلبه تحديد الإقامة) أنه عندما عرض الأمر أمام مجلس الدولة قرر ألا يكون للحكومة أى رأى ، وألا يعرض على المجلس سوى تقرير وزير الداخلية .

وقد عرف عن الهلالى باشا عدم تدخله فى شئون الوزارات وتركها لوزرائها .

•

عيد الدستور (١٥ مارس) :

وجاء ١٥ مارس . . وطلب منى الهلالى أن أذهب إليه فى منزله بالمعادى فذهبت وكان هناك الأستاذ فريد زعلوك باشا وزير الدولة ووجه الهلالى كلمة بالإذاعة احتفالا بهذه المناسبة .

وبعد إلقاء الكلمة طلب منى أن أصحبه فى سيارته خلافاً للعادة إلى القصر الملكى . وكانت العادة قد جرت أن يرافقه ياوره من رجال حرس الوزارات وهو « البكباشى إسماعيل إبراهيم (اللواء فيما بعد) .

وفى أثناء الطريق بدأ الهلالى هجوماً على الوفد وزعيمه ، وكان حاداً فى هذا الهجوم ولم يترك نقيصة إلا رمى الوفد بها وبمصطفى النحاس وزوجته مما أذهلنى ولم أحر جواباً وتركته يتكلم .

ووصلنا قصر عابدين حيث قيد اسمه فى دفاتر التشريفات . وعند توديعى إياه طلب منى أن أعود معه إلى المعادى . . وعدنا . . .

وفى الطريق طلب منى الرأى فيما قاله عن الوفد ومصطفى النحاس والسيدة قرينته .

واعتذرت بدعوى أنه لم يطلب منى الإصغاء إلى حديثه منذ بدايته لأعد رأياً فى هذا الشأن ولكنه أصر . فقلت له : يادولة الرئيس . لى رأيان فى الرد على هذا الهجوم : رأى صلاح الشاهد الحر ورأى صلاح الشاهد الموظف ، فأى الرأيين تفضل ؟

فقال دولته : كلاهما . . .

وبدأت برأى صلاح الشاهد « الحر » بعد أن أخذت عليه عهداً بأن يتقبل هذا الرأى وإن خالفه ، فوعد بذلك . وهنا . . أعلنت رأيى مخاطباً إياه كيف تسمح لنفسك

يادولة الرئيس ، وأنت الذى عاشرت مصطفى النحاس وصاحبته وزاملته طيلة أعوام كثيرة أن تهاجمه فى شرفه ونزاهته ووطنيته هو والسيدة الجليلة قرينته ؟ لقد أخطأت يادولة الباشا فى الإساءة إلى هذا الزعيم الوطنى الكبير الذى تفخر به البلاد .

أما رأى صلاح الشاهد « الموظف » فأنت على حق يادولة الرئيس فيما تقول .

وكان رئيس الوزراء الكريم قد أمر – منذ تأليف وزارته – بأن يتناول كل الضباط طعام الغداء على مائدته إذا ما وصل إلى منزله الساعة الثانية أو ما بعدها وكان المعتاد دائماً أن يعود بعد الثانية .

ودعانا جميعاً إلى مائدته .

وأجلسنى إلى جواره . . وخاطب كافة الضباط الموجودين قائلا لهم :

اليوم هاجمت النحاس باشا أمام صلاح بك – زوراً وبهتاناً – وطلبت رأيه فيما قلت من هجوم مرير اعتبره إسفافاً لا يليق . وكنت أتوقع أن يجاملنى صلاح بك فيما قلت كما جرت عادة الموظف لرئيسه . . ولكن صلاح بك أبي . . بل دافع دفاع الأبطال عن النحاس باشا دون مبالاة بغضبى .

ووجه كلامه أمام الحاضرين وكان وجهه ينطق بالبشر وقال لى : أنت اليوم موضع تقديرى وثقتى واحترامى . . وهذا آخر اختبار أجريته لك منذ أن عملت معى .

وهنا . . سألته عن الاختبارات السابقة ومن حقى أن أعلم بها . .

فقال دولته وعلى شفته الابتسامة : كان أول اختبار لك عن مدى كتمانك للسر ، عندما أخبرتك عن رأيك فى تحديد إقامة فؤاد سراج الدين بعزبته ببلبيس ، وكنت الوحيد الذى يعلم بذلك ومع ذلك لم تذع سراً .

ثم أعطيتك أوراقاً تتضمن معلومات خاصة باستبدال العملة وكان فى الإمكان أن تثرى ثراء كبيراً لو أذعت هذه المعلومات ولكنك كنت أميناً فلم تفعل .

وأخيراً أردت أن أعرف مدى وفائك لمن عملت معه . فعلمتنى . . كيف يكون الوفاء .

همه ١٢١ يوماً :

رحمه الله المستشار عبد الفتاح رجائى صديق الهلالى باشا ، فقد جاء يوماً (كان

بالمعاش) وطلب مقابلة الهلالى باشا فرحب ، ولما فتحت باب المكتب وقف فيه وقال للمرحوم الهلالى باشا :

— همه مائة وواحد وعشرين يوماً ، وبعدها نتقابل فى ال « مونسنيير » فى الإسكندرية ، وحاول الرجوع .

فقال له الهلالى باشا . . . تعال رايح فين

فرد قائلا :

لا يا سيدى أنا ماليش دعوة برؤساء الوزارات .

وغادر رئاسة مجلس الوزراء .

والعجيب أن رئاسة الهلالى باشا لم تزد عن ال ١٢١ يوماً .

الملك يثير الأزمات ضد الهلالى باشا :

من المعروف أن الهلالى باشا كان قد استقدم وفداً من رجال السيد عبد الرحمن المهدى باشا وكان عبد الرحمن باشا للحقيقة والتاريخ من أشد الناس عداوة للإنجليز وانتصاراً لوحدة القطرين : مصر والسودان ، ولكن لما كان السيد على الميرغنى مناوئاً للمهدى فقد اعتبر المهدى من أنصار الإنجليز وكان الإنجليز يشترون القطن قبل زراعته من جزيرة آبا . التى يزرعها المهدى .

وقد حاول عبد الرحمن باشا المهدى أن يتقرب إلى مصر ولكن الإنجليز كانوا قد أبلغوا المغفور له الملك فؤاد ثم من بعده الملك فاروق بأن المهدى يطمع فى أن يكون ملكاً على السودان . . وبذلك استطاع الإنجليز أن يكونوا أسياداً فى كلا البلدين .

ولكن الهلالى باشا كان مقتنعاً بضرورة تحسين العلاقات مع عبد الرحمن باشا المهدى وأمكنه أن يجعل الطيب حسين سفير الباكستان فى مصر يطالب حكومتـه بالاعتراف بأن فاروقاً ملك مصر والسودان ، وفقاً للقانون الذى أصدرته حكومة المرحوم النحاس باشا مع قانون إلغاء المعاهدة .

ولما كانت دولة الباكستان عضواً فى الكومنولث فكان من المتعين أن توقع الاعتراف ملكة بريطانيا ومن ثم تكون بريطانيا قد اعترفت بأن فاروق ملك مصر والسودان .

ولكن حدث أن خرج فضيلة الشيخ حسنين مخلوف – مفتى الديار المصرية – وبدون مناسبة إلى الحديث عن المذهب الذى تعتنقه الباكستان وأنه القاديانية من المذاهب التى يكفرها الإسلام . وقد احتجت وزارة الهلالى على هذه الفتوى وطلبت إخراج مفتى الديار المصرية .

وفعلا ساءت العلاقات بين مصر وباكستان وساءت العلاقات بين القصر والوزارة .

ولما جاء وفد السودان برئاسة عبد الله الفاضل المهدى رحمه الله للمفاوضة وبينه الأستاذ محمد أحمد محجوب دعاه رئيس الوزراء إلى مأدبة إفطار بقصر أنطونيادس ثم إلى حضور الدرس الدينى الذى اعتاد القصر إقامته بمناسبة شهر رمضان المبارك يومياً برأس التين .

وكان صاحب الفضيلة الشيخ حسنين مخلوف – مفتى الديار المصرية – يلقى هذا الدرس بعد صلاة العشاء (أطال الله بقاءه) .

وكان يرتاد هذه الدروس أفراد الشعب حيث كانت تقدم القرفة والشاى .

وفى أثناء إلقاء فضيلة الشيخ مخلوف درسه الدينى ، حضر أحد « تشريفاتيه » القصر وسلم الشيخ رسالة قيل إنها بخط الملك فاروق .

وما لبث الشيخ أن قال : إنه كان يرجو لو كان يلقى درسه فى الخرطوم وبدأ من قرب يهاجم رجال المهدى وقال : كيف نشرب من نيل واحد ونحن يجمعنا دين واحد ولا يكون مليكنا ملك مصر والسودان ، كان يجب أن تأتوا إلى مليككم وتعلنوا الولاء .

وساد الوجوم وارتسم على وجوه أعضاء الوفد وامتنعوا عن تناول القرفة وانصرفوا غاضبين .

وتعثرت بسبب ذلك المفاوضات لمدة أربعة أو خمسة أيام بذل فيها الهلالى باشا الكثير من الجهد لإعادة المباحثات .

وأخبرني الهلالى باشا فى حديث معه أن هذه الأزمة الدافع إليها الرغبة فى إقصائه عن الوزارة لأنه عندما قابل الملك أخبره بأنه سيلغى الاستثناءات ويبدأ بالتطهير . وبتطهير رجال القصر « أولا » وأصبحت العلاقات بين الملك والهلالى باشا غاية فى السوء .

ولم تصل المفاوضات مع الحكومة البريطانية إلى نتيجة يستطيع الهلالى باشا أن يواجه بها الشعب .

وبدأ مستر جيفرسون كافرى سفير الولايات المتحدة الأمريكية يزيد من اتصالاته وتدخله فى الشئون المصرية سواء لدى الملك أو الوفد أو غيرهما .

ودارت الإشاعات فى القاهرة أن عبود باشا يريد أن يتولى سرى باشا الحكم لأن شركات عبود مدينة للحكومة بمبلغ خمسة ملايين جنيه ضرائب وسيقوم سرى باشا بتسوية الدين .

وأصبح الهلالى باشا على يقين من دفع عبود باشا هذه الرشوة فقال لى إنه سيرفع استقالة وزارته .

فاتصلت بالسيدة أصيلة والدة الملكة ناريمان ونبهتها إلى خطورة الموقف وأن قبول الاستقالة يكشف الملك ويؤكد شائعة المليون جنيه .

قصة المليون جنيه :

أوردت وكالات الأنباء أن صحيفة (ديلى إكسبريس) البريطانية نشرت أن المرحوم أحمد عبود باشا دفع مليون جنيه للملك فاروق عن طريق إلياس أندراوس باشا ثمناً لإقالة وزارة الهلالى باشا . حيث كانت الحكومة تطالب شركة السكر بضرائب متأخرة تزيد على خمسة ملايين جنيه . وبتعيين المرحوم حسين سرى باشا رئيساً للوزارة وكانت علاقاته بعبود باشا معروفة .

فلما قرأ الهلالى باشا النبأ قرر الاستقالة وقال :

– إن الملك يريد بيعنا وأن الأحزاب غير راضية عن وجودنا .

. . وكان ذلك يوم الخميس ٢٦ يونيو سنة ١٩٥٢ .

وكتب دولته الاستقالة واتفق مع وزرائه بالإسكندرية على إرجاء تقديم الاستقالة إلى يوم السبت .

وكان الدكتور زكى عبد المتعال وزير المالية والاقتصاد موجوداً بالقاهرة ويتصادف

أن اجتمع بحافظ عفيفى باشا رئيس الديوان فى القطار صباح يوم السبت فى أثناء عودتهما إلى الإسكندرية .

وعند وصول القطار إلى سيدى جابر نزل حافظ باشا متوجهاً إلى رئاسة الوزارة ببولكلى فلم يجد الهلالى باشا الذى كان قد ذهب إلى قصر رأس التين لتقديم الاستقالة . . وقد ترك كتاب الاستقالة وغادر القصر إلى منزله بالمندرة .

ولما أبلغ المرحوم عبد اللطيف طلعت باشا كبير الأمناء الملك بكتاب الاستقالة تصادف وصول حافظ عفيفى باشا رئيس الديوان إلى القصر فسأله الملك عن أسباب الاستقالة فأخبره بما نشرته الصحيفة البريطانية وماكان له من أثر فى نفس الهلالى باشا الذى قال :

– إن الملك قد باعنا . .

وبسبب عدم صحة النبأ ، وأن الملك فكر أن وزارة الخارجية البريطانية أوعزت إلى الصحيفة بنشره للصعوبات التى اقترنت بها المفاوضات التى كان يجريها الهلالى باشا مع الإنجليز ووصفهم إياه بالتشدد . . فقد أخفى الملك نبأ الاستقالة لمدة يومين .

وبينما كان الملك يقضى سهرته بنادى السيارات وخبر الاستقالة شائع فى الثغر دخل المهندس شفيق جبر وسأل الملك عن حقيقة خبر الاستقالة فنفاه الملك وخرج شفيق من الغرفة التى بها الملك ليلتقى بفريد باشا زعلوك وزير الدولة وقال له :

– إن الملك نفى خبر استقالتكم .

فما كان من فريد باشا إلا أن أكد النبأ . فعاد شفيق جبر إلى الملك ونقل إليه تأكيد فريد باشا باستقالة الوزارة .

وهنا رد الملك :

– هو اللى قال كده ؟ ابن ال . . .

ونادى كريم ثابت وكلفه بالذهاب إلى حسين سرى باشا لإبلاغه تكليف الملك بتشكيل الوزارة .

ولما اراد كريم ثابت فرض نفسه على سرى باشا بتعيينه وزيراً رفض سرى باشا وتأخر تشكيل الوزارة ، فقام كريم ثابت بمناورة قصد بها إرغام سرى باشا والدكتور محمد

هاشم باشا على إشراكه فى الوزارة . فاقنع الملك بتكليف المرحوم بهى الدين بركات باشا بتشكيل الوزارة لكن هاشم باشا حرصاً منه على تشكيل الوزارة تمكن من إقناع سرى باشا وأسرته بدخول كريم الوزارة .

وتم التشكيل فى ٢ يوليو سنة ١٩٥٢ .

وظل الهلالى باشا وقتاً طويلا موقناً أن إلياس أندراوس تسلم مليون جنيه لحساب الملك ، ثمناً لإقالته ولم يكن هذا الظن صحيحاً . إذ لم يدفع أحمد عبود رشوة لهذا الغرض ، وإنما حقيقة الأمر تتلخص فى أن تاجر مجوهرات كبيراً فى أمريكا اللاتينية يدعى (هارى ونستون) أراد أن يبيع الملك قطعتين من الماس تزن إحداهما ١٢٦ قيراطاً والأخرى ٧٦ قيراطاً ، بثمن مليونى دولار عن طريق سفير مصر فى باريس الأستاذ أحمد ثروت . وتدخل فى الأمر أحمد نجيب الجواهرجى وحصل على سمسرة قدرها ٥٠ ألف دولار دون علم الملك .

وطلب نجيب الجواهرجى من عبود دفع الثمن فلم يستطع عبود جمع المبلغ كله ولكنه تمكن من دفع مبلغ مليون ومائتى ألف دولار تسلمها فيما بعد من أحمد نجيب الجواهرجى .

ووافق البائع مقابل وفاء الملك بباقى الثمن .

ولم يمض وقت طويل حتى عزل الملك عن العرش وبدأ تاجر المجوهرات فى المطالبة بباقى الثمن فأبلغ أن هذه المجوهرات موجودة بقصر القبة فطلب منه أن يكتب رسالة أو أن يوقع على رسالة يفيد ذلك ، فكتب الملك الرسالة وأرسلها التاجر إلى الحكومة فى القاهرة التى عثرت عليها لكنها لم تدفع باقى الثمن المطلوب .

ولجأ الرجل إلى القضاء المصرى وحصل على حكم بأحقيته فى المبلغ ولكنه لم يستطع تنفيذ هذا الحكم لعدم وجود أموال للملك فى مصر بعد أن صودرت أملاكه .

ومن الطريف أن الأستاذ فريد زعلوك كان أحد محامى الجواهرجى .

الهلالى باشا وشيوخ ونواب أسيوط :

أناب الملك الهلالى باشا لوضع حجر الأساس لكوبرى سوهاج ، وعندما وصل

القطار الخاص إلى أسيوط قامت المدينة لتحية الهلالى باشا الذى كانت أسيوط مسقط رأسه .

وفى أثناء التحية وكان يستقل القطار بعض الخبراء الأجانب الذين هرعوا للتفرج على أسيوط من النافذة وتركوا أماكنهم فى غرفة الطعام بالقطار ، احتل بعض الشيوخ والنواب مقاعدهم وأبوا الرحيل عنها .

وقد حاولت إقناعهم بالتنحى عن هذه الأماكن لضيوفنا ولكنهم أصروا على موقفهم إصراراً عجيباً .

وعندما علم الهلالى باشا منى المسألة ، خرج من صالونه الخاص حيث غرفة الطعام ولقن أعضاء الشيوخ والنواب درساً فى كرم الضيافة وأخلاق الصعايدة وأبي عليه كرمه إلا أن يدعو الخبراء الأجانب إلى مائدته لتناول طعام الغداء معه .

ظرف الهلالى باشا :

وكان الهلالى باشا حاضر البديهة سريع الفطنه والنكته الطريفة وأذكر أننى ذات مرة وكان يتناول طعام الإفطار بقصر أنطونيادس أن خرج إلى الفراندة وبرفقته عبد الله الفاضل المهدى وآخرون من وفد السودان . . وحاولت أن أنبه دولته لتناول القهوة . . . وقلت له :

– يادولة الرئيس . . القهوة

فأجاب على الفور :

– هنا « أهوا » . .

وله فى هذا المجال الكثير مما يؤلف كتاباً ممتعاً .

أول يوم فى وزارة سرى باشا الثانية :

كنت قد قابلت فى العاشرة والنصف مساء المرحوم الدكتور بهى الدين بركات باشا لأتلقى منه تعليمات بانتظاره فى رئاسة مجلس الوزراء الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالى .

وفى الساعة الواحدة صباحاً اتصل بي تليفونيًّا المرحوم الأميرالاى (عميد) محمد وصفى قائد حرس الوزارة والياور الخاص للمرحوم إسماعيل صدقى باشا والمرحوم حسين سرى باشا وطلب منى الحضور إلى منزل سرى باشا .

فذهبت وتقابلنا معاً مع سرى باشا الذى طلب منى أن أحضر إلى الرئاسة فى التاسعة صباحاً ليجرى مشاورات تأليف الوزارة ويتم إعداد مراسم التشكيل .

وبعد وصول سرى باشا بقليل حضر إلى المكتب (فى بولكلى) محمود بك سرى الشقيق الأكبر لسرى باشا وطلب مقابلته فسارعت بفتح الباب ودخل محمود بك . وفوجئت بحسين سرى باشا يقول لى :

— ايه اللى جاب البيه ده هنا ، أنا مش قلت ماحدش يخش إلا لما تقول لى وأوافق .

فقلت له : يارفعة الباشا أنت قلت لى على أنك رئيس وزراء وحتى الآن لم تحلف اليمين ، وامبارح كان بهى الدين بركات باشا نام على أنه رئيس وزراء وصحا من النوم ليجد نفسه كما هو .

ومن حق الأخ الأكبر الدخول على الأخ الأصغر مادام هذا لا يشغل منصباً رسمياً ورفعتك لم تحلف اليمين للآن .

فأصر على خروج محمود بك الذى غادر المكتب وفى عينيه دمعتان .

ولم ألاحظ على المرحوم سرى باشا موقفاً يمكن أن يوصف بالضعف إلا أمام قرينته المرحومة ناهد هانم عندما كانت تؤنبه بشدة على تعيين كريم ثابت باشا وزيراً فى وزارته برغم ما يعلمه عن فساد تصرفاته ، وما عمله ليخرجها من رئاسة الهلال الأحمر .

وكان رد سرى باشا أن الملك عاوز كده ولازم نسمع كلام الملك .

سرى باشا :

وكان موجوداً المرحوم الدكتور هاشم الذى كان يلطف من حدة حرم سرى باشا باعتباره هو الذى أثر على سرى باشا ، وقال :

كريم حيبقى كويس وحيسندنا فى القصر والسياسة عاوزة كده . . وكان هذا الموقف من هاشم باشا سبباً فى تغير معاملة سرى باشا له حتى إنه كان قبل أن يدخل

مكتب سرى باشا يقرأ الفاتحة ، ويترك السيجار على مكتبي ويزرر الجاكتة .

أما كريم ثابت فكان إذا طلبه سرى باشا يسألني . . خير إن شاء الله . . ثم يتجه إلى المرآة ويعدل وضع الطربوش على رأسه . . ويترك السيجار على مكتبي ويدخل وهو يرتعد .

تعليمات محددة :

وعندما حلف اليمين وعاد إلى الرئاسة طلبنى وقال اسمع ياصلاح الآتي :

١ - تحضر معى كل المقابلات إذا كان الضيف فى درجة أقل من سفير .

٢ - عند تحديد الموعد تراعى الدقة المتناهية فى دخول الضيف وخروجه بمعنى لو حددنا لسفير مثلا نصف ساعة من الساعة العاشرة مثلا يدخل على فى تمام العاشرة ويخرج عشرة ونصف بالضبط وإلا فمسئوليتك خطيرة فاهم يا صلاح .

وكثيراً ما كنت أنتزع الضيف من أمام رئيس الوزراء انتزاعاً .

٣ - لا أحد يدخل على دون موعد محدد مسبق ، وأذكر أن المرحوم الفريق محمد حيدر باشا حضر دون موعد ، وكان القائد العام للجيش ، ودخل على سرى باشا الذى طلبنى وقال :

خذ سعادة الباشا وصله للسيارة . . وخرج حيدر باشا يمضغ شفتيه ويتعجب من تصرفات بلدياته سرى باشا .

سرى باشا يرفض مقابلة سفير تأخر خمس دقائق :

حددنا الساعة الحادية عشرة لمقابلة طلبها سفير البرتغال تليفونياً من القاهرة ، وقد تأخر الديزل الذى كان موعد وصوله محطة سيدى جابر الساعة ١٠,٤٠ ، وكان به السفير الذى وصل إلى بولكلى بعد الموعد المحدد بخمس دقائق ، فرفض سرى باشا مقابلته برغم أنه كان يعرف أن السفير صديق شخصى للملك فاروق ومقرب منه ، وأنه يشاركه رحلات صيد البط أسبوعياً .

فقلت له إن السفير حضر دون أن تكون معه ملابس يستطيع بها المبيت فى فندق

حتى التاسعة والنصف من اليوم التالى وهو الموعد الجديد .

فقال :

– لقد قصدت تحديد الموعد بهذه الصورة لينام من غير بيجامه ويتعلم أنه يحضر فى الموعد المحدد له بالضبط .

وتمت المقابلة فى اليوم التالى . .

ذلك القلب الطيب :

والذين عرفوا المرحوم حسين سرى باشا على حقيقته يذكرون ذلك القلب الطيب والإنسان الذى يغطى هذا كله بتكشيرة وصوت عال فى حدة ، ثم لايلبث أن تنبثق منه حقيقته ، رحمه الله رحمة واسعة .

ذات مرة أعطانى خمسمائة جنيه لمصاريف البيت – من ماله الخاص طبعاً – وأخذت أصرف منها وكان من بينها تذاكر سفر لابنته وزوجها الأستاذ إسماعيل مظلوم وكان والد إسماعيل أغنى ماليًّا من سرى باشا .

وطلبنى سرى باشا ذات يوم وقال :

– أنت أغنى ولا أنا . .

فقلت : ما أعرفش ثروة رفعتك علشان أرد على السؤال

فقال : لا . . لا . أنا أغنى .

فلما سألته عن سبب السؤال قال :

حسابى كام عندك .

فاستأذنته وأحضرت بيان المصروفات وناولته لدولته فمزقه ورماه فى سلة المهملات وثار غاضباً .

مش عيب عليك تجيب لى كشف مكتوب . . قول لى عايز كام وبس . .

فقلت له مبتسماً :

– على كل حال دى حركة كويسة ضيعت رفعتك أصل الحساب وأنا مخى مش دفتر ، ورفعتك أكلت على الذى دفعته .

فقال : لا . . . أنت عارف الحساب ، وآدى كمان خمسمائة جنيه أخرى .

فقلت له :

يبق أنا أغنى من رفعتك لأننى عاوز ٦٢٥ جنيهاً فوق الخمسمائة الأولى فضحك وأعطانى ٦٢٥ جنيها ، وطلب أن يكون الحساب أسبوعياً .

ولم يمض على ذلك أسبوع حتى استقال من رئاسة الوزارة .

وطلبنى من منزله تليفونيًّا لأوافيه بأوراقه الخاصة .

فلما سلمته الأوراق بكى وقال :

– ياصلاح أنا ما عنديش أولاد ، وأنا كنت سعيد بعملك معى كنت أعتبرك ابنى .

سرى باشا واليوزباشي مهندس حسين زكى :

طلب منى رئيس الوزراء ووزير الحربية حسين سرى باشا استدعاء المهندس « يوزباشى » حسين زكى من سلاح المهندسين لمقابلته .

وجرت العادة أنه فى مثل هذه المقابلات يتحتّم على البقاء مع رئيس الوزراء لحضور أوامره .

وعند مقابلته لرفعة رئيس الوزراء سأله رفعته :

– هل أنت المهندس المشرف على بناء المصنع الحربى بطره ؟

. . فأجاب بالإيجاب . .

ثم سأله :

– إلى أى مرحلة وصلت فى البناء ؟

. . فأجاب :

الأساس والأعمدة المسلحة والسقف المسلح انتهينا منه .

فرد عليه :

– ضرورى من إزالة كل هذا .

فدهش اليوزباشي . . وقال لرئيس الوزراء . .

– أهد مليون جنيه دفعت فى إنشاء هذا المصنع الحربى . . ؟

فقال له :

– نعم . . إنه أمر منى بإزالته فوراً .

فاحتد اليوزباشي قائلا :

– يا أفندم . . مش معقول . .

وخبط رئيس الوزراء على المكتب بيده وصرخ :

– أنا وزير الحربية . . بأمرك . .

وقال له الضابط :

– الأمر يصدر إلى من رئيسي مدير سلاح المهندسين . . أما أنا فلن أزيل . واعلم يارفعة الباشا جيداً . . أن سبب هذا الطلب مرده لأنكم عند خروجكم من الوزارة تعينون بشركة الأسمنت بطره عضواً بمجلس إدارتها . . ولا تريدون لمصنع الأسمنت أن يكون هدفاً حربياً . .

. . وخرج اليوزباشي غاضباً . . . ثائراً . .

وهو الآن رئيس مجلس إدارة شركة فيبرو للأساس .

ومع القائم مقام محمود سيف اليزل خليفة :

وكان القائم مقام محمود سيف اليزل خليفة مديراً لمكتب وزير الحربية قبل أن يعين حسين سرى باشا وزيراً لها . . ودخل لكي يعرض بريد الوزارة على الوزير مرتدياً الزى العسكرى الصيفى (البوشرت) وغضب الوزير لارتداء القائم مقام مثل هذا الزى بدون قميص أو رباط عنق وقال له :

– يا حضرة . . تاني مرة تلبس قميص وكرافتة .

فقال له مدير المكتب :

– متأسف . . أنت وزير ، وأنا مدير مكتبكم للشئون العسكرية والإدارية أما تغيير الزى فهو من سلطة القائد العام للقوات المسلحة . . وأخشى أن أغيره فأحاكم بتهمة . . لبس غير لائق .

فثار مرة أخرى غاضباً وقال له :

– أنا الوزير الذى أصدر التعليمات وليس القائد العام .

وأصر القائم مقام سيف اليزل على موقفه وانصرف دون عرض البريد .

ولولا قيام الثورة لتغير مصير القائم مقام وأحيل إلى التقاعد بدلا من أن يكون أول سفير مصرى فى السودان الشقيق لمدة سنوات طويلة .

ومع اليوزباشى عادل طاهر

كان اليوزباشى عادل طاهر ياوراً لوزير الحربية . وكان حسين سرى باشا يحب رياضة المشى ، فكان يسير فى مناطق نائية مثل : الرأس السوداء والملكس وطريق أبوقير لمسافة خمسة كليومترات يومياً . .

وكان يرافقه فى هذه الرحلة المرهقة الياور عادل طاهر صامتاً .

وفى يوم أراد أن يتجاذب معه أطراف الحديث لكى يخفف عن نفسه مشقة السير . فقال له :

– يا افندم المشى رياضة جميلة .

ولكن رئيس الوزراء انفجر قائلا :

– اسكت أنا ماشى بافكر فى مهام الدولة مش فى البامية والملوخية اللى بتفكر فيها أنت . . !

فسكت الياور على مضض .

وهنا أحس رئيس الوزراء بأنه كان عنيفاً مع الياور الشاب فسأله الرئيس :

– أنت رياضى ؟

قال له :

– طبعاً يا افندم .

قال له :

– بتلعب إيه ؟

فأجاب :

– كل أنواع الرياضة .

فسأله رئيس الوزراء :

– هل لعبت الشيش ؟

فقال :

– نعم

فقال له :

– أي النوعين لعبت ؟

فأجاب :

– النوعين

وهنا حدث حوار طويل بين رئيس الوزراء وياوره حول الشيش لالمام الرئيس بفنون اللعبة بسبب أن زوج إحدى كريماته كان بطلا من أبطالها .

وأصبح عادل طاهر كأنه فى طابور سير ، يمشى دون حديث .

فى أثناء أزمة انتخابات نادى الضباط :

طلب المرحوم حسين سرى باشا رئيس الوزراء المرحوم الدكتور محمد هاشم وزير الدولة المشرف على وزارة الداخلية فجاءه فى الرئاسة وطلب سرى باشا دخولى معه ودارت المحادثة كالآتى :

سرى باشا : فيه فى المطرية عساكر الهجانة من سلاح الحدود بتوع اللواء محمد نجيب ضربوا فى عساكر اللواء حسين سرى عامر ، أنت سمعت بكده .

هاشم باشا : أيوه دول كانوا خارجين من السينما وحصل احتكاك بسيط وانتهت المشكلة بتغلب فريق محمد نجيب . . والخلاف أساسه انتخابات رئاسة نادى الجيش .

واستأذنت فى الخروج وخرجت . .

وبعد ذلك بيومين أطلق أحدهم الرصاص على اللواء حسين سرى عامر ولم يصب بشيء .

وقد أطلق الرصاص من سيارة – ستود بيكر بيضاء . .

ولم يصل التحقيق الذى قام به البوليس والنيابة إلى معرفة السيارة أو من أطلق

الرصاص ، وإن كان قد تردد وقتها أنه كان فى السيارة ضابطان من الشباب أحدهما من رجال القوات المسلحة والثانى من بوليس القاهرة ، وبالتأكيد لم يكن بينهما الضابط جمال عبد الناصر ! !

وزارة الهلالى باشا الثانية :

على أثر استقالة المرحوم حسين سرى باشا (٢٠ يوليو) اتصلت بى السيدة أصيلة هانم والدة الملكة ناريمان ، وأبلغتنى أن الملك سيكلف الهلالى باشا بتشكيل الوزارة وسيكون ذلك تكذيباً قاطعاً لإشاعة المليون جنيه إياها .

فأخبرت السيدة بأن للهلالى باشا شروطاً لقبول الوزارة والخروج من صومعته التى لزمها بعد استقالته – هى تطهير الحاشية وإبعاد لفيف من المفسدين وعلى رأسهم إلياس أندراوس وكريم ثابت ومحمد حسن وبوللى وحلمى حسين . . فقالت :

– إن الملك قبل هذه الشروط . .

وبالفعل اتصلت بالهلالى باشا فلم أجده بمنزله ولكننى علمت أنه سيتناول طعام الغداء على مائدة فريد زعلوك بمنزله بسان استيفانو ، واتصلت به تليفونياً وطلب منى الحضور فوراً . . فذهبت ووجدت الهلالى باشا والأستاذين مصطفى وعلى أمين والأستاذ محمد حسنين هيكل وتناولنا معاً طعام الغداء .

وأخبرت الهلالى باشا بما دار بينى وبين أصيلة هانم وطلب منى إحضار قائمة الوزراء الذين كانوا تحت رئاسته فى وزارته الأولى .

ثم ذهبنا معاً إلى منزله بالمندرة وكان برفقته نفس الجماعة السابقة .

وقد قرأ الهلالى باشا أسماء الوزراء وأيد تعاون بعضهم معه فى الوزارة المقبلة فيما عدا محمود غزالى باشا الذى كان وزيراً للزراعة فى وزارته الأولى وطلب منى البحث عن وزير للزراعة .

ترشيح حسن كامل الشيشينى باشا وزيراً :

وقد رجعت لأسماء الوزراء السابقين فى الدليل المصرى ووقع نظرى على اسم

المرحوم الشيشيني باشا رئيس مجلس إدارة بنك التسليف الزراعي ، وعرضت اسمه على الهلالي باشا فوافق عليه فوراً وطلب مني الاتصال به وعرض منصب الوزارة عليه ، فاتصلت بمنزله بالدقي ولكنني علمت أنه رحل إلى الاسكندرية بقطار الظهر وسألت عن عنوانه فلم أستدل عليه فكلفت ضابطاً من حرس الوزراء بالمرور على جميع سماسرة الرمل وسؤالهم عن الذين استأجروا شققاً أو فيلات حديثا ، وأمكن لنا بعد طول البحث العثور على الشيشيني باشا وقابلته في منزله بلوران وعرضت له الرغبة في تعيينه وزيراً للزراعة . ولكنه اعتذر وكررت عليه العرض قائلا :

– إن دولة الهلالي باشا عرض اسمك على السراي ووافقت .

واعتذر مرة أخرى .

وبعد إلحاح صرح لي بعدم قبول هذا المنصب بسبب أنه عضو مجلس إدارة البنك الأهلي ويتقاضى مكافأة ألف جنيه سنوياً ويخشى أن تضيع هذه المكافأة وخاصة في عهد اتسم بعدم الاستقرار وتوالي الوزارات على الحكم وهو في حاجة إلى هذه المكافأة ، كما أنه لا تتوافر لديه « بدلة الرد نجوت » الرمادية للمثول أمام جلالة الملك عند حلف اليمين . . ولكنني ذللت هذه الصعوبة عندما عرضت عليه جاكتتي التي تناسبه تماماً . . وقلت له :

– سوف أرسل لك البدلة فوراً .

وقد أرسلت له البدلة وارتداها وحلف اليمين ودخل الوزارة وخرج منها بعد ساعات بعد أن خسر مكافأة البنك الأهلي .

وقد عرضت قصة حسن كامل الشيشيني باشا على اللواء محمد نجيب بعد قيام الثورة بكافة تفاصيلها وظروفها وأخبرته بأنني مسئول عما لحق به من أضرار وتفضل سيادته ورد إليه المكافأة وبقي يتقاضاها إلى أن توفاه الله .

تعيين القائم مقام إسماعيل شيرين بك :

في أثناء محاولة الهلالي باشا تشكيل الوزارة بحضور الأساتذة علي أمين ومصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل وفريد زعلوك باشا دخل علينا الدكتور حافظ عفيفي باشا

رئيس الديوان الملكى وقتئذ وهنأ دولة الهلالى باشا بإسناد الوزارة إليه .

ثم طفق يتباحث معه فى المرشحين لدخول الوزارة . فأخبره بأسماء المرشحين الجدد وهم حسن كامل الشيشينى باشا والمهندس يوسف سعد والأستاذ مريت غالى بك والدكتور سيد شكرى بك .

وهنا سأله عفيفى باشا عن رأيه فى القائم مقام إسماعيل شرين بك زوج الأميرة فوزية فأثنى عليه الهلالى باشا ثناء كبيراً . . وأشاد بأخلاقه وأنه من بيت طيب .

وكان الهلالى باشا ينتوى أن يسند إلى مرتضى المراغى وزارة الحربية كما فعل فى وزارة أول مارس سنة ١٩٥٢ .

وطلب منى كتابة أسماء المرشحين الذين وقع عليهم الاختيار لإصدار المرسوم الملكى بتعيينهم وزراء . . وبالفعل أعد المرسوم من الإدارة العربية لرفعه إلى القصر ، وأرسل فعلا . وعاد عفيفى باشا بالمرسوم دون توقيعه من الملك وسأل الهلالى باشا عن سبب عدم إدراج اسم إسماعيل شرين ضمن الوزراء وزيراً للحربية برغم أن الملك موافق على تعيينه .

فبدت الدهشة على وجه الهلالى باشا وقال :

مين قال إني أريده وزير حربية .

فقال حافظ باشا :

لقد أخذت رأيك وأنت مدحته .

فرد الهلالى باشا :

لقد سألتني عن شخص معين دون الوظيفة ، يعنى لو سألتنى عن صلاح الشاهد وقلت كويس يبقى وزير يا حافظ باشا ، وزير الداخلية مرتضى باشا هو وزير الحربية .

فقال حافظ باشا :

لقد فهمت خطأ ، ورفعت إلى الملك موافقتكم على تعيينه وزيراً . . والحل الوحيد هو أن اقدم استقالتى من رئاستى للديوان حلا لهذه الأزمة .

وهنا حاول كل الموجودين بصالون الهلالى إقناعه بالموافقة كى تمر الأزمة خاصة وأن الملك أجاب كل مطالب الهلالى باشا من تطهير وإبعاد لرجال الحاشية .

ورضى الهلالى باشا دون أن يقتنع . .

ودخل القائم مقام إسماعيل شرين بك وزيراً للحربية .

وهنا تتحقق نبوءة مصطفى النحاس باشا الذى قال عندما تولى عفيفى باشا رئاسة الديوان الملكى أواخر سنة ١٩٥١ : إن عفيفى باشا رجل الولايات المتحدة الأمريكية المرتقب .

ويبدو أن حافظ عفيفى باشا أراد بإدخال إسماعيل شرين بك وزيراً للحربية إثارة الخواطر وتهييج المشاعر على الملك تعجيلا بثورة الجيش .

كاد وجه التاريخ يتغير :

وعين القائم مقام إسماعيل شرين بك وزيراً للحربية بناء على طلب الدكتور حافظ عفيفى باشا

ولكن إسماعيل شرين رفض أن يحلف اليمين وحاول أن يقبل يد الملك وقال والدموع فى عينيه .

– يامولاى . . أنا خادم العرش . . والعرش فى خطر . . ولن ينقذ العرش سوى شخص واحد هو مصطفى النحاس .

وأجفل الملك ، ولكن إسماعيل شرين استمر يقول :

– يا مولاى . . نحن أمام بوادر انقلاب فى الجيش ، وسوف يطيح بالعرش وأنا مخلص لجلالتكم . . وأطالبكم بإنقاذ العرش المفدى .

كان إسماعيل شرين صادقاً فى لهجته عندما ما أردف يقول :

– أرجو أن تعطينى الفرصة لإثبات ولائى لجلالتكم .

ورد الملك :

– وكيف ذلك . . ؟

– أرجو أن تكلفنى بأن أذهب على ظهر طائرة خاصة لإحضار مصطفى النحاس باشا من أوربا فى ساعات ، وأنا كفيل بأن الشعب عندما يرى زعيمه بين صفوفه سوف يهتف للعرش ولجلالتكم .

وابتسم الملك . .

– يا مولاى . . إنها فرصة ، أرجو أن تغتنمها .

وكان الملك متردداً – وكان يخشى سطوة النحاس باشا بين جماهير الشعب وقبل الملك فى النهاية ، واستعد إسماعيل شرين للسفر فى آخر الأمر .

ولكن الداهية ، حافظ عفيفى باشا – رئيس الديوان الملكى وقتئذ – تدخل لدى الملك لمنع إسماعيل شرين من تنفيذ اقتراحه . . وقال ساخراً :

– إن إسماعيل شرين ، قليل التجربة فى الحياة السياسية وإنه شاب لم ينضج بعد ولو دعى النحاس باشا لمثل هذا الأمر لشارك بنفسه فى خلع الملك .

. . واقتنع الملك .

وقامت الثورة التى انتهت بخلع الملك بعد ثلاثة أيام .

وكأن إسماعيل شرين كان يقرأ الغيب فى كتاب مفتوح .

العهد الثاني

الثورة

انتخابات نادى الضباط

إذا أردنا أن نؤرخ ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فإنه تجدر بنا الإشارة إلى واقعة معينة ، هى واقعة انتخابات نادى الضباط . . فقد كانت هذه الواقعة أيضاً المظهر العلنى لحركة الضباط السرية ، والمحك الأول لإرادة الضباط الأحرار .

واذكر بمناسبة علاقتى بالجيش وأهله منذ نشأتى الأولى أن انتخابات النادى كانت تتم فى هدوء بحيث لم يكن أحد من الساسة الكبار يعنى بالاهتمام بها .

فانتخابات النادى كانت انتخابات مهنية أو طائفية .

أما حوادث انتخابات النادى سنة ١٩٥٢ فقد كانت شيئاً آخر . تمخضت عنه أحداث عظام .

فقد قرر اللواء محمد نجيب وهو الذى كان يطلق القصر عليه اسم « عرابى رقم ٢ » أن يرشح نفسه رئيساً لمجلس إدارة النادى بعد أن تقرر نقله من سلاح الحدود .

وكان رجل القصر اللواء حسين سرى عامر مرشحه للرئاسة .

واجتمعت الجمعية العمومية للضباط وقررت عدم جواز ترشيح اللواء حسين سرى عامر لأنه من سلاح الحدود وهى لا تعتبره سلاحاً لأنه يضم ضباطاً من مختلف الأسلحة .

وبدأت الانتخابات واشتد وطيسها . . وبدأت القصة . .

فقد كانت فترة الانتخابات فرصة يلتقى فيها اللواء محمد نجيب مع الضباط فى ناديهم بالزمالك الذى كان قد ضم إليه مبنى الاتحاد المصرى الإنجليزى وهو النادى الذى لعب دوراً أساسياً فى توجيه السياسة المصرية خلال الحرب العالمية الثانية .

واختمرت فكرة الانقلاب . .

فقد كان الضباط يحتشدون فى النادى كل ليلة ، وكانت المناقشات صاخبة ولم تكن تدور حول النساء والخمر ، بل كانت فى الموضوع المفضل وهو الموقف السياسى العام بأبعاده واتجاهاته بعد أن تدهورت الأحوال السياسية فى مصر عقب حريق القاهرة .

وكان المرشحون لرئاسة النادى : اللواء محمد نجيب ، اللواء حافظ مدير سلاح المدفعية واللواء إبراهيم زكى الأرناءوطى مدير المهمات واللواء سيد محمد مدير الصيانة .

والواقع أن اللواء محمد نجيب كان رمزاً لشىء جديد ، وكان باقى المرشحين قيادات تقليدية . ولعل ذلك كان مؤشراً للأصوات التى حصل عليها المرشحون .

فقد حصل اللواء محمد نجيب على مئات من الأصوات وحصل باقى المرشحين على ٥٨ صوتاً . . وكان مجلس الإدارة يضم بعض الأعضاء الذين سوف يعلو نجمهم يوماً مثل القائمقام رشاد مهنا – الذى اختير سكرتيراً للنادى والذى أصبح وصياً على العرش فيما بعد ، والبكباشى زكريا محيى الدين ، وقائد الجناح حسن إبراهيم – اللذين وصلا إلى منصب نائب رئيس الجمهورية والصاغ جمال حماد – الذى كتب للسينما المصرية قصة فيلم « غروب وشروق » مؤرخاً لأحداث الثورة كما صورها خياله والذى أصبح يوماً محافظاً لأحد أقاليم الجمهورية .

ولقد كانت نتيجة الانتخابات مفاجأة للقصر . . وكان لابد أن يحدث شىء فقد استدعى الفريق محمد حيدر اللواء نجيب والقائمقام رشاد مهنا إلى مكتبه . وبدون مواربة قال لهما :

– اسمعا . . إن أوامر (مولانا) أن يدخل حسين سرى عامر مجلس إدارة النادى ولكن اللواء محمد نجيب ابتدره قائلا :

– يا سعادة الفريق ، إن هذا ليس من حق مجلس الإدارة ، بل هو من صميم حقوق الجمعية العمومية ، فإذا أصر مولانا فإننى سأعقد الجمعية العمومية وأعرض الأمر عليها . . وقد استمرت الجلسة سبع ساعات حتى الثانية صباحاً فى حوار . .

وقال لى اللواء نجيب – فيما بعد :

– إننا لم نتزحزح عن موقفنا قيد أنملة ، برغم أن حيدر باشا خرج إلى التهديد السافر عندما أعيته الحيل .

. . ولكن القصر لم ييأس ، فقد حاول تعديل لائحة النادى عن طريق الجمعية العمومية بما يسمح بأن يدخل حسين سرى عامر ممثلا للحدود ، ولكن هذه المحاولة لم تسفر عن أى نجاح .

وأخيراً . . استقر الرأى على حل مجلس إدارة النادى وتعيين مجلس مؤقت برئاسة اللواء على نجيب – وهو شقيق اللواء محمد نجيب ، ونقل رشاد مهنا إلى العريش .

وقد أثار ذلك بلبلة فى الخواطر وإن كنت موقناً بأن هذا النقل كان بناء على طلب رشاد مهنا نفسه بقصد الابتعاد عن القاهرة وتوقياً لغضب الملك واتقاء لما تنذر به الأيام .

وكان اللواء محمد نجيب موضوعاً تحت الرقابة ، ورجال البوليس السرى يحومون حول منزله ، وبعض الأفراد يحاولون استدراجه فى الحديث وهو لا يثق بهم .

عمد اللواء نجيب إلى الحيطة والسرية المطلقة فى الاتصالات . . ولم تكن الثمرة ناضجة فى رأى اللواء نجيب للقيام بأية حركة .

وكان الموقف بعد حل النادى لا يخرج عن اتخاذ إحدى الوسائل التالية :

الأولى : إرسال برقيات احتجاج من الضباط للملك .

الثانية : احتلال النادى بالقوات المسلحة .

الثالثة : جمع كبار الضباط واعتقالهم وفرض شروط الضباط على الملك .

وكان اللواء نجيب يعارض فى الوسيلتين الأولى والثانية ، فمن شأن الوسيلة الأولى الكشف عن أسماء الضباط وعدم استجابة الملك لهم ، أما الوسيلة الثانية فقد كانت عملا متطرفاً ربما يؤدى إلى التصادم المسلح بين الجيش وإراقة دماء المصريين بأيد مصرية .

أما الوسيلة الثالثة فقد وافق عليها اللواء نجيب ، وكانت الإرهاصات جميعاً

تنبئ عن شيء ما ، بعد أن انتشرت منشورات (الضباط الأحرار) وبدأ توزيعها على نطاق واسع .

ويذكر اللواء نجيب أنه فوجئ بزيارة اللواء أحمد فؤاد صادق فى مكتبه ليقص عليه همساً أنه كان فى منزل الدكتور يوسف رشاد وإذا به بعد اتصال تليفونى يعود إليه قائلاً : بأنه سوف يقبض على اللواء محمد نجيب لاتهامه بتزعم حركة ثورية داخل الجيش .

واستمر أحمد فؤاد صادق فى روايته لمحمد نجيب . . إنه نفى ذلك نفياً قاطعاً وأن يوسف رشاد قال له : إن المسألة خطيرة لأنها تتعلق بحياة الملك .

ويبدو أنه قد اقتنع .

وفى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ حضر إلى منزل اللواء نجيب رجل كان وثيق الصلة به وطلب منه الذهاب لمقابلة المرحوم الدكتور محمد هاشم باشا وزير الداخلية وزوج كريمة حسين سرى باشا والرجل القوى فى وزارته ، وهذا الرجل هو المرحوم طه عبد المطلب مدير مكتب الدكتور هاشم بوزارة الداخلية .

وكان هذا الرجل يعمل مع المرحوم محمود فهمى القيسى باشا بالداخلية وقريباً لزوجة محمد نجيب نفسه .

وعندما وصل اللواء نجيب إلى المنزل المقصود لم يجد الدكتور هاشم .

ومرت الدقائق ثقيلة . . بطيئة ، وقد روى اللواء نجيب : أنه أحس بالخوف والقلق يتسللان إلى نفسه .

. . وجاء الوزير . .

وبدأ نجيب يناقش الوزير . .

وكان مدار النقاش هو حالة التذمر التى نشبت فى الجيش .

وكان محمد نجيب يرجع ذلك إلى الأسلوب الدكتاتورى الذى تستعمله السلطة فى حكم البلاد .

. . وكان الحديث طويلا . .

ويقول محمد نجيب :

– إن الوزير عرض عليه منصب وزير الحربية لإزالة أسباب التذمر وخلق حالة من الرضا .

ولم يكن ترشيح محمد نجيب لمنصب وزير الحربية هو الأول من نوعه . فالقصر كان يعارض معارضة شديدة مثل هذا الاقتراح منذ وزارة الهلالى الأولى .

واعتذر نجيب هذه المرة ، وشعر بالمناورة لإبعاده عن الجيش .

وذكر لى محمد نجيب يوماً أن حديثه مع محمد هاشم باشا امتد إلى الساعات الأولى من الليل ، وكان هاشم باشا ذكيًّا أريباً ، وبطريقة عابرة قال :

– هناك لجنة من ١٢ شخصاً عرفت الجهات المسئولة أسماءهم .

ولم يسأل محمد نجيب عن ذلك ، ولم يفصح هاشم عن أسماء هؤلاء الأعضاء ولكن محمد نجيب قال :

– يا معالى الوزير إن هناك شعوراً عامًّا وجارفاً فى صفوف الجيش ضد كثير من تصرفات رجال السراى .

وانتهت الجلسة . . وعاد محمد نجيب إلى داره مع الدكتور هاشم فى سيارته حرصاً من الدكتور هاشم على حياة محمد نجيب الذى كان الأمر مدبراً لاغتياله .

وفى الصباح الباكر حضر إلى منزله الصاغ جلال ندا – الضابط السابق الذى كان يعمل محرراً عسكريًّا بدار أخبار اليوم ومعه الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير مجلة آخر ساعة . لسؤاله عما دار فى مقابلته مع هاشم باشا .

واستبد العجب باللواء نجيب . .

وكان محمد حسنين هيكل مراسلا حربيًّا فى أثناء معركة فلسطين وحضر لتغطية القتال عقب معركة « أسدود » كما أن نجيب كان قد عرف هيكل بالأستاذ عبد الحميد صادق المحامى الذى كان يبذل ماله على كتائب الفدائيين فى أثناء معركة الكفاح ضد الإنجليز بالقناة عقب إلغاء المعاهدة سنة ١٩٥١ لعمل تحقيق صحفى عن الفدائيين .

وفى أثناء الجلسة حضر إلى منزل نجيب البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر ، على غير موعد .

وفى هذه الجلسة – أيضاً – تحدد موعد الثورة . وإن لم يعلم به هيكل .

أحمد نجيب الهلالى باشا :

تخرج فى مدرسة الحقوق الملكية سنة ١٩١٢ وكان أول دفعته وكانت العادة المتبعة أن يسافر الأول فى بعثة إلى باريس للحصول على درجة الدكتوراه فى القانون من جامعاتها كالمغفور لهم الدكاترة : عبد الحميد بدوى باشا – حسن نشأت باشا – عبد الحميد أبو هيف بك – وبهى الدين بركات باشا . . ولكن والده رفض أن يسافر إلى الخارج وحرم من البعثة التى رشح لها المرحوم محمد المفتى الجزائرى باشا الذى صار وزيراً للأوقاف فى وزارة الهلالى باشا .

وقد عين الهلالى مساعداً للنيابة ، ثم نقل إلى إدارة التفتيش بوزارة الحقانية ومنها إلى قضايا الخاصة الملكية . . . ثم أصبح أستاذاً فى مدرسة الحقوق . وكان من بين زملائه أعلام القانون فى مصر فى هذا القرن كالمغفور لهم ، على ماهر باشا وسيد مصطفى باشا وكامل مرسى باشا وعبد الحميد أبو هيف بك والعميد الفرنسى ليون ديجى .

وعند إنشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ اقترح فصل الأساتذة الذين ليست لهم أبحاث قانونية ، وفى غضون ثلاثة أشهر أخرج الهلالى باشا مؤلفه الجليل عن عقد البيع وهى أول دراسة فى القانون المدنى تميزت بالأصالة والعمق ، وقد طبع هذا المؤلف فيما بعد مرتين بإشراف الدكتور حامد زكى باشا أحد تلاميذ الهلالى باشا .

وترك الهلالى باشا التدريس بالجامعة ليعين مع زميله الدكتور محمد صبرى السوربونى بالمكتب الفنى بوزارة العدل وسكرتيراً عاماً لوزارة المعارف بعد ذلك ثم وكيلا لها .

تولى رئاسة لجنة التحقيق فى أثناء وزارة عبد الفتاح يحيي باشا التى خلفت وزارة إسماعيل صدقى باشا ، فى فضيحة الكورنيش وما نسب إلى المهندس الإيطالى دانتمارو وإلى صدقى باشا رئيس الوزراء من تهم الرشوة والفساد واستغلال النفوذ وحقق الهلالى باشا مع أحمد صديق باشا وإبراهيم سيد أحمد بك وأحمد كامل باشا من كبار موظفى بلدية الإسكندرية والأخيران من أقرباء صدقى باشا .

وانتهى الهلالى باشا من التقرير ونشره - بروح القاضى النزيه - فاستدعاه عبد الفتاح باشا يحيي وقال له :

- يا نجيب بك ، لو كنا عارفين أنهم ح يطلعوا براءة ما كنتاش عملنا اللجنة دى .

ولم يرق ذلك الهلالى الذى صاح قائلا :

- لو كنت أعرف أنكم عاوزين تزوروا التحقيق ، لم أكن أقبل العمل فى هذه اللجنة .

وتقلد الوزارة أول مرة سنة ١٩٣٥ فى وزارة توفيق نسيم باشا ، وكان يتولى وقتئذ منصب المستشار الملكى بقلم قضايا الحكومة ، وكان بين زملائه المغفور له : أحمد عبد الوهاب باشا الذى عين وزيراً للمالية ، وقد حدث أن مرض أحمد باشا مرضاً خطيراً وبالكشف عليه قرر الطبيب الإنجليزى الذى دعى لعلاجه أنه مرهق إرهاقاً كبيراً وأنه سوف يقضى نحبه من العمل بوزارة المالية ولا بد أن يترك الوزارة وإلا ساءت حالته .

وفكر الهلالى باشا فى المسألة وقلبها على وجوهها وأدرك أنه لو علم عبد الوهاب باشا بحالته الصحية فإنه سوف يموت من الخوف ولذلك فقد اقترح الهلالى باشا أن تقسم وزارة المالية إلى وزارتين هما المالية والتجارة ، واحتفظ الهلالى لنفسه بوزارة التجارة وقد ثار عبد الوهاب باشا من توزيع اختصاصات وزارته ولكنه علم بعد ذلك بالحقيقة فشكر الهلالى باشا .

وفى الانتخابات التى أجريت بعد تأليف الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٥ وأجرتها وزارة على ماهر باشا - ترك الوفد للهلالى باشا دائرة فى المنزلة رشح نفسه فيها لينزل معترك الحياة العامة لأول مرة ، وقد اعتبر الهلالى باشا مرشحاً وفدياً وأصبح رئيسا لكل من اللجنة الدستورية واللجنة التشريعية بمجلس النواب . أثناء وزارة النحاس باشا .

وفى أواخر عهد الوزارة - وقبل إقالتها - فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧ بشهرين تولى الهلالى باشا وزارة المعارف وخطب خطبته الشهيرة فى الدرب الأحمر التى جاء فيها : إذا لم أكن مع الوفد فى البداية فإننى مع الوفد إلى النهاية . .

وفى سنة ١٩٣٨ عرض رفعة محمد محمود باشا منصب وزير المعارف على الهلالى باشا ولكنه اعتذر .

لم ينعم على الهلالى باشا برتبة الباشوية إلا فى وزارة الوفد سنة ١٩٤٢ وكان وزيراً للمعارف ولكنه لم يشترك فى الوزارة الوفدية سنة ١٩٥٠ ولقد ظل الهلالى باشا وفيًّا للنحاس باشا ، وعندما دب الخلاف بين النحاس باشا ومكرم عبيد باشا رفض الهلالى باشا إلا أن يلتف حول النحاس باشا برغم صداقته لمكرم باشا بل إنه نصح مكرم باشا ألا ينشق على الوفد وحذر من كيد الكائدين له ، ولكن مكرم باشا لم ينتصح وكانت المأساة .

توفيت زوجته فجأة وهى تتوضأ وحزن عليها حزناً شديداً وعندما قابل فريد زعلوك باشا قال له فى نبرة من الأسى :

— لقد أصبح من المستحيل أن أعيش بعدها ، لقد كانت رفيقة عمرى وشبابي وشريكة شيخوختى .

وبعد عشرة أيام انتقل إلى رحمة الله العالم الجليل والسياسى النزيه والمصلح الكبير الذى كان يحرص على كرامته فلا يزيد توديعه للسفير البريطاني عن باب مكتبه .

وكان معروفاً أنه يناصب القصر العداء فقد نشر بتوقيع المرحوم أحمد قاسم جودة عديداً من المقالات الشهيرة بعنوان (مخالب القطط) و (آن لنا أن نصرح) .

كان رحمه الله قمة شامخة فى الأدب السياسى الرفيع ، شأنه فى المحاماة حيث كانت حيثيات الأحكام تصدر متضمنة فقرات كاملة من مذكراته فى القضايا التى كان يترافع فيها ، وما ترافع إلا لإحقاق العدل وتأكيد سيادة القانون .

ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢
كما يرويها فريد زعلوك :

يذكر فريد باشا زعلوك ، وكان وزيراً للتجارة والصناعة فى وزارة دولة أحمد نجيب الهلالى باشا الثانية التى عاجلتها حركة الجيش فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فأطاحت

بها قبل انقضاء ثماني عشرة ساعة على تشكيلها ، وطويت بها صفحة من تاريخ مصر ؟
يذكر أحداث مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ كما يلي :

إن الهلالي باشا اتصل به تليفونياً في منزله وأبلغه بأن هناك ثورة في البلد كما أن مرتضى المراغي وزير الداخلية اتصل به ونقل إليه أن الجيش بدأ في التمرد وأن هناك تفكيراً في إصدار الأوامر للواء أحمد طلعت – حكمدار القاهرة – لإخماد التمرد . ولكن الأستاذ زعلوك كان له رأي آخر ، أشد حذراً وخشي أنه لو قبض على الثائرين وضرب على أيديهم تثور ثائرة الجيش ويحدث ما لا يحمد عقباه ، كما أن هناك سبباً آخر يدعو إلى التريث ، هو أن الوزارة كانت تشعر بالفساد الذي ضرب أوصاله في الحياة المصرية ، وأن الوزارة كانت تريد أن تكبح جماح الملك واستبداده وتقلم أظافره .

ويستطرد الأستاذ زعلوك في روايته ليقول :

إنه اتصل تليفونياً بالأستاذ محمد حسنين هيكل – رئيس تحرير آخر ساعة – فقيل له إنه نائم ولكنه طلب إيقاظه ، فاستيقظ وطلب منه الأستاذ زعلوك أن يذهب إلى عابدين وأن يتصل به .

واتصل الأستاذ هيكل بالوزير زعلوك من أخبار اليوم وأخبره أن معه على الخط اللواء محمد نجيب فاتصل الأستاذ زعلوك باللواء نجيب عن طريق أخبار اليوم وأخبره اللواء نجيب أن أحمد مرتضى المراغي باشا قد كلفه بأن يهدئ من ثورة الثائرين ولكن ليست لديه أوامر كتابية بذلك ، كما أنه لا صفة له . . واعتذر عن فعل أي شئ .

ولكن الأستاذ زعلوك رجا اللواء نجيب أن يفعل ما يرضي ضميره وبخاصة أن وزير الداخلية في الإسكندرية وأن اللواء نجيب في القاهرة .

وانتهى الاتصال . . .

وذهب زعلوك باشا إلى رئيس الوزراء وأبلغه ما حدث وذهبا معاً إلى بولكلي فوجدا الأستاذ مصطفى أمين في وزارة الداخلية واتصل الأستاذ زعلوك باشا باللواء نجيب مرة ثانية ليكلمه الهلالي باشا .

وقال الهلالى باشا . . فى نبرة جادة :

- ياسعادة اللواء ، إن الإنجليز تحركوا على بعد ٤٥ كيلو متراً من القاهرة ونحن لا نريد أن نكرر حكاية عرابى ولا نريد حرباً أهلية تراق فيها الدماء ولا نريد بأى حال من الأحوال أن تكرر مأساة الاحتلال .

. . واستمر الهلالى باشا يقول :

- إذا كانت للحركة مطالب معينة فطائرتي موجودة وأنا قادم إلى القاهرة أما إذا كانت الحركة أبعد من ذلك فإن ردك يكون أبعد عن طريق الإذاعة .

واجتمع الهلالى باشا بوزير العدل كامل مرسى باشا والمفتى الجزايرلى باشا وزير الأوقاف للمشاورة فيما يجرى من الأمور . . وعرض أحمد مرتضى المراغى أن يستقل الطائرة إلى القاهرة وكان مرافقاً له الصحفى مصطفى أمين .

وفى الساعة الحادية عشرة مساء ، اتصل الأستاذ زعلوك باللواء نجيب مرة ثالثة وقال له :

- ياسعادة اللواء ، أنتم ثوار ونحن سياسيون ، وإن معنا قوات .

فقال اللواء نجيب :

يا معالى الباشا كلنا احترام وتبجيل لدولة الهلالى باشا ، ودولته أستاذى ، وقد منحنى الليسانس ، ولكن لنا اعتراضات على بعض الأشخاص من الوزراء .

فقال له الأستاذ زعلوك مستفسراً عن هؤلاء الأشخاص ؟ ؟

فأجاب اللواء نجيب .

- إسماعيل شرين ومرتضى المراغى .

ويبدو أن الحديث لم يرق الأستاذ زعلوك باشا فقال له :

- اعتبر وزارة الهلالى باشا مستقيلة .

فأجاب اللواء نجيب . . آسفاً :

- كنا نود بقاء الهلالى باشا ، ولكن الأغلبية تريد رفعة على ماهر باشا .

وطلب الأستاذ زعلوك رفعة على ماهر وقص عليه ما حدث .

وكان الهلالى قد ذهب إلى القصر وأبلغ الملك ما حدث . ولكن الملك رفض

أن يكلف على ماهر باشا بتشكيل الوزارة بحجة أن ماهر باشا أيقظه فى الفجر وقال له : إن بعض الضباط حضروا إليه فطردهم شر طردة . وقال لهم : إنه لا يعرف للبلاد إلا سيداً واحداً . . هو الملك .

ولكن الهلالى باشا نصح الملك بعرض الوزارة على رفعة على ماهر باشا توقياً لما قد يحدث .

– وأخيراً أذعن الملك للنصيحة ، وطلب منه أن يكلف حافظ عفيفى باشا على ماهر باشا بتأليف الوزارة .

ولم يكتف الهلالى باشا ، بل اتصل شخصياً بعلى ماهر باشا من بولكلى ولكن على ماهر باشا طلب إمهاله ساعة ليفكر فى الأمر .

ولكن يبدو أن الأمور كانت تسير سيراً خطيراً فقد صرح الهلالى باشا الساعة الخامسة بأن الموقف جد خطير ولا يحتمل الإبطاء .

ولكن على ماهر باشا اتصل بالهلالى باشا وقال له : إن الموقف أصبح فى يده وأنه سيحضر غداً إلى قصر المنتزه مباشرة .

وقد تمت المقابلة وكان الملك قد طلب إحضار الهلالى باشا ، ولكن على ماهر باشا تجاهله وطلب مقابلة الملك رأساً .

ويذكر زعلوك باشا .

أن الهلالى باشا طلب من الملك التنازل عن العرش إلى ولى العهد . .

كما يذكر أن الهلالى باشا اتصل بالملك ورد عليه مصطفى صادق الطيار (عم الملكة ناريمان) وطلب إليه أن يفاوض الضباط ، وقد اعتبر الهلالى باشا حين أبلغه الملك بالرجوع إليه فى مسائل المفاوضات أن المسألة متعثرة لأن بعض الضباط الملتفين بالملك كانوا قد هونوا من شأن الحركة .

ومما يذكر أن السفير الأمريكى جيفرسون كافرى اتصل بالهلالى باشا مستوضحاً الأمر فقال الهلالى باشا : إن المسألة داخلية .

وكان « كريزويل » الوزير المفوض بالسفارة البريطانية قد اتصل بالهلالى باشا

فى منزله فى أثناء وزارة حسين سرى باشا وحذره مما يحدث لو وقع حادث جديد كحريق القاهرة يؤدى إلى المساس بحياة الرعايا الأجانب .

وكان تهديداً سافراً من السفارة البريطانية للهلالى باشا قبل تأليفه الوزارة .

ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ :

ذهبت إلى نادى الصيد بالإسكندرية للعشاء مساء ٢٢ يوليو ، وفى الساعة التاسعة والنصف طلبتنى السيدة أصيلة هانم والدة الملكة ناريمان للذهاب إلى منزلها .

وهناك وجدت الملك فاروق .

وقالت أصيلة هانم إنه يبدو أن فى القاهرة حركة للجيش غير عادية وقد طلبتك لإبداء رأيك .

فتوجهت إلى الملك قائلا :

جلالتك تلبس بدلة الماريشالية وتتوجه إلى رئاسة الجيش فى القاهرة وتقابل ضباط الحركة وتبحث معهم مطالبهم .

فرد الملك : بعد أن فكر قليلاً :

انت عاوزني أروح أسلم نفسى بنفسى لهم علشان يغتالوني أو يعتقلوني لا لن أذهب مهما كانت الظروف .

- وعندئذ طلبنى المرحوم نجيب الهلالى باشا للذهاب إلى رئاسة الوزارة فى بولكلى فاستأذنت وغادرت المنزل (كما سيأتي تفصيله بعد) .
- وأذكر أن أحد السادة أعضاء مجلس قيادة الثورة قال لى بعد نجاح الحركة إنه كان فى تقديرهم أنه إذا حضر الملك إليهم وبحث معهم أسباب حركتهم وأقر وجهة نظرهم فسيعودون إلى الثكنات .

بيان الثورة الأول :

صباح الأربعاء ٢٣ يوليو قصد « البكباشي » أنور السادات إلى الإذاعة وتوجه إلى غرفة المذيع ليعلن بيان الثورة الأول .

وامتنع المذيع عن السماح للرئيس السادات بإذاعة البيان إلا بعد موافقة الرقيب العام الأستاذ أنور حبيب (رئيس ديوان المظالم الآن) . واتصل « البكباشي » السادات بالأستاذ أنور تليفونياً فوافق على إذاعة البيان على مسئوليته الخاصة .

وحمل الأثير صوت الرئيس السادات يعلن انتهاء عهد وبدء عهد . .

الوزراء يأكلون الساندويتش :

عندما ذهبت إلى مجلس الوزراء وجدت أغلب الوزراء موجودين وبينهم إسماعيل شيرين وحضر المرحوم نجيب الهلالى باشا وأخذ مع مجلس الوزراء يتابعون الأحداث كما رواها الأستاذ فريد زعلوك .

وكان بعض الوزراء لم يتناول العشاء فأحضرت من محل « على كيفك » بمحطة الرمل ساندويتشات بمبلغ أربعة عشر جنيهاً من جيبي الخاص وطبعاً لم أحصل عليها .

وكان آخر المطاف فى الاتصالات والمتابعة عودة مرتضى المراغى باشا وزير الداخلية وبرفقته اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس القسم السياسى بمحافظة القاهرة دون جدوى بالاتصال مع اللواء محمد نجيب .

على ماهر يؤلف الوزارة :

وصل المرحوم على ماهر باشا سيدى جابر الساعة العاشرة والدقيقة الأربعين وقصد فندق سان ستفانو وطلبنى المرحوم محيي الدين فهمى بك وتوجهت للفندق حيث أملاني رفعة على ماهر باشا مسودة كتاب قبوله تأليف الوزارة يوم الخميس ٢٤ يوليو ثم تحدد موعد مقابلته الملك وأداء الوزارة اليمين الدستورية وقد تم ذلك فى ذات اليوم حيث كان ماهر باشا قد دبر أموره مع الضباط والوزراء المختارين وتم التشكيل

على الوجه التالى :

على ماهر باشا للرئاسة ووزارات الداخلية والخارجية والحربيه ، والدكتور إبراهيم شوقى للصحة ، وإبراهيم عبد الوهاب للتجارة والصناعة والتموين ، وسعد اللبان للمعارف ، ومحمد على رشدى للعدل ، وعبد الجليل العمرى للمالية والاقتصاد ، وألفونس جريس للزراعة ، وزهير جرانة للمواصلات والشئون الاجتماعية ، ومحمد كامل نبيه للأشغال ، وفؤاد شيرين للأوقاف ، وعبد العزيز عبد الله سالم للشئون البلدية والقروية .

ومن المصادفات أن الأستاذ عبد الجليل العمرى لم تكن لديه بدلة الردينجوت الرمادية ليؤدى اليمين أمام الملك فأعطيته بدلتى ، مثل ما حدث مع المرحوم حسن كامل الشيشينى قبل ثمان وأربعين ساعة .

اللواء نجيب فى بولكلى :

وفى اليوم التالى – الجمعة ٢٥ يوليو – قدم دار الرئاسة فى بولكلى اللواء أركان حرب محمد نجيب ومعه قائد الجناح جمال سالم واليوزباشى إسماعيل فريد واستقبلت اللواء نجيب كما اعتدت من سنوات طوال من الصلة العائلية وقلت له :

إيه اللى عملتوه ده بكرة الملك حيشنقكم .

فضحك وقال :

ربنا يسهل يا أبو صلاح .

واستقبل ماهر باشا اللواء نجيب ومرافقيه .

وطلب اللواء نجيب إبعاد ستة من حاشية الملك هم :

إلياس أندراوس ، وأنطون بوللى ، والطيار حسن عاكف ، والدكتور يوسف رشاد ، والأميرالاى محمد حلمى حسين ، ومحمد حسن .

وكان كريم ثابت قد قدم استقالته . .

ولما أبلغ الملك وافق وقدموا جميعاً استقالاتهم .

وأمر الملك بالإنعام على اللواء محمد نجيب برتبة « فريق » .

الملك ينتقل إلى قصر رأس التين :

وانتقل الملك فى سيارته ومعه الملكة ناريمان وولى العهد أحمد فؤاد وتولى بنفسه قيادة السيارة وتبعتها سيارة أخرى فيها الأميرات بناته إلى قصر رأس التين ولم أعلم سبباً لهذا الانتقال من قصر المنتزه الذى لم يره الملك بعد ذلك .

عزل الملك :

وفى الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٦ يوليو قدم الرئاسة اللواء محمد نجيب لمقابلة على ماهر باشا وكان رفعته قد توجه إلى قصر رأس التين حيث طلبه الملك من سان ستفانو بعد أن أطلق جنود الحركة الرصاص على قصر رأس التين رداً على رصاص صدر من الحرس الملكى ظناً منه أن الجنود يهدفون الاستيلاء على القصر .

وكان مستر سباركس المستشار بالسفارة الأمريكية موجوداً بدار الرئاسة حيث قابل الأستاذ سليمان حافظ وهو فى أشد حالات الاضطراب وقال له إنه موفد من السفير جيفرسون كافرى لمعرفة حقيقة إطلاق الرصاص على قصر رأس التين ، ومدى ما ينجم عن ذلك من أضرار قد تسيىء إلى مصالح مصر .

وكانت فرصة للأستاذ سليمان حافظ الذى أبلغ اللواء نجيب برسالة سفير أمريكا ، وقابله المستشار ، فأفهمه اللواء نجيب أن حرس القصر ظن أن القوات التى اقتربت منه وهى إحدى فرق المحافظة على النظام تبغى الهجوم وأن الأمر قد انتهى وأنه أمر بإجراء تحقيق .

وانصرف مبعوث السفير الأمريكى . .

وبعد فترة حضر على ماهر باشا حيث قابله اللواء نجيب وقدم له إنذار الجيش للملك بالتنازل عن العرش قبل الساعة الثانية عشرة ظهراً ومغادرة البلاد قبل السادسة مساء .

وكان رد على ماهر باشا ما يلى :

زى ما تشوفوا . .

وغادر اللواء نجيب الرئاسة ، وبعد دقائق وكانت الساعة قد قاربت العاشرة قصد على ماهر باشا قصر رأس التين وقابل الملك وأبلغه الإنذار ونصحه بالقبول ووافق الملك دون أية مناقشة .

مطالب الملك :

وقد سأله على ماهر باشا عن وسيلة السفر وهل يكون جوًّا أو بحراً فقال الملك إنه يفضل السفر على الباخرة المحروسة على أن يحرسها الأسطول المصرى حتى إيطاليا ، وأن تصحبه زوجته ناريمان وابنهما الأمير أحمد فؤاد ، وبنات الملك من الملكة فريدة ، وأن يودع بصورة تليق بملك تنازل عن عرشه باختياره ، وتشترك الحكومة فى وداعه ممثلة فى رئيسها والجيش ممثلا فى اللواء محمد نجيب ، وأن يقابل السفير الأمريكى جيفرسون كافرى قبل السفر .

وأذكر أن اللواء نجيب وافق على جميع الطلبات ما عدا حراسة الأسطول المصرى للباخرة المحروسة (الحرية فيما بعد) فقد رأى أن تكون حتى نهاية المياه الإقليمية المصرية وليس حتى إيطاليا – ورضخ الملك .

اللواء نجيب يعود للرئاسة :

وفى الساعة الحادية عشرة عاد اللواء محمد نجيب ومعه « البكباشى » أنور السادات وقائد الجناح جمال سالم إلى بولكلى حيث أطلعهم الأستاذ سليمان حافظ على صيغة الأمر الملكى بالتنازل عن العرش ، وكان قد أعده الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا رئيس مجلس الدولة ومعه الأستاذ سليمان حافظ وكيل المجلس .

وقد رأى جمال سالم وأيده الدكتور السنهورى باشا أن يتضمن الأمر الملكى عبارة « ونزولا على إرادة الشعب » . . وصيغت العبارة وأضيفت . .

ولما قابل اللواء محمد نجيب على ماهر باشا قال إنه نصح الملك بالتنازل عن العرش لابنه استبقاء للعرش فى ذريته ، وإن الملك قال له إنه ليس جباناً وإن لديه قوات من الجيش موالية أكثر مما لدى الثائرين .

وأن على ماهر باشا اعترض بأنه لا يوافق على تعريض البلاد لحرب أهلية لا يعلم نتائجها إلا الله .

وأن الملك لم يناقشه فى الأمر . .

وأعتقد أن نجاح الحركة وتنازل الملك إنما يرجع إلى نصيحة السفير الأمريكى جيفرسون كافرى وعلى ماهر باشا حيث أقنعاه بالقبول بطلبات الجيش ووعده السفير الأمريكى بحمايته وأسرته حتى يغادروا مصر .

ولهذا كانت الانفعالات التى بدت على مستشار السفارة الذى أوفده السفير إلى بولكلى لما أطلق الرصاص على قصر رأس التين حيث كان الملك قد أبلغ به السفير .

وقبيل الظهر ذهب الأستاذ سليمان حافظ ، وكنت معه أحمل الأمر الملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ ، وقابلنا الملك فى الدور الأول بقصر رأس التين ، وكان سعيداً جداً حين اطلع على التنازل ووقعه وهو مسرور ووقع الأمر الملكى بقلم حبر خاص بى ولا زلت أحتفظ به .

وقد علق الناس حينما شاهدوا بالصحف صورة الأمر الملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ ، فمنهم من قال إنه كان مضطرباً فوقع مرتين .

وحقيقة الأمر أن الملك - كما شبهته - كان مثل الرجل المحكوم عليه بالإعدام ثم خفف الحكم إلى الأشغال الشاقة ومن هنا يمكن للقارئ أن يعرف سعادة فاروق وهو يوقع الأمر الملكى .

أما مسألة التوقيع ، فقد جرت العادة أن يوقع الملك فوق اسمه ، ثم يوقع تحت الأمر الملكى ،

وهاك نص الأمر الملكى بالتنازل عن العرش .

أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ م

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان . .

لما كنا نطلب الخير دائماً لأمتنا ونبغى سعادتها ورقيها ،

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة .

ونزولا على إرادة الشعب ،

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد ، وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه .

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٧١ ﻫ .

٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٢ م

إعداد الباخرة المحروسة :

وأعدت الباخرة « المحروسة » ونقلت أمتعة الملك إليها تمهيداً للرحيل حسب رغبة الملك .

وقبيل الساعة السادسة غادر فاروق قصر رأس التين إلى رصيف الميناء ولم يكن اللواء نجيب قد وصل .

وما إن غادر الملك القصر حتى أنزل العلم الملكى وطوى وسلمه قائد الحرس الملكى إلى على ماهر باشا ، الذى قدمه بدوره والدموع تنزل من عينيه إلى الملك الذى قبل العلم واستقل اللنش إلى المحروسة وأطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية لرحيله وأدى حرس الشرف التحية العسكرية .

وكان الملك قد تحادث لدقائق مع على ماهر باشا . . والسفير جيفرسون كافرى سفير أمريكا ثم نظر إلى ساعته وقال :

يجب أن أذهب الآن فالساعة قاربت السادسة .

ثم صافح مودعيه ، على ماهر باشا ، والسفير الأمريكى ، ومستشار السفارة وإسماعيل شيرين ومحمد على رؤوف (زوج الأميرة فائزة أخت الملك) وبعض ضباط الحرس وكان المودعون وخدم القصر يجهشون بالبكاء والدموع تنهار من مآقيهم .

اللواء محمد نجيب يودع فاروق :

ووصل بعد ذلك إلى القصر اللواء محمد نجيب حيث كان قد أخره زحام المرور وهتاف الجماهير وتحيتها له (ولم تكن قد علمت بعد بتنازل الملك) كما أن سائق

السيارة ال « جيب » توجه إلى ميناء خفر السواحل بدلا من الميناء الملكى بقصر رأس التين الذى كان فاروق قد غادره منذ خمس دقائق مرتدياً ملابس القائد الأعلى للقوات البحرية .

واستقل اللواء محمد نجيب لنشاً عسكريًّا دار حول « المحروسة » دورة كاملة على الأســلوب المتبع فى تقاليد القوات البحرية للتحية ، ثم صعد إلى المحروسة ومعه **القائمقام** أحمد شوقى والبكباشى حسين الشافعى وقائد الجناح جمال سالم واليوزباشى إسماعيل فريد حيث التقى بالملك وبناته وأدى اللواء نجيب التحية العسكرية ورد فاروق ثم صافحه بيده .

ومضت لحظات صمت قطعها اللواء محمدنجيب بقوله « أفندم » .

. . ثم تحدث عن استقالته يوم الاعتداء البريطانى على قصر عابدين بالدبابات يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

فقال فاروق :

إن مسئوليتكم كبيرة وإنى أوصيك خيراً بالجيش المصرى .

ولاحظ فاروق أن جمال سالم يحمل عصاته فتوقف عن الحديث وتوجه إلى جمال قائلا :

– ارم عصاك .

فحاول جمال سالم الاعتراض فمنعه اللواء محمد نجيب فألقى العصا ووقف وقفة فيها الكثير من اللامبالاة .

وعندئذ أدى اللواء نجيب التحية العسكرية فمد فاروق يده وصافحه وقال :

– أنتم سبقتمونى فى اللى عملتوه . . . اللى عملتوه الآن كنت أنا راح أعمله .

ثم طلب فاروق من اللواء نجيب تأجيل رحيل « المحروسة » نصف ساعة لوصول بقية الحقائب فوافقه .

وأخذ فاروق يصافح بقية العسكريين الموجودين وعندما صافح القائمقام أحمد شوقى قال له :

– أنت قريب على ماهر ؟

فأجاب بالإيجاب . .

واستغرق فاروق فى لحظة من التفكير ، حيث كان يعتقد أن هذا الانقلاب قد دبره على ماهر بالاشتراك مع اللواء نجيب والقائمقام أحمد شوقى ، ولكن لحظات التأمل لم تطل ، فقد هبط المدعوون إلى اللنش لكى يقلهم إلى الشاطئ .

ويبدو أن لوعة هذه اللحظات التاريخية قد أثرت تأثيراً كبيراً على اللواء نجيب والقائمقام أحمد شوقى وهما ينظران إلى فاروق وبناته فانخرطا فى البكاء حتى إن قائد جناح جمال سالم تهكم من هذا البكاء .

ومن الطريف أن الباخرة المحروسة التى أقلت الملك فاروق إلى نابولى هى الباخرة التى سبق أن حملت الخديو إسماعيل – جده – إلى منفاه فى نابولى بعد أن عزل عن العرش .

وفى مساء يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ نودى بالملك أحمد فؤاد الثانى ملكاً على البلاد وأعلن مجلس الوصاية ليباشر السلطات الدستورية .

وقد استمر الملك فؤاد الثانى ملكاً اسمياً على البلاد لحين إعلان الجمهورية فى يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥٣ .

ومن الطريف أيضاً أن السفير الأمريكى « جيفرسون كافرى » – الذى حضر أحداث ثورة ١٩٥٢ جميعها وكان السفير الوحيد الذى كان فى وداع فاروق عند رحيله – صرح فى حفلة نادى الروتارى فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ بأنه ما وضع قدميه فى بلد إلا وكان وراءه انقلاب عسكرى ، وإن مصر هى رابع بلد يعمل بها سفيراً حدث بها انقلاب عسكرى بعد تعيينه سفيراً لبلاده . !

والدول الثلاث من دول أمريكا اللاتينية .

منع سفر بوللى :

ومما يذكر أن اللواء محمد نجيب لم يوافق على سفر أنطون بوللى مع الملك وبقى بوللى بالإسكندرية تحت حراسة مشددة حتى رافق اللواء نجيب فى الطائرة التى أقلته إلى القاهرة يوم ٢٧ يوليو .

أول قرار لعلى ماهر :

فى الساعة الخامسة والنصف مساء ٢٦ يوليو أبلغنى الأستاذ صلاح مرتجى أن البكباشى طبيب حسين صميدة زوج ابنة شقيقتى قد توفى فى لندن إثر عملية جراحية ، وكان صديقاً عزيزاً علىّ ، فانفرطت فى البكاء ورآنى أحدهم ، فأبلغ على ماهر باشا أننى بكيت عند مغادرة فاروق لمصر .

وفى المساء دخلت على على ماهر باشا وكان معه الأستاذ سليمان حافظ وطلبت منه بوصفه وزيراً للحربية الموافقة على نقل الجثمان على نفقة الدولة .

فثار على ماهر باشا وقال :

– هو دا وقته .

فأسعفنى الأستاذ سليمان قائلاً : أيوه يا رفعة الباشا وقته لأن المتوفى زوج بنت أخت صلاح .

فنظر على ماهر باشا وقال :

علشان كده كنت بتبكى مش علشان الملك ، أنا قالوا لى إنك بتبكى فأبلغت جماعة الثورة أنك بكيت لتنازل الملك عن العرش ومغادرته البلاد .

ثم وافق وكان أول قرار أصدره بصفته وزيراً للحربية ورئيساً لمجلس الوزراء .

بيان اللواء نجيب عن تنازل الملك :

وكانت الإذاعة منذ الساعة الخامسة تبث نداءات للشعب تطالبهم بالهدوء والنظام وعدم التهور فى التصرفات عند متابعتهم لتطور الأحداث .

وفى الساعة السادسة والنصف أعلنت الإذاعة أن اللواء محمد نجيب سيلقى البيان التالى الذى أذيع بصوته :

بنى وطنى

إتماماً للعمل الذى قام به جيشكم الباسل فى سبيل قضيتكم قمت فى الساعة التاسعة من صباح السبت ٢٦ من يوليو ١٩٥٢ الموافق ٤ من ذى القعدة ١٣٧١ بمقابلة

صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب .

الأول : أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم .

الثاني : أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساء .

وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة ، دون حدوث ما يعكر الصفو .

وإن نجاحنا إلى الآن فى قضية البلاد يعود إلى تضافركم معنا بقلوبكم وتنفيذكم لتعليماتنا وإخلادكم إلى الهدوء والسكينة .

وإنى أعلن أن الفرح قد يفيض عن صدوركم لهذا النبأ غير أننى أتوسل إليكم أن تستمروا فى التزام الهدوء حتى نستطيع مواصلة السير بقضيتكم فى أمان .

ولى كبير الأمل فى أنكم ستلبون ندائى فى سبيل الوطن ، وفقنا الله جميعاً لما فيه خيركم ورفاهيتكم والسلام » .

اللواء نجيب يتنازل عن رتبة الفريق :

وفى الساعة الثامنة مساء بثت الإذاعة البيان الثانى لقائد الحركة اللواء محمد نجيب بصوته وجاء فيه :

بنى وطنى

إن ما ينسب إلى من عمل مجيد إن هو فى الحقيقة إلا مجهود وتضحيات لرجال الجيش البواسل من جنود وضباط ولم يكن لى إلا شرف قيادتهم .

وقد أمر جلالة الملك فاروق عندما طلب الجيش إسناد منصب القيادة العامة العامة إلىّ بأن ينعم على برتبة الفريق بدرجة الوزير فلم أعلن رفضها حتى لا يعرقل ذلك غرضاً أسمى وهو تنازل الملك عن العرش .

والآن وقد انتهت الأمور فإني أعلن تنازلى عن هذه الرتبة قانعاً برتبة اللواء مراعاة لحالة الدولة المالية » .

وغادر اللواء محمد نجيب ثكنات مصطفى باشا بالإسكندرية بالطائرة ظهر اليوم

التالى ٢٧ يوليو إلى القاهرة حيث اجتمع بقادة الحركة ، وشكلوا مجلس قيادة الثورة برئاسة اللواء محمد نجيب وصار البكباشى جمال عبد الناصر مديراً لمكتبه .

قصتى مع محمد نجيب وتحديد إقامتى :

كان والدى مع والد اللواء محمد نجيب فى السودان بعد الحملة التى أرسلت لاسترداده إثر الحركة المهدية .

وتزوج الاثنان بسيدتين سودانيتين ، وأنجب كل منهما أولاداً . إذ أنجب والدى المرحوم اللواء أحمد لبيب الشاهد ، كما أنجب المرحوم يوسف نجيب اللواء محمد نجيب .

ومنذ سنة ١٩٠٠ نشأ وترعرع كل من أحمد الشاهد ومحمد نجيب فى ربوع السودان حيث توثقت الصداقة بينهما والتحقا معاً بالكلية الحربية وتخرجا بعد ذلك ضابطين صديقين بالجيش المصرى وعملا بوحداته بالبلد الشقيق حتى مقتل السردار سير لى ستاك سنة ١٩٢٤ وأعيد الجيش المصرى من السودان .

ومنذ ذلك الحين لم تنقطع صلتى باللواء نجيب .

وعندما رشح وزيراً للحربية فى وزارة نجيب الهلالى باشا الأولى ، اتصلت به ، ووافق على دخول الوزارة ، ولكن القصر لم يوافق إذ اعتبر اللواء محمد نجيب « عرابى رقم ٢ فى تاريخ مصر » .

وتجدد ترشيح اللواء نجيب للوزارة أثناء تأليف وزارة حسين سرى باشا ولكن هذا الترشيح كان مصيره مصير الترشيح الأول وأصرت السراى على الرفض إلى أن حدثت أزمة نادى الضباط فى يوليو سنة ١٩٥٢ وانفجرت الثورة على أثرها .

وكانت وزارة نجيب الهلالى الثانية قد شكلت وأقسم الوزراء اليمين مساء يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ بقصر المنتزه .

وذهب كل منا للراحة بعد يومين مريرين دون نوم أو راحة .

وفى منتصف ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ اتصلت بى السيدة أصيلة هانم لتبلغنى أن ثمة تمرداً فى صفوف الجيش ، وقابلت الملك كما سبق وأوضحت .

واتصلت بدولة الهلالى باشا . . . وطلب منى إبلاغ الوزراء للتوجه فوراً للاجتماع ، كما طلب ترتيب السيارات وتموينها للذهاب إلى القاهرة فى التو واللحظة ، ولكنه عدل عن ذلك وطلب إعداد طائرة خاصة لسفر مرتضى المراغى باشا وزير الداخلية وحده إلى العاصمة .

ثم ما لبث أن عدل عن ذلك عند ما علم أن الانقلاب العسكرى قد أسفر عن تحرك الجيش من ألماظة وطريق السويس إلى القاهرة .

وقد طلب الهلالى باشا الاتصال باللواء نجيب وإبلاغه بأن رئيس الوزراء يفوض وزير الدولة فريد زعلوك باشا لإجراء حوار مع اللواء نجيب والتحدث معه بشأن الجيش .

وتمت المحادثة فعلا بعد الاتصال بمنزل اللواء نجيب بالزيتون .

وأذكر جيداً أنه قال لزعلوك باشا إنه لا علم له بما دار فى الجيش والدليل بيّن إذ أنه بمنزله .

وانتهت المحادثة دون الوصول إلى نتيجة ، وكان مرتضى المراغى فى طريقه إلى القاهرة بالسيارة .

ثم قفل عائداً إلى الإسكندرية – فى مطلع الفجر – بصحبة اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسى بوزارة الداخلية ، وأبلغ دولة الهلالى باشا أنه اتصل بمحمد نجيب من مكتبه بوزارة الداخلية واستدعاه فرفض اللواء نجيب الذهاب وقال له :

– إذا كنت عايزنى ، تعال لى . .

ولكن وزير الداخلية رفض وعدل عن المقابلة والبقاء بالقاهرة ورجع إلى الإسكندرية .

وتوالت الأحداث ، وقدم نجيب باشا استقالته .

وعند رفع الاستقالة إلى الملك قال الهلالى باشا ملطفاً من حدة الموقف :

– لا تخش يا جلالة الملك شيئاً ، فإن الثورة تأكل بعضها .

ثم ذكر بيت شوقى أمير الشعراء الذى يقول فيه :

فيا لك هرة أكلت بنيهـــا   وما ولدوا وتنتظـر الجنينـــا

وأسندت الوزارة إلى رفعة على ماهر باشا وفى ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢ حضر اللواء محمد نجيب إلى الرئاسة ببولكلى لأول مرة فى حراسة مشددة وبرفقته القائمقام أحمد شوقى بك

وقائد جناح جمال سالم واليوزباشي إسماعيل فريد .

وداعبت اللواء نجيب . . وقلت له :

– إيه اللى أنت عامله ده . . ؟ انت عملت ثورة ضد الملك .

وضحك اللواء . . . وقال :

– نعم ، إن أول برقية وصلتنى اليوم من أخيك أحمد الشاهد (زوج خالة ناريمان) .

وفى ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ألف محمد نجيب وزارة مدنية برئاسته ، وأتيح لى العمل معه وأذكر أن فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى اختير وزيراً للأوقاف وكان يقطن فى حلوان وطلب استدعاءه ، فأرسلت إليه البوليس ليتصل به تليفونيًّا ، ولكن الشيخ ما إن سمع باستدعاء البوليس حتى ظن أنه يريد أن يعتقله ، ولولا أن اتصل به الأستاذ موسى صبرى فأفهمه الموقف لولى الأدبار .

وعملت مع اللواء محمد نجيب وبسبب العلاقات القديمة التى امتدت سنوات طويلة كنت الأمين له .

وكثيراً ما قلت له إن التاريخ حلقات متصلة يكمل بعضها بعضاً كالسلسلة وإن أى تفكك فى طرف منها يؤدى إلى انهيار البناء جميعاً ، ورجوته ألا يصف عهد ما قبل الثورة بأنه (عهد بائد) فكل من عمل فيه له فضل لا يستهان به وهو مرحلة من مراحل الكفاح الوطنى ، وإن مصر هى الباقية دوماً وإن الأشخاص فانون .

وقد اتصل اللواء محمد نجيب – فى أول عهده – ببعض رؤساء الوزارات والوزراء السابقين لاستطلاع الرأى والمشورة ، وذلك لعلمه بفضلهم ورجاحة فكرهم وسداد رأيهم ، وأنهم لم يصلوا إلى مراكزهم القيادية إلا بفضل إخلاصهم للبلاد مهما كانت الأخطاء المنسوبة إليهم ، فكلنا خطاءون .

ثم ساءت العلاقات بين اللواء نجيب ومجلس قيادة الثورة .

ويبدو أن سبب سوء العلاقات كان مرده الشعبية التى اكتسبها اللواء محمد نجيب والتفاف المواطنين حوله .

وسمعت – فيما سمعت – أن ثمة مؤامرات تدبر لاغتيال اللواء نجيب تخلصاً منه ، وأن أحد الأشخاص تطوع بالركوب إلى جوار محمد نجيب ومعه قنبلة زمنية تنفجر . .

فيموت الاثنان معاً . . .

ولكن رفض هذا الاقتراح لعدم إنسانيته .

وأذكر أن كثيراً من القرارات والمراسم التى كان يوقعها جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة كان يرفض اعتمادها اللواء نجيب ، وكم مزقت مراسم وأحرقت أوامر وقرارات ، كان يرفض حتى قراءتها .

واستمرت الظروف تتلاحق إلى منتصف فبراير سنة ١٩٥٤ .

وخلال هذا الشهر أخبرنى اللواء نجيب – وكان رئيساً للجمهورية منذ إعلانها فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ أنه يزمع زيارة السودان . ولكنى لم أقره على هذه الزيارة بسبب عدم ملاءمة الظروف لها . . فضحك وقال :

– أنت فاكر ح يعملوا فىَّ زى ما عملوا فى صلاح سالم ؟

قلت :

– ليه لأ ؟

قال :

– أنا أمى سودانية ، وأنت عارف كويس أنى سودانى .

وسكت . . .

وفى يوم الخميس ٢٥ فبراير طلب منى اللواء محمد نجيب شراء بعض الهدايا لبعض المواطنين السودانيين عند سفره فى أول مارس لحضور افتتاح مجلس النواب .

وفى فجر يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٤ حضر إلى منزلى اليوزباشى منصور من البوليس الحربى وكان قبل ذلك منتدباً من بين حرس اللواء نجيب وطرق الباب وفتحت له ، واعتقدت أنه موفد من الرئيس محمد نجيب لمهمة خاصة ، ورحبت به ودعوته للدخول .

وجلسنا فى غرفة الصالون وسألته عن سبب زيارته فأخبرنى بطريقة مهذبة ودبلوماسية رائعة أنه صدر قرار بتحديد إقامتى . . فذهلت من الخبر وفكرت بأن ثمة انقلاباً قد وقع وأطاح بالنظام .

وفى الساعة السادسة صباحاً من يوم الجمعة ٢٦ فبراير سنة ١٩٥٤ قرأت فى الصحف خبر استقالة اللواء محمد نجيب من المناصب التى كان يشغلها وأهمها رئاسة

الجمهورية ، لوقوع خلاف بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة واعلن استمرار مجلس قيادة الثورة .

وأذاع المجلس بياناً على المواطنين بأسباب الخلاف بينه وبين محمد نجيب وعين البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء . .

وظل منصب رئيس الجمهورية شاغراً .

وقد أمضيت فى منزلى ثلاثة أيام مرت كأنها ثلاثة قرون إلى أن حضر أحد ضباط البوليس الحربى الساعة السادسة والنصف مساء يوم الأحد ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٤ مستأذناً فى رفع القوة التى كانت تتولى حراسة المنزل والتى كانت تحول دون نزول أفراد الأسرة او الاتصال بى عن طريق زيارتى . وأخبرنى أن قرار تحديد الإقامة قد انتهى .

ومن الطريف أن أحد الجنود الذين كانوا مكلفين بحراستى رأى إحدى الشغالات أثناء مهمته وأعجب بها وخطبها من أهلها ثم تزوجها .

وقد عمل وسطاء الخير فى إزالة الشقاق بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة خوفاً من أن يتسرب الخلاف إلى صفوف القوات المسلحة ويحدث مالا تحمد عقباه .

وقبل مجلس قيادة الثورة عودة الرئيس محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية .

وأذاع المجلس فى ٢٧ فبراير البيان التالى :

« حفاظاً لوحدة الأمة

يعلن مجلس قيادة الثورة عودة اللواء أركان حرب محمدنجيب .

رئيساً للجمهورية .

وقد وافق سيادته على ذلك » .

وعدت إلى العمل فى أول مارس سنة ١٩٥٤ وطلبت مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر بمجلس قيادة الثورة وذلك بقصد معرفة أسباب القرار الذى صدر بتحديد إقامتى ، ولكنى علمت من الرئيس عبد الناصر أنه لم يكن الآمر بهذا القرار . ولم أشأ أن أدخل فى التفاصيل . . . وقلت له بالحرف الواحد :

— يا سيادة الرئيس ، إننى لو كنت سيئاً فلا يصح أن أعمل معك أو مع محمد نجيب ، أما أن تحدد إقامتى لأن محمد نجيب رجل سيئ فهذا لا ذنب لى فيه ،

لأنكم جبتم واحد سيئ لأعمل معه ، وأنا أعمل فى موقعى هذا منذ أكثر من ١٢ سنة ، فإذا كان تحديد إقامتى هو سوء من نجيب فأرجو تجديد الأمر بتحديد إقامتى .

وضحك جمال عبد الناصر .

وعلمت أن محمد نجيب سوف يعود من السودان إلى محطة ألماظة الجوية الساعة الثانية عشرة والثلث يوم الثلاثاء ٢ مارس .

وطفقت أفكر حائراً بين الذهاب لاستقباله كرئيس للدولة أو أن أبقى بمجلس الوزراء لأننى كنت أعمل تشريفاتيًّا لرئاسة مجلس الوزراء .

وقد هدانى الله إلى ضرورة الذهاب لاستقبال الرجل الذى عملت معه قرابة السنتين وذهبت للقائه وقد دهشت عندما رأيت بالمطار معظم ضباط السوارى يهنئوننى ، وصافحتهم .

وفى الزحام هنأنى اللواء عبد الحكيم عامر بدوره ، وسألته عن سبب التهنئة وهل عينت وزيراً .

فضحك . . ونفى ذلك وقال :

– لأن تحديد الإقامة انتهى .

فقلت له :

– يا سيادة اللواء ، هذا موضوع قديم نسيته وأنا واثق أنها غلطة من إنسان حقود لو شئتم لذكرت اسمه .

وكانت الطائرة قد هبطت أرض المطار .

وكان الاستقبال عسكريًّا ورسميًّا .

وركب برفقة اللواء محمد نجيب اللواء عبد الحكيم عامر فى طريقهما إلى قصر عابدين وذهبت إلى القصر . وأثناء صعودى درج السلم صادفنى الرئيس جمال عبد الناصر وباقى أعضاء مجلس قيادة الثورة ، بعد اجتماعهم باللواء نجيب .

ودخلت إلى اللواء نجيب مهنئاً بسلامة العودة ، وأنه لو كان قد التفت إلى كلامى وآثر عدم الذهاب إلى السودان ما وقع ما وقع .

وكانت قد وقعت بعض الحوادث الدامية أثناء زيارة اللواء نجيب للسودان ، راح ضحيتها ٣٦ شخصاً ، وكانت هناك مؤامرة لاغتيال اللواء نجيب نفسه دبرها - فيما قيل - أنصار المرحوم عبد الرحمن المهدى وقد أنقذ اللواء نجيب بأعجوبة .

وفى ٩ مارس أعيد محمد نجيب رئيساً لمجلس الوزراء ورئيساً لمجلس قيادة الثورة ولكن - مرة أخرى - احتدم الخلاف بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة وانتهى بأن اجتمع بعض ضباط القوات المسلحة فى ثكناتهم يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ - وتداولوا الموقف بالتفصيل وأن البلاد ستعود إلى الفوضى وإلى نفس الأحزاب القديمة وانتهوا إلى المطالبة بإلغاء قرارات ٥ مارس التى تنص على اتخاذ الإجراءات فوراً لعقد جمعية تأسيسية تنتخب بطريقة الاقتراع العام المباشر تكون مهمتها مناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره والقيام فوراً بمهمة البرلمان إلى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد .

وكذلك طالبوا بإلغاء قرارات مارس التى تنص على أن يحل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٤ . أى يوم انتخاب الجمعية التأسيسية ، وقد اجتمعت كلمة الضباط على الاعتصام فى ثكناتهم إلى أن تلغى هذه القرارات . وحملوا مجلس قيادة الثورة مسئولية ما وقع من حوادث .

وقد اعتبر الضباط أن قراراتهم تماثل قرارات ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وأضرب بعض العمال احتجاجاً على عودة الأحزاب وطالبوا باستمرار مجلس قيادة الثورة فى مباشرة سلطاته .

وانتهى الإضراب وتم العدول عن قرارات ٥ و ٢٥ مارس سنة ١٩٥٣ .

وعادت الأمور سيرتها الأولى .

وفى ١٧ أبريل سنة ١٩٥٤ تخلى محمد نجيب عن رئاسة الوزارة واكتفى برئاسة الجمهورية ومجلس قيادة الثورة ، وقرر المجلس فى ١٧ أبريل سنة ١٩٥٤ قبول التخلى وتكليف جمال عبد الناصر تأليف الوزارة ، فألفها برئاسته ودخل فيها بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة وهم :

السيد / حسين الشافعى لوزارة الحربية .

السيد / حسن إبراهيم وزير دولة لشئون رئاسة الجمهورية .

وأذكر فى ١٧ يونيو ١٩٥٤ أن حضر الرئيس محمد نجيب لزيارة جمال عبد الناصر بمكتبه بمجلس الوزراء ، وكانا يجلسان على الأريكة الموجودة بالمكتب ودق الجرس فى مكتبي ودخلت موجهاً السؤال إلى الرئيس محمد نجيب . . وقلت :

– أفندم

ولكن ، عبد الناصر نظر إلى باستغراب . . . وسألنى :

– إيه اللى عرفك إن الرئيس نجيب هو الذى طلبك ؟ .

فقلت :

– يا سيادة الرئيس . . هذا سر المهنة .

ولكنه أصر على الجواب . . . فقلت له :

– من طريقة دق الجرس .

فقال لى الرئيس نجيب :

– أنا جاى النهاردة علشان أطلبك تعمل معى . . إيه رأيك ؟

فقلت له :

– لا يا سيادة الرئيس ، إننى أرغب مخلصاً أن أعمل مع الرئيس جمال عبد الناصر لسببين :

أولهما ، أن عملى معه بمثابة تكذيب رسمى لما قيل عنى من شائعات كاذبة مغرضة بيني وبينك ، والثاني أننى هنا فى عملى رئيساً لنفسى لا رئيس لى سوى جمال عبد الناصر .

. . ونظر الرئيس نجيب إلى جمال عبد الناصر وقال :

– عرفت ليه أنا كنت متمسك به ؟

ووقف محمد نجيب ليصافحنى مقبلا . . . ويقول :

– أرجو أن تعمل مع جمال بنفس الإخلاص والأمانة التى عهدتهما فيك .

وانصرف نجيب .

وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٥٤ قرر مجلس قيادة الثورة تنحية محمد نجيب وذهب

اللواء عبد الحكيم عامر وقائد جناح حسن إبراهيم إلى قصر عابدين لإبلاغ نجيب بعزله واصطحابه إلى قصر المرج حيث حددت إقامته وظل بالقصر المهجور طيلة ١٨ عاماً . . . إلى عهد الرئيس أنور السادات الذى أمر بإطلاق سراحه .

وقد كانت قصة اللواء أركان حرب محمد نجيب . . مأساة مريرة لأول رئيس مصرى تولى حكم البلاد . . بعد سنوات طويلة من الحكم الملكى .

وظل ثمانية عشر عاماً . . معتقلا بصورة مهينة .

وخرج أول رئيس مصرى . . من معتقله . . شيخاً وقوراً محطماً . .

أمد الله فى عمره .

السنهورى والانقلاب والوصاية على العرش وأزمات على ماهر :

كان الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى باشا – رحمه الله – قانونيًّا بارعاً وفقيهاً مجتهداً ومشرعاً فذًّا .

ولقد عمل السنهورى بالسياسة وتولى وزارة المعارف ثم وزيراً للدولة ورئيساً لوفد مصر فى اجتماع جمعية الأمم المتحدة ١٩٤٦ وحصل على قرار يدين الاحتلال البريطانى ، ثم اختير عضواً بوفد مصر سنة ١٩٤٧ الذى رأسه المرحوم النقراشى باشا لعرض القضية المصرية على مجلس الأمن

وأذكر أن أحد الخبثاء قال للنقراشى باشا – وقتذاك :

– لا بد أن يسلم الإنجليز بمطالب مصر عندما يرون السنهورى وعبد المجيد إبراهيم صالح عضوى الوفد لضخامتهما وبدانتهما .

وابتسم النقراشى باشا .

وفى سنة ١٩٤٩ عين الفقيد رئيساً لمجلس الدولة ، فأقام قواعده على أسس متينة ، وأصدر أحكاماً قضائية رائعة تشهد له .

وأذكر أن بعض الصحف الإنجليزية قالت فى تعليق على أحكام المرحوم السنهورى :

« ليت فى بريطانيا قضاة مثل هذا الرجل » .

وقد أرادت حكومة الزعيم مصطفى النحاس باشا – لكون السنهورى باشا من

أقطاب السعديين – نقل الفقيد الكبير من منصبه القضائى إلى أى منصب آخر يختاره ، فرفض وقال للحكومة :

بينى وبينكم الدستور والقانون ، وإن واجبى أن أدفع أى اعتداء يقع على رئاسة مجلس الدولة وإننى مسئول عن دفعه عن كل رئيس يأتى بعدى ومسئول عن دفعه عن أى عضو من أعضاء المجلس وجد الآن أو سيوجد فى المستقبل وإنى أضطلع بمسئوليتى كاملة .

وظل السنهورى باشا رئيساً لمجلس الدولة إلى أن وقع الانقلاب فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فقام السنهورى باشا بالنصيب الأوفى فى بدء حركة الجيش إذ كان مشرعها الأكبر .

ومما يُذكر أن وثيقة التنازل عن العرش التى وقعها الملك فاروق كان قد أعدها السنهورى باشا فى صيغة أمر ملكى مستلهماً ديباجته من الدستور .

وكانت أول أزمة عرضت على السنهورى باشا هى قضية الوصاية على العرش وتعيين مجلس لها وهى قضية دستورية ، إذ كان دستور سنة ١٩٢٣ ينص على ألا يتولى أوصياء العرش عملهم إلا بعد أن يؤدوا أمام مجلسى النواب والشيوخ مجتمعين اليمين قبل مباشرة سلطتهم الدستورية .

وتحدد المادة ٥٢ من الدستور أنه عند وفاة الملك يجتمع البرلمان بحكم القانون خلال عشرة أيام من الوفاة ، فإذا كان المجلس منحلا وكان الموعد المعين لاجتماعه بعد انتخاب أعضائه يجاوز اليوم العاشر وجب أن يعود المجلس المنحل للعمل حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه .

وتنص المادة ٥٥ على أن يتولى مجلس الوزراء بصفة مؤقتة سلطات الملك الدستورية حتى يؤدى أوصياء العرش اليمين أمام البرلمان .

وكان مفروضاً أن يدعى البرلمان الوفدى للانعقاد طبقاً للدستور وبناء على فتوى كبار رجال القانون الوفديين لرئيس الوزراء على ماهر باشا ، وكان خلال رئاسته للوزارة – وبعد حريق القاهرة – قد رفض حل مجلس النواب الوفدى بعد أن منحه المجلس الثقة بناء على توجيهات الوفد .

وفى أول أغسطس سنة ١٩٥٢ أصدر قسم الرأى مجتمعاً قراراً لم يوافق عليه واحد فقط – هو الدكتور وحيد رأفت – بعدم جواز دعوة مجلس النواب « المنحل » فى حالة نزول الملك عن العرش وأنه يجب إجراء انتخابات جديدة ، ولما كانت الانتخابات تأخذ وقتاً غير قصير فإن الحل الوحيد هو إيجاد نظام للوصاية المؤقتة بإضافة مادة للأمر الملكى المشار إليه تنص على أنه فى حالة نزول الملك عن العرش وانتقال العرش إلى خلف قاصر يجوز لمجلس الوزراء إذا كان مجلس النواب منحلا أن يؤلف هيئة للعرش من ثلاثة تتولى بعد حلف اليمين أمام مجلس الوزراء سلطة الملك إلى أن تتولاها هيئة الوصاية الدائمة ، ولم يكن اللواء محمد نجيب من هذا الرأى ولكنه خضع للأغلبية كعادته .

وتم تعيين مجلس الوصاية المؤقت من الأمير محمدعبدالمنعم وبهى الدين بركات باشا والقائمقام رشاد مهنا الذى عين وزيراً للمواصلات بصفة شكلية ليستحق عضوية مجلس الوصايا دستورياً .

ثم جاءت لأزمة أخرى مردها إلى قانون الإصلاح الزراعى ، وكان صاحب فكرة المشروع والمروج لها قائد الجناح جمال سالم بعد أن عقد مجلس قيادة الثورة جلسة طويلة حضرها الدكتور راشد البراوى الذى أحضره من الإسكندرية اليوزباشى أحمد حمروش ، وكان راشد البراوى معروفاً لدى الضباط عن طريق كتبه التى نشرها عن البترول والشرق الأوسط و« الاشتراكية » والتفسير المادى للتاريخ لإنجلز ورأس المال لكارل ماركس ، والاقتصاد السياسى لليونيف .

وكان مشروع الإصلاح الزراعى قد سبق أن عرض على مجلس الدولة وأعد السنهورى باشا صياغته القانونية ، ولكن رئيس الوزراء على ماهر باشا كان موزع الرأى حول تحديد الملكية الذى يطالب به مجلس القيادة وبين الضرائب التصاعدية التى كان رئيس الوزراء مقتنعاً بها اقتناعاً كبيراً .

وعقد على ماهر باشا مؤتمراً من الأوصياء على العرش وأعضاء مجلس الوزراء وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة وعدد من الفنيين وأعضاء مجلس الدولة فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء .

وقد حضر هذا الاجتماع اللواء محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة وبهى الدين بركات باشا ورشاد مهنا والدكتور عبد الجليل العمرى وجمال سالم وصلاح سالم والدكتور عبد الرزاق السنهورى وراشد البرارى وسليمان حافظ .

واختلفت الآراء ، فقد أيد رئيس الوزراء بهى الدين بركات باشا والقائمقام رشاد مهنا ثم مالبث الأخير أن نزل عن رأيه تأييداً للأغلبية كما قال ، وانتهت الجلسة إلى موافقة شبه إجماعية على المشروع مع تحديد الملكية بحد أقصى هو ٢٠٠ فدان .

وأعد سليمان حافظ المشروع فى صيغته النهائية ولكن المشروع مالبث أن توقف فى مجلس الوزراء .

وكان هناك خلافات بين رئيس الوزراء ومجلس الثورة فقد تولى على ماهر باشا رئاسة الوزراء تحت ضغط الأحداث بعد قيام الانقلاب ، واحتل وزارات الداخلية والحربية والخارجية ، وكان مفروضاً بعد خروج الملك أن يدعم وزارته بعناصر تعطى ثقلا للحكومة .

وروى لى اللواء محمد نجيب . . أنه تناقش مع الرئيس على ماهر باشا حول أسس التعديل واتفق أن يتم يوم وقفة عيد الأضحى بالتحديد ، ولكن على ماهر عمد إلى المماطلة وسافر إلى برج العرب ومرسى مطروح حيث اجتمع بعدد من الضباط ناقش معهم مشروع الإصلاح الزراعى من وجهة النظر التى يعتنقها .

ثم صدرت مراسم بعد العيد بتعديل وزارى يخالف ما اتفق عليه على ماهر ومحمد نجيب وكان على ماهر قد عرض هذه المراسم على رشاد مهناً التى انفرد بالتوقيع عليها دون الرجوع إلى اللواء محمد نجيب .

وأذكر أن الرئيس على ماهر فى هذه الآونة كان خاضعاً لمؤثرات شديدة من رجال الأحزاب والسياسيين القدامى بقصد منع صدور قانون الإصلاح الزراعى كما أنه كان محرجاً من زملائه الوزراء الذى اتفق على إخراجهم فى التعديل الوزارى .

وعلاوة على ذلك فقد صدر الأمر باعتقال ٦٤ من كبار السياسيين دون الرجوع إلى رئيس الوزراء بقصد دفع على ماهر باشا إلى الاستقالة حفاظاً على كرامته .

ودار بحث مجلس الثورة حول المرشح لمنصب رئيس الوزراء واستبعدت كافة

الأسماء الحزبية .

ورشح الأستاذ سليمان حافظ الدكتور عبد الرزاق السنهوري ووافق محمد نجيب دون إبطاء على هذا الترشيح بوصفه سنداً للقانون والديمقراطية ، ولكن قائد الجناح على صبري الذي كان حاضراً هذا الاجتماع باعتباره سكرتيراً لمجموعة الطيران همس شيئاً في أذن قائد الجناح جمال سالم .

ولم يلبث جمال سالم أن قال مندفعاً بصوت عال :

– إنني أعترض على هذا الترشيح .

وقال نجيب :

– لماذا الاعتراض ونحن جميعاً نجل السنهوري ونعرف قدره ونعترف بجدارته ونثق في إخلاصه للحركة . . ؟

وقال جمال سالم :

– إنني أعرف كل ذلك ، فقد أيد السنهوري قانون الإصلاح الزراعي وأنا أحترم الدكتور السنهوري وأثق في إخلاصه للحركة .

فسأله نجيب :

– ولكن ماذا . . .

– إنني أتشفع الصراحة والإخلاص في عرض السبب الذي يحملني بالرغم عن ذلك على العدول عن الترشيح .

فقال نجيب :

– أرجو أن توضح السبب لنا .

فقال جمال سالم :

– لقد عرفت أن الأمريكيين سوف يعترضون على الترشيح لأن بعض الصحف الغربية نسبت إليه في أواخر عهد الملك السابق وأثناء وزارة الوفد أن له ميولا شيوعية أو يسارية .

وذهل محمد نجيب . . وقال مستفسراً :

– كيف ذلك ؟

فانفجر جمال سالم بصوت غير عادى :

– إننى برغم يقينى ببطلان هذه التهمة إلا أن مصلحة الحركة ، وقد أخذت بعض الصحف فى الخارج تتهمها بالشيوعية ، توجب علينا تفادى كل ما من شأنه أن يستغله الأعداء .

– وران على المجلس الصمت .

ولم يفقد السنهورى باشا رباطة الجأش ، فأجاب فى صوت هادئ يفيض ثقة :

– إننى أقر وجهة نظر جمال سالم وأعرف أن الذريعة التى استندت إليها الصحف الغربية فى اتهامى بالشيوعية مرجعها إلى أننى وقعت وزملائى من مستشارى محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة نداء للسلام ورد إلينا بالبريد من الخارج كما ورد مثله لسائر الهيئات فى ذلك الحين عام ١٩٥٠ ولا يخرج مضمون هذا النداء عن الدعوة لإقرار السلام العالمى بمنع أساليب الحروب ومحاصرتها .

وإننى أطلب الانتقال للحديث عن المرشح الآخر . .

وظهر اقتراح تعيين سليمان حافظ فاعتذر مفضلا منصب المستشار القانونى لرئيس الوزراء كما فعل مع على ماهر باشا .

وعندئذ اقترح السنهورى باشا تولى اللواء محمد نجيب رئاسة الوزراء بجانب رئاسة مجلس قيادة الثورة .

ولكن وقع ازدواج بين مجلس الوزراء ومجلس القيادة واتسع الخلاف بينهما إلى درجة أصبحت تهدد بتعطيل القرارات والأعمال اليومية .

واستشار اللواء نجيب الدكتور السنهورى واتفق الرأى على تشكيل لجنة اتصال دائمة بين الهيئتين للتحكيم عند الخلاف ، وكانت مشكلة برئاسة نجيب وعضوية سليمان حافظ وعبد الجليل العمرى وأحمد حسن وفؤاد جلال والشيخ الباقورى عن الوزراء وجمال عبد الناصر وجمال سالم وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى عن مجلس القيادة ، وكانت اللجنة تجتمع سراً فى ثكنات قصر النيل وظلت تعمل حتى أعلن سقوط دستور ١٩٢٣ فى العاشر من ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، واستعيض عنها بمؤتمر من جميع أعضاء مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة يجتمع مرة كل أسبوعين

ويكون بمثابة برلمان ، وذلك على هيئة جبهة تقابل الأخرى .

ولكن الازدواجية لم تنته وبدأ سليمان حافظ فى إحدى جلسات المؤتمر يتحدث عن مساوئ الازدواجية ويعلن باسم المدنيين الاستقالة من الوزارة وأن تشكل وزارة عسكرية صرفة أو وزارة مختلطة .

ثم أصدرت لجنة خماسية فرعية من لجنة الدستور قراراً خطيراً وكانت تضم السنهورى وعبد الرحمن الرافعى ومكرم عبيذ والسيد صبرى وعثمان خليل عثمان وكان هذا القرار بإعلان الجمهورية .

واعترض اللواء محمد نجيب أولا على إعلان الجمهورية ثم قبل رئاسة الجمهورية وأعيد تشكيل الوزارة ودخلها العسكريون إذ عين جمال عبد الناصر نائباً لرئيس الوزراء وصلاح سالم وزيراً للإرشاد وعبد اللطيف البغدادى وزيراً للحربية ورقى الصاغ عبد الحكيم عامر إلى رتبة اللواء وعين قائداً عاماً للقوات المسلحة .

وعندما وقعت أزمة مارس سنة ١٩٥٤ توجهت مظاهرة مدبرة من مبنى هيئة التحرير إلى مجلس الدولة وقوامها عمال مديرية التحرير وجنود من البوليس الحربي تحت قيادة الصاغ حسين عرفه وعدد آخر من ضباط البوليس الحربي . وكانت جريدة الأخبار قد نشرت أن الجمعية العمومية لمجلس الدولة سوف تجتمع اليوم بدعوة من رئيس المجلس بصورة تشير إلى أن الاجتماع له صلة بالأحداث الجارية واقتحم المتظاهرون مبنى مجلس الدولة الذى سحبت الحراسة من حوله ودخلوا قاعة الاجتماع وكان قد صدر قرار بتأييد الديمقراطية والحياة النيابية ، واعتدى المتظاهرون على الدكتور عبد الرازق السنهورى وعلى باقى الأعضاء بالضرب الشديد ومزقوا القرار الذى تم اعتماده بعد أن تمت محاصرة مستشارى مجلس الدولة وحبسهم فى قاعة الاجتماعات ثم إجبارهم على توقيع بيان بتأييد مجلس الثورة .

وقد اتهم السنهورى أمام النيابة العامة جمال عبد الناصر بتدبير الحادث كما أنه رفض مقابلته عندما زاره بعد الاعتداء عليه ليعوده . .

ثم سقط السنهورى من رئاسة مجلس الدولة بحكم قانون صدر بمنع الوزراء الحزبيين من ممارسة العمل .

وظل السنهورى بعيداً عن الأحداث إلى أن وافاه الأجل واختاره الله فى سنة ١٩٧١ . وكان – رحمه الله – قد حصل على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٧٠ فى عهد الرئيس عبد الناصر .

مجلس الوصاية على العرش :

فى مساء يوم الأربعاء ١٠ يوليو ١٩٥٢ دخل مكتبى القائمقام محمد رشاد مهنا فحييته مرحباً وجلس معى بعض الوقت دون أن أعلم سبب مجيئه وخجلت من سؤاله عن ذلك .

وبعد تناول القهوة استدعانى الرئيس الراحل على ماهر باشا وسألنى عن مجىء القائمقام رشاد مهنا فأجبته بالإيجاب فقال :

– أحضر صورة من القسم لكى يحلف اليمين أمامى .

فسألته :

– أى الوزارات سوف تسند إليه ؟

– وزارة المواصلات

وصحبته إلى مكتب الرئيس ماهر حيث حلف اليمين وصدر المرسوم بتعيينه وزيراً .

وفى ٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢ قرر مجلس الوزراء برئاسة على ماهر تأليف هيئة الوصاية المؤقتة للعرش من :

الأمير محمد عبد المنعم – بهى الدين بركات باشا – محمد رشاد مهنا .

واستمر القائمقام رشاد مهنا فى أداء عمله من قصر عابدين حتى يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٥٢ حيث أقيل من منصبه بعد مشادة حدثت بينه وبين الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب بعد أن أفهمه بأنه يتدخل فى شئون الحكم ولا يلتزم حدود منصبه كوصى على العرش وأنه كان يقوم بدعاية صحفية واسعة .

وهنا . . ثار مهنا ، وخبط بيده على مكتبه قائلا :

– أنا هنا وصى . . يعنى ثلث ملك .

وقد خرج من المكتب الرئيس نجيب غاضباً ونقل ما حدث إلى زملائه وصدر

المرسوم بإعفاء رشاد مهنا من منصبه .

ثم ما لبث أن أعفى بهى الدين بركات باشا أيضاً من منصبه وترك الأمير محمد عبد المنعم وصيًّا وحده على العرش إلى حين إعلان الجمهورية فى ٨ يونيو سنة ١٩٥٣ .

وعقب إقالة القائمقام رشاد مهنا ، صدر الأمر بتحديد إقامته بمنزله فى منشية البكرى ثم اتهم بعد ذلك بالاتصال ببعض زملائه من ضباط الجيش لكسب عطفهم بعد إقالته بدعوى عدم إعطائه الفرصة لتحقيق ما كان يطمح إليه من إصلاحات .

وألقى القبض عليه بتهمة تدبير مؤامرة لإحداث فتنة بين أفراد القوات المسلحة والاستيلاء على قيادة الجيش .

وقدم إلى المحاكمة أمام مجلس الثورة بهيئة محكمة وأصدر المجلس فى ١٩ مارس ١٩٥٣ الحكم عليه بالسجن المؤبد .

ثم أفرج عنه إفراجاً صحياً . . بعد ذلك .

الأمير عبد المنعم يبكى :

استمر الأمير عبد المنعم وصياً على العرش وكان لا يعترض على ما يطلب منه ثم نحى من منصبه بعد إعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ . وظل فى قصره معتكفاً راضياً بمرتبه وقدره ١٥٠ جنيهاً .

وفى سبتمبر سنة ١٩٥٨ اتصل بى الأمير عبد المنعم وطلب منى إبلاغ الرئيس عبد الناصر أنه يريد السفر إلى الخارج وأنه طلب تأشيرة الخروج من السيد زكريا محيي الدين وزير الداخلية . . . فرفض .

ولما كنت أميناً طوال فترة عملى على أن أنقل الصورة الحقيقية لما يحدث إلى الرئيس وإبلاغه رغبات السياسيين القدامى الذين تربطنى بهم صلات قوية فقد سألنى الرئيس عن سبب سفر الأمير فأخبرته بأنه سوف يسافر إلى سويسرا لزيارة أولاده الذين غادروا مصر منذ ثلاث سنوات .

ولكنى قبل أن أستطرد فى الكلام طلب منى إحضار مجلة « المصور » . وكنا يوم خميس ، فأحضرتها وأرانى الرئيس صورة يوم توديع الملك فاروق على الباخرة

المحروسة كملك للبلاد بعد تنحيته عن العرش فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٥٢ وصورة أخرى فى الجهة المقابلة لما حدث بعد ثورة العراق من قتل لأفراد الأسرة المالكة العراقية الهاشمية .

وقال لى الرئيس عبد الناصر :

— شوف الفرق بين المعاملة ، فبعد قيام الثورة مباشرة كانت النية متجهة من أحد أفراد مجلس قيادة الثورة لمحاكمة الملك وأعضاء الأسرة المالكة ولكنى رفضت بشدة وهددت بالاستقالة لو نفذ ذلك .

. . فأخبرته :

— نفرض ياسيادة الرئيس أنه سافر ولم يعد . . فإننا نستفيد بقصره ونوفر للدولة ١٥٠ جنيهاً شهرياً . .

واقتنع الرئيس وأصدر أمراً بسفر الأمير السابق . . عبد المنعم

وغادر الأمير مصر ولم يعد حتى اليوم .

وأصبح قصره الآن مقراً للضيافة باسم « قصر الحرية » .

وأذكر أننى عندما ذهبت لمقابلة الأمير وإبلاغه بالموافقة على [illegible]

وقال :

— إن هذا الموقف يذكره بما حدث عندما أبلغه اللواء نجيب بإعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ ، فقد بكى حينذاك وهو [illegible] فى حكم أسرته التى ظلت تحكم مصر . . زهاء ١٤٨ عاماً ([illegible] ١٩٥٢) .

الولايات المتحدة الأمريكية

واللواء نجيب :

أذكر أن اللواء محمد نجيب حدثنى ذات يوم أنه لم ير السفير الأمريكى « جيفرسون كافرى » أول مرة إلا يوم وداع الملك فاروق الراحل .

واستمر اللواء نجيب لا يقابل السفير الأمريكى حتى دعى للعشاء على مائدة البكباشى عبد المنعم أمين فى منزله ، وكان حاضراً العشاء السفير الأمريكى وأربعة

من رجال السفارة ، اثنان منهم من المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان يصاحب اللواء نجيب أربعة من أعضاء مجلس قيادة الثورة هم : جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وزكريا محيي الدين ، كما كان معهم اليوزباشي محمد رياض قائد حرس اللواء نجيب . ثم تكررت الدعوة للعشاء بعد أسبوع .

ويذكر اللواء نجيب أنه صرح للسفير الأمريكى عندما أنذره بالخطر الشيوعى الذى يتهدد مصر أنه لا يخشى على البلاد من الشيوعية ، كما أنه يرفض التعاون بين أجهزة الأمن والمخابرات الأمريكية لخوفه من أن ينقلب جهاز الأمن إلى أداة تسلط على الشعب وأن يصير هو الحاكم الفعلى .

وقال لى اللواء نجيب إنه انقطع عن مقابلة الأمريكيين ، ولكنه علم بعد ذلك أن جمال عبد الناصر لا يزال على اتصال برجل المخابرات الأمريكية مستر « كرميت رزفلت » وأنه يجتمع به بمجلس قيادة الثورة ، فطلب اللواء نجيب من جمال عبد الناصر الامتناع عن مقابلة هذا الرجل بسبب أن اجتماعه به (أمر خطير جداً) وأن الأمريكيين يريدون تخريب الثورة والقضاء عليها واحتواءها فى ركاب الولايات المتحدة الأمريكية .

مسدس من أيزنهاور :

سنة ١٩٥٣ طلب السفير جيفرسون مقابلة اللواء محمد نجيب لإبلاغه عن زيارة جون فوستردالاس وزير الخارجية الأمريكية .

وأثناء المقابلة قال السفير الأمريكى :

– إن حوادث الصدام وعدم الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة الإنجليزية تهدد باضطراب فى منطقة الشرق الأوسط .

. . فرد اللواء نجيب قائلا :

– وما ذنبنا نحن ؟

فقال كافرى :

– مهما يكن ، فإن هذه المنطقة يهم الولايات المتحدة استمرار الهدوء فيها فى هذه الآونة التى اشتدت فيها الحرب الباردة بين الشرق والغرب .

فقال نجيب :

– إن مراوغة الإنجليز كانت هى السبب الرئيسى فى قطع المفاوضات وفى عودة حرب العصابات .

فقال كافرى :

– أنا معك ياسيادة الرئيس فى ذلك ، وأقترح أن تتوسط الولايات المتحدة مرة أخرى بعد وساطتها الأولى فى تسهيل بدء المفاوضات ، وأن تشترك كطرف ثالث ضماناً لنجاحها . .

فرد نجيب :

– لا أعتقد أن هذا الاقتراح مجد .

فقال كافرى :

– إننى ياسيادة الرئيس أعرض الوساطة بين مصر وبريطانيا بقصد تضييق شقة الخلاف وتحديد المحادثات إذا بدأت فى التفصيلات ، وهو ما يزيد فرص النجاح . . ووافق اللواء نجيب على هذا الاقتراح . .

وبعد أيام ، وصل مستر جون فوستردالاس لزيارة مصر . . وهرع لاستقباله الدكتور أحمد حسين – سفير مصر فى واشنطن – بعد سفره لأمريكا بعشرة أيام وتقديم أوراق اعتماده بخمسة أيام ، ورحب بدالاس فى القاهرة ، ولم تعارض هذه الزيارة إلا جريدة « المصرى » .

وقابل دالاس محمد نجيب وقدم إليه رسالة شكر من الرئيس أيزنهاور عبارة عن هدية أرسلتها الحكومة المصرية مع السفير أحمد حسين وكانت تمثالا لآلهة الحكمة (من آثار مصر القديمة) ومع خطاب الشكر هدية من الرئيس أيزنهاور وهى عبارة عن مسدس قبضته بالفضة ونقشت عليه العبارة الآتية بالإنجليزية :

(إلى الجنرال نجيب من صديقه الجنرال أيزنهاور) .

وقال دالاس ، وهو يقدم المسدس للرئيس نجيب . .

– ياسيادة الرئيس ، إنها هدية عظيمة . .

. . وعقب جيفرسون كافرى قائلا . .

- إنها هدية نافعة ، ولكن لتأييد السلام .

فقال نجيب ضاحكاً :

- إننا نستخدم السلاح فقط فى حالة الدفاع عن النفس .

. . وكان المسدس بلا ذخيرة .

واستدعاني اللواء نجيب إلىمكتبه ، وأرانى المسدس فارغاً - وقد بذلنا محاولة للبحث عن ذخيرة له .

وقلت له بعد هذه المحاولات :

- لم أجد ذخيرة له ، لأنه مسدس من عيار خاص غير متوافر . .

فرد نجيب . . ساخراً :

- إن هذا المسدس لعبة أمريكية معروفة ، وما أكثر ألاعيب الولايات المتحدة .

الاتحاد السوفيتى واللواء نجيب :

كان للحرب العالمية الثانية والسنوات التى أعقبتها أثر كبير فى تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية فى الشرق الأوسط ولعل أهم ما يستلفت نظرنا ما أبرزته الوثائق الألمانية التى كشفت فى محاكمات نورمبرج عن محاولات جرت فى خلال السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية ولا سيما فى نهاية عام ١٩٤٠ بتقسيم مناطق النفوذ بين دول المحور والاتحاد السوفيتى حيث طالب السوفييت بأن تمتد مناطق نفوذهم عبر إيران حتى الخليج العربى ، وعلى الرغم من أنه لم يترتب على هذه المحاولة أى أثر إيجابى حيث أنها لم تتعد تبادل الرأى بين « مولوتوف » وزير خارجية الاتحاد السوفيتى والسفير الألماني فى موسكو إلا أنها تسجل بداية تطلع الاتحاد السوفيتى إلى مناطق النفوذ فى الشرق الأوسط .

ولم تلبث أن تكررت هذه المحاولة فى العام التالى حينما اشترط مولوتوف عند اجتماعهما فى مارس ١٩٤١ أن تطلق يد موسكو فى العراق وأن تستولى على جزء من المناطق الشرقية بهدف تأمين الإشراف السوفيتى على كل مياه الخليج العربى الفارسى وخليج عدن .

أما مصر فلم تعترف بالاتحاد السوفيتى إلا سنة ١٩٤٣ وكانت العلاقات بين

الدولتين مفقودة تماماً قبل هذا التاريخ ، وفى أوائل سنة ١٩٤٣ رؤى لاعتبارات تتعلق بالسياسة الدولية العدول عن هذا الموقف . . فزار الرفيق فينشكي - نائب وزير خارجية الاتحاد السوفيتي وقتذاك رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية المصرى وقتئذ رفعة مصطفى النحاس باشا وعلى أثر هذه الزيارة وافق مجلس الوزراء فى ١٩ مايو سنة ١٩٤٣ على الاعتراف بالاتحاد السوفيتي كما وافق فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٣ على تبادل التمثيل السياسى بين الدولتين ، وقد تم ذلك بمذكرات تبادلها سفير مصر فى بلاط سان جيمس : حسن نشأت باشا ، والرفيق مايسكى سفير الاتحاد السوفيتي هناك .

وقبل إلغاء وزارة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ وبداية حركة الفدائيين كانت الوزارة قد أرسلت فى سبتمبر بعثة برئاسة وزير الحربية والبحرية مصطفى نصرت باشا إلى أوربا لمحاولة التعاقد مع شركات أسلحة فرنسية وبلجيكية وهولاندية وسويسرية وألمانية لتسليح الجيش المصرى .

وقد كتب مصطفى نصرت باشا عدة تقارير من أوربا أهمها التقرير الذى كتبه بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥١ من باريس حول إنجازات البعثة المصرية فى بلدان أوربا للتعاقد على تسليح الجيش المصرى .

والثابت أن الدافع لإرسال هذه البعثة للتعاقد على تسليح الجيش المصرى قبل إلغاء المعاهدة فى أكتوبر سنة ١٩٥١ هو تصاعد الموقف العدائى من جانب إنجلترا وقد تمكنت اللجنة من إتمام عقد بعض الصفقات مع الشركات السويسرية والسويدية والفرنسية كما حصلت على عروض لتوريد عربات وجرارات للمدافع من شركات ألمانية وفرنسية وإيطالية ، كما تقدمت لها عروض من الحكومة التشيكوسلوفاكية بتوريد معدات جاهزة للتسليم .

وكانت الحكومة المصرية - فيما يبدو - تنوى الاتفاق معها على شراء معدات حربية من تشيكوسلوفاكية .

ثم قامت حركة الجيش سنة ١٩٥٢ ولم يتم الاتفاق مع الحكومة التشيكية حتى سنة ١٩٥٥ عندما أبرم الرئيس جمال عبد الناصر صفقة الأسلحة المشهورة .

وأذكر أن اللواء نجيب كان قد طلب من الولايات المتحدة الأمريكية تسليح

الجيش المصرى ، وقدم قائمة للأسلحة للمستر وليم فوستر مساعد وزير الدفاع الأمريكى أثناء زيارته لمصر وطلب مساعد الوزير إرسال بعثة مصرية للتحدث مع المسئولين فى البنتاجون ، وأرسلت بعثة يرأسها على صبرى وظلت ثمانية أسابيع ثم عادت دون نتيجة . وقدم اللواء نجيب قائمة ثانية إلى جون فوستردالاس ، ولكنها لم تحقق شيئاً . وصرح اللواء نجيب وقتذاك إلى الصحف بأنه :

« لابد أن نحصل على أسلحة حديثة من دولة ما ، وفى حالة امتناع أمريكا والديمقراطيات الغربية عن مساعدتنا فمن البديهى فى هذه الحالة أننا سنلجأ إلى غيرها . » .

وذات يوم فى ديسمبر سنة **١٩٥٣** حضر لزيارة اللواء نجيب السفير السوفيتى « بنيامين سولود » وأثناء تناوله القهوة قال السفير :

– لماذا أنتم مع الغرب ضدنا . . ؟

وأجاب اللواء نجيب بسخرية :

– لأن الغرب ومنه الإنجليز أصدقاؤنا . . أما أنتم الروس فإنكم تحتلون بلادنا .

وظهرت الدهشة والاستغراب على وجه السفير السوفيتى وقال مستنكراً :

– نحن نحتل بلادكم . . ؟

ولما ظهر للسفير السوفيتى أن الرئيس نجيب يداعبه بدا الارتياح على محياه وضاعت الدهشة وقال :

– إذا كان الإنجليز يحتلون بلادكم فلماذا لا تطردونهم ؟

فرد اللواء نجيب قائلا :

– نحن لا نملك السلاح الذى يهيئ لنا معركة ناجحة مع ٨٠٠٠٠ جندى بريطانى .

ثم سكت ليقول :

– لماذا لا تقدمون لنا السلاح ؟

وقال السفير فى صراحة :

– إذا قدمنا لكم السلاح استخدمتموه ضدنا .

فقال اللواء نجيب :

- وكيف نستخدمه ضدكم ، هل سنعبر سينا وإسرائيل وسوريا والقوقاز .

ثم أضاف يقول :

- المنطق يقول إننا أصدقاء لكم ولا يوجد سبب واحد للعداء معكم فكل قطعة سلاح تشجعنا على محاربة الاستعمار .

وقال سولود :

- هل الرئيس جاد فيما يتحدث به ؟

فرد اللواء نجيب قائلا :

- إننى جاد تماماً وإننى واثق وعلى استعداد للحصول على السلاح من أى دولة تمدنا به .

وقال سولود :

- سأكتب إلى موسكو وأوافيك بالرد .

وبعد ثلاثة أسابيع زار سولود اللواء نجيب فى منزله ، وكان اليوم يوم جمعه وكانت زيارة قصيرة لم تستغرق إلا نصف ساعة .

وقال السفير :

- ياسيادة الرئيس إن موسكو وافقت على إعطائكم السلاح من ناحية المبدأ ونحن ننتظر منكم تفاصيل ما تطلبون .

وكان الرئيس نجيب مبتهجاً . .

وأرسل السفير إلى اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية وطلب منه إعداد قائمة بالأسلحة المطلوبة .

وتابع اللواء نجيب الموضوع مع عبد الحكيم عامر فى حدود ما سمحت به أعباؤه وكان الرد دائماً أن الموضوع محل دراسة لما يتطلبه تغيير نوع السلاح فى نظم القوات المسلحة والتكتيك الذى تتبعه .

ولم تتم الصفقة إلا بعد سنة ١٩٥٥ .

النحاس باشا واللواء نجيب وإلغاء الأحزاب :

عندما أصدر الملك فؤاد قراراً بحل البرلمان سنة ١٩٣٠ ومنع مجلس النواب من

الانعقاد وكانت أغلبيته وفدية وثار الشعب على الإجراءات الغاشمة التى اتخذها إسماعيل صدقى باشا من تعطيل دستور ١٩٢٣ ثم إلغائه ، رأى الضابط محمد نجيب – وكانت له صلات وطنية بالحركة التى قامت فى السودان ضد الإنجليز – أن يقابل الزعيم الخالد مصطفى النحاس باشا .

ويذكر اللواء محمد نجيب أنه لم يكن سهلا على ضابط يرتدى الملابس الرسمية أن يذهب إلى منزل كان يخضع لرقابة البوليس ، فلم يكن من سبيل للوصول إليه إلا عن طريق صديق مشترك بينهما .

وقرر محمد نجيب أن يذهب متنكراً معتمداً على لون بشرته الذى يقترب من لون أبناء النوبة والسودان . وكانت وسيلة التنكر ساذجة إذ لبس نجيب جلباباً بلدياً فوق ملابسه الرسمية وقفز فوق سور الحديقة من منزل المرحوم حمد الباسل باشا المجاور لمنزل النحاس باشا ولكنه فوجئ بكلب شرس يهجم عليه ويحاول افتراسه ، ولم ينقذه سوى البواب بعد أن رفع جلبابه وكشف عن شخصيته .

وتمت المقابلة الأولى بين الزعيم مصطفى النحاس باشا ومحمد نجيب وكان مع النحاس باشا من زعماء الوفد مكرم عبيد باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا الذى استمرت الصلة بينه وبين محمدنجيب .

وكان اللواء محمد نجيب منفعلا وبدأ حديثه مع مصطفى النحاس بكلام عاطفى حماسى عن استعداد الجيش لمقاومة الإجراءات غير الدستورية التى أنزلها الملك بالدستور.

واستمع النحاس باشا إلى حديث الضابط المنفعل ، ثم قال هادئاً :

– إننى أوثر أن يكون الجيش بعيداً عن السياسة وأن تكون الأمة مصدر السلطات وأتمنى أن يكون ولاء الضباط للوطن والشعب أكثر مما هو لشخص الملك الزائل . .

وكانت المقابلة مثيرة ومرحة . . تبادل الزعيم النحاس باشا ومحمد نجيب الضحكات وخاصة عندما عاد محمد نجيب إلى ارتداء الجلباب استعداداً للخروج ، وعانقه الزعيم وصحبه مع تمنياته بالتوفيق .

ولكن خروج اللواء نجيب لم يمر بسلام ، إذ تبعه أحد رجال البوليس السرى الذين يحيطون بمنزل النحاس باشا فأسرع فى خطاه واختفى عند ناصية أحد الشوارع

وخلع الجلباب فى سرعة فظهرت ملابسه الرسمية واستدار راجعاً ليواجه المخبر ويمر به وهو يسرع للبحث عن الرجل الذى يتعقبه .

وبالرغم من أن النحاس باشا حاول إصلاح الجيش سنة ١٩٣٧ وأصدر قانوناً بشأن تشكيل مجلس الدفاع الوطنى بحيث يجعل ولاء الجيش للشعب والأمة ، وأثار هذا القانون فى ذلك الحين ضجة كبرى ، فإن نجيباً لم يقابل النحاس باشا إلا فى يوم عودته من أوربا عند وقوع الانقلاب سنة ١٩٥٢ ، ثم مرة أخرى عند زيارة النحاس باشا لرئاسة الوزارة إثر تولى نجيب لها فى نسبتمبر سنة ١٩٥٢ ومرة ثالثة وأخيرة عندما قام اللواء نجيب برد هذه الزيارة .

وبالرغم من أن حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ نسب إلى النحاس باشا وقد أثبتت الوثائق التى نشرت أخيراً براءة النحاس باشا من هذا الحادث فقد كان محمد نجيب هو الضابط الوحيد الذى قدم استقالته احتجاجاً على هذا الموقف وجاء فى الاستقالة : « حيث انى لم أستطع أن أحمى مليكى وقت الخطر فإني لأخجل من ارتداء بذلتى العسكرية والسير بها بين المواطنين » .

لكن الملك أعاد الاستقالة مع ياوره عبد الله باشا النجومى واضطر اللواء لسحبها نزولا على رأى زملائه .

. . ثم وقع الانقلاب . .

وبدأت حركة الجيش فى اعتقال السياسيين القدامى بحجة تهدئة الجو السياسى الذى اضطرب فى الأيام الأخيرة لوزارة على ماهر باشا وتولى اللواء نجيب رئاسة الوزارة ، ولكن لوحظ أن الشكوك قد بذرت بين الأحزاب السياسية وبين حركة الجيش ولم يكن هناك مفر من المضى فى هذا الطريق إلى غايته .

وجاء دور سليمان حافظ – وكان حاقداً على مصطفى النحاس باشا حقداً دفيناً – ليقدم مشروع قانون لتنظيم الأحزاب السياسية وكان يقصد من ورائه هدم حزب مصطفى النحاس أولا وأخيراً .

وعارض المشروع الدكتور السنهورى باشا معارضة شديدة من حيث المبدأ تأسيساً على أن الدستور لا يمنع تنظيم الأحزاب على اعتبار أنها نوع من الجمعيات ،

كما أن العرف الدستورى جرى على عدم تعرض المشرع لها تاركاً أمر تنظيمهن لرجالها .

وكانت حجة سليمان حافظ هى أن الأحزاب قد فسدت بما يفسد المعنى الحقيقى للديمقراطية البرلمانية واضطر الدكتور السنهورى إزاء إصرار سليمان حافظ إلى إقرار المشروع بشرط ألا يكون تدخل الإدارة إلا عند الاقتضاء لتحقيق أغراض القانون وأن تخضع فى تدخلها لرقابة مباشرة من مجلس الدولة .

وأيد اللواء نجيب المشروع إيماناً بأن الرقابة القضائية خير كفيل لحماية الأحزاب من تسلط الحكومة ولحماية الحكومة ذاتها من سلطتها .

وفى هذه الظروف صدر قانون تنظيم الأحزاب السياسية وبدأت معركة طاحنة بين الأحزاب وحركة الجيش ولم يكن لهذا القانون نظير سوى فى العراق وألمانيا الديمقراطية .

وكان القانون فى أحكامه ينص على اعتبار الأحزاب منحلة منذ صدوره على أن يعاد تأسيسها من جديد وفقاً لأحكامه .

ويذكر اللواء نجيب أن جماعة الإخوان المسلمين كانت قد تقدمت بإخطار عن تأسيسها على وجه الاحتياط فى حالة اعتبارها حزباً بمقتضى القانون ، ولكن جمال عبد الناصر قال له :

– إن الجماعة كانت من أكبر أعوان الحركة قبل قيامها ، وأنه لا يصح أن يطبق عليها قانون الأحزاب .

. . واعترض اللواء نجيب على هذا الرأى استناداً إلى أن القوى السياسية يجب أن تكون أمام القانون سواء ولكن جمال عبد الناصر اتصل بسليمان حافظ الذى بحث له عن مخرج يجعل فى إمكان الجماعة أن تدخل تعديلاً على الإخطار يخرجها من نطاق الأحزاب السياسية . . ثم قام المرحوم حسن الهضيبى بك وجمال عبد الناصر بزيارة سليمان حافظ بوزارة الداخلية .

وكان من الواضح أن القانون لم يكن يستهدف سوى الوفد باعتباره حزب الأغلبية الذى يتمتع بتأثير شعبى واسع كما كان صاحب الأغلبية الساحقة فى البرلمان الأخير .

ونتيجة الإصرار على تنفيذ القانون تقدم ١٦ حزباً بإخطارات تكوين إلى وزارة

الداخلية وشن الوفد فى صحفه حملة ضارية على هذا الاتجاه عامة وعلى سليمان حافظ بصورة خاصة .

ولم يكن مجلس القيادة يتوقع هذه الحملة الرهيبة ودارت مناقشات شديدة داخل المجلس حضرها سليمان حافظ الذى استمات فى الدفاع عن المشروع ، وقد أيده فى ذلك الشقيقان صلاح سالم وجمال سالم . أما جمال عبد النـــاصر وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق وخالد محيى الدين فقد اعترضوا على المشروع .

ولكن حقد سليمان حافظ الدفين لم يحل دون أن يعترض على تعيين مصطفى النحاس باشا فى الرئاسة الشرفية لهيئة الوفد المصرى الذى ظل رئيساً وزعيماً لها زهاء ربع قرن .

ولم يسكت مصطفى النحاس ، فأصدر بياناً للناس جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

إننى أعد نفسى دائماً ملكاً للشعب وقد كانت ثقتى فى الشعب وثقته فى شخصى طوال حياتى السياسية عونى على الشدائد وظهرى فى العيش . . وسأظل ما بقى من عمرى ملكاً لهذا الشعب الوفى ، ولن تستطيع قوة أن تنحينى عن هذه المكانة بعد الله جلت قدرته إلا الشعب دون سواه .

والله ولى التوفيق . » .

وقد كان البيان مؤثراً وبليغاً .

وكان السؤال هو : من الذى يملك حق انتزاع هذا الرجل من مكانه فى الوفد ؟ هل اعتراض سليمان حافظ على رئاسته للوفد سيؤدى إلى انتزاعه من قلوب الناس ؟

وراجع اللواء نجيب - سليمان حافظ ، ولكن سليمان حافظ لم تكن تنقصه ذلاقة اللسان فى تجسيم خطر الأحزاب على مسيرة الحركة ، أو رواية بعض المهازل والمفاسد التى أطاحت ببعض زعماء الحياة السياسية فى مصر .

ثم عرض الأمر على مجلس قيادة الثورة بعد ذلك . . ولكن لاحظ اللواء نجيب أن صوت المعارضة قد خفت ، ومرد ذلك قد يكون لأن مقاومة الأحزاب لم تكن صلبة أو أن كثيراً من التناقضات الشخصية قد جعلت عدداً من القادة يلجأون إلى ضباط الحركة بقصد التشهير بزملائهم .

وقد حاول اللواء نجيب أن يتفادى هذه الأزمة ، بتأكيد موعد الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ وصرح للصحف بقوله:

« إنه إذا تم تطهير قواعد الأحزاب التى مهما أحاط بقادتها من شبهات فإنها ولا شك سليمة لأنها فى مجموعها تشكل شعبنا العظيم » .

. . وذلك بقصد كسب ثقة قواعد الأحزاب .

وظلت معركة الأحزاب تشكل الواجهة الرئيسية لأيام هذه الفترة وتميزت بنشاط شديد خارج الجيش وداخل الجيش أيضاً .

وسقط دستور ١٩٢٣ وكان المحرك الأول هو سليمان حافظ أيضاً بدعوى أن فساد الحكم السابق وعفونته تستدعى عمليات تطهير واسعة تقوم بها عشرات من اللجان شكلت بمقتضى قوانين خاصة ، أولاها ذات صبغة قضائية وعلى رأسها قاض وتضم أحد رجال النيابة العامة لتفحص حالات موظفى الدولة وتفصل من يستحق الفصل منهم ، أما الثانية فكانت لجاناً قضائية برياسة مستشار وعضوية اثنين من كبار رجال القضاء للتحقيق فى الأعمال الحكومية وإحالة المسئولين إلى المحاكم الجنائية أو الإدارية حسب الأحوال .

وقال سليمان حافظ :

– إن اللجان الأولى تسير فى أعمالها ، أما اللجان الثانية فكانت تصطدم بأن كثيراً من الوزراء السابقين تقع عليهم المسئولية الجنائية أو السياسية ، ولا يجوز الوصول إليهم لأن الدستور يضفى عليهم الحماية من القضاء العادى ويجعل لهم محكمة خاصة لا ترفع أمامها الدعوى إلا بناء على قرار من مجلس النواب ، ولذلك يتعين إلغاء الدستور .

وصدر قرار الإلغاء . .

وفى أزمة مارس سنة ١٩٥٤ كانت الأحزاب السياسية ملغاة ونشاطها محظوراً وقياداتها معتقلة ، وطالب اللواء نجيب بعودة الأحزاب السياسية قبل انتخابات الجمعية التأسيسية لكى تأخذ المعركة الانتخابية أبعادها الحقيقية . وكانت الأحزاب منذ الحركة قد غيرت تنظيماتها وأفكارها وأعلنت برامجها عقب صدور قانون تنظيم الأحزاب .

وكان برنامج الوفد ينادى بسياسة ديمقراطية اشتراكية لتحقيق الاستقلال والوحدة ورفض جميع صور الدفاع المشترك ، كما طالب بوضع حد أدنى للأجور وصدور قانون بمعاقبة الوزراء واستصدار قانون تأمين صحى واجتماعى للعمال وأفراد أسرهم والانتهاء من تعميم المياه الصالحة للشرب خلال خمس سنوات كما أعلن البرنامج موافقته على مشروع الإصلاح الزراعى بوصفه محققاً للعدالة الاجتماعية والتقريب بين الطبقات .

وكانت هناك معركة واضحة على صفحات الصحف ، فقد تبنت جريدة « المصرى » عودة الأحزاب والديمقراطية ، أما جريدة « الأخبار » فقد بدأت تهاجم فكرة الانتخابات وتحذر من جهل المواطنين .

ويذكر اللواء نجيب : أن جمال عبد الناصر قدم لمجلس الثورة كشفاً بأسماء بعض الزعماء السياسيين لاعتقالهم ، وكان من بين الأسماء مصطفى النحاس لتحديد إقامته ، ورفض اللواء نجيب هذا الاقتراح ، ووافقه المجلس بعد معارضة شديدة وشطب اسمه من كشف المعتقلين .

وشطب اسم النحاس من الكشف ووقع عليه ولكنه فوجئ بأنهم أعادوا اسمه للكشف بعد التوقيع عليه واستاء اللواء نجيب ، ولكن جمال عبد الناصر قال : إن إلغاء التحديد عن مصطفى النحاس بعد نشر ذلك يزيد الموقف بلبلة .

ومن الغريب أن جمال عبد الناصر كان فى وقت من الأوقات يعتبر من المدافعين عن الوفد عامة وعن مصطفى النحاس خاصة وكان لا يفتأ يردد : إن النحاس رجل طيب واللى يتعرض له ما يشوفش خير .

وكان اللواء نجيب معتقداً فى قرارة نفسه أن النحاس باشا قد حددت إقامته ظلماً بل تزويراً لأن اسمه أقحم فى كشف المعتقلين بعد توقيعه عليه .

وخلال أزمة مارس سنة ١٩٥٤ أفرج عن المعتقلين وألغى تحديد إقامة الزعيم مصطفى النحاس باشا .

وقد أراد اللواء نجيب أن يتأكد بنفسه من تنفيذ قرارات الإفراج عن المعتقلين واتصل بمنزل النحاس باشا ودارت بينهما المحادثة التالية بعد التحية . . وقال نجيب :

– لعلك راض الآن يا رفعة الرئيس . .

فقال النحاس باشا :

– راضى على إيه ، أنتم أفرجتم عن كل الناس بينما ضوعفت الحراسة على .

فقال نجيب مطمئنا . . وقد غلبته الدهشة :

– إن شاء الله قريباً سيزول كل هذا الغبار .

وانتهت المحادثة بسؤال عن صحته وصحة السيدة الجليلة حرم النحاس باشا .

وخرجت صحيفة الأخبار لتقول إن محمد نجيب يتصل بالأحزاب المنحلة لتدبير انقلاب ، فى حين كان معظم رجال هذه الأحزاب فى السجون والمعتقلات .

واعتقل بعد ذلك محمد نجيب ، وظل النحاس باشا فى الإقامة الجبرية مدة اثنى عشر عاماً . .

ثم توفاه الله . .

وأذكر أن جمال عبد الناصر كان فى جدة عندما انتقل الزعيم مصطفى النحاس باشا إلى رحاب الله ، وكان توديع النحاس باشا رهيباً يحمل وفاء الأمة وتقديرها لمن عملوا لمصر لآخر قطرة من دمائهم ونبض من حياتهم . وقامت مظاهرة كبرى نقلتها الصحف العالمية ووكالات الأنباء .

والتفت جلالة الملك فيصل إلى الرئيس وكان بجواره قائلا :

– لقد كان النحاس باشا – رحمه الله – رجلا عظيماً فاضلا .

. . وصمت جمال عبد الناصر . .

وأرسلنا برقية إلى أسرة الزعيم .

وأرسل جلالة الملك فيصل برقية مؤثرة .

. . رحم الله الجميع !

اعتقال الهلالى :

اعتقل نجيب الهلالى باشا فى الإسكندرية سنة **١٩٥٣** ووصل الخبر إلى الأستاذ فريد زعلوك باشا الذى هرع لمقابلة صديق الشباب وزميل الصبا الدكتور نور الدين

طراف وكان وزيراً للصحة فى الوزارة الأولى التى شكلها اللواء محمد نجيب بعد قيام الثورة . . كما اتصل زعلوك باشا بكاتب هذه الذكريات من مكتب الدكتور طراف طالباً موعداً لمقابلة الرئيس محمد نجيب ، وتمت المقابلة فوراً .

وأذكر أن اللواء نجيب عندما رأى الأستاذ زعلوك بادره بالقول :

— أنا عارف انت جاى ليه ؟ . . أنت جاى تسأل عن الهلالى باشا . دلوقت تروح لإسماعيل فريد علشان تقابل اللواء حسين حمدى .

وفعلا توجه الأستاذ زعلوك باشا بصحبة إسماعيل فريد واللواء حمدى إلى المدرسة الثانوية العسكرية حيث أحضر الحراس دولة الهلالى باشا من غرفته .

وعندما علم الهلالى باشا بتفاصيل ما حدث للأستاذ زعلوك ، ثار وصاح فى وجهه :

— مين قال تروح لدول وتطلب مقابلتى ؟

فأجابه زعلوك باشا :

— لقد وعدني الرئيس نجيب أنه سوف يفرج عن دولتك بعد ٢٤ ساعة .

وفعلا ، أفرج عن دولة الهلالى باشا ، وجاء قرار الإفراج متأخراً ثلاثة شهور .

والجدير بالذكر أنه أثناء اعتقال الهلالى باشا فى المدرسة الثانوية العسكرية زار اللواء نجيب المعتقلين لكى يتفقد أحوالهم ، وعندما رآه الهلالى باشا رفض أن يمد يده لمصافحته وأشاح بوجهه عنه .

ومما يذكر أنه تصادف أن جاء عيد ميلاد الهلالى باشا وكان معتقلا ، ففكرت فى أن أهنئه بهذه المناسبة ، وطلبت الإذن بمقابلته فى الثانوية العسكرية ، ووفق على ذلك وأحضرت تورتة وشمعاً بهذه المناسبة .

وعندما وصلت إلى الثانوية العسكرية توجهت مع الضابط المنوب إلى غرفة الهلالى باشا ، فرأيت دولته يتناقش فى مسألة قانونية مع المغفور لهم : عثمان محرم باشا وحامد جودة وعلى أيوب بك من كبار رجال السياسة والأحزاب فى هذه الآونة .

ودخلت محيياً وقدمت لدولته التهنئة المناسبة ، فاغرورقت عيناه بالدموع وقال بصوت متهدج إلى زملائه فى المعتقل :

— شوفوا صلاح . . فيه الخير ، لم ينسنى أو ينسى عيد ميلادى ، مع أن ابنى نبيل كان عندى امبارح فى السجن ، وما افتكرشى عيـد ميلادى ، وافتكره صلاح الشاهد ، والله . . الناس معادن . .

محاكمة دولة إبراهيم عبد الهادى باشا :

وفى ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ – بعد أن تولى اللواء نجيب رئاسة الوزارة – أمر باعتقال بعض رجال السياسة القدامى ، أذكر منهم : دولة إبراهيم عبد الهادى باشا ودولة أحمد نجيب الهلالى باشا ، ونجيب سالم باشا وأحمد عبد الغفار باشا وإلهامى حسين ومرتضى المراغى وفؤاد أباظة ومحمود سليمان غنام وعثمان محرم وحافظ عفيفى ومحمود غزالى باشا وصلاح الدين مرتجى وإمام الشيمى والدكتور يوسف رشاد والنبيل عباس حليم واللواء أحمد طلعت واللواء عمر حسن وعبد العزيز البدراوى وإدجار جلاد وعبد الحميد سراج الدين وياسين سراج الدين واللواء وحيد شوقى وعلى الرجال وعلى الخشخانى ومحمود البدينى والدكتور أحمد النقيب وعبد الحميد الوكيل وخليل الجزار وكمال عبد الرازق وحافظ شيحا وكمال رياض والسيد سالم ومحمود طلعت ويوسف حبيب وعبد الوهاب حسنى وعلى الزمر وممدوح رياض وحسن يوسف وسعد الدين السنباطى ومصطفى صادق ومصطفى فهمى .

والحق يقال . . إنهم عوملوا فى معتقلهم معاملة طيبة . .

وتألفت محكمة الثورة فى يوم الثلاثاء الخامس عشر من سبتمبر سنة ١٩٥٢ وكانت برئاسة قائد الجناح : عبد اللطيف البغدادى – وعضوية « البكباشى » أنور السادات وقائد الأسراب حسن إبراهيم .

وفى صباح اليوم التالى اجتمعت محكمة الثورة لأول مرة فى مبنى (مجلس قيادة الثورة) بالجزيرة على النيل وكان الملك فاروق قد شيده ليقضى فيه بعض لياليه وأول من قدم لهذه المحكمة هو الرئيس السابق إبراهيم عبد الهادى باشا وحضر معه الأستاذ مصطفى مرعى المحامى والأستاذ على أيوب المحامى .

والتهم التى وجهت إلى دولته ست تهم :

١ – أتى أفعالا تعتبر خيانة للوطن وضد سلامته والأسس التى قامت عليها الثورة وذلك بأنه عمد إلى الاتصال بجهات أجنبية تهدف إلى الإضرار بالنظام الحاضر ومصلحة البلاد العليا .

٢ – أتي أفعالا تعتبر خيانة للوطن وضد سلامته فى الداخل والخارج وساعدت على تمكين الاستعمار بالبلاد وذلك أنه فى خلال سنة ١٩٤٨ أثناء توليه رئاسة ديوان الملك السابق عمل على تنفيذ أهوائه بالزج بجيش مصر فى معركة فلسطين قبل أن يتخذ الجيش أهبته لخوض غمارها .

٣ – أتي أفعالا من شأنها إفساد أداة الحكم فى خلال الفترة بين ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ و ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٩ بوصفه رئيساً للوزارة بأن أشاع حكم الإرهاب واعتدى على الحريات العامة وتزعم حملة اعتقالات واسعة النطاق للتنكيل بالمواطنين .

٤ – أتى أفعالا من شأنها إفساد أداة الحكم وذلك أنه خلال عام ١٩٤٩ هيأ لأعوانه الأسباب التى يسرت لهم قتل المرحوم حسن البنا .

٥ – أتي أفعالا من شأنها إفساد أداة الحكم وذلك أنه فى غضون سنتى ١٩٤٨ و١٩٤٩ ساهم مساهمة فعالة فى تنفيذ مشروع إصلاح اليخت المحروسة .

٦ – استغل نفوذه دون مراعاة للمصلحة العامة فى إنشاء ورصف طرق ببلدته الزرقا مراعياً مصلحته ومصلحة ذويه مما حمل حزانة الدولة تكاليف باهظة .

واستمرت محكمة الثورة فى نظر هذه القضية حتى انعقدت فى صباح الخميس أول أكتوبر سنة ١٩٥٣ وحكمت على دولة إبراهيم عبد الهادى – بالنسبة للإدعاءات المقامة عليه – بالإعدام شنقاً ومصادرة كل ما زاد عن ممتلكاته وأمواله عما ورثه شرعاً لصالح الشعب .

وبعد ذلك قدم أبناء الرئيس السابق إبراهيم عبد الهادى التماساً إلى الرئيس نجيب وكنت أنا شخصياً الذى حملت هذا الالتماس إلى الرئيس نجيب الذى عرضه على مجلس الثورة ، فرأى أن يخفف عقوبة الإعدام إلى السجن المؤبد .

وهو أول رجل كان حاكماً للشعب . . يدخل السجن . .

من عجائب الأقدار :

اجتمع مجلس قيادة الثورة فى هيئة محكمة يوم ١٠ يناير سنة **١٩٥٣** لمحاكمة البكباشي محمد حسنى الدمنهوري وشقيقه اليوزباشي حسنى رفعت الدمنهورى .

وقد وجهت إلى الشقيقين تهمة تدبير مؤامرة لإحداث فتنة بين القوات المسلحة وإضرار بالوطن ومصالح البلاد العليا .

وأذكر ، أن مجلس قيادة الثورة قد أعطى لهذه القضية كبير الاهتمام ووصفها بأنها أخطر مؤامرة قد حاكها الأعداء للثورة منذ قيامها ، وبعد أقل من ستة شهور .

ولذلك فقد تولى المجلس نظرها بنفسه فى هيئة محكمة كان يرأسها اللواء محمد نجيب

وقد نظر المجلس القضية وتحقق من خطورة الاتهامات المنسوبة إلى المتهمين وأصدر حكماً على الشقيقين بالإعدام رمياً بالرصاص ، ولكنه خفف على الشقيق الأصغر واكتفى بطرده من الخدمة العسكرية .

وتحدد يوم حكم الإعدام .

وفى ليلة الإعدام حدث شئ لم يكن على البال ، إذ انفجرت الزائدة الدودية عند البكباشي محمد حسنى الدمنهورى وأصيب بالتهاب حاد فى البريتون ونقل بين الموت والحياة إلى المستشفى العسكرى وأجريت للمحكوم عليه بالإعدام عملية دقيقة وخطيرة ، وكان الطبيب الذى يقوم بالعملية هو اللواء طبيب عبد المجيد شهدى ، رحمه الله يخشى أن يموت المريض أثناء العملية فيقال إنه قتل دون تنفيذ الحكم .

ولكن المحكوم عليه بالإعدام لم يمت ، بل وهبت له الحياة وكان على أبواب الأبدية . . . ونجا . .

وتدخل القدر مرة أخرى وخفف الحكم إلى السجن المؤبد .

وهكذا أفلت البكباشي محمد حسنى الدمنهورى من موت محقق . . ومن حكم الإعدام فى نفس الوقت .

وكان حكم القدر ، أقوى من حكم الإعدام . فقد أفرج عنه نهائياً . .

النحاس باشا والزعيم نهرو بعد ثورة ١٩٥٢

أثناء مرور الزعيم جواهر لال نهرو بالقاهرة سنة ١٩٥٣ لحضور مؤتمر الكومونولث بلندن ، طلب مقابلة مصطفى النحاس باشا ، وأصر على هذه المقابلة إصراراً عجيباً ، لم تملك إزاءه حكومة الثورة إلا الإذعان .

وتمت المقابلة بناء على طلب سفير الهند فى القاهرة بانيكار فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ يوم إعلان الجمهورية المصرية .

والتقى زعيما مصر والهند فى منزل مصطفى النحاس باشا ، وقام بالترجمة بين الزعيمين الكبيرين الأستاذ إبراهيم فرج المحامى .

وقال زعيم الهند : إنه مسرور بمقابلة مصطفى النحاس ، خليفة سعد العظيم ، ومعلم جيلين من أجيال الهند ، لقد كان غاندى العظيم يقتفى خطى زعيم مصر الراحل فى توحيد طائفتى الأمة .

ورد النحاس باشا بأنه كان صديقاً لوالد الزعيم نهرو إذ كانت تربط بينهما صداقة وثيقة أيام لقائهما بباريس سنة ١٩٢٠ .

فرد نهرو :

– بل أنت والد الجميع .

وتطرق الحديث بين الزعيمين إلى الأحوال فى مصر . . وكان النحاس باشا زعيم الليبرالية المصرية – منطلقاً إلى أبعد الحدود ، وقال : إنه مغتبط بأن يرى الجمهورية ، وأن تزول الملكية فى حياته بعد أن اتهم من الملك فؤاد والملك فاروق بأنه يسعى لإقامة الحكم الجمهورى فى البلاد ، وتحمل من أجل ذلك الضربات تلو الضربات ، ولكنه اشترط أن تكون الجمهورية برلمانية تعبر عن حكم الشعب حقيقة أما حكم الفرد فتشقى البلاد به ، إذ ينتهى الأمر إلى حكم ضار وهدام للبلاد كان الوفد دائماً ضد الديكتاتورية وحكومة الفرد . .

وكان نهرو يستمع إلى أستاذ كبير من أساتذة الديمقراطية . . كتلميذ فى مقاعد الدراسة .

وقص النحاس باشا على نهرو واقعة خطيرة مؤداها أنه التقى مع القائد محمد على جناح بالقاهرة سنة ١٩٤٦ وكان يقوم برحلة فى البلاد العربية والإسلاميه لشرح وجهة النظر لإقامة دولة الباكستان وتقسيم الهند إلى دولتين إحداهما دولة للمسلمين .

وذكر أن محمد على جناح خاطبه بوصفه زعيماً للمسلمين ، ولكن النحاس باشا اعترض على هذا الوصف وقال له :

– لست زعيماً للمسلمين . . بل أنا زعيم للمصريين . . ولست مؤمناً بالطوائف بين الشعب الواحد .

ثم فند الزعيم مصطفى النحاس حجج تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين وأوضح بجلاء أن هذه المؤامرة إنجليزية تقصد إشاعة الفرقة بين صفوف الشعب الواحد ، وأنه يؤمن بأنه يجب تسوية الخلافات الطائفية .

وكان نهرو مؤيداً لرأى الزعيم المصرى ، وقال :

– إن النحاس باشا دائماً صادق مع نفسه ، وصادق مع الآخرين ، لقد سمعت عن النحاس باشا ، ولكن لم أكن أعتقد أنه على هذا القدر من الذكاء والحجة والألمعية .

ولم يكتف النحاس باشا بذلك بل قدم لنهرو مذكرة تتضمن النقاط التى ناقشها مع محمد على جناح عند التقائهما سنة ١٩٤٦ .

ورد النحاس باشا الزيارة حيث قابل الزعيم نهرو فى السفارة الهندية واستمر اللقاء ساعة .

محمد نجيب . . وفؤاد جلال

أثناء تولى الرئيس محمد نجيب رئاسة الجمهورية ، حضر إلى مصر فنان نمساوى وطلب أن يرسم للرئيس صورة بالباستيل ، وكان ضيفاً على أحد المصريين .

وبدأ الرسام برسم صورة اللواء نجيب بصالون مجلس الوزراء ساعة كل يوم إلى أن انتهت الصورة واتفق على نشرها كغلاف لمجلة المصور الأسبوعية .

ولكن الصورة لم تحز قبولا لدى الرئيس محمد نجيب فأمر بعدم نشرها بالمصور .

واتصلت يوم الأحد بالمرحوم فؤاد جلال – وكان وزيراً للإرشاد القومى – وأبلغته برغبة الرئيس فى عدم نشر الصورة.

ولكن فى يوم صدور المجلة (الأربعاء) فوجئت بأن الصورة منشورة على الغلاف.

فأخذت المجلة إلى مكتب اللواء محمد نجيب الذى غضب غضباً شديداً ، واتصل فوراً بوزير الإرشاد القومى ، ولكن الوزير تنصل من ذلك بحجة أن أحداً لم يتصل به.

فلم أتمالك نفسى من أخذ السماعة وصحت فى الوزير.

– يا فؤاد بك ، أنا بلغتك يوم الأحد بعدم نشر صورة الفنان النمساوى.

فقال : أيوه . . . دا نمساوى.

فقلت : ماهيه نفس الصورة.

فقال : أنا ماعرفش إنه نمساوى.

فلم يتمالك محمد نجيب نفسه وجذب السماعة وقال للوزير بصوت غاضب :

– نمساوى ، ألمانى ، فرنساوى . . . قال لك صلاح وإلا لأ ؟ خللى عندكوا شجاعة أدبية واعترف بالخطأ . . . أنا مش محضر مشنقة . . عيب.

وأذكر أيضاً أن الصديق القديم : أنور طه حبيب – وكان رئيساً للنيابة – كان منتدباً للعمل رقيباً عامًّا على الصحف خلال الأزمة بين مجلس الثورة والرئيس محمد نجيب ، وصدرت تعليمات إلى السيد فؤاد جلال وزير الإرشاد القومى بعدم نشر أى أخبار عن اللواء نجيب ، وأبلغ الوزير هذه التعليمات إلى الأستاذ أنور طه حبيب الرقيب العام الذى قام بدوره بإبلاغ الصحف ذلك على أن تتحمل إدارة كل صحيفة مسئوليتها عن النشر.

واتصل بالدكتور سيد أبو النجا – وكان مديراً لتحرير جريدة المصرى – وأبلغه بالتعليمات وهى عدم النشر فقام الدكتور أبو النجا بالاتصال بالمرحوم محمود أبو الفتح بلندن الذى أحاله إلى الأستاذ أحمد أبو الفتح.

وعند إبلاغ الأستاذ أحمد أبو الفتح بذلك اتصل بالبكباشى جمال عبد الناصر نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية لكى يتبين منه حقيقة الأمر ، ويبدو أن جمال عبد الناصر لم يكن على علم بالمسألة ، فاتصل بوزير الإرشاد القومى الذى أنكر

صدور مثل هذه التعليمات عنه وأن الأستاذ أنور طه حبيب قد تصرف على مسئوليته .

وفوجئت بالزميل القديم فى مكتبى بالرئاسة ليقص على الخبر فأخذته من يده وأدخلته على اللواء محمد نجيب ليقص عليه ما حدث . .

وأذكر واقعة أخرى خاصة بالمرحوم فؤاد جلال :

أبلغ الأستاذ أنور طه حبيب الرقيب العام المرحوم فؤاد جلال بأن المصور سينشر صورة لمجلس قيادة الثورة يظهر فيها القائمقام يوسف منصور صديق بعد أن عزله المجلس من عضويته وأن التعليمات لديه بعدم نشر هذه الصورة ولكن السيد الوزير قال له أوافق على النشر على مسئوليتى أنا الخاصة بوصفى وزيراً للإرشاد القومى .

وعند ظهور مجلة المصور وبها الصورة هاجت الدنيا وماجت . . وبسؤال الرقيب العام قال إن الوزير هو الآمر بالنشر .

وهنا أنكر الوزير . . . وطلب من الرقيب العام مصادرة العدد وقال بالحرف الواحد .

– اوعى تورى وشك لمحمد نجيب .

وحضر إلىّ زميل الصبا الذى أعتز بصداقته وأبلغنى ما حدث .

فأخذته من يده إلى الرئيس نجيب ، وقص على الرئيس القصة .

فرد الرئيس محمد نجيب . . . مبتسماً :

– الأزمة . . . أزمة أخلاق ، وانعدام الشجاعة الأدبية .

الأصفر فى حياة عبد الناصر الخاصة :

كان اللون الأصفر أثيراً ومحبباً لدى الرئيس عبد الناصر ، إذ أنه كان يستهويه أن تكون أشياؤه جميعها من اللون الأصفر كفوط الوجه « والبرنس » .

وأعتقد أن عدداً قليلاً من الناس يحبون اللون الأصفر ، ولا أدرى حتى الآن ماسر تعلق الرئيس بهذا اللون ، ولماذا كان يؤثره على غيره من الألوان .

الله سبحانه وتعالى هو الواسطة :

كنت على علم بأن أحد الضباط قد لفق « قضية تهريب » لبعض الأشخاص بمبلغ مليون جنيه وكنت على يقين من أن القضية كاذبة . فقد إتفق أحد الضباط على تسليم المبلغ وتأشيرات الخروج وقام بإيصال الحقائب بالمبلغ إلى الطائرة بناء على إتفاق نظير نصف مليون جنيه تدفع لشخص فى بيروت .

وأمام هذه المغريات وقع الأشخاص فى الشرك وقبض عليهم وقدموا إلى المحاكمة التى أصدرت حكمها بالسجن لمدد تتراوح بين خمس سنوات وعشر سنوات وبغرامة بلغت جميعها ثلاثة ملايين من الجنيهات .

وكان من بين هؤلاء الأشخاص ابن شقيقه المغفور له شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا .

وفى أحد الأيام حضرت إلى مكتبى بالرئاسة سيدة عجوز ومعها الأستاذ عدلى جلال المحرر بجريدة الأهرام وسلمنى خطاباً بلغة عربية فصحى على ورق لأحد المحامين وقالت فى شكواها إن زوجها حكم عليه فى قضية التهريب بالسجن عشر سنوات وغرامة نصف مليون جنيه وإن الحكومة شرعت فى الحجز على أثاث بيتها وقدرته بمبلغ ٣٠٠ جنيه وحددت يوماً للبيع ولا تدرى ما مصيرها ومصير أولادها إذا طردت من المنزل .

ولما كنت على يقين بأن القضية ملفقة ، فقد وعدت السيدة ببذل جهدى لإبلاغ شكواها إلى الجهات المعنية .

وفعلا سلمت الشكوى إلى المرحوم فهمى السيد مستشار الرئيس جمال عبد الناصر الذى رفض الشكوى استناداً على أن القانون هو القانون .

وحضرت السيدة مرة أخرى وفى هذه المرة سلمتنى رسالة باللغة الإنجليزية وقالت إنها كتبت هذه الرسالة بوجدانها وشعورها وإحساسها .

وقد أخذت الرسالة ووضعتها على مكتبى . وكنت يائساً . . فقد كنت أعرف

الإجابة سلفاً وهى الرفض لأن القانون هو القانون .

وكنا فى الأيام التى سبقت إعلان الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ وفى هذا اليوم – وبمناسبة إهداء الرئيس شكرى القوتلى بعض الأوسمة لبعض الشخصيات المصرية وإهداء الرئيس عبد الناصر أوسمة لبعض الشخصيات السورية ذهب الرئيسان إلى رئاسة مجلس الوزراء حيث خطبا فى الجموع التى أتت للتهنئة بالحدث التاريخى الكبير .

وانصرف الرئيس القوتلى وطلب الرئيس عبد الناصر منى إحضار براءات الأوسمة لتوقيعها وأحضرت البراءات وبدأ الرئيس توقيع هذه الأوسمة .

وفجأة رأيت خطاب السيدة البائسة ضمن الأوراق ويبدو أن الحيرة ارتسمت على وجهى وسألنى عبد الناصر :

– إيه ده . . . ؟

فقلت :

– دا خطاب بالإنجليزى وشكوى قدمتها سيدة لا أعرف من الذى دسه بين البراءات .

فقال :

– فيه إيه . . ؟

فقلت لسيادته :

إنها شكوى عرضتها على الأستاذ فهمى السيد . . ورفضها . .

وبدأت أذكر للرئيس القصة وهو يقرأ الخطاب . . فقال :

– وبعد ذلك . . ؟

فقلت :

– لقد انتهى الأمر عند ذلك .

فقال – رحمه الله :

– هذه السيدة واسطتها الله سبحانه وتعالى لأنها مظلومة ، مش دى قضية المليون جنيه ؟

فقلت :

– نعم

فأمر الرئيس بالإفراج عن زوجها فى نفس اليوم وكلفنى بإبلاغ السيدة المظلومة بالخبر ، ولكنه ما لبث أن قال :

واللا أقولك . . . هات الورقة . . يفرج عن جميع المسجونين فى هذه القضية وترفع الغرامات ويتم الإفراج عنهم الآن .

ولقد هرعت إلى منزل السيدة وكانت تقطن بالدور السابع فى إحدى العمارات بشارع الألفى ، وكان المصعد معطلا ، ولكنى صعدت السلم جرياً وأنا أعلم أن الله قد أنقذ هذه البائسة بقدرته ورحمته .

وكانت مفاجأة جعلت السيدة تبكى وهى تسمع الخبر بكاء طويلاً . .

حول حوادث ٩ مارس ١٩٥٤ :

وأذكر فى خلال الفترة التى كان مجلس الثورة فيها يريد عزل اللواء محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ومن كافة المناصب التى كان يشغلها تحركت بعض المظاهرات التى ذهبت إلى قصر الرئاسة بمجلس الوزارة تهتف بسقوط محمد نجيب وبحياة الضباط الأحرار ، وكان المحرك لهذه المظاهرات الصاغ مجدى حسنين – مساعد مدير مكتب محمد نجيب ، إذ كان بيده مكبر للصوت ، يصدر به أوامره للمتظاهرين بالحماس للهتاف ضد محمد نجيب .

وكان محمد نجيب بمكتبه يستمع إلى أصوات المتظاهرين مبتسماً . .

وقد حال ضباط الحراسة الذين اصطفوا على باب المكتب وأذكر منهم محمد رياض والشهيد نجم والضابط البحرى لطفى السيد الذى كان ياوراً بحرياًّ للواء نجيب ، حالوا بين المكتب والمتظاهرين .

وهنا تقدم أحد ضباط الشرطة العسكرية – وهو خال لطفى السيد وصفعه على وجهه وهدده بالقتل . .

واستطاع الضباط أخذ محمد نجيب والخروج به سالماً ، وعند توديع جلالة الملك سعود رحمه الله – وكان بالمطار اللواء نجيب والبكباشى جمال عبد الناصر واللواء عبد الحكيم عامر هرع اليوزباشى لطفى السيد إلى مقام الملك السعودى طالباً الحماية

وإعطاءه حق اللجوء لأنه أصبح يخشى من الانتقام .

فالتفت الملك إلى عبد الناصر قائلا :

– سوف آخذه معى إلى السعودية . وأنا ملك عربي لا أتخلى عمن يطلب حمايتى . .

ولكن عبد الناصر وعد الملك سعود بأن لطفى السيد لن يناله أذى .

وبالفعل ترك لطفى السيد وشأنه وعاد إلى السلاح البحرى ضابطاً فيه .

نورى السعيد يقابل الرئيس بالمسدس :

حضر نورى السعيد باشا رئيس حكومة العراق إلى القاهرة .

وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ اجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر والدكتور محمود فوزى وزير الخارجية .

وقبل مجىء رئيس وزراء العراق ، كان الرئيس عبد الناصر قد أوفد المرحوم الصاغ صلاح سالم إلى العراق لإجراء محادثات تمهيدية مع نورى السعيد بقصد تقوية اتفاقية الميثاق العربى وهى ما عرفت بمحادثات سرسنك .

وحضر نورى باشا إلى دار الرئاسة يصحبه السيد صلاح سالم واستقبلتهما على سلم مجلس الوزراء مرحباً ولكنى لاحظت أن دولة نورى السعيد يحمل مسدساً بجيبه الخلفى وتعمد إبرازه . . فأوقفته وقلت له :

– يا دولة الرئيس . . أرجوك أن تترك المسدس مع ياورك .

فنظر إلى قائلا :

– لماذا ؟

قلت :

– لقد جرى العرف الدولى على ألا يدخل أحد لمقابلة رئيس دولة مسلحاً .

ولكنه أصر على أن يظل محتفظاً بالمسدس . . بل بالعكس رفع الجاكتة من الخلف ليجعل المسدس بارزاً ظاهراً مما أثار انتباه المصورين وأخذت له عدة صور وهو يصافح الرئيس عبد الناصر وسلاحه ظاهر فيها .

اتفاقية الجلاء . . . سنة ١٩٥٤ :

وفى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ عقد الاتفاق المتضمن جلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية فى غضون عشرين شهراً من تاريخ التوقيع .

وفى تمام الساعة التاسعة انتقل المتفاوضون إلى البهو الفرعوني بمجلس النواب للتوقيع على الاتفاقية . وقد تولى إجراءات التوقيع قائد الجناح على صبرى مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر وكان الجانب المصرى فى المباحثات يضم الرئيس عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم والدكتور محمود فوزى ، ومن الجانب الإنجليزى السفير البريطانى السير رالف ستيفنسون وماجور بنسون القائد العام للقوات البريطانية فى منطقة القناة والمستر رالف مورى الوزير المفوض فى السفارة البريطانية بالقاهرة . ثم حضر الجزء الأخير من مرحلة المباحثات المستر أنطونى هيد وزير الحربية والمستر شاكبور وكيل وزارة الخارجية .

وقيل فى أسباب اختيار هذا المكان للتوقيع على الاتفاقية إنه بيت الشعب الذى اجتمع فيه ممثلو الشعب ولم يفعلوا شيئاً .

وبعد ذلك أظهر الشعب ابتهاجاً بتوقيع اتفاقية الجلاء وحضر آلاف المواطنين إلى دار الرئاسة للتهنئة وألقى بعضهم كلمات مشيداً بروعة الاتفاق وعظمته .

وفى يوم الخميس ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٤ أقيمت مأدبة غداء باستراحة القناطر الخيرية تكريماً لوفد المفاوضات .

وكان الرئيس عبد الناصر يعتزم الذهاب إلى الإسكندرية للاستجمام بسبب المجهود الذى بذله منذ إجراء المفاوضات فى انتظار الاحتفال الشعبى الذى سوف يقام يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ تكريماً للرئيس ولزملائه بمناسبة اتفاقية الجلاء .

ولكن أرجئ السفر بسبب وصول صاحب السمو الملكى الأمير محمد نعيم خان نائب رئيس مجلس وزراء أفغانستان إلى القاهرة خصيصاً لمقابلة الرئيس عبد الناصر فقابله صباح السبت الموافق ١٩٥٤/١٠/٢٤ بمكتبه بالرئاسة ثم أقام مأدبة غداء بنادى ضباط الجيش بالزمالك .

وفى ٢٤ أكتوبر حضر الرئيس احتفال مجلس إدارة نادى ضباط القوات المسلحة وفى الغد استقبل رئيس تحرير جريدة لايف الأمريكية وأدلى بتصريح بشأن الاتفاقية . ثم سافر بعدها إلى الإسكندرية بالسيارة ونزل باستراحة ستانلى .

محاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر ١٩٥٤

لم أكن معتاداً أن أحضر الاحتفالات الشعبية حيث كان عملى مقصورا على المراسم وعلى الحفلات الرسمية .

لذلك فإننى بقيت فى القاهرة يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٤ لأنوب عن الرئيس فى الحضور للاحتفال الذى أقامه سعادة سفير إيران بمناسبة ذكرى ميلاد جلالة الإمبراطور محمد رضا بهلوى .

وعند عودتى وكنت أقود السيارة سمعت جزءاً من الخطاب الذى ألقاه الرئيس بالإسكندرية بميدان المنشية مهنئاً شعب الثغر بتوقيع الاتفاقية مع الحكومة البريطانية وعند ما وصل إلى قوله :

- أحتفل معكم اليوم بعيد الجلاء . . . بعيد الحرية . . . بعيد العزة والكرامة دوت طلقات من الرصاص متوالية سمعتها فى الإذاعة وانقطعت الإذاعة فوراً .

وتوجست خيفة على حياة الرئيس وتوجهت فوراً إلى منزله بمنشية البكرى وقابلت السيدة الفاضلة قرينته وطمأنتها على سلامته وأخذت أداعب أولاده وكانوا صغاراً واتصلت تليفونيًّا بالإسكندرية فقيل إن الرئيس يحضر مأدبة عشاء أقيمت لتكريمه بأحدى فنادق الثغر وطلبت أن أحادثه . . ولكن كان المتحدث معى المرحوم صلاح سالم الذى طمأننى على سلامة الرئيس . . ورجوته أن يتصل الرئيس فوراً عند وصوله إلى استراحة استانلى بمنزله . . وأنا باق بالمنزل .

وبعد أكثر من ساعة ونصف اتصل الرئيس بى وتحدث مع السيدة قرينته وأولاده .

وفى غداة اليوم التالى عاد بالقطار الخاص إلى القاهرة حيث استقبل استقبالاً

شعبيًّا حافلا وما إن وصل إلى رياسة مجلس الوزراء حتى هرع الآلاف لتحيته وخطب فيهم خطاباً وطنيًّا .

ومن الطريف أنه عندما عاد إلى مكتبه كان مرهقاً إرهاقاً كبيراً وكان العرق يتصبب من كل جسمه واستحال عليه أن يفك رباط العنق (كرافته) مما دعانى إلى قصها من الخلف وخلعت رباط عنقى وأعطيته للرئيس . . وكثيراً ما كان يذكرنى بأنه احتفظ بهذه الكرافتة الحمراء ذكرى لهذا اليوم .

١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٤ :

وكان مجلس الوزراء برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر قد اجتمع لأول مرة بعد إقصاء محمد نجيب عن رئاسة الجمهورية وقد امتد اجتماع المجلس إلى ما بعد منتصف الليل .

وفى الساعة الأولى من صباح يوم ١٨ نوفمبر هبط مجلس الوزراء ضابط برتبة البكباشى (المقدم) وكان يختال كأنه هبط من السماء إلى الأرض وهو يضع نظارة زجاجية (دون شمبر) على أرنبة أنفه ، ويضع تحت إبطه عصا ويميل الـ « بريه » على جنب وهو أسمر اللون رشيق القوام .

وكلمنى من أنفه ودون تحية قال :

– فين جمال ؟

– ولم أعر الأمر اهتماماً وسألته دون اكتراث : جمال مين ؟

فقال ولم تفارقه نغمة الخيلاء

– انت بتهزر ؟

– بل أتكلم جد . . . أنت عايز جمال مين ؟

فقال :

– أنا أصلى دفعة جمال .

فقلت له :

– أنت تقصد البكباشي جمال عبد الناصر دفعتك . . ده يقطن منشية الطيران بمنشية البكرى . أما هنا فالرئيس جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء وهو شخصية عامة لا تمت إليك بصلة . . وليس له أقرباء أو قرناء ولا أولاد ولا زملاء أثناء وجوده بالرئاسة . . . أما فى منزله فهو صديقك ورفيقك ودفعتك .

ولكنه رد ببرود :

– طيب قل للرئيس عبد الناصر أنا موجود (وذكر اسمه) .

ولكنى اعتذرت لأن الرئيس يرأس اجتماعاً للوزراء ولا يمكنه أن يقابل أحداً .

فجلس فى مكتبي دون استئذان وبعد دقائق دخل شخص يرتدى ملابس مدنية وجلس بجواره ثم أخذا يتحادثان وسمعت الضابط يقول لزميله .

– بكره ارسل واحد عسكرى وبلاش واحد مدنى .

فاعتبرت أن هذا القول إهانة لى ونظرت إلى اللوحة المعلقة بمكتبي وهى تضم جميع رؤساء الوزارات الذين تولوا الحكم منذ سنة ١٩٠٥ إلى ١٩٥٢ وجميعاً كانوا مدنيين باستثناء الرئيس نجيب والرئيس عبد الناصر . . . وقلت له :

– تعال لما أورى لك نسبة المدنيين إلى العسكريين .

فلم يكترث وتظاهر بالغباء .

وفى هذه الآونة خرج الرئيس عبد الناصر من قاعة مجلس الوزراء إلى مكتبه ودعانى وسألنى عن مواعيد اليوم التالى فأخبرته بقصة الضابط فقال لى :

– أنا يوم ما جيت مجلس الوزراء قلت لك أنا هنا ليس لى أخ ولا قريب ولا ابن ولا زميل . . . وكويس قوى اللى انت عملته معاه . . . وروح اطرده . . . وإن لم يقبل اطرده بالبوليس .

فخرجت من مكتب الرئيس وخفت أن أطرده فلا يذعن لهذا الأمر وأردت إذلاله ورد الإهانة إليه . فأخذت الباشجاويش سلطان معى وقلت للضابط :

– الرئيس أمرنى بطردك وإن ما رضيتش فسوف أجعل سلطان يطلعك بره .

وقد أثلج هذا التصرف صدرى وأحسست أننى قد أنزلت به درساً كان يستحقه .

١٤ نوفمبر سنة ١٩٥٤ :

في هذا التاريخ نحي اللواء أركان حرب محمد نجيب من رئاسة الجمهورية .

وفى اليوم التالى أذكر – وكانت صورة اللواء نجيب معلقة بمكتبي بالرئاسة – أن دخل ضابط صغير السن برتبة الملازم من الشرطة العسكرية وكنت فى هذا اليوم حزيناً بسبب الإطاحة باللواء نجيب فبادرنى الضابط بقوله :

– كيف تسمح لنفسك بإبقاء صورة مثل هذا الرجل الخائن .

وقد كظمت غيظى عندما رددت عليه :

– هل أنت قادم بصفة رسمية أو بصفة شخصية .

فأجاب :

– بل بصفة شخصية

وهنا انفجرت فيه وطردته من مكتبي .

وفى اليوم الثاني فوجئت بالرئيس عبد الناصر يدعونى لمكتبه ويسألنى عن قصة ضابط الأمس فرويت له ما حدث دون أن أزيد كلمة واحدة .

ولكنه طلب منى أن أحضر مع الضابط عند حضوره لمكتبه .

وفى نفس اليوم حضر الضابط يختال فى زهو فسألته عن اسمه وأخبرت الرئيس عبد الناصر بحضوره فأمر باستدعائه إلى مكتبه فى صحبتى .

ودخلنا معاً وبدأ الرئيس عبد الناصر موجهاً الخطاب إلى :

– ماذا حدث بالأمس ؟

وأعدت على مسامعه الرواية من أولها إلى آخرها وأضفت أننى أخبرت الضابط بأننى جد متألم لتنحية اللواء نجيب .

وسألنى عبد الناصر :

– هل شتمتنى ؟

فقلت له :

– يا سيادة الرئيس إن سياق القصة لا يدل على ذلك وما دخل سيادتك فى هذا

الحوار الذى دار بينى وبين هذا الضابط

فسأل الضابط :

– هل سمعت من صلاح أنه شتمنى ؟

فأجاب الضابط :

– بل كان فى نيته ذلك .

وهنا ثار الرئيس عبد الناصر وألقى على مسامع الضابط درساً وأمر بنقله فوراً إلى أسوان .

سيسيل دى ميل ومكتب الرئيس :

أثناء زيارة سيسيل دى ميل – المخرج العالمى – للقاهرة لتصوير مشاهد فيلم « الوصايا العشر» قابل الرئيس جمال عبد الناصر ومعه المصور الفوتوغرافى فى ٩ ديسمبر ١٩٥٤ .

وأذكر أن مكتب الرئيس كان موضوعاً على يسار الغرفة وكان لهذا المكتب تاريخ طويل فى صفحات الجهاد المصرى ، فقد جلس إليه سعد زغلول رئيساً لأول وزارة شعبية بعد انتخابات سنة ١٩٢٤ . بل إن الزعيم العظيم سعد زغلول وقع على نفس المكتب شيكاً بنصف مليون جنيه إثر اغتيال السير لى ستاك (سردار الجيش المصرى سنه ١٩٢٤) وهى واقعة معروفة فى التاريخ المصرى .

ولكن وضع المكتب لم يرق فى عين المخرج الأمريكى ، وأصر لإتمام تصوير الرئيس عبد الناصر فى فيلم ملون أن يوضع المكتب فى صدر الغرفة .

ونقل المكتب فعلا ، وكان وراء المكتب نافذة أسدل عليها ستار من القطيفة البنية ووضع على يمين الرئيس العلم المصرى . . وتم التقاط عدة صور اختار منها الرئيس الراحل صورتين وظل المكتب إلى الآن فى موضعه الجديد الذى اختاره المخرج العالمى .

أول أوراق اعتماد تقدم للرئيس عبد الناصر :

فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥٤ قدم سفير المملكة الليبية أوراق اعتماده سفيراً لبلاده لدى جمهورية مصر للرئيس جمال عبد الناصر بحضور قائد الجناح حسن إبراهيم وزير الدولة لشئون القصر والدكتور محمود فوزى وزير الخارجية .

وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتقبل فيها الرئيس أوراق اعتماد أحد السفراء .

حلف اليمين القانونية :

وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٤ أقسم مستشارو مجلس الدولة اليمين القانونية أمام الرئيس عبد الناصر وهم الأساتذة : جبريل بطرس ، مصطفى المرجوشى ، محمد تاج الدين ياسين أحمد ، محمود حسن أبو عافية ، عوضين إبراهيم الألفى ، محمد شلبى يوسف الذى صار أخيراً رئيساً للمجلس

من قصص المرحوم جمال سالم لا حرية ولا ديموقراطية :

أذكر . . وكنا فى رمضان ، أنه بعد انعقاد مجلس الوزراء وكان قد امتد إلى ما بعد منتصف الليل خرج قائد الجناح جمال سالم ، وكان نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، وعلى « لم رئاسة مجلس الوزراء طفق يخاطب الصحفيين بعد أن أخبره أحدهم بأنه مرشح لرئاسة المجلس النيابى المزمع انتخابه .

وانفعل جمال سالم قائلا :

-- هل تظن أن هذا الشعب يحكم حكماً ديمقراطيًّا ؟ . . يجب أن يحكم بالحديد والنار . . لا حرية ولا ديمقراطية .

وهنا قال أحد الصحفيين وكانوا أكثر من عشرة معظمهم أحياء إلى الآن :

— إن الرئيس جمال عبد الناصر صرح فى خطاب له بأن الانتخابات على الأبواب وأن المجلس سوف يعقد قريباً .

وثار قائد الجناح . . . قائلا :

– دا كلام فارغ . لا مجلس نيابي ولا حاجه أبداً . .

وهنا نظر أحد الصحفيين باستغراب وساء هذا التصرف قائد الجناح وأقسم يميناً بأنهم لن يغادروا الرئاسة قبل طلوع الشمس .

وجلس على السلم الرخامي وأخذ يكذب كل شيء يتعلق بموضوع المجلس النيابي .

واستمر ينتقل من حديث لآخر حتى بزوغ الشمس، وانصرف تاركاً وراءه كل الصحفيين الذين لم يتمكنوا من تناول السحور .

وبعد ذلك بيومين كتب الأستاذ سامي الليثي الصحفي بمجلة روز اليوسف في هذا الوقت كل ماحدث في هذه الليلة من وقائع .

وعند حضور الرئيس عبد الناصر ومعه اليوزباشي محمود الجيار . . . قلت للجيار :

– أيهما نصدق : الرئيس عبد الناصر الذى يقول بأن هناك انتخابات ومجلساً نيابيًّا أم نائب الرئيس الذى كذب هذا الخبر ؟

وتركني وانصرف . .

وذهبت إلى مكتبي ، وبعد دقائق استدعاني الرئيس عبد الناصر وأعطاني ورقة مطبوعة حديثاً ومبتلة بالماء ومتضمنة كل ما حدث في الليلة الليلاء من جمال سالم (وكانت بروفة من صفحات في المجلة قبل الطبع) .

وسألني الرئيس عن صحة هذه الوقائع ، فأكدت له صحتها وأنني كنت موجوداً مع الصحفيين حتى الصباح .

فطلب مني أن أبلغ نائب الرئيس جمال سالم عند وصوله أن الرئيس يرغب مقابلته وحضر قائد الجناح وقابلني قائلا :

– نمت كويس

وضحك . .

وبعد أن قابل الرئيس عبد الناصر ، خرج هائجاً ودخل إلى حجرتي وأمسك بخناق وحاول الاعتداء عليّ ، لولا دخول الرئيس عبد الناصر بنفسه الذى فض المعركة ونهر نائب الرئيس وطلب مني أن أذهب لمنزلي للاستراحة هذا اليوم .

تصرف غريب :

سنة ١٩٥٤ وكان نائب مستشار ألمانيا الغربية فى زيارة لمصر، طلب منى الرئيس عبد الناصر إحضار هديتين إحداهما باسمه والأخرى باسم نائبه قائد الجناح جمال سالم .

وفعلا ، أحضرت الهديتين وحازتا القبول والاستحسان ، وقد سر جمال سالم من الهدية وطلب أن أمر عليه بالهدية فى منزله الساعة الثانية صباحاً .

وفعلا ، جلست ساهراً أنتظر الموعد الغريب . وأقطع الليلة فى القراءة .

وفى الموعد ، ركبت سيارتى إلى منزل قائد الجناح جمال سالم .

وكان فى انتظارى ومعه السيد محمد أبو نصير .

ثم ركب سيارته يصحبه أبو نصير وتابعتهما بسيارتى إلى المطار .

وتقدم جمال سالم بالهديتين إلى نائب مستشار ألمانيا الغربية وكانت الساعة قد قاربت السابعة صباحاً . . ثم رجعنا – بنفس الترتيب ، جمال سالم وأبو نصير فى سيارة ، وأنا فى سيارتى ، ولكنى طفقت أفكر وأتساءل عن هذا التصرف . . ماسببه وما حكمته وما المقصود منه ؟

وفى الحادية عشرة صباحاً – وكنت قد وصلت إلى مكتبى – حضر إلى الرئاسة جمال سالم وقال لى مبتسماً :

– لعلك تقول عنى إننى مجنون ؟

فقلت مستنكراً :

– كيف ؟

فقال :

– بشأن تصرفاتى هذا الصباح الباكر . .

ولعلك تسأل عن سبب هذه التصرفات . لم يكن فى حسبانى أن يحضر أبو نصير أو غيره وكنت وحيداً فأردت أن تحكى لى أسرار من عملت معهم من رؤساء الوزراء السابقين وقصصهم المضحكة .

ولكنى قاطعته :

– إن هذا لن يحدث أبداً ، فلو شنقونى لن أتكلم عن الأشخاص الذين تشرفت بالعمل معهم وسوف أحترم ذكراهم .

وحاول أن يقاطعنى . . . ولكنى قلت له :

– يا سيادة النائب . . . لا تحاول أن أتكلم عن هؤلاء بسوء أو أذكر لهم قصصاً مضحكة لا تفكر فى ذلك حتى لو عينوك رئيساً لمحكمة الثورة .

وحدثت مشادة . . . وصلت مسامعها إلى الرئيس عبد الناصر الذى أقرنى على هذا التصرف .

فضيحة فى المراسم :

كان من المفروض أن أسافر ضمن الوفد الذى مثل مصر فى مؤتمر باندونج فى أبريل سنة ١٩٥٥ وكان الوفد برئاسة جمال عبد الناصر – وكان رئيسياً للوزارة .

وكان ممن صحبوه : صلاح سالم وزيرالإرشاد القومى ، الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية ، الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف .

وتولى قائد الجناح جمال سالم منصب رئيس الوزراء بالنيابة .

ومن المعروف أن منصب رئيس الجمهورية كان شاغراً ، و يتولاه مجلس الثورة برئاسة رئيس الوزراء .

وكان من مهام رئيس الوزراء قبول أوراق اعتماد السفراء وأن تؤدى أمامه المراسم واليمين القانونية للسفراء ورجال القضاء .

وعندما علم جمال سالم بسفرى فى رفقة الوفد اعترض بحجة أنه لا يعلم عن فن المراسم أو الاستقبالات الرسمية شيئاً . . وأنه لا بد من وجودى إلى جواره مدة غياب الرئيس .

ووافق الرئيس عبد الناصر على هذا الرأى . . ولكنى أوجست خيفة من تصرفات النائب التى اشتهرت بالعصبية والغضب والصياح .

وحدثت الرئيس عبد الناصر بهذه المخاوف عند توديعى له فى الطائرة وقلت :

– لعلك يا سيادة الرئيس عند ما تعود بالسلامة ستجدنى إن شاء الله إما معتقلا أو

سجيناً أو مفصولاً أو « مضروباً » بفضل النائب الثائر .

ولكنه ضحك – رحمه الله – وقال :

لا يهمك شيئاً ، سأرد إليك الحرية إذا كنت معتقلا أو سجيناً ، وسأعيدك إلى عملك إذا فقدت هذا العمل ، أما الضرب فلا حول لى ولا قوة . . . وعليك أن تدافع عن نفسك بنفس الأسلوب ، وليحافظ الله عليك .

وأوصانى خيراً بالسيدة الفاضلة قرينته وبأولاده أثناء غيابه .

وفى الحقيقة ، كنت خائفاً من تصرفات السيد النائب وكنت أحسب لها ألف حساب .

وبدأ أول الفصول . .

عندما زار حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية القاهرة وأراد سموه العودة إلى السعودية صباح يوم ١٢ أبريل سنة ١٩٥٥ ، وبعد منتصف الليل اتصل بى اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية لكى أبلغ النائب بسفر الضيف الكبير .

وكان لا بد من حضور نائب رئيس الوزراء لوداع ضيف مصر ، وحاولت جاهداً الاتصال به أو بمدير مكتبه أو ياوره الخاص ، ولكن ذهبت المحاولات سدى .

وامتنع علىّ إبلاغ النائب جمال سالم بالموعد . . . فاتصلت باللواء عامر وأبلغته بما حدث فأخذ على عاتقه إبلاغ جمال سالم شخصياًّ بالموعد .

وفى مطار القاهرة الدولى تمت مراسم وداع سمو الأمير فيصل دون أن يحضر النائب .

ولم ينقذ الموقف سوى حضور اللواء عامر هذه المراسم وكان فى شرف وداع الضيف العظيم وبالرغم من ذلك فإن النائب جمال سالم هاج وماج وقابلنى عند مدخل مجلس الوزراء بثورة عارمة ، وبصوت عال مفعم بالغضب صاح فى :

انت بتشتغل مع مين ، معايا ولا مع عبد الحكيم ؟

وقلت فى هدوء :

– يا سيادة النائب . . . لنتكلم فى المكتب . .

وسبقنى على المكتب والشرر فى عينيه .

وبدأ الصياح والهياج . . . وسألني :

– كيف تخبر عبد الحكيم عامر بسفر الأمير ولا تخبرني ؟

وتمسكت بأهداب الصبر وبدأت أشرح للنائب ما حدث . .

فقال :

– كان لا بد أن تتصل بي .

فقلت :

– وكيف السبيل ؟ وأنا لا أعلم أين سيادتك ولا أعرف نمر تليفونك .

وهذا هو اليوم الأول لعملي معك ؟

فقال :

– اتصل بي عن طريق « بوليس النجدة » .

وكتمت غضبي في صدري وقلت :

– لم تجر العادة لرجل المراسم أن يتصل بكبير من كبراء الدولة عن طريق البوليس .

وانتهت الزوبعة . . . وازدادت خشيتي . . . وكنت أعد الأيام بالساعات والدقائق والثواني .

وجاء شهر الصوم المبارك . .

كنت مريضاً بالقرحة في المعدة ، وأمرني الأطباء بالإفطار . .

وكانت العادة أن يقدم لي في الظهر المرحوم عم داود – ساعي المكتب – كوباً من اللبن وتفاحة .

وذات يوم رأى النائب هذا المنظر . . . فصاح في صوت غاضب :

– الكافر مين اللي فاطر . . ؟

ولم يجب الساعي المسكين فرقاً .

وخرجت إلى النائب . . وقلت له :

– يا سيدي . . أنا الكافر . . وأنا مريض بالقرحة . . وليس على المريض حرج .

وسكت النائب على مضض .

وقبل تقديم أحد السفراء أوراق الاعتماد إلى النائب جمال سالم أوضحت له

ما تقضى به أحكام المراسم المعمول بها من وجوب ارتداء ملابس قاتمة أو زى عسكرى أثناء تسلم أوراق الاعتماد .

ولكنى فوجئت بأن النائب يلبس بدلة سبور عادية : عبارة عن بنطلون جبردين وجاكته زيتى وحذاء شمواه كريب دون مراعاة للتقاليد أو أبسط قواعد المراسم .

وسألنى عن رأيى فى هذا الزى الشاذ . . . فقلت له :

– إنه يخالف جميع قواعد المراسم المعمول بها فى دول العالم .

ولكنه لم يكترث ، بل قال هازئاً :

– يعنى يا سيدى السفير بتاعك لما ييجى يلاقينى كده يقول لا ؟ مش ح ادى له أوراق الاعتماد . .

فقلت له :

– لا . . . بل سوف يقدم أوراق الاعتماد ولكنه سوف يرفع تقريراً بما حدث لحكومته ويقص على زملائه السفراء هذه الحكاية وتنتشر لتكون فضيحة فى المراسم لم تشهدها التقاليد .

ولكنه سخر .

وتمت عملية تقديم أوراق الاعتماد . . .ونائب رئيس الوزراء فى بدلة سبور « مشكلة » وانقضت الأيام وكأننى فى سجن رهيب .

وجاء موعد عودة الرئيس عبد الناصر فى ٢ مايو سنة ١٩٥٥ من رحلته .

واستقبلنى ضاحكاً . . وقال لى :

– أنا لا أرى علامة ضرب أو جرح فى وجهك وأنت لا تزال حرًّا طليقاً . .

والحمد لله تزاول عملك .

فقلت له :

– إن المظاهر خادعة . . . فإن أعصابى قد احترقت أثناء غيابك . . لقد عانيت كثيراً . . وضحك الرئيس بصوت عال . . . وقال :

– لقد أنقذك الله بأعجوبة .

حادث لابن رئيس وزراء سابق :

حضر الزعيم الهندى الكبير جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند إلى مصر فى يوليو سنة ١٩٥٥ فى أعقاب مؤتمر باندونج الذى حضره الرئيس عبد الناصر .

وكانت هذه الزيارة تأييداً للمبادئ التى تقررت فى هذا المؤتمر .

وأصدر الرئيسان بياناً مشتركاً فى ١٢ يوليو سنة ١٩٥٥ انطوى على أن الرئيسين تناولا فى مباحثاتهما التطورات الدولية والموقف فى الشرق الأوسط ومسائل أخرى تهم مصر والهند .

كما جاء فى البيان أن الرئيسين وصلا إلى اتفاق تام على هذه المسائل . . واهتم الرئيسان بصفة خاصة بأمر دعم السلام العالمى وتحرير الشعوب فى المناطق التى لا تزال خاضعة لغيرها أو لحكم الاستعمار .

وكانت وزارة الخارجية قد رشحت الأستاذ محمد على ماهر – نجل الرئيس السابق على ماهر باشا – مرافقاً للزعيم الهندى وكان يعمل بإدارة المراسم بوزارة الخارجية .

وعندما كان الرئيسان : نهرو وعبد الناصر فى طريقهما إلى قاعة الاجتماع وقعت عينا قائد الجناح جمال سالم على الأستاذ محمد على ماهر وكان يقف وقد عقد ذراعيه على صدره فى البهو الكبير بقصر القبة .

وبدون مناسبة – استشاط قائد الجناح غضباً وسألنى بصوت عال متفجر بالغضب .

– من هذا الشخص ؟

وقلت فى صوت خفيض :

– الأستاذ محمد على ماهر مستشار بوزارة الخارجية .

وقال صاخباً :

– يبقى ابن على ماهر ؟

وأجبت بالإيجاب . .

ولكنه استمر هادراً . .

– خليه يمشى من هنا فى الحال . .

وكنت فى غاية الحرج والاستياء ، وخجلت من الأمر الشاذ الذى أصدره نائب الرئيس فى لحظة هياج .

ولم أجرؤ على أن أخاطب الأستاذ ماهر فهو نجل عظيم من عظماء مصر وأحد كبار الساسة المصريين منذ سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٥٢ .

وكان لى الشرف أن عملت مع رفعة على ماهر باشا مرتين .

ولم يكن من اللائق بأى حال من أن أنفذ أمراً قد صدر فى نوبة من نوبات الغضب الجامح الذى لا يعى أو يعقل .

واستطعت أن أتصرف فى هدوء ، واتصلت بالسفير حسن محرم مدير إدارة المراسم لكى يستدعى الأستاذ ماهر فى صمت .

وقد استدعى الأستاذ ماهر لوزارة الخارجية دون أن يدرى سبباً لهذا الاستدعاء .

وبعد أن صدر بيان نهرو وعبد الناصر صدر أمر بنقل الأستاذ محمد على ماهر إلى سفارتنا فى كابول عاصمة أفغانستان بناء على أمر قائد الجناح جمال سالم الذى لم يهدأ غضبه إلا أن يتم النقل فوراً وبدون إبطاء .

ولكن الأستاذ ماهر لم يقبل هذا الأمر الشاذ الذى لم يجد له تفسيراً معقولا . . وقدم استقالته . . وقبلت الاستقالة على الفور .

هدية للرئيس تيتو :

صباح يوم ٤ يناير ١٩٥٦ اتصل بى تليفونيا السيد جمال سالم نائب رئيس الوزراء .

وأستطيع أن أسجل المكالمة بعد تبادل تحية الصباح فيما يلى :

– عندك فلوس ؟

– نعم يا أفندم . .

– طيب تعال على البيت حالا . .

ولم يكن معى سوى جنيهات لا تتجاوز خمسين جنيهاً بالتمام والكمال عندما

توجهت إلى منزل نائب الرئيس .

وانتظرت اللقاء .

وبعد ساعتين قضيتهما محبوساً فى الصالون ، وقد بلغ الغيظ منى كل مبلغ ، حضر السيد جمال سالم .

ودون مناقشة ، ابتدرنى قائلا :

– هل أحضرت معك فلوس ؟

فأجبته بالإيجاب . .

ولكنه لم ينتظر واستمر فى السؤال : كم ؟

فقلت : خمسون جنيهاً .

وما إن سمع الرقم حتى انفجر قائلا :

– وهل هذه فلوس ؟

وحاولت أن أعتذر بأن هذا هو كل ما عندى ، ولكن نائب الرئيس قال بصوت عال :

اذهب الآن وهات ١٥٠٠ جنيه فى الحال ، اتفضل ، عايزك بعد ربع ساعة .

وغادر الصالون هائجاً كزوبعة ثارت ولم تهدأ .

وانتابنى – بحق – شيء من الضجر والإيلام

وأخذت نفسى إلى السيد على صبرى وكان مديراً لمكتب الرئيس عبد الناصر وقصصت عليه القصة من الألف إلى الياء .

واستمع السيد على صبرى إلى القصة ، وعلل طلب جمال سالم الشاذ بأن والده ربما قد توفاه الله . . . وهو فى حاجة إلى المبلغ بسبب الوفاة .

واتصل السيد على صبرى بوزير الداخلية السيد زكريا محيي الدين وقص عليه الموضوع ثم طلب منى أن أذهب إلى وزارة الداخلية لاستلام المبلغ المطلوب .

وكان المبلغ فى جيبى بعد ربع ساعة . . وأمام جمال سالم . .

أما باقى فصول القصة الطريفة . . فيمكن أن تتلخص فى أن جمال سالم اصطحبنى بسيارته إلى محال الهدايا بشارع عبد الخالق ثروت ، حيث ابتاع هدية . وأمرنى

بأن أدفع ثمنهما إلى البائع ودفعت المبلغ الذى تسلمته زائداً عشرين جنيهاً من جيبى لم أقبضها – والله على ما أقول شهيد . حتى كتابة هذه الذكريات .

ثم طلب منى نائب الرئيس أن أقدم الهدية إلى الرئيس جوزيب تيتو والسيدة قرينته وكان الرئيس اليوغوسلافى ينزل ضيفاً على جمهورية مصر .

وقدمت الهدية كما أمرت . .

وعندما علم عبد الناصر بالقصة غضب غضباً شديداً . . .

وكان الرئيس عبد الناصر قد أهدى لضيفه هدية ، هى عبارة عن طقم من الشاى لا يزيد ثمنه عن مائتين وأربعين جنيهاً .

وحاولت أن أهدئ ثورة غضبه علىّ ، معللا ذلك بأن نائب الرئيس هو الذى طلب وأن على صبرى هو الذى اقترح أن أقوم بصرف المبلغ من وزارة الداخلية .

ولكن ذلك جميعه لم يكن مقنعاً أمام ثورة عبد الناصر . . وقال :

– بل أنت ستقوم بدفع هذا المبلغ من جيبك .

فقلت :

وما ذنبي يا سيادة الرئيس ، فى الحجرة العليا يوجد السيد جمال سالم وكل ما يمكن أن أقوله : من الذى يستطيع أن يقول لجمال سالم . . لا !

ولكن ثائرة عبد الناصر لم تهدأ . .

وفى هذه اللحظة ، حضر جمال سالم لمقابلة جمال عبد الناصر ، ورؤى تفادياً للإشكال أن يخصم هذا المبلغ على أقساط شهرية من مرتب نائب الرئيس .

وفعلا تم الخصم بناء على أمر جمال عبد الناصر ، وربما استرد المبلغ بأكمله أو استرد على الأقل جزء منه كبير .

ولكن بقى شىء واحد . . . لا أزال موقنا منه . .

وهو أن المرحوم جمال سالم لم يدفع لى مبلغ عشرين جنيهاً ، دفعتها فى هديته للرئيس اليوغوسلافى .

سامحه الله ورحمة الله عليه . .

مشادة مع اللواء صدقى محمود :

فى أبريل سنة ١٩٥٦ أثناء سفر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر إلى المملكة العربية السعودية للاجتماع بالإمام أحمد ملك اليمن من محطة ألماظة الجوية العسكرية كان فى رفقته كل من : الرئيس أنور السادات ، فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ، السيد خيرت سعيد نائب وزير الخارجية ، السيد على صبرى – مدير مكتب الرئيس ، السيد أمين شاكر – مدير مكتب الرئيس والسفير السعودى بالقاهرة .

وحضر إلى الماظة قائد جناح جمال سالم – رحمه الله – وكان يشغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء .

ولما كان الجندى المكلف بالحراسة على بوابة المحطة لايعرف جمال سالم بشخصه ، فقد طلب منه إبراز تحقيق الشخصية ، ولكن جمال سالم بادره بضربه باليد والرجل وصاح فيه :

– أنا جمال سالم نائب الرئيس . .

وتوجه مترجلا وفى حالة عصبية إلى الصالون الصغير بالمطار . . وأخذ يصيح بصوت عل موجهاً الكلام إلى اللواء صدقى محمود قائد الطيران قائلا :

– ربوا عساكركم . . . تعرف مين اللى داخل . . مفيش ضبط ولا ربط .

فما كان من اللواء صدقى محمود إلا أن أوقفه عند حده قائلا :

– أنا هنا قائد للمحطة وأستطيع أن أضعك تحت التحفظ . .

وقامت مشادة كبيرة بينهما على مسمع ومرأى من المودعين .

وفى أثنائها وصل اللواء عبد الحكيم عامر – رحمه الله – وهدأ من روع صدقى محمود ، وأخذ جمال سالم إلى الصالون .

وأذكر أن صدقى محمود ترك الصالون مغضباً وأشعل سيجارة وأفطر فى رمضان بسبب المشادة .

ولم يعلم الرئيس جمال عبد الناصر بما جرى . . . إلا عندما أخبره اليوزباشى محمود الجيار بالحادث فى الطائرة فأثنى على شهامة وموقف صدقى محمود .

وليس هذا الموقف غريباً على أخلاق الفريق أول محمد صدقى محمود الذى كان له موقف مماثل مع الملك الراحل ، والذى حوكم بسبب هزيمة ١٩٦٧ وصدر الحكم ببراءته ، ثم أعيدت المحاكمة ليسجن حتى يفرج عنه الرئيس السادات .

جمال سالم عريساً :

كان المرحوم المهندس الزراعى الدكتور يحيى العلايلى مديراً لشركة السكر فى كوم امبو . وقد نشأت بينه وبين قائد الجناح جمال سالم نائب الرئيس علاقة من نوع خاص لايمكن أن توصف بأنها صداقة ، بل يجوز القول بأنها علاقة عمل ربطت بين المهندس العلايلى ونائب الرئيس – رحمهما الله – فى مجلس الإنتاج القومى .

وبعد فترة من الزمان ، شب نزاع فى بيت المهندس العلايلى وبدأ الشقاق بينه وبين السيدة زوجته التى طلبت الطلاق ، وانتهى الأمر بالطلاق وديًّا دون عرض النزاع على القضاء .

وتقدم جمال سالم لخطبة السيدة بعد انقضاء العدة وتحدد يوم الخميس ٢٢ مارس سنة ١٩٥٦ لعقد القران بمنزل أسرة العروس بالإسكندرية .

ودعى جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة لحضور حفل العرس .

وفى هذا اليوم نفسه سافر الرئيس عبد الناصر إلى الإسكندرية .

وظننت أنه قد سافر لحضور حفل القران وتهنئته بمناسبة الزيجة الجديدة .

وقد سألت سيادته مستفسراً عما إذا كنا سنرسل باقة من الورود إلى حفل الزفاف !

ولكن الرئيس – خرج بالصمت عن لا ونعم .

كان الرئيس يريد أن يعبر لنائبه عن عدم رضائه عن هذا الزواج وكان التعبير بالإغضاءولذلك لم يحضر الرئيس حفل الزواج بالرغم من أنه كان موجوداً بالإسكندرية وقت إشهار هذا الزواج .

المرحوم سليمان نجيب

١٨ يناير سنة ١٩٥٥

أذكر أن الفنان الراحل سليمان نجيب مدير الأوبرا طلب ذات يوم مقابلة الرئيس عبد الناصر خلال أربع وعشرين ساعة لأمر هام .

وفى اليوم التالى حضر إلى مكتبي سليمان نجيب وعاتبنى عتاباً شديداً لعدم إتاحة الفرصة أمامه لمقابلة الرئيس . . وقال بالحرف الواحد :

– ربنا ولا جمال عبد الناصر ؟

وقلت له :

– أستغفر الله . . . ماوجه الشبه بينهما ؟

فقال :

– فى إمكاني مقابلة الله سبحانه وتعالى بعد لحظات لو أطلقت على رأسى الرصاص فإني سوف أكون فى لقاء الله بعد ثوان .

فضحكت ودخلت على الرئيس وأبلغته ماحدث فضحك . . وكان مجتمعاً بالمرحوم أحمد حسنى وزير العدل وأمر بإدخال الفنان العظيم . . ودخل الفنان وبطريقته الظريفة ولهجته المحببة قال للرئيس عندما رأى وزير العدل إنه كان « ألفة » عليه عندما كانوا تلاميذ فى المدرسة وهو الآن وزير وأنا . . ممثل .

وقد طلب من الرئيس أن يشاهد آخر عمل مسرحى له قبل اعتزاله للفن فى الغد فوعده الرئيس بذلك . وذهب فعلا لمشاهدة المسرحية . وكان اسمها « المشكلة الكبرى » .

وقد كان الفنان سليمان نجيب رائعاً إلى حد كبير وكأنه كان يحس أنه يمثل آخر أدواره على المسرح فأجاد وأبدع .

وفى اليوم التالى الأربعاء ١٩ يناير انتقل الفنان إلى جوار الله .

وأذكر أنه فى أثناء الاستراحة بين الفصول قابل الفنان سليمان نجيب الفنانة الكبيرة زينب صدقى – أطال الله عمرها – وقال ضاحكاً :

– إننى أعرض عليك اتفاقية جنتلمان . . فكلانا أعزب ، ومن يمت قبل أخيه يقم

- بواجب الأخوة نحو منزلة فيرعاه ويشرف عليه .

وأشهدني وشكرى راغب على هذا الاتفاق. . . وضحكنا . . . وكأنه كان يحس بدنو أجله .

وأبلغت الرئيس النبأ . . فكلفنى أن أنوب عنه فى تشييع الجنازة وإقامة سرادق العزاء والإنفاق على مصاريف الجنازة .

وذهبت إلى منزل فناننا الراحل فوجدت الجميع يبكى فيه مروءته ولم أر أحداً من أقربائه لإبلاغه العزاء . وذهبت لمتعهد الفراشة الحاج جاد لإقامة السرادق ولكنه أبلغنى بأن شخصاً لا يعرفه قد دفع له مبلغ خمسمائة جنيه تكاليف الجنازة والسرادق والفراشين . . . إلخ .

وشيعت جنازة المرحوم الرائد الفنان سليمان نجيب نيابة عن الرئيس عبد الناصر وعلمت فيما بعد أن الشخص الذى تطوع للإنفاق على تشييع جنازة الفنان هو المرحوم محمد سلطان باشا .

رحمه الله ورحم الله الفنان العظيم .

الرئيس عبد الناصر
والبدلة الاسموكنج :

فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٥ وصل إلى القاهرة مستر أنتوني إيدن رئيس الوزراء البريطاني لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر .

وكان من بين برنامج هذه الزيارة أن يحضر المستر إيدن لرئاسة مجلس الوزراء للتوقيع فى سجل الزيارات فى الساعة السادسة مساء .

كما كان ضمن البرنامج أن يحضر رئيس الوزراء البريطانى حفلة عشاء فى السفارة البريطانية تكريماً له يحضرها الرئيس عبد الناصر .

وبناء على ذلك حاولت أن أنتهز فرصة فراغى من العمل من الساعة الواحدة

إلى السادسة مساء لقضاء وقت فى رفقة زوجتى خاصة وأن اليوم كان مشمساً وبديعاً . . واتفقنا على أن نذهب إلى نادى الجزيرة حيث نتناول طعام الغداء ونشاهد سباق الخيل .

وخشية الإزعاج من جهاز التليفون وماتحمله أسلاك التليفون لتعكر صفوى وضعنا التليفون وأغلقنا عليه الغرفة بالمفتاح .

واستروحت عناء العمل ومشاقه وقضينا وقتا ويوماً ممتعاً للغاية . . . ورأينا الخيول وهى تركض فى حلبة السباق وقد مضى علىَّ دهر طويل لم أشهد فيه السباق .

وضحكنا . . . ضحك طفلين معاً – كما يقول المرحوم الدكتور إبراهيم ناجى – وبعد ذلك توجهت إلى مكتبى . . وكانت مفاجأة فى انتظارى . . فقد علمت أن الرئيس عبد الناصر كان يبحث عنى من الساعة الثانية بعد الظهر .

واتصلت بالرئيس .

وسألنى : أين كنت ؟

فقلت له : كنت فى المنزل

فقال : ولكن لم يرد أحد على التليفون .

فقلت : إن التليفون ليس به حرارة .

فقال الرئيس : ماعلينا . . أنا مدعو على العشاء فى السفارة البريطانية مساء اليوم ومكتوب على التذكرة « الحضور بملابس اسموكنج » وليس عندى بدلة اسموكنج ماالحل ؟

فقلت : يمكن لسيادتكم أن تذهب بالزى العسكرى أى بدلة المكتب .

ووافق الرئيس وطلب منى أن أخبر المدعوين من العسكريين بارتداء الزى العسكرى.

وحضر المستر إيدن ووقع فى سجل الزيارة ثم انصرف .

وانصرفت إلى منزلى ، ولكن مفاجأة أخرى كانت فى انتظارى .

فقد علمت من المربية أن أحد ضباط قسم الزمالك حضر إلى منزلى أثناء وجودى بنادى الجزيرة وسأل عنى وعن أسباب عدم الرد على التليفون .

وكانت المربية صادقة ، فأخبرته عن مكانى . .

وعلم الرئيس بالأمر كله .

وعندما قابلت الرئيس صباح ٢١ فبراير سنة ١٩٥٥ حاولت له أن أبرر كذبي . .
ولكنه . . ابتسم ولم يعلق .

على الحسنى
و ٣٠ مارس :

فى ٣٠ مارس سنة ١٩٥٥ زلت قدم اللاعب القديم على الحسنى أثناء ركوبه الأتوبيس ونقل – إثر ذلك – إلى القصر العينى للعلاج .

وقد علمت بذلك من الأستاذ محمد شميس لاعب الترسانة القديم والناقد الرياضى المعروف وزميل على الحسنى فى الملاعب .

ولما كنت أعلم مكانة البطل على الحسنى فى عالم الرياضة ، إذ كان كابتن مصر فى دورة « أمستردام » سنة ١٩٢٨ ، فقد أبلغت الحادث للرئيس عبد الناصر مبيناً منزلته وأمجاده الرياضية القديمة ، واقترحت على الرئيس – تكريماً للرياضة فى البطل نزيل مستشفى القصر العينى – أن يوفد مندوباً لعيادته .

ووافق سيادته على ذلك . . وأوفدني شخصياً .

واتصلت بالقصر العينى ، وأبلغت المسئولين بقدومى نيابة عن الرئيس لزيارة على الحسنى . وأرسلت باقة من الورد إلى المستشفى .

وكنت فى حجرة على الحسنى بعد ساعتين ، وكانت الحجرة نظيفة وتليق بأحد أبطالنا القدامى من الجيل الذى قدم للرياضة جهوداً موفقة .

وقد دمعت عينا البطل عندما أبلغته تحيات رئيس الدولة .

والواقع أن البطل لقى من المستشفى عناية يستحقها مدة بقائه بها .

كما أن تكريم على الحسنى كان تعبيراً صادقاً عن وجوب رعاية الدولة للرياضيين فى شبابهم أو عندما يتقدم بهم العمر .

وفى ٣٠ مارس سنة ١٩٧٢ – أى بعد انقضاء ثماني عشرة سنة ، وافق الرئيس محمد أنور السادات على منح البطل القديم على الحسنى وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى بعد أن رفعت التماساً إلى سيادته بطلب تكريم بطل كرة القدم فى أمستردام سنة ١٩٢٨ .

وقد تسلم البطل الوسام وفى عينيه دموع تعبر عن الوفاء والامتنان .

ومما يذكر أيضاً . . . ارتباط على الحسنى بيوم ٣٠ مارس ، أننى دعيت إلى برنامج فى التليفزيون (شريط تسجيل) - أذيع يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٧١ - وكان ضيف البرنامج يستضيف بعض الشخصيات ويجرى معهم حواراً فى كافة المجالات التى يهتم بها .

وطلبت دعوة الأستاذ على الحسنى . . . ولبى الدعوة برغم شدة مرضه . . وحضر محمولا على كرسيه .

ولكن عندما بدأ الحديث . . . تدفق كالسيل لتوجيه الشباب نحو الرياضة التى قضى فى ملاعبها زهرة شبابه .

السفاح محمود أمين سليمان :

اعتاد السفاح محمود سليمان - الاتصال تليفونيًّا ببعض الأشخاص ليطلب منهم إتاوة . . . حتى إن شهرته انتشرت فى كل مصر .

وأذكر أن شائعة ترددت فى أن السفاح سيذهب ذات مساء إلى منطقة الجيزة والدقى مما أثار الرعب فى نفوس كل أهالى المنطقة .

وأذكر جيداً أن هذه المنطقة أغلقت محلاتها منذ الساعة السادسة مساء ولم نتمكن من شراء الخبز .

كانت البلد كلها متتبعة أخبار هذا السفاح الذى كانت أخباره تنشر فى جريدة « الأخبار » .

ودق التليفون . . . وإذا السفاح يخاطبنى تليفونيًّا ويطلب منى الاتصال بالرئيس جمال عبد الناصر لمنحه مبلغ ألف جنيه لكى يتمكن من الهرب عن طريق ليبيا . وأخذ يهددني بالقتل لو لم أحضر له الألف جنيه فوراً . . . ثم استطرد فى التهديد بقوله حتى أولادى سينتقم منهم وهنا . . قلت له :

أيها السفاح ، لقد أتى أجلك على يدى . . ولن أطلب من عبد الناصر ولا مليم ولو كنت رجلا حقيقة فأنا موجود بالمنزل الليلة وسأترك الباب مفتوحا . . أنت لا تعرف

الشخص الذى يتكلم . . أنا لست جبانا . . . مرحباً بك الليلة .

وقفلت التليفون وإتصلت فوراً بتليفون آخر باللواء عبد العظيم فهمى مدير المباحث العامة وقتذاك أطلب منه النجدة العاجلة والحراسة المشددة ، لا خوفاً ولكن للقبض عليه .

وبعد أيام . . سافرنا إلى الهند والباكستان مع الرئيس الراحل فى زيارة رسمية .

وأذكر أن السفاح قتل يوم وصول الرئيس جمال عبد الناصر إلى الباكستان . . وكانت فرحة . . .

وكان عنوان جريدة « الأخبار » الرئيسى .

مصرع السفاح .

عبد الناصر فى باكستان اليوم .

استقالة صلاح سالم فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٥ .

فى ٣١ أغسطس قدم الصاغ صلاح سالم – وزير الإرشاد القومى – استقالته من الوزارة ، وصدر بيان من مجلس قيادة الثورة بقبولها ، ولكن لم يشر البيان إلى أسباب هذه الاستقالة .

ويلاحظ أن هذه الاستقالة ترجع فى ظروفها وملابساتها إلى سياسة صلاح سالم فى السودان ، ذلك أنه قام برحلة إلى جنوب السودان برفقة اللواء عبد الحكيم عامر وزير الحربية بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر ثم عرض عليه نتيجة السياسة التى انتهجها فى السودان لاسيما وقد علم الرئيس عبد الناصر بأن هذه السياسة أغضبت السودانيين وأدت إلى الفرقة بين صفوف المؤيدين للوحدة مع مصر ، بل كانت هذه السياسية من شأنها إلغاء الاتفاقيات التى أبرمت بشأن السودان .

وقد تخللت الرحلة بعض الحوادث المثيرة وسجلت أحداثها فى فيلم سينمائى ظهر فيه وزير الإرشاد القومى عارياً – كما ولدته أمه – فى غابات جنوب السودان (نيمولى) .

وعند عودته حضر اجتماع مجلس الوزراء لعرض نتيجة رحلته وبعد أن سرد وقائع

الرحلة ناقشه الرئيس عبد الناصر فيما علم به من الانتقادات التى وجهت إلى الصاغ صلاح سالم وفيما اقترن بالرحلة من ظروف .

وكان من رأى صلاح سالم أن يعمل ما فى وسعه لإرضاء السودانيين تارة بالتنازل عن ممتلكات مصر فى السودان وتارة بتوزيع الملايين من الجنيهات على بعض رجال الأحزاب وزعماء القبائل لكى « يملأ عيونهم » .

ولكن الرئيس عبد الناصر انتقد بعضاً من هذه الأساليب .

وشعر صلاح سالم بعدم الثقة به خاصة وأنه ناقشه فى بعض الأمور التى حدثت فى جنوب السودان مناقشة تفصيلية كما أن الرئيس كان قد بعث معه اللواء عبد الحكيم عامر وهنا غضب صلاح سالم وقال :

– إننى أعتبر نفسى مستقيلا .

ورد عليه الرئيس عبد الناصر فى التو واللحظة قائلا :

– لقد قبلت استقالتك .

وفى الواقع أنه لم تكن ثمة استقالة بالمعنى المفهوم ولكن كان الأمر إعفاء وصدر البيان بقبول استقالته .

وأذكر بعد وفاة المرحوم صلاح سالم أن أهدى الرئيس جمال عبد الناصر إلى إسمه قلادة النيل ، وهى أرفع الأوسمة التى حصل عليها أعضاء مجلس الثورة بعد ذلك .

وقد توجهت أنا والفريق محمد رشاد حسن كبير الياوران ، حيث سلمنا القلادة إلى أرملته .

اتهامى باغتيال الملك سعود :

ترامى إلى علم الملك سعود أن أحد أشقائه الأمراء يتآمر عليه وأن ثمة اجتماعات تعقد بمنزلى لتدبير مؤامرة لاغتيال جلالته وكان الرئيس عبد الناصر يحضر هذه الاجتماعات . وقد رشحتنى الإشاعات لتنفيذ مؤامرة الاغتيال .

وعلم بهذه القصة الملك سعود فى الولايات المتحدة الأمريكية أثناء زيارته لها .

وكان الملك يرتاع عند ذكر اسمى أمامه وحاولت جاهداً – وقد علمت بهذه الشائعة

وضحكت منها – أن أتحاشى لقاء جلالته أثناء زيارته للقاهرة .

ولكن حدث ذات يوم بقصر القبة . . وكنت الوحيد به أن دخل الملك القصر وكان لزاماً عليّ أن أرافقه إلى المصعد الوحيد بمكتب الرئيس والذى لا يسع إلا لشخصين وقدمنى إلى الملك المرحوم الشيخ يوسف ياسين الذى كان لا يعلم بالإشاعة قائلاً :

– أقدم لجلالتكم صلاح الشاهد . . كبير الأمناء .

وما إن سمع الملك اسمى حتى أصابه هلع كبير ودار برأسه يميناً ويساراً وتجسم أمام عينيه شبح الاغتيال .

وأدركت دقة الموقف واستطعت أن أتكلم لأقول لجلالته :

– يا جلالة الملك . . إن من يحاول الوشاية بينكم وبين الرئيس عبد الناصر يضع الفرقة بين بلدين شقيقين وأخين كريمين .

أمامن جهتى فأقسم بكتاب الله أننى لم أذبح ولا أجرؤ على أن أذبح دجاجة فكيف أفكر فى اغتيال إنسان . . ومن جهة أخرى لم أطلق الرصاص أبداً طوال حياتى ولا أيًّا من النبال .

واستطعت أن أقنع جلالة الملك بمنطقى واطمأن إلى صحبتى وعلم أن من أطلق هذه الشائعات رجل مغرض لا يستحق احترامه .

تبرع معالى السيد حسن الشربتلى واعتقال عم عبد الناصر :

لما خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى الكلية الحربية سنة **١٩٥٦** وطالب بالتسليح وجمع التبرعات جمعنا من المصريين تبرعات بلغت ثلاثة عشر مليوناً ، من الجنيهات .

وتألفت فى المملكة العربية السعودية لجنة برئاسة معالى السيد حسن الشربتلى وزير الدولة لجمع التبرعات وافتتحها جلالة الملك سعود رحمه الله بمائتى ألف ريال سعودى ، وتبرع السيد الشربتلى بمائة وتسعة وتسعين ألفاً ، وكان معاليه يجوب الشوارع لجمع التبرعات حاثاً السعوديين بأن الحسنة بعشرة أمثالها بل إنه كان يأخذ من الفقير ريالا ثم يرسل له فى اليوم التالى عشرة . وجمع حوالى مليون جنيه .

وأرسل له الرئيس عبد الناصر دعوة لزيارة مصر وأهداه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى .

وبعد أيام ظهرت صورة فى الصحف لمعالى السيد حسن الشربتلى وبجانبه الحاج خليل حسين (عم الرئيس جمال) مكتوب تحتها إنه سيتعاون تجارياً مع الوزير السعودى .

فأمر الرئيس جمال بوضع عمه فى السجن ولم يفرج عنه إلا يوم وقفة العيد وحيث كنا فى طريقنا إلى الهند ، حيث طلب أعضاء مجلس قيادة الثورة أثناء التوديع فى المطار ضرورة الإفراج عن خليل حسين فرفض الرئيس فشددوا فى الإلحاح عليه فأمر بالإفراج عنه .

وعندما عدنا زارنى معالى السيد حسن الشربتلى بمنزلى ومعه شنطة وأبلغنى أن بها هدايا للرئيس جمال وطلب منى حملها للرئيس ، ففتحتها فرأيت أنه جمع كل المجوهرات التى فى محل «شيفلد» بالقاهرة ، وعلى كل قطعة ماس ورقة بالثمن ، مثلا خاتم سولتير بخمسة وعشرين ألف جنيه وإسورة بأربعين وبروش بخمسين ، والمجموع حوالى ثلثمائة ألف جنيه ، وأربعة أقلام ، «شيفرز» من الذهب الخالص . فقلت لمعالى الشربتلى إن الرئيس جمال سيعتذر عن الهدية ولن يقبل سوى قلم واحد .

فقال : ما على الرسول إلا البلاغ ، وهذه أمانة فى عنقك أرجو توصيلها للرئيس وترك الشنطة وغادر المنزل .

فأخذت الشنطة لغرفتى وأحضرت المسدس الذى لا أعرف طريقة استعماله وأضأت نور المنزل جميعه ، وأدرت راديو الصالون وبقيت ساهراً ومعى الشنطة .

وفى الثامنة صباحاً قصدت منزل الرئيس وقابلته فى غرفة نومه فانزعج من حضورى المبكر فرويت له ما حدث .

وعندما شاهد المجوهرات سألنى عن الحوار بينى وبين معالى حسن الشربتلى وكان من بينه قولى له :

إن الرئيس لو قبل الهدية وظهرت إحدى سيدات أسرته بأى منها سيقول الناس

إن جمال عبد الناصر سرق مجوهرات الملك فاروق وأعطاها لها .

فأخذ الرئيس القلم ورد الباقى .

ولما عدت لمعالى حسن الشربتلى أفرغ المجوهرات وملأ الشنطة أوراق بنكنوت من فئة عشرة جنيهات وجملتها أربعة وعشرون ألفاً ، وقال لى أعطها للرئيس ليتصدق بها على الفقراء

فقلت له: إن الرئيس سيعيدني أيضاً ، فقال : ما على الرسول إلا البلاغ . فأخذت الشنطة إلى مكتبي وحررت خطابين على ورق الرئيس الخاص .

الأول فيه شكر لمعالى حسن الشربتلى لتبرعه بأربعة وعشرين ألف جنيه للاجئين الفلسطينيين فى غزة .

والثاني للفريق المرحوم يوسف العجرودى الحاكم الإدارى للقطاع مشيراً إلى التبرع الذى يتضمنه شيك مرفق بالخطاب .

وذهبت للرئيس بالخطابين فأبدى سروره ووقع الخطابين وكلفنى حمل خطاب معالى حسن الشربتلى إليه .

ومع ذلك لم تسلم أموال معالى السيد حسن الشربتلى فى مصر من التأميم والمصادرة فى عهد الرئيس الراحل .

ديك الرئيس تيتو :

وفى أول زيارة للرئيس جوزيف بروزتيتو للقاهرة سنة ١٩٥٦ . . دعاه الرئيس جمال عبد الناصر للنزهة فى القناطر الخيرية يوم الخميس ٥ يناير سنة ١٩٥٦ . ثم لتناول طعام الغداء بحدائق القناطر .

وكان يتولى الإشراف على الطعام الذى يقدم للرئيس تيتو ضابط طبيب مرافق له . . يشرف على طهو الطعام من أوله .

وبعد تناول السمك قدم « ديك » فيومى طهو الشرق للضيوف . وخرج من « الأوفيس » خمسة عشر سفرجياً يحملون أطباقاً عليها ١٥ ديكاً فيومياً من بينها الديك الذى أشرف على طهوه مرافق الرئيس تيتو الخاص .

وفى أقل من لمح البصر هبطت حدأة لتخطف ديك المارشال وساد المجتمعين الضحك ونظر المرافق للرئيس تيتو نظرة معناها الامتناع عن تناول أى ديك .

توقيع الاتفاق الثلاثى بين المملكة العربية السعودية وسوريا ومصر :

فى مارس سنة ١٩٥٦ وصل دولة سعيد الغزى رئيس وزراء سوريا إلى مطار ألماظه الحربي وكان معه رئيس الأركان شوكت شقير حيث استقبلهما الرئيس فى المطار .

واجتمع رئيس الوزراء السورى بالرئيس عبد الناصر بمنزله مساء نفس اليوم تمهيداً لعقد مؤتمر ثلاثي من المملكة العربية السعودية وسوريا ومصر لإعداد الجبهة العربية إعداداً يكفل القضاء على إسرائيل .

وفى يوم الاثنين ٥ مارس وصل فخامة الرئيس شكرى القوتلى وأقام له الرئيس مأدبة عشاء بنادى الضباط بالزمالك .

وفى صباح الثلاثاء ٦ مارس جاء إلى القاهرة جلالة الملك سعود وأقام له الرئيس مأدبة عشاء بنادى الضباط .

وفى الساعة العاشرة من صباح ٧ مارس اجتمع الأقطاب الثلاثة .

وما إن دخل الأقطاب أمسك بيدى الرئيس شكرى القوتلى وقبلنى وقال موجهاً الخطاب للرئيس عبد الناصر :

– معرفتى بالأخ صلاح ترجع إلى العصر الذى كنت فيه لاجئاً بالإسكندرية وكثيراً ما لقيته فى الحفلات التى كنت أقيمها وشكرت النحاس باشا مرات عديدة لأنه عرفنى بالأخ صلاح ، وتوالت الاجتماعات صباحاً ومساء فى خلال الفترة من ٧ مارس إلى أن وقع الاتفاق فى الساعة الحادية عشر من يوم ١٢ مارس سنة ١٩٥٦ .

وكان يوم الجمعة ٩ مارس يوماً مشهوداً عندما تحرك الركاب بالأقطاب الثلاثة فى طريقهم إلى الأزهر لأداء صلاة الجمعة . وكان استقبال الشعب لهم استقبالاً حافلاً . والكل يتساءل عن ما وراء هذا الاجتماع .

على هامش مؤتمر لندن سنة ١٩٥٦ :

كان انعقاد مؤتمر لندن بعد تأميم شركة القناة فى أغسطس سنة **١٩٥٦** من أبرز مظاهر التحدى والتحكم ، وسيلة للضغط على مصر وتهديدها باستعمال القوة المسلحة .

وآية ذلك ، أن المؤتمر برغم انعقاده للنظر فى مسألة قناة السويس لم يستشر مصر ، بل لم تدع إلى المؤتمر من جانب بريطانيا إلا بعد مشاورة فرنسا وأمريكا ، ولم يدع لحضوره سوى الدول التى رأت بريطانيا دعوتها . وكان المفروض أن تدعى الدول التى وقعت على اتفاقية الآستانة سنة ١٨٨٨ بشأن حياد قناة السويس ، ولكن كثيراً من الدول لم تتلق الدعوة لحضور المؤتمر ، بالرغم من أنها كانت من الدول الموقعة على الاتفاقية المشار إليها .

وعلاوة على ذلك فقد دعيت للمؤتمر بعض الدول كاندونيسيا وسيلان (سيرى لانكا) والهند وباكستان وإيران وأثيوبيا وهى دول لم توقع على معاهده سنة ١٨٨٨ .

وقد تعمدت بريطانيا عدم دعوة الصين والمملكة العربية السعودية وباقى الدول العربية والخلاصة أن المؤتمر كان مقصوراً على دول حلف شمال الأطلنطى ودول « الكومنولث » وأخيراً مصر .

وأذكر أن مجلس الوزراء اجتمع برئاسة الرئيس عبد الناصر فى **١١** أغسطس سنة **١٩٥٦** وقرر عدم الاشتراك فى المؤتمر ، كما امتنعت اليونان عن الحضور ، وكان المؤتمر يمثل إثنتين وعشرين دولة .

وفى الجلسة الافتتاحية قدم جون فوستردالاس – وزير الخارجية الأمريكية – مشروعاً بتدويل القناة ، وقد قبل المشروع بأغلبية ثمانى عشرة دولة ورفضه الاتحاد السوفييتى والهند وأندونيسيا وسيلان .

ورفض الرئيس عبد الناصر الاقتراح .

وكانت الدول المحبة للسلام قد قررت الإضراب يوم **١٦** أغسطس سنة **١٩٥٦** بمناسبة عقد المؤتمر فى الساعة الثانية عشر ظهراً ولمدة خمس دقائق .

وتم الإضراب . وتوقفت وسائل الحياة والمواصلات فى مصر وغيرها .

وأذكر أن الرئيس عبد الناصر وقف أيضاً فى مكتبه خمس دقائق مشاركة فى الإضراب .

بعثة منزيس :

وقرر المؤتمر عرض مقترحاته علي الرئيس عبد الناصر بوساطة لجنة خماسية برئاسة مستر منزيس رئيس وزراء أستراليا ، وذلك بجلسته يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٦ ووصل مستر منزيس وبعثته القاهرة يوم ٢ سبتمبر وأقاموا فى فندق سميراميس واتصل بي سفير أستراليا لتحديد موعد يقابل فيه رئيس الوزراء واللجنة الرئيس جمال عبد الناصر

وكانت اللجنة مؤلفة من مندوبين عن حكومات : أستراليا والولايات المتحدة الأمريكية وأثيوبيا وإيران والسويد .

وأذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر قابل منزيس بمفرده قبل اللجنة وكان الرئيس قد قال لى :

– الضغط على الجرس مرتين معناه أن تدخل فوراً وتطلب من منزيس مغادرة مكتبي إيذاناً بانتهاء المقابلة .

وظللت أفكر فيما سوف أقوله فى هذا الموقف ومترقباً سماع الجرس خصوصاً وأنه كان من الشائع فى هذا الوقت أن منزيس يطلق عليه « البغل الأسترالى » .

وحمدت الله أننى لم أسمع الجرس .

وحضر بقية البعثة وتمت المقابلة بسلام .

وتكررت فى نفس اليوم فى تمام الساعة السابعة مساء ، وكذلك فى يوم الثلاثاء ٤ سبتمبر تمت المقابلة الثالثة فى الساعة السادسة مساء ودامت بعض الوقت وفى نهايتها أبلغنى مستر اردولان – وزير خارجية إيران وقتئذ – رغبته فى مقابلة الرئيس على انفراد .

وفعلاً تحدد له الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الأربعاء ٥ سبتمبر وتمت المقابلة بين الرئيس ووزير الخارجية بمفرده خلافاً لما يجرى عليه العرف حيث يصحب السفير عادة وزير الخارجية فى مثل هذه المقابلات .

ثم اجتمعت اللجنة للمرة الرابعة مساء ذات اليوم وخرج الجميع – بعد الاجتماع – إلى قصر محمد على لتناول العشاء فى الحفل الذى أقامه الرئيس وكان العشاء فى حدائق القصر .

وبعد الانتهاء تجول الجميع داخل القصر ووقفوا مشدوهين أمام غرفة نوم الأمير محمد على إذ كانت غرفة داخل غرفة مبنية بالسلك الرقيق المانع من الناموس ، ولها باب من السلك أيضاً وبداخلها سرير الأمير .

وقد علق البعض على ذلك فقيل إن الأمير كان لايحب الناموسية ، ولكنه كان يخشى الناموس ولذلك صممت غرفة النوم على هذا النحو .

وفى يوم الأحد ٩ سبتمبر قابل الرئيس وزيرا خارجية أثيوبيا فى الساعة الواحدة على انفراد وفى مساء نفس اليوم اجتمعت اللجنة الخماسية للمرة الأخيرة .

أسرة الرئيس عبد الناصر
فى منزلى :

أثناء حرب السويس ١٩٥٦ والطائرات الإنجليزية تقصف المطارات المصرية طلب الرئيس عبد الناصر إعداد فيلا سمو الأميرة عين الحياة بالزمالك لإقامة أسرته طوال مدة الحرب بعد أن ترددت بعض الأنباء بأن منزل الرئيس فى منشية البكرى سوف يكون هدف الطائرات المغيرة .

وكانت الغارات شديدة والقاهرة غارقة فى ظلام دامس .

وقد بذلت قصارى جهدى فى محاولة لإعداد الفيلا لإقامة أسرة الرئيس فى فترة وجيزة لاتتجاوز يوماً واحداً .

ولكن هذه المحاولة لم تتحقق فى الموعد المحدد لها بسبب أن الفيلا ظلت مهجورة طوال سنوات أربع وأصبحت فى حالة لاتسمح بالنزول فيها .

وحضرت أسرة الرئيس وكنت أقيم بالزمالك فى شارع يقع إلى جانب الشارع الذى فيه الفيلا فدعوت أفرادها للبقاء فى منزلى ريثما ينتهى إعداد الفيلا .

وطفقت أشرف على العمل بهمة لاتعرف الكلل إلى أن أصبحت الفيلا فى حالة

تسمح بأن تعيش فيها أسرة الرئيس .

وانتقلت الأسرة للإقامة فيها . . وكانت السيدة حرم الرئيس مسرورة بالفيلا وحسن روائها .

وكان همى أن أبلغ الرئيس بما تم فأخبرت أحد سكرتيرى الرئيس بمحل إقامة الأسرة .

ويبدو أن السكرتير نسى ، أو تناسى لسبب أو آخر ، أن يخبر الرئيس أين نزلت أسرته .

وفى صباح اليوم التالى . . . قابلت الرئيس وكنت على يقين أن الرئيس سوف يكون عالماً بما حدث وأنه سوف يشكرني على ماتحملت من آلام .

ولكن بدلا من ذلك ، كان الرئيس غاضباً وناقماً . .

وكنت لا أدرى سبباً لهذا الغضب أو النقمة .

وصاح الرئيس فى وجهى :

– أنت أب . . لبنتين فيما أعلم . ؟

فقلت مندهشا :

– أجل يا سيادة الرئيس . . ولكن لماذا ؟

فاستمر هادراً . .

– كيف تكون أباً ، وتعرف طعم الأبوة ، وأنا لا أعلم أين أولادى وزوجتى ؟

أين ذهب الجميع . . . هل هذه رجولة . . . ؟ يا ناس حرام عليكم . .

كان عبد الناصر الأب هو الذى يتكلم بكل مشاعر رب الأسرة الذى يبحث عن فلذة أكباده وأجبت :

– لست أفهم ماذا تقصد ياسيادة الرئيس ؟

فقال محتداً :

– بل أنت تفهم . . هل تفهم أين أولادى وزوجتى ؟ إننى لم أرهم منذ الأمس ولا أعرف عنهم شيئاً . . . هل هذا الكلام مفهوم ؟

فقلت مبتسماً :

– يا سيادة الرئيس ، إننى أب وأقدس الأبوة بكل مشاعرها ، ولقد أخبرت (فلان)

سكرتير سيادتك بعد دقائق من نزول الأسرة للفيلا وظللت وزوجتى وأولادى مع الأسرة إلى ما بعد منتصف الليل .

إن رجل المراسم ، الإنسان والأب لا يمكن بحال أن يغفل المشاعر الإنسانية ولا أدرى ما حدث للسكرتير الفاضل .

القبض على السفير الأمريكى فى دورة المياه :

أثناء الاعتداء الثلاثى سنة ١٩٥٦ على مصر ، طلب السفير الأمريكى مستر ج . بادو مقابلة الرئيس مقابلة عاجلة .

وتحددت المقابلة فى القيادة العامة بمجلس قيادة الثورة فى منشية البكرى . ووصل السفير الأمريكى فى الموعد المحدد واستقبله على السلم أحد سكرتيرى الرئيس العسكريين. (محمود الجيار) .

ويبدو أنه فهم – على سبيل الخطأ – أن السفير يريد الذهاب إلى دورة المياه قبل أن يقابل الرئيس – فقاده السكرتير العسكرى إلى هناك حيث أغلق عليه الباب .

ومرت الدقائق على السفير فى دورة المياه ، عشر دقائق . . ربع ساعة . . . نصف ساعة . . ساعة إلا ربعاً . . والسفير رهين دورة المياه .

ولما طال الوقت على احتجاز السفير بدورة المياه وخشى السكرتير العسكرى أن يكون قد أصاب السفير الأمريكى مكروه . فتح الباب عليه ووجده واقفاً مذهولا . وبدون كلام صحب السكرتير العسكرى السفير الأمريكى إلى مكتب الرئيس وقص السفير على مسامع الرئيس ما حدث . . . فأغرق الرئيس فى الضحك . . ومن الطريف أن السفير قال للرئيس :

– إننى قد تصورت أن الأوامر قد صدرت بإلقاء القبض علىّ ، فاستسلمت لها .

ولكن الرئيس جمال عبد الناصر اعتذر للسفير عن سوء الفهم .

مدفع رشاش :

أثناء عدوان ١٩٥٦ دخلت مكتب قائد الجناح على صبرى مدير مكتب جمال

عبد الناصر وسلمنى مدفع رشاش ، ودهشت جداً لأنه لم يحدث فى حياتى انني أمسكت مدفعاً . . . قلت له :

– ماذا عساى أن أفعل بهذه « البلوى » ؟

قال :

– يجب أن يكون عندك واحد زى ده لكى تدافع به عن نفسك .

فقلت :

– ولكنى لا أعرف كيف أستعمله .

فقال :

– ضابط الحرس يعلمك كيفية استعماله لأنه ربما تستعمله لو نزل أحد من الأعداء بالبارشوت . . وأخذت المدفع وصندوق الذخيرة إلى منزلى وفى حجرة نومى .

وبعد أكثر من عام ، أمسكت حرمى بيدى وأخذت تهزها بعصبية شديدة واستيقظت من نومى مذعوراً ، وقلت :

– ماذا جرى ؟

ردت فى همس :

– فيه حرامى بالمنزل .

فقلت لها :

– لا . . لا . . إنها أوهام . .

قالت :

– لقد سمعت وقع أقدامه . .

قلت لها :

– ليفعل اللص ما يشاء . . . فالحجرة مغلقة أبوابها . . والأولاد والمربية اعتادوا إغلاق الغرفة والمنزل مؤمن عليه ضد الحريق والسرقة . . فلا تخشى شيئاً .

فردت :

– أنت ناسى إن عندك مدفع رشاش يمكنك استعماله ؟

فقلت لها :

– هو ده مش حرام . . أقتل نفساً ! . . ثم إننى لا أعرف كيف يستعمل ولو أخذته معى وأخذ ينطلق ولا أستطيع إيقافه ماذا يتم ؟

فأصرت – سامحها الله – على أن أفتح الباب وأوجه اللص وجهاً لوجه . .

وكان هذا أقسى موقف وقفته فى حياتى . . ولكن لم أجد أحداً والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه . .

وبعد هذا سلمت المدفع الرشاش للحرس الجمهورى حتى لا تعتمد زوجتى عليه ! .

مؤتمر القمة الرباعى :

وفى ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٧ عقد بالقاهرة مؤتمر ضم جلالة الملك سعود – ملك المملكة العربية السعودية والملك حسين – ملك المملكة الأردنية الهاشمية ودولة السيد صبرى العسلى – رئيس وزراء سوريا والرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر . وكان المؤتمر أول مؤتمر أقيم بقصر القبة الذى ظل مهجوراً منذ قيام الثورة حتى هذا التاريخ .

وكانت الفترة التى أعد فيها القصر لاستقبال الضيوف وجيزة جداً . . فالموعد المحدد كان بعد يومين ولم يكن بالقصر إلا جناحان لا يسمحان بنزول أكثر من اثنين من الضيوف ومعهما الحاشية وكان الجناحان مخصصين للملك فاروق والملكة ناريمان والأميرات .

وكان من المتعين إعداد القصر لاستضافة الضيوف الثلاثة مما دعا إلى تغيير بعض الغرف ونقل ما فيها إلى مكان آخر وتجهيزه للمبيت . . وخصص جناح الملك فاروق لإقامة الملك سعود ، وجناح الملكة نريمان لإقامة الملك حسين ، أما بالنسبة لدولة صبرى العسيلى فقد خصص لإقامته الدور الثانى أيضاً . . وأصبحنا فى حاجة إلى مزيد من الغرف لرجال الحاشية واضطررنا لإخلاء بعض الغرف .

والمعروف أنه لابد أن تقيم حاشية الضيف بجواره وكان لابد من إخلاء بعض الغرف لنزول رجال الحاشية مثل غرفة كانت تضم مجموعة من المصاحف والآيات القرآنية المدونة فى لوحات جميلة داخل إطارات بالخط الكوفى والفارسى وغيرهما .

وقمنا بتخزين بعض المصاحف وتعليق بعضها الآخر فى ممرات القصر وخصصت هذه الغرفة لإقامة ياوران الملك سعود .

كما أخليت غرفة الآلات الموسيقية العالمية لإقامة رئيس الوزراء السورى أما غرفة النياشين والأوسمة فكانت من نصيب ملك الأردن .

وبالنسبة لتجهيز غرفة الاجتماعات كانت تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر أن تكون المائدة مستديرة تفادياً للحساسيات ، وكلفنى الرئيس أن أكتفى بأن أقول للضيوف « تفضلوا » ويجلس كل ضيف فى المكان الذى يروق له .

أما غرفة الطعام فقد أعدت دون مراعاة المراسم التى تقتضى بأن يتولى خدمة كل ضيف « سفرجى » خاص ولم يكن لدينا فى القصر المهجور واحد منهم ، فاستعنا بثلاثة من السعاة المتخصصين لتقديم المشروبات بمجلس الوزراء واضطررنا بالرغم من ذلك إلى وضع الطعام بأكمله على المائدة قبل دخول الضيوف وتركنا لهم حرية اختيار أماكنهم .

وبالرغم من قلة الضيوف بالمأدبة فقد كانت هذه المأدبة أصعبها حيث خالفنا كافة القواعد المراسيمية .

ومن الطريف أننى عندما دخلت قصر القبة للإشراف على إعداد هذا المؤتمر فوجئت بشرذمة من جنود بلوكات النظام يحمل كل منهم لوحة زيتية نادرة لكبار الفنانين العالميين ليضعها فى سيارة لورى كبيرة تتبع البلوكات . فجن جنونى وسألتهم بلهفة :

– إلى أين أنتم ذاهبون ؟

فقالوا :

– كلفنا الصاغ مجدى حسنين بحمل هذه اللوحات إلى قصر عابدين لبيعها فى المزاد العلنى .

ولم أتمالك إلا أن أحول بينهم وبين ذلك . . وكلفتهم بإعادتها إلى أماكنها .

وجدير بالذكر أن المرحوم الأستاذ عطا عفيفى بك – وكان رئيساً لجمعية الفنون الجميلة زارنى يوماً بالقصر ورأى هذه اللوحات وأدرك قيمتها الغالية وعرض على أن

أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر باستعداده لنقل هذه اللوحات تحت إشراف الدولة وبيعها فى الخارج بما لا يقل عن مليونين من الجنيهات الاسترلينية ولكن الرئيس جمال عبد الناصر رفض هذا العرض وأمر بإبقاء الحالة التى كانت عليها .

وأذكر أن السيد عبد اللطيف البغدادى اعتاد عند دخوله الصالون الملحق بقاعة الاجتماعات أن يقف طويلاً متأملا إحدى هذه اللوحات البديعة النادرة مبدياً إعجابه لما يتبدى فيها من فن رفيع .

سجائر أكرم الحورانى :

أثناء رحلة الرئيس إلى الاتحاد السوفييتى فى المرة الأولى سنة ١٩٥٨ لحضور احتفالات العمال فى أول مايو ، وكان برفقة الرئيس السيد أكرم الحورانى الذى كان يشغل وقتئذ منصب نائب رئيس الجمهورية بعد إعلان الوحدة فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ وفوجئت أثناء الليلة الأولى بنائب الرئيس السورى هائجاً ومائجاً كالعاصفة وصاح بي :

– أريد سجائر عربية .

وقلت بهدوء .

– وأنى لنا ذلك الآن . . . ونحن فى الاتحاد السوفيتى ، ولا يوجد فى الاتحاد سجائر عربية . ؟

ولكن ثورة نائب الرئيس لم تهدأ . . .

– أريد سجائر عربية . . . أريد سجاير ماسبيرو . .

فضحكت ، فمثل هذا النوع من السجاير يوجد فى القاهرة وبين القاهرة وموسكو آلاف من الأميال .

ويبدو أن نائب الرئيس كان يطلب منى أن أمتطى بساط الريح لأحضر له السجائر وسألته :

– وأين سجايرك . . ؟

– لقد نفذت . .

– كيف تنفد ونحن لم نزل فى ليلتنا الأولى ، وأفهم أن السجاير لا تنفد فى الليلة الأولى على الأقل .

ولكنه لم يقتنع ، فأخذت أضحك وقلت له :

– إن معى سجاير ماركة البستانى أحضرتها كهدايا . . . وربما يحلو لك تدخينها . . ولكنه رفض .

ودخل الرئيس عبد الناصر على ثورة نائبه السورى ، واستمع إلى الحديث طويلاً ثم ما لبث أن ضحك بصوت عال لا يخلو من رنة الاستخفاف وقال :

– يا صلاح ، سجاير البستانى إحنا جبناها علشان الغدا بتاعنا ، لا تعطى أحد منها ولا تتصرف فيها .

والتفت إلى أكرم الحوراني وقال له :

– أكرم بك . أنصحك بتدخين سجاير روسى فهى جيدة ولا تخف منها .

بقى شيء واحد هو أن نائب الرئيس بقى يدخن السجاير السوفييتية طوال الرحلة التى استمرت ١٧ يوماً . . ولعله استمتع بنكهتها واستمرأ طعمها كما أوصاه الرئيس المصرى .

الويسكي والكونياك والفودكا . . والسياسة . . !

وأذكر أنه أثناء هذه الرحلة إلى الاتحاد السوفيتى أن زار الرئيس عبد الناصر « كييف » عاصمة إحدى الجمهوريات حيث قام رئيس هذه الجمهورية بإلقاء كلمة ترحيب بقدوم الرئيس المصرى والوفد المرافق له .

وكان لابد أن يرد الرئيس عبد الناصر على كلمة الترحيب ، ولكنه فاجأ المجتمعين على المأدبة التى أقيمت على شرفه بأن أناب عنه الأستاذ الكبير فكرى أباظة باشا لإلقاء كلمة جمهورية مصر .

وأجفل الأستاذ فكرى أباظة للمفاجأة ولكنه ما لبث أن سيطر على الموقف وعاد إليه شبابه حيث بدأ خطاباً يتميز بخفة الروح والدعابة التى امتازت بها أحاديثه وقال بصوت جهورى وكأنه يخطب فى جمهور النادى الأهلى :

– « أيها السادة ، إننا نشكر لكم جميل لقائكم وأشهد أنني عندما كنت فى لندن وكنت أحتسى الويسكى ، كان الويسكى ممزوجاً فى فمى بدم الشعوب المستعمرة ، وعندما ذهبت إلى باريس وشربت خمور باريس المعتقة سواء من الكونياك أو النبيذ أحسست بالمتعة والترف والبذخ ومعاصر العنب فى الجزائر ودماء الشهداء فى كافة أنحاء المغرب العربى ، ولكنى عندما هبطت إلى دياركم وتجرعت الفودكا ، كان طعم الفودكا فى فمى شهياً لأنه طعم الصداقة والمحبة التى تربط بين قلوب شعبينا » .

وانتهت كلمة الأستاذ الكبير بين التصفيق ، وكان موفقاً فى التخلص من هذا المأزق الذى أراد أن يوقعه فيه الرئيس عبد الناصر .

انقلاب العراق ١٩٥٨ :

كنا فى بريونى . .

وكان محدداً لرجوعنا يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ ، وهو اليوم الذى أطاح فيه الجيش بالحكم الملكى فى العراق .

وقد وصلت أخبار الانقلاب الدموى عندما كنا نتناول الغداء على الباخرة « الحرية » المحروسة سابقاً ، وكان الرئيس قد أقامه تكريماً للرئيس اليوغسلافى جوزيب بروز تيتو والسيدة قرينته .

وقد رجا الرئيس تيتو – بحرارة – الرئيس المصرى البقاء فى بريونى حتى تتكشف أبعاد الموقف الملتهب فى الشرق الأوسط أثر أحداث العراق ونزول جنود الأسطول الأمريكى فى لبنان واحتلال القوات البريطانية لجزء من الأردن .

ودام اجتماع الرئيسين أكثر من ساعتين فى صالون الباخرة وكان الرئيس تيتو يحذر الرئيس المصرى من السفر بسبب أخبار قد وصلته عن طريق المخابرات اليوغسلافية بأن مؤامرة تدبرها بعض الدول لضرب الباخرة التى تقل « عبد الناصر » وإغراقها ومن عليها ، وكان فى لهجة الرئيس اليوغسلافى الخوف والتحذير . ولكن الرئيس المصرى لم يعبأ بالمخاطر وصمم على مغادرة يوغسلافيا وطمأن الرئيس اليوغسلافى أن الباخرة تحرسها طرادتان هما : الناصر والقاهر لرد أى اعتداء وأمر الرئيس اليوغسلافى

بإعداد بارجتين يوغوسلافيتين لحراسة الباخرة المصرية .

وأبحرنا فى رعاية الله . .

ومضت الباخرة الحرية فى طريقها إلى الاسكندرية بعد أن صدرت الأوامر بإطفاء الأنوار وإعلان حالة الطوارئ عليها .

وكانت الباخرة تضم أفراداً عسكريين ما عدا ثلاثة مدنيين هم : الدكتور، محمود فوزى وزير الخارجية والأستاذ هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام وأنا ، وأطلقت صفارة الإنذار على سبيل التجربة لكى يأخذ كل منا مكانه فى قارب الإنذار بما فيهم الرئيس وأسرته عند وقوع أى غارة على الباخرة .

وكان قاربى يحمل الرقم (٤) .

وعلى مسمع من الرئيس عبد الناصر قلت لقائد السفينة :

-- هل هذا معقول إنه عندما تغرق الباخرة أبحث عن قارب رقم (٤) ؟ . . بل إننى سأركب أول قارب على اليمين .

فقال :

– هذا القارب للرئيس وأسرته . .

فقلت :

– وأنا من أسرته .

فضحك عبد الناصر ..

وانتهت التجربة وعدنا كلنا إلى أمكنتنا والأنوار مطفأة . .

وحاولت أن أستفسر من بعض الضباط عن كيفية ضرب البواخر فى عرض البحار .

فقال :

– فى منتصف الباخرة وعلى سطح المياه . .

وقمت بمعاينة رسم الباخرة .

وهالنى أن حجرتى تقع فى منتصف الباخرة تماماً وأنها – أيضاً – على سطح الماء . .

وأيقنت أننى سوف أكون الضحية الأولى أو شهيد « الحرية » فى حالة الاعتداء على الباخرة وحاولت أن أهون الأمر على نفسى فسألت الضابط :

– من هو آخر من يلقى مصرعه من الركاب ؟ . .

فقال :

– قائد الباخرة . .

وصممت على أن أكون الشهيد الأخير ونقلت أمتعتى إلى غرفة القائد .

ولكن الليلة مرت دون أن نذوق للنوم طعماً .

وفى الصباح الباكر ، وصلت برقية من يوغوسلافيا إلى الطراد اليوغوسلافى المرافق تتضمن بأن الاتحاد السوفيتى يطلب ذهاب الرئيس عبد الناصر إلى موسكو وأنه قد أعدت طائرة خاصة سوفييتية نقل الرئيس إلى العاصمة الروسية .

وقرر الرئيس أن يعود إلى بريونى على طراد يوغوسلافى بسرعة لكى يستقل الطائرة إلى موسكو .

وودعنا الرئيس عبد الناصر بتأثر شديد وأوصاني خيراً بأسرته وأولاده .

وسافر الرئيس وبصحبته الدكتور فوزى وهيكل وحسن صبرى الخولى .

وتوالت البرقيات بأن الباخرة فى طريقها إلى الإسكندرية دون أن تغير مسارها وعليها الرئيس عبد الناصر والوفد – بينما كنا فى طريقنا إلى بريوني .

وتوقفت الباخرة خارج المياه الإقليمية حتى لا يراها أحد وعاد الطراد فى الحال إلى المياه الإقليمية خفية .

ووصلت الحرية إلى بريونى ونزلنا فى لنشات سراً فى فيلا « بريونكا » دون أن يرانا أحد لدرجة أن الرئيس تيتو كان يتوجه يومياً إلى الفيلا وسيارته محملة بالطعام لطهيه فى الفيلا وحظر علينا فتح النوافذ أو النزول إلى الحديقة أو خروج أحد الخدم حتى لا تنتشر الأخبار فى الجزيرة بعودتنا إليها .

وقضينا فى هذا السجن أربعة أيام .

وفى خلال فترة الاعتقال ، كان الرئيس قد وصل إلى موسكو ومنها إلى دمشق حيث أعلن عن وصوله إلى الأرض السورية سالماً .

وأفرج عنا وخرجنا إلى الجزيرة بين دهشة سكانها لوجود غرباء لا يعرفون واقعة اعتقالهم . .

واتصل بي من دمشق الدكتور حسن صبرى الخولى وطالبنى بالعودة فى اليوم التالى بطائرة خاصة إلى القاهرة وطلب تكتم الخبر . وعجبت لماذا التكتم والطائرة لابد لها من وقود وتموين للطعام .

وتحركت الطائرة حسبما أراد حسن صبرى الخولى ووصلت إلى مطار أبو صوير فى يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٥٨ بعد أن فقد الرئيس عبد الناصر كل أمله فى بقائنا على قيد الحياة لأنه كان قد أصدر تعليمات بوصول الطائرة الساعة الثالثة .

واضطر عبد الناصر أن يبرح منزله لإلقاء خطاب بمناسبة أعياد الثورة وقد فقد الأمل فى بقاء أفراد أسرته أحياء .

وأبلغ عبد الناصر باللاسلكى أمام مسرح الجمهورية بعودتنا سالمين .

وتنفس الرئيس الصعداء . . وألقى خطابه . . وعاد إلى منزله . . إلى أسرته .

خطبة فجائية :

أثناء زيارة الرئيس عبد الناصر للسودان سنة ١٩٥٩ كان البرنامج المعد للزيارة يتضمن حضور حفل تقيمه الخرطوم بحدائق المجرن ولم يكن يتضمن البرنامج خطاباً للرئيس عبد الناصر كما لم يتضمن خطاباً للفريق إبراهيم عبود رئيس مجلس قيادة الثورة التى كانت تتولى الحكم فى السودان .

وفجأة انبرى الفريق عبود ليخطب مرحباً بالرئيس عبد الناصر وارتبكت سكرتارية الرئيس فقد قدمنا ولم يكن الرئيس عبد الناصر معداً خطاباً بهذه المناسبة ، وما كنا نتوقع خطاب الرئيس السوداني .

وخافت السكرتارية . .

ولكنى لم أجفل وتحملت مسئولية رد رئيس الدولة عند زيارة دولة أخرى . . . وهو أمر تنظمه قواعد المراسم تنظيماً دقيقاً ، وطلبت إلى الرئيس أن يتكلم .

فوقف عبد الناصر وخطب وحيا السودان وشعبه وحكامه ومرت الليلة بخير وعلى أحسن وجه .

وفى المساء دخلت على الرئيس عبد الناصر فى حجرة نومه لأعتذر عن الخطأ الذى لم

يكن لى دخل فيه ، بل كان يرجع إلى الفريق عبود الذى ألقى خطبة فجأة . . كالسكتة القلبية .

وضحك عبد الناصر . . وقال :

- هون عليك . . فقد طلبوا إلى الكلام فتكلمت .
- لكن سكرتارية سيادتك هاجت وماجت ، وزلزلت الأرض زلزالها . .
- لا تهتم . . . فالمسألة قد مرت ، والحمد لله .

وفى هذه المناسبة يجدر أن أذكر أنه فى أثناء زيارة رئيس دولة يجب أن يحصل مدير مراسم رئيس الجمهورية الزائر على نسخة من الخطاب الذى يلقيه رئيس الدولة المضيف ، لكى يعد للأمر عدته ويرد على الخطاب رداً لائقاً يتناسب ومراسم الزيارة .

ولكن حادث خطاب الفريق عبود المفاجئ لم يكن الأول من نوعه او حادثاً فريداً ، فقد وقعت مثل هذه الحوادث عند زيارة بعض رؤساء الدول لمصر. ويبدو أن هذه السنة قد ابتدعتها دول العالم الثالث . . ويرجع ذلك فى رأيى إلى عدم رسوخ تقاليد المراسم فى هذه البلاد وعدم تطبيقها تطبيقاً صارماً ، كما هو الحال فى الدول الغربية العريقة فى نظم المراسم وتقاليدها .

ذكرياتى فى نيمولى :

وفى أثناء زيارتنا الجنوب وكان برفقتى المرحوم حسنى الحديدى ، زرنا نيمولى ، وهى بلدة أهلها يعيشون على الفطرة عرايا كما ولدتهم أمهاتهم . .

وكان سائق سيارتنا شخصاً ظريفاً اسمه : بنايوتى . .

وقد جرت العادة على أن يغير الشخص اسمه كلما راق له اسم آخر استهواه أو أسدى إليه جميلا أو معروفاً ، ونفحت السائق الظريف جنيهاً قائلا له :

- لتشرب يا بنايوتى الليلة كما تهوى .

وجدير بالذكر أن القبائل فى جنوب السودان لا تعرف نظام النقد بل تسير فى معاملتها على نظام اقتصادى بدائى هو نظام المقايضة ، وسأل بنايوتى :

كم يساوى هذا الجنيه لزجاجات البيرة .

فقال له حسنى الحديدى :

– عشرين زجاجة على الأقل . .

وهال صديقنا بنايوتى القدر الذى سوف يحصل عليه من الزجاجات .

وانتشى بنايوتى فى هذه الليلة .

ولابد أنه أيقن أن كاتب هذه الذكريات شخص أسطورى أو بطل أو وزير . .

وأعجبه شخص كاتب الذكريات .

وفى الصباح ناديت على بنايوتى باسمه . .

ولكنه لم يرد . . . فسألته عن السبب .

فقال : إننى لست بنايوتى . .

فقلت له :

– ومن أنت إذن ؟

– أنا . . صلاح الشاهد . .

وصعقت ، ولكن بنايوتى أخرج لى بطاقة شحصية تثبت أن اسمه هو اسم صلاح الشاهد وعلمت أن بنايوتى هرع فى الصباح المبكر حيث غير اسمه إلى اسمى .

عندما زار عبد الناصر الولايات المتحدة :

كانت الزيارة الأولى والأخيرة التى قام بها عبد الناصر إلى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٦٠ بمناسبة إلقائه خطاباً فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك .

وألقى الرئيس خطاباً . .

وقابل هناك بعض رؤساء الدول . كان من بينهم الجنرال دوايت إيزنهاور رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية الذى كان ينزل بفندق والدروف أستوريا .

وقبل موعد الزيارة ، ذهبت برفقة السيد ممدوح سالم وكان وكيلا للمباحث العامة فى هذا الحين واللواء سعد الدين متولى كبير الياوران وقتئذ لتفقد المبنى والاستعداد للزيارة .

وهالنى أن أرى فى مدخل الفندق ضابطين يبدو أنهما عربيان يجلسان فى وضع غير لائق ، ويضعان أرجلهما فى وجه الداخل فى منظر منفر .

كما شاهدت على رصيف الفندق شخصاً عربياً يدخن أحد السجائر بعصبية ظاهرة وقلق كأنه قادم على ارتكاب شئ .

وأشرت إلى الصديقين ممدوح سالم وسعد الدين متولى بمخاوفى ، ولكن السيد ممدوح سالم لم يكترث بالأمر وقال لى :

لا تهتم . .

واتصل السيد ممدوح سالم برجال الأمن الأمريكى ولكنهم لم يفعلوا شيئاً . وسرى إلى نفسى الخوف .

ولكن ما إن دنت قافلة الرئيس عبد الناصر من الفندق حتى أخرجت الأرض أربعة رجال من جوفها لا أعلم من أين أتوا انقض اثنان منهم على الرجل الذى يدخن السيجار واقتاداه دون حراك .

وضرب الاثنان الآخران بقدميهما على الضابطين فوقفا فى أثناء دخول الرئيس عتبة الفندق .

وصعد الرئيس لمقابلة الرئيس الأمريكى . . ودامت الزيارة ساعة . . ونزل الرئيس . ولكن هذه المرة . . نزل من سلم آخر إلى طريق آخر خلاف الطريق الذى أتي منه أول مرة . . ولم يحس الرئيس بشئ من هذا .

وكانت عيون الأمن الأمريكى يقظة أكثر مما كنا نتوقع .

التقاليد والمراسم :

رجل المراسم بطبيعته معرض لكثير من المواقف المحرجة التى لا بد أن تسعفه فيها بديهته الحاضرة أو يقظته أو أن يلطف الله فيما جرت به المقادير وإلا وصل الأمر إلى حد الأزمة التى لا يعرف عواقبها إلا الله جل وعلا .

وأذكر على سبيل المثال أنه عندما قام الرئيس عبد الناصر بزيارة اليونان سنة ٦٠ زيارة رسمية ويصحبته السيدة الجليلة قرينته ، كانت القواعد التى تضعها المراسم تقضى

بأن تضع حرم الرئيس يدها فى ذراع جلالة الملك المضيف وأن تضع جلالة الملكة يدها فى ذراع الرئيس عبد الناصر فى اثناء نزولهم إلى قاعة العشاء ، وأن يمروا بين المدعوين لتحيتهم فى طريقهم إلى المائدة .

ولكن الرئيس رفض الإذعان لقواعد المراسم . .وأصر على الرفض إصراراً كبيراً جعلنى ألجأ إلى مدير المراسم الملكية أخبره بقرار الرئيس .

ويبدو أن مدير المراسم لم يجد متسعاً من الوقت لإبلاغ رغبة الرئيس إلى جلالة ملك اليونان .

وحدث أن صعد الملك والملكة لكى يصطحبا الرئيس وحرمه إلى المأدبة حسبما تقتضى قواعد المراسم .

ونزل الجميع . . وكان الأمر مربكاً بشكل كبير إذ كلما أراد الملك أن يجعل حرم الرئيس تضع يدها فى ذراعه يرى حرم الرئيس تزور عنه . . وكذلك عندما كانت تريد الملكة أن تضع يدها فى ذراع الرئيس أجفل الرئيس وارتبك وحاول أن يتملص .

وكنت أضع يدى على قلبى . . خشية أن يلحظ الناس المسألة وأن تثير لغطاً خاصة فى القصر الملكى حيث تتبع قواعد المراسم بدقة وحرفية على الطريقة البريطانية .

وانتهت الليله على خير . . . وقال لى عبد الناصر بعد ذلك .

أنا رجل صيعدى ، رجعى فى بيتى لاأطيق أن أرى زوجتى تضع يدها فى ذراع آخر ولو كان ملكاً . .

عندما سقطت مريضاً بسبب الإرهاق :

فى ٧ أغسطس سنة ٦١ كان سمو الشيخ راشد بن مكتوم – حاكم دبى يزور القاهرة وكنت أتولى الإشراف على الزيارة التى كان يقوم بها سمو الحاكم للرئيس فى استراحة المعمورة . . بالإسكندرية ، وكان الجو قائظاً وكنت مرهقاً بشكل لم يسبق له مثيل بسبب العمل ومتاعبه الجسيمة .

ويبدو أن الإرهاق كان مسيطراً على حواسى جميعاً .

إذ عندما قابلت السيد على صبرى وزير شئون الرئاسة صحت فيه بعد أن لاحظ

أمارات التعب بادية على وجهى . . قائلا :

– ومن الذى لا يتعب فى العمل معكم ؟ لقد قمتم بالثورة فى شهر يوليو وهو شهر شديد الحرارة ، ثم إننا لا نسترد أنفاسنا حتى نفاجأ بزيارة كبير أو مسئول للقاهرة ، وكأن القاهرة لا تريد أن تعترف بأن هناك فترات راحة أو استجمام يمكن للبشر أن يقضوها . .

وأراد على صبرى أن يهون على الأمر ولكنى استطردت قائلا :

– إن الرئيس عبد الناصر يريد قتل ثلاثة أشخاص بالإرهاق .

فسألنى ، مستفسراً عن هؤلاء .

فقلت :

أحدهم أنت شخصيا ، والآخر السيد محمد أحمد سكرتير الرئيس الخاص أما الثالث فهو العبد لله .

وضحك على صبرى بصوت عال . ولم تتوقف ضحكاته إلا عندما دخل الرئيس عبد الناصر الحجرة وسأل على صبرى :

– يبدو أن صلاح الشاهد قد ألقى نكتة ظريفة . . أرجو ألا تحرمونى من سماعها ؟ .

فقال على صبرى :

– إن صلاح الشاهد لم يقل « نكتة » بل قال حقيقة قاتلة . .

وقص عليه ما قلت . . فابتسم الرئيس وقال :

– إننى أرى عليك سيماء الإرهاق واضحة بدون خفاء واعتبر نفسك فى إجازة طوال شهر أغسطس ، على أن تصبحنى فى أول سبتمبر إلى مؤتمر عدم الانحياز فى بلغراد .

ومضيت إلى منزلى .

ولكن المسألة كانت أخطر وأفدح ، إذ سقطت مريضاً .

وعلم الرئيس عبد الناصر بمرضى ، وأرسل لى كبار الأطباء فى أمراض القلب فى الإسكندرية لعيادتى مثل الأساتذة الدكاترة : محمود صلاح الدين وحافظ غانم وأحمد السيد درويش ونعيم . .

وكان معى الدكتور أحمد طلعت – خطيب كريمتى راندة – وأسفر الكشف

الطبي عن إصابتي بجلطة قاتلة فى الشريان التاجى . . وكان شفائى ميئوساً منه ، بل إن الدكتور نعيم أطلق علىّ لقب « الشهيد » .

ويبدو أن مرضى قد أثر فى الرئيس تأثيراً شديداً وخاصة أنه وقع بعد ساعات قلائل من اتهامى إياه « بقتلى » ولم يكف الرئيس عن السؤال عن صحتى يومياً وبانتظام بل إنه فى خلال هذه الفترة كان نجله : عبد الحميد مريضاً بالحمى الشوكية وكان يتولى علاجه الأطباء الذين يعالجوننى ، ولم يكد يراهم الرئيس حتى يستفسر منهم عن صحتى .

وكان يزورني فى المنزل والسيدة قرينته كما كان يتفضل بالزيارة السيد الرئيس أنور السادات الذى كان يصعد إلى الدور الخامس بالسلم لعدم إتمام تركيب المصعد .

وكان الرئيس السادات وفياً دائماً كعادته لأصدقائه وزملائه من عهد الدراسة ولم ينس أبداً من عملوا معه أو زاملوه .

وقد ترتب على مرضى نتيجة هامة هى أن القاهرة قد استراحت من استقبال الزوار فى أثناء شهور الصيف واعتبرت هذه الشهور إجازة من الاستقبالات والاحتفالات .

وأذكر أنه أثناء المباحثات الثلاثية التى تمت بين مصر وسوريا والعراق سنة **١٩٦٣** كان الرئيس عندما تدق الساعة العاشرة مساء يرسل ورقة يطلب فيها منى مغادرة المكتب إلى المنزل للراحة .

لماذا أريد إخراج الدكتور استينو من الوزارة :

رفعت المخابرات تقريراً إلى الرئيس عبد الناصر تضمن أن الدكتور كمال رمزى استينو وزير التموين يعطى تصريحات على هواه وكما يشاء باستيراد الأقمشة الحريرية من فرنسا مخالفاً بذلك القانون . وطلبت المخابرات فى نهاية التقرير إخراج الدكتور استينو من الوزارة لهذا السبب . . وقرأ الرئيس التقرير .

واستدعانى وأعطانى قطعة من القماش مكتوباً عليها بحروف أفرنجية « صنع فى فرنسا » وقال لى إن هذا القماش يباع بمحل فى شارع قصر النيل وأطلعنى على إعلان بجريدة الأهرام يبين أن المحل المذكور يبيع أقمشة مستوردة وطلب منى أن أتحرى الأمر بطريقتى الخاصة .

وبعد الظهر ذهبت إلى المحل وكان صاحبه يعرفنى فرحب بي وطلبت منه قماشاً حريرياً يصلح فستاناً من الأقمشة الفرنسية الموجودة بالمحل حسب قطعة القماش التى أخذتها من الرئيس عبد الناصر .

ولكن صاحب المحل قال لى :

– إننا لا نبيع قماشاً فرنسياً مستورداً . .

وسألته :

– ولكن القماش مكتوب عليه « مصنوع فى فرنسا » فكيف يكون ذلك .

وفسر لى صاحب المحل الأمر جميعاً وهو أنه يحصل على الحرير المصرى الخام ثم يتولى تصديره بواسطة الجمارك إلى فرنسا حيث يتم تجهيزه ويصبغ ويطبع ويعود إلى مصر .

ورجعت إلى الرئيس وقلت له ما انتهى إليه البحث . . وذهل الرئيس وقال :

– إننا نعاني أزمة فى الأخلاق . . لقد ساءت الأخلاق ، قل لى بربك ، هل أحضر ملائكة لأعمل منهم ضباطاً للمخابرات يقولون الحق ولا يقعون فى الظلم ويظلمون الآخرين لغرض فى نفوسهم . . . إن الضابط صاحب التقرير يستحق العقاب . ولكنى لا أعلم – حتى الآن – ما انتهى إليه مصير هذا الضابط . . هل نقل أو جوزى أو رقى إلى منصب أكبر من مناصب الدولة . . !

إخراج الباقورى من الوزارة :

تربطنى مع فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى صداقة طويلة ومودة خالصة ترجع إلى زمن ليس بالقصير ، وطالما طلبت منه أن يصرف على بعض المستحقين من خيرات وقف أم حسين وكان يطلق عليها فضيلته « وقف جدة الشاهد » .

وكنت أزوره يوماً بمكتبه ودخل علينا ضابط من المخابرات يصطحب فتاة صارخة الجمال وطلب إليه أن يصرف لها من خزانة الأوقاف شهرياً مبلغ خمسة وعشرين جنيهاً بسبب فقرها وحاجتها ، ولم تكن علامات الفقر أو الحاجة تبدو عليها وهى تنفجر أنوثة وأناقة وظرفاً وحيوية .

وأذكر أن فضيلة الباقورى أجاب الضابط بقوله :

– تزوجها على بركة الله ، فأموال المسلمين لا تنفق على السفه والنزوات بل تصرف للفقراء من المسلمين والمساكين حسب الموارد الشرعية .

والتفت إلى السيدة – الطالبة – وقال لها :

– أما أنت فعليك بالحشمة ، فالحشمة تاج المرأة .

ويبدو أن الدرس كان مؤلماً للضابط وانقضت عدة شهور ووصلت دعوة إلى الرئيس لحضور عقد قران كريمة فضيلة الشيخ الباقورى . . ولكن الرئيس قابل الدعوة بفتور .

وقد ذكرته بأن العادة جرت أن ترسل هدية باسم رئيس الجمهورية فى مثل هذه المناسبة ولكن الرئيس أشار بأنه لا داعى لذلك .

ولم أدر لذلك سبباً .

ثم حضر الرئيس حفل القران مكتفياً بإرسال باقة من الورد إلى العروس .

وبعد أقل من أسبوعين صدر قرار بإقالة الشيخ الباقورى دون سبب . وانطلقت الشائعات تملأ البلاد حول أخلاق الشيخ تنسب إليه مسائل وأحداثاً . كان صانعوها ومروجوها ودعاتها رجال المخابرات وعملاءهم فى أنحاء البلاد . واستمرت الشائعات معربدة تنال من كرامة الشيخ وتنهشه .

ولما كان الناس تبعاً للزمان كما يقول الشاعر العربي ، فقد انفض الناس عن الباقورى ومجلسه إلا اثنين ظلا مقيمين على الود هما : المهندس أحمد عبده الشرباصى والدكتور نور الدين طراف عضوا مجلس الرئاسة وقتئذ .

وانجلت الحقائق بعد ذلك ، وسوف تكشف الأيام أن الباقورى كان ضحية لتقرير رفعه إلى رئيس الجمهورية ضابط موتور أراد أن يجعل أموال المسلمين مشاعاً لإحدى الساقطات ، وعندما يرفض الوزير يكون مآله التشهير والإخراج من الوزارة .

وقد أخبرت الرئيس عبد الناصر بالواقعة كما شاهدتها وكما سمعتها أذناى وعرف عبد الناصر الحقيقة .

وعاد الباقورى إلى الحياة العامة التى ظل مبعداً عنها وبعيداً عن أضوائها لسبب بسيط . . هو أنه أراد أن يحافظ على أموال المسلمين .

الدكتور محمد حلمى مراد . . والهدايا :

عندما كان الدكتور محمد حلمى مراد وزيراً للتربية والتعليم وجهت إليه دعوة لزيارة الكويت والبحرين فى أواخر شهر أبريل سنة ١٩٦٩ وذلك لتفقد معاهدها ومدارسها ودراسة أحوال البعثات التعليمية التى ترسلها الوزارة إلى هذه البلاد .

ولما كانت هذه الدول لا تتبع نظام الأوسمة التى تهدى لكبار الزائرين فقد أهدى الدكتور حلمى مراد طاقماً للشاى المصنوع من الفضة من حكومة الكويت كما أهدى ساعة من البلاتين المرصع بالماس من طراز « بياجيه » وعقداً من اللؤلؤ من حكومة البحرين .

وعندما قفل الدكتور حلمى مراد راجعاً إلى مصر اتصل بى معلناً عدم قبوله مثل هذه الهدايا وأنه سوف يبعث بها إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، ولكنى أفهمته بأسلوب لبق أن مبدأ تبادل الهدايا من المبادئ المستقرة والمعمول بها بين كافة الدول، وأنه لا حرج عليه فى قبول هذه الهدية .

ولكن الدكتور حلمى مراد كان حنبليًّا ، فأصر على عدم قبول الهدايا بأية صورة من الصور .

وطلعت جريدة الأهرام بخبر نشره كمال الملاخ بتاريخ ١٩ / ٥ / ١٩٦٩ ، بشير إلى رفض الدكتور مراد للهدايا بإباء وشمم .

وأرسل الدكتور حلمى الهدايا إلى ديوان كبير الأمناء وحاولت التملص بمنتهى اللباقة من قبولها ولم أتمكن فرفعت إلى السيد رئيس الجمهورية مذكرة من ثلاث صفحات ضمنتها خلاصة الرأى فى هذه الحالات وتطبيق مبدأ قبول كبار الزائرين من الشخصيات لهدايا الدول ، وأن هذا المبدأ معمول به فى كافة دول الأرض جميعاً : ملكية كانت أم جمهورية رأسمالية كانت أم شيوعية . . وعرضت على الرئيس القصة بأكملها من الألف إلى الياء .

ويبدو أن الرئيس قد استاء وأذكر أنه هز رأسه وقال مستنكراً :

– يعنى أننا عندما ما نقبل الهدايا لصوص ، والا يعنى الدكتور حلمى عنده أخلاق واحنا لأ ، لما نشوف .

وكان الرئيس محنقاً وأشار على بإيداع الأشياء بمخزن الهدايا برئاسة الجمهورية .

وبدأت العلاقة تتردى بين الرئيس والدكتور حلمى مراد منذ هذا اليوم حتى يوم ٦ يوليو سنة ١٩٦٩ يوم اجتماع مجلس الوزراء .

وحضر الوزراء .

ثم حضر الرئيس وسألني: هل حضر السادة الوزراء ؟

فأجبت بالإيجاب .

فقال :

– وهل حضر الدكتور حلمى مراد ؟

فأجبت بالإيجاب أيضاً . .

ويبدو أن الرئيس لم يرقه حضور الدكتور حلمى مراد المجلس فى هذا اليوم .

ودخل الاجتماع مكفهراً عابساً مقطب الجبين .

ولم تمض دقائق حتى انفض اجتماع مجلس الوزراء وخرج الرئيس مسرعاً غاضباً فى طريقه إلى السلم الرئيسى ليركب سيارته .

وعند وصوله منزله بمنشية البكرى اتصلت بى سكرتارية الرئيس وطلبت منى إبلاغ سامى شرف وشعراوى جمعة وأمين هويدى بعدم استعداد الرئيس لمقابلة أحد منهم هذه الليلة لأنه متعب وصعد إلى الدور العلوى ليستريح .

أما الدكتور حلمى مراد فقد وقف مع بعض الوزراء فى حديقة القصر يتكلمون .

وفى يوم ١٠ يوليو صدر القرار الجمهورى بإعفاء الدكتور محمد حلمى مراد من منصبه وفى رأيي أن واقعة الهدايا كانت السبب الرئيسى لخروج الدكتور محمد حلمى مراد من الوزارة .

كادت تحدث أزمة بسبب « السلاطة » :

دعا الرئيس جمال عبد الناصر رؤساء الوفود العربية فى أثناء اجتماع مجلس جامعة الدول العربية بالقاهرة إلى حفل عشاء فى قصر القبة .

وكان عدد المدعوين يزيد على مائتى شخص . .

وكان على أن أعد قائمة طعام للوفود ، وقد اخترت بين القوائم التى تعد لهذا الغرض قائمة راعيت فيها أن تضم ألوان الطعام بأسماء عربية تتفق وهذه المناسبة مثل « حمل على الطريقة السعودية ، ديك على الطريقة الشرقية ، حساء لبنان ، قهوة اليمن . . إلى آخره . . وأن توضع القوائم بأسماء ألوان الطعام .

وكلفت المختص بالإشراف على المائدة بذلك ويبدو أننى انصرفت على عجل للقيام ببعض المهام الأخرى .

وقبل موعد الحفل بربع ساعة . . نزلت إلى الحديقة للمرور على المائدة وتفقد ماتم وتصفحت قائمة الطعام . . ولكن تسمرت عيناى أمام لون من الطعام ، ولا أغالى كثيراً أننى أصبت بشئ كبير من الذهول ، ولو لم أتمالك نفسى لأصابنى إغماء .

فقد وجدت أن السلطة قد أطلق عليها فى القائمة اسم « سلطة راشيل » وهى سلاطة من الخرشوف الصغير المسلوق بالليمون . واسم راشيل كما لا يخفى اسم يهودى قديم . ودارت الدنيا أمام عينى ، ما الذى حدث لو جاء رؤساء وفود عربية يحاربون إسرائيل ويجتمعون ساعات طويلة لوضع الخطط لمحاربتها والوقوف فى وجهها ومطامعها ليجدوا اسم راشيل فى النهاية موجوداً فى قائمة الطعام وكأنه يذكرهم بإسرائيل ، بل كأنه يسخر منهم ويهزأ من اجتماعاتهم .

وبكل هدوء ، بل بكل ما أتيت من اتزان طلبت شفرة حلاقة ، وبدأت أكشط بيدى الألف وجزءاً من اللام من كلمة (راشيل) لتصبح (رشيد) .

ولله الحمد . . أن هدانِى الله إلى ذلك .

ورشيد بلد من بلاد الدلتا المصرى ، مشهور أهله بالظرف وحب النكتة والقفشة .

والواقع ، أن هذا الحادث كان ظريفاً ، وبالرغم من ذلك فقد كان الدليل على أن رجل المراسم يجب أن يكون دقيقاً فى كل ما يعهد إليه من عمل كبر شأنه أو صغر ويجب عليه أن يؤدى ماأنيط به بحذافيره لا يترك شاردة ولا واردة ولا يترك أية مسألة للمصادفات .

فما الذى كان يحدث لو بقيت سلاطة الوفود العربية تحمل اسم (راشيل) !.

المرحوم الملك محمد الخامس :

أذكر أثناء زيارة المغفور له جلالة الملك محمد الخامس ملك المملكة المغربية – طيب الله ثراه – للقاهرة سنة ١٩٦٠ للاشتراك فى الاحتفالات التى أقيمت لبدء العمل فى السد العالى لأسوان ، وذلك لمدة ثمانية أيام .

وأنه كان من عادة الملك الراحل أن يستيقظ من النوم قبل طلوع الفجر ليذهب إلى أحد المساجد وليستمع إلى تلاوة القرآن ثم يصلى الفجر حاضراً دون احتفالات أو مراسم مكتفياً باصطحاب السفير المغربي المرحوم عبد الخالق الطريسى تشبهاً بالسلف الصالح من عظماء المسلمين ، وكانت صلاة الملك الراحل تقرباً لله جل وعلا دون ضجة أو ضجيج ولكن كان لاعتبار الأمن مفهوم آخر إذ كان الملك فى زيارة رسمية للجمهورية وكان لابد من تشديد الحراسة على جلالته ، فاتصلت بالسفير المغربي فى القاهرة وطلبت إليه أن تمدنا السفارة بأسماء المساجد التى يريد جلالته إقامة شعائر الصلاة فيها .

وبالفعل كان المرحوم الطريسى يخبرني مسبقاً برحلة الملك إلى مساجد القاهرة يومياً ، وكنت أعد الترتيبات لكى يتولى تلاوة القرآن فى هذه المساجد أشهر القارئين أمثال محمود الحصرى وعبد الباسط عبد الصمد ومصطفى إسماعيل .

وكان جلالة الملك يستمع إلى القرآن وهو فى نشوة بالغة .

وقد سألت جلالته عند انتهاء الزيارة :

– لعل جلالتكم أعجبتم بالقاهرة .

فأجاب :

لقد أعجبت بالقاهرة كثيراً أما إعجابي البالغ فهو تلاوة القارئين فى القاهرة لكلام الله بالطريقة الرائعة التى تنم عن حس دقيق وفهم عميق لعبارات القرآن الكريم وإشاراته .

ومما أذكر أن المرحوم الطريسى وكان صديقاً حميماً أعتز بصداقته كان يتعجل نهاية زيارة الملك . وكان السفير خفيف الروح حلو الدعابة ، إذ كان يقول لى :

– أنا عمرى ما صليت الظهر ، أبقى كل يوم أصلى الفجر حاضراً . . متى يرحل سيدنا فأتخلص من هذا الواجب لكى أنعم بالنوم العميق حتى الضحى . ؟

أصناف مغربية :

فى أثناء زيارة جلالة الملك الحسن الثاني – ملك المغرب – سنة **١٩٥٣** وكان ولياً للعهد أقام حفلا للاستقبال فى آخر أيام الزيارة بقصر القبة دعا إليه كبار رجال الدولة .

وأذكر أنه طلب منى استدعاء كبير الطهاة بمحلات جروبي الشهيرة لإعداد قائمة الطعام وحضر كبير الطهاة . .

وبدأ الملك يناقشه فى التفاصيل الدقيقة للمأدبة المراد إقامتها وكان جلالته يلم إلماما دقيقاً بكل أصناف الطعام وألوانه ، بل إن جلالته بدأ يشرح لكبير الطهاة طريقة طهى أطباق مغربية « لذيذة » بدقة الأستاذ المتخصص وعلمه .

وقد أقيمت المأدبة وقدمت ألوان شهية من الطعام المغربي ، ولكن لم تكن فى روعة المأدبة التى أقامها جلالته بمناسبة مؤتمر القمة سنة **١٩٦٩** للزعماء العرب .

وكانت قاعة الطعام عبارة عن خيمة كبيرة مجهزة بوسائد ومقاعد على الطريقة المغربية وإلى جوار الخيمة نصب « بوفيه » عليه ألوان شتى من الطعام .

وبدأت المأدبة بأن أخذ كل مدعو طبقاً وملأه بما يشتهى . وجلسنا على الوسائد « الشلت » والصواني أمامنا ، وبدأنا نستعد لتناول الطعام فإذا بنا نفاجأ بقطيع من السفرجية الأشداء فى شبه غارة اجتاحت الخيمة وانقضت على الأطباق التى أمامنا وانتزعتها انتزاعاً ، ولم تمض ثوان حتى قدمت لنا ألوان أخرى من الطعام عبارة عن أوزى محاط بالدجاج والحمام والأوز على الطريقة المغربية ولم نكد نشرع فى التهام هذا الطبق اللذيذ حتى انقضت قبيلة السفرجية لترفعه من أمامنا ونحن فى حسرة ودهشة ما بعدها حسرة أو دهشة .

وأعيدت الرواية فصولا وقدم إلينا لون آخر من ألوان الطعام ثم انتزع من بين أيدينا فى دقائق واستمر الحال على هذا المنوال لأكثر من خمسة وعشرين لوناً من الطعام .

وقد سألت عن سبب ذلك كله ، وعلمت أن مرجع ذلك هو الرغبة الملكية فى أن

نتذوق أكبر عدد من ألوان الطعام الشهى .

وأذكر أن المرحوم عبد الخالق الطريسى سفير المغرب فى القاهرة أخبرني يوماً أن المطبخ المغربي متعدد الألوان إذ يقوم بطهى الدجاج فى أكثر من ٦٠ صنفاً .

ومن العادات التقليدية فى المغرب أن يقدم أول ما يقدم للضيف ، التمر والحليب وفى منتصف الطعام يقدم الشاى الأخضر ليساعد على هضم الطعام اللذيذ .

ومن الطرائف الجديرة بالذكر ، أنه فى أثناء زيارة جلالة الملك الحسن للقاهرة ، وكان يقيم بفندق هيلتون وفى معيته « طاهى القصر » أراد أن يولم وليمة على نمط الولائم المغربية ، فأوقد الطاهى ناراً لشوى أحد الخراف وبدأت رائحة الدخان تتسرب إلى الفندق الكبير فقلق النزلاء وسال لعابهم لرائحة الشواء .

وكانت هذه الخراف أجمل ألوان الطعام الطيب السائغ للآكلين .

مع جلالة الملك الحسن الثانى :

قلت إننى تشرفت بمقابلة جلالة الملك الحسن الثاني – ملك المغرب – عندما كان جلالته ولياً للعهد ، وكان قد حضر لزيارة القاهرة بمناسبة احتفالات الثورة فى عيدها الأول عام ١٩٥٣ وكان لى شرف مرافقة سموه أحياناً .

وأذكر ، أنه طلب أن يزور متحف عابدين لكى يشاهد تحف الملك فاروق ومخلفاته الفخمة وقد تمت الزيارة .

ومنذ ذلك الوقت نشأت بين جلالته وبينى أواصر الصداقة والمحبة والتقدير .

ثم توج – بعد ذلك – ملكاً على المغرب ، ولم تنقطع علاقتى بجلالته بل ازدادت توثقاً ، وكان جلالته بأسلوبه الرقيق دائم المداعبة والظرف .

وتفضل . . فدعاني لزيارة المغرب ، ولكن كانت ظروف العمل وارتباطى به تحول دون ذلك – للأسف الشديد – وكرر جلالته دعوته أكثر من خمس مرات .

وأذكر ، فى أثناء زيارة الوزير حمدى عبيد وزير الحكم المحلى على رأس وفد مصرى للتهنئة بعيد الاستقلال أن أبلغه جلالة الملك برغبته إلى الرئيس عبد الناصر لكى يوفدني فى زيارة رسمية إلى المغرب .

ولكن هذه الزيارة لم تتم بسبب متطلبات العمل .

ولا يفوتني أن أذكر – بهذه المناسبة – أنه فى أثناء انعقاد مؤتمر القمة فى الرباط سنة ١٩٦٩ أن دعانا جلالة الملك لتناول ألوان الطعام على مأدبته بحديقة قصره البديع .

وما إن تقدمت لمصافحة الملك حتى أمسك بذراعى متلطفاً ووجه الخطاب إلى الرئيس عبد الناصر قائلا :

يا فخامة الرئيس ، لقد وجهت الدعوة أكثر من مرة للأخ صلاح الشاهد لزيارة المغرب ولكنه امتنع عن الحضور .

فلم يتوان الرئيس عبد الناصر عن الإجابة على الفور :

– اقبض عليه جلالتك لتضمن بقاءه طرفكم كما ترغبون .

ولم أتمالك نفسى من الرد على الرئيس الراحل :

– يا سيادة الرئيس ، هل تتنازل عنى بمثل هذه السهولة ؟

فقال ضاحكاً :

– ليس لأكثر من ستة شهور فقط .

ثم وجهت كلامى إلى جلالة الملك المعظم قائلا :

– يا صاحب الجلالة هذه الدعوة كما يقول المثل العامى المصرى « عزومة مراكبية » أى دعوة فى عرض البحر لرجل على الشاطئ ، وجلالتكم تعلمون أننى لا أستطيع ترك الرئيس عبد الناصر بمفرده ، وخاصة أننا سوف نتوجه إلى الجزائر وليبيا فى طريقنا للقاهرة .

ويبدو أن تصوير دعوة جلالته بأنها « عزومة مركبية » جعلته يغرق فى الضحك . . فاستطردت إلى القول :

– ولأجل أن تكون الدعوة ملكية حقًّا ، فإننى سوف أحضر حرمى وأنا لزيارة المغرب فى وقت قريب .

وأذكر ، أنه فى أثناء المأدبة الملكية ، التقى الجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية وقتئذ بالأستاذ هيكل وطلب منه أن يرافقه لنزهة فى المساء .

ويبدو أن الأستاذ هيكل لم يكن يطمئن لصحبة الجنرال الخطر ، إذ قال بصوت عال :

- يا سعادة الجنرال ، أنا لا أمانع أن أرافقك فى هذه الجولة بشرط أن أخبر الرئيس عبد الناصر وجلالة الملك الحسن أننى متوجه بصحبتك - حتى إذا لم أعد يكون معلوماً لديهما أننى كنت فى رفقتك .

وخرجا معاً فى المساء ، ثم عاد الأستاذ هيكل . .

هذا ، وأذكر بالفضل أن جلالة الملك الحسن الثانى وجه الدعوة لشخصى لزيارة المغرب الحبيب بعد استقالتى - عن طريق سعادة عبد اللطيف العراق - سفير المغرب فى القاهرة .

وأرجو أن تسنح لى الفرصة لهذه الزيارة فى المستقبل القريب . . بإذن الله . .

من أحداث اليمن :

بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ ، أجرى الاستفتاء عليها وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وتم الاستفتاء فى إقليمى مصر وسوريا وأسفر الاستفتاء عن إقرار الناخبين للوحدة بين الإقليمين وانتخب جمال عبد الناصر رئيساً . ولقد عقد ما سمى « اتحاد الدول العربية » فى أثناء قيام الوحدة بين اليمن والجمهورية العربية ، على أن هذا الاتحاد ظل نظرياً فقط ، فقد لاحظ المراقبون أنه لم يقم بين اليمن والإقليمين أى تعاون حقيقى ما عدا وقوف اليمنيين إلى جانب القاهرة وسائر الحكومات العربية فى القضايا الدولية ، ولكن فى غير ذلك المجال العام لم يبد أثر لتعاون بين دول الاتحاد « الرمزى » وبقى الاتحاد جسداً بلا روح .

والملاحظ أن الإمام أحمد ظل على سياسة الريبة والشك فى نوايا القاهرة ولم تبد منه أية علامة على الثقة بل إن الإمام داخل الاتحاد انكمش انكماشاً كبيراً وبدا فى مناسبات كثيرة على قدر من الحذر والحيطة ، بل إن ممثل اليمن فى الاتحاد كان يوم إعلان الانفصال الشهير فى سبتمبر سنة ١٩٦١ مغتبطاً بشكل ظاهر .

وكان يقول لرجال السلك الدبلوماسى العربي :

- إن بقاء الاتحاد نفسه لم يعد له مبرر مادام أحد طرفيه قد انشق عليه .

ولكن الإمام برغم شعوره هذا وأمارات الشماتة البادية عليه لم يتخذ أى خطوة

عملية بعد الانفصال .

على أن الاتحاد تجمد أكثر فأكثر ، أما القاهرة من جانبها فلم تفصح عن نواياها وآثرت أن تترقب ما تتمخض عنه الأيام .

وأراد الإمام أن ينفذ المظاهر فاقترح على الرئيس عبد الناصر أن يزور الإمام البدر – ولى العهد – القاهرة ذراً للرماد فى العيون ، والواقع أن الأيام التى تلت الانفصال كانت شديدة الوقع على القاهرة .

وتمت زيارة ولى عهد اليمن بعد تردد من جانب القاهرة إيماناً منها بأن الاتحاد قد أصبح فى خبر كان . .

ونزل الأمير البدر ضيفاً فى قصر الطاهرة وكان قادماً من الاتحاد السوفيتى ، ومرّ فى أثناء عودته على تشيكوسلوفاكيا وجنيف .

وكنت مندوباً عن الرئيس فى استقباله بالمطار .

ووصل الأمير فى ساعة متأخرة من الليل ، ورافقته فى السيارة إلى قصر الطاهرة .

وتجاذبنا الحديث وسألته عن زيارته لهذه الدول فقال :

– إنه لا يدرى كيف يعيش على أرض اليمن بعد أن شاهد العالم الخارجى وما عليه من تقدم كبير .

وقابل الرئيس عبد الناصر .

وكانت الزيارة فاترة لم تسفر عن أى شئ سوى أن الأمير طلب من الرئيس عبد الناصر أن يصحبه الطبيب مصطفى بهجت – طبيبا خاصاً له – والياور المقدم حسن رفعت ياوراً له فى اليمن .

ووافق الرئيس . .

وكلفنى بنقل رغبة الأمير إليهما . . .

ولكنهما رفضا الذهاب ، بل أصرا على الامتناع حتى ولو أدى الأمر إلى استقالتهما .

ثم قرر الرئيس عبد الناصر حل الاتحاد بعد هذه الزيارة وبعد أن خرج الإمام أحمد بقصيدة شعرية تتضمن هجاء للرئيس المصرى والاشتراكية .

وأذكر أن مجلس الاتحاد كان يصدر فى أثناء انعقاده بحضور وموافقة مندوب

اليمن بعض القرارات ويبعث بها إلى صنعاء وتعز لكى يصدق الإمام عليها ولكن صنعاء وتعز لم تكونا تخرجان بالصمت عن (لا - أو - نعم) بل كان الإمام لا يوافق أساساً على اتجاه القاهرة فى التأميم وسياستها فى مهاجمة الدول العربية وارتمائها فى أحضان الكتلة الشرقية .

وعادت الأوضاع إلى ما كان عليه الحال قبل الاتحاد الوهمى وعين سعادة عبد الرحمن بن عبد الصمد أبو طالب وزيراً مفوضاً ومندوباً فوق العادة للمملكة المتوكلية اليمنية حتى قام انقلاب « عبد الله السلال » بعد تنصيب الإمام البدر إماماً على اليمن .

وفى يوم الانقلاب (٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢) زارنى صباحاً سعادة الوزير المفوض فى منزلى وكان يحمل هدية قوامها ستة جوالات من البن هدية من الإمام البدر إلى الرئيس عبد الناصر وجوال (بن) لى ، بمناسبة ولايته حكم اليمن .

وفى أثناء تناول الوزير القهوة ، علمت من مديرمكتبى أن ثورة قامت فى اليمن وأطاحت بحكم الإمام البدر الذى قيل إنه لقى مصرعه . .

وكنت مرتبكاً حائراً لا أدرى ماذا أفعل بهدية الإمام المقتول . .

وكتمت أنفاسى وتمالكت نفسى عندما قلت للسفير . .

- أرجو يا سعادة السفير أن تذهب بنفسك إلى منزل الرئيس لكى تقدم الهدية .

وترك السفير -- وكان لا يعلم بما وقع من أحداث - هديتى وتوجه إلى منزل الرئيس بمنشية البكرى .

وعاد إلى السفارة وعلم بالانقلاب فاتصل بى فى قصر القبة يطلب استفساراً عن حقيقة الأوضاع فى اليمن وعن مصرع الإمام البدر .

فأخبرت السفير أن الإمام البدر قد نجا بحياته وهرب إلى خارج البلاد وأن عبد الله السلال هو قائد الحركة .

بيني وبين
الإمام أحمد :

وفى الرحلة التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر إلى جدة لمقابلة المغفور له الإمام أحمد – إمام اليمن – والملك سعود – ملك المملكة العربية السعودية ، جرت العادة على أن أكون فى مقدمة الركب لترتيب الاستقبالات عند وصول الملك والرئيس جمال عبد الناصر .

وكان المفروض أن يكون الإمام أحمد بالمطار . . ولكنه لظروفه الصحية وكبر سنه كان فى الانتظار بمدخل القصر .

وكان رئيس بعثة الشرف التى رافقته معالى السيد عبد الرحمن الطبيشى وزير الدولة السعودى وقتذاك . وقد اختير معاليه لهذه المهمة بسبب متانة جسمه وقوة ذراعيه حتى إذا ما تعلق به الإمام استطاع أن يحمله لان الإمام كان مصاباً بشلل الأطفال . وعندما وصلت . . حييت معالى وزير الدولة ، ولكن دخل فى روع الإمام أن القادم هو جمال عبد الناصر وفى ثواني . . وجدته يعانقنى عناقاً شديداً رهيباً وقال :

– أهلا . . . اخى جمال . .

ولم أستطع أن أحتمل ثقل جسمه ، وألجمت الدهشة وزير الدولة السعودى الذى جعل يضحك على هذا الموقف الطريف . وقد حاول أن يفهم الإمام أننى لست جمال عبد الناصر وأخيراً . . أدرك وقام بتقديمى إليه معالى وزير الدولة .

وتكررت الماســاة مرة أخرى . . وعانقنى قائلا :

– أهلا . . أخى صلاح . .

أحباب الله :

لم تستغرق مراسم توقيع الاتفاق اليمنى المصرى فى المملكة السعودية طويلا . إذ تم التوقيع على هذا الاتفاق بعد اجتماع المؤتمرين يوم السبت٢١ أبريل سنة ١٩٥٦ .

وكان الجانب المصرى ينزل فى جناح بقصر الضيافة الكبير بجدة وإلى جانبه فى

جناح آخر ينزل الوفد اليمنى .

وأراد الرئيس عبد الناصر أن يبادر بزيارة جلالة الإمام أحمد فى جناحه الخاص لأسباب منها أن جلالة الإمام كان مصاباً بالشلل وأنه كان يكبر الرئيس المصرى فى العمر .

وقد أبلغت الإمام برغبة الرئيس فى زيارته وحدد لهذه الزيارة صباح الأحد ٢٢ أبريل سنة ١٩٥٦ (١١ رمضان سنة ١٣٧٥ هـ) .

وفى الصالون الرئيسى الملحق بجناح الإمام أحمد جلس الرئيس عبد الناصر إلى يمين الإمام وبعد برهة وجيزة حدث شئ طريف ، لا يمكن للإنسان أن يتصوره بأى خيال . . إذ تسلل من تحت المقاعد حوالى أربعين طفلا لا تزيد سن كل منهم على عشر سنوات وساد الهرج وتصايح الأطفال من حولنا مهللين يلعبون وكأن الأمر لا يعنيهم فى كثير أو قليل .

وعقدت الدهشة ألسنتنا وألجمتنا وافتر ثغر الرئيس عبد الناصر عن ابتسامة صغيرة أراد أن يدارى بها دهشته فى حضرة الإمام الرهيب .

وأمام مجموعة الأطفال يمرحون ، قال الإمام للرئيس عبد الناصر :

هؤلاء أحباب الله .

وقد علمنا فيما بعد سر هؤلاء الأطفال الذين التفوا حول الإمام وكانوا أطفالا لآباء صدرت ضدهم فى عهد الإمام أحكام بالقتل أو السجن أو النفى أو التعذيب كما كان بعض الأطفال لا عائل لهم ، وبعضهم رهينة لديه . . ولله فى خلقه شئون .

قصة الباخرة الحرية . . والإمام :

كان الإمام أحمد إمام اليمن يزمع السفر إلى إيطاليا للعلاج وطلب من الرئيس عبد الناصر أن تقله الباخرة الحرية فى هذه الزيارة فوافق وغادرت الباخرة المصرية السويس إلى اليمن ولكن لم يسمح لها بالدخول إلى ميناء تعز وبقيت خارج الميناء ونفذت المياه العذبة والطعام والسولار .

وعلم أن الإمام أحمد لا ينتوى الذهاب بالباخرة خشية أن يقتل بالسم أو تدبر له

مؤامرة تودى بحياته وهو على الباخرة .

وسافر الإمام إلى إيطاليا وعادت الباخرة إلى مصر بأمر من الرئيس جمال عبد الناصر بعد أن ساءت حالة البحارة وطاقم السفينة .

واتصل بعد ذلك سفير المملكة اليمنية المتوكلية وطلب منى إبلاغ الرئيس عبد الناصر طلب الإمام فى أن يعود بالباخرة من إيطاليا بعد مداواته .

ووافق الرئيس عبد الناصر شريطه أن يعود الإمام بالفعل عليها وإعطاء الجمهورية تأكيداً مسبقاً بهذا الالتزام .

وتعددت البرقيات والمكالمات ولكن لم تستطع مصر الحصول على تأكيد بأن الإمام أحمد سوف يعود على الباخرة .

وعلمنا أن الإمام قد استقل الباخرة سدني وأنه سوف يمر عبر المياه المصرية عن طريق قناة السويس فى طريقه إلى اليمن .

وقد استعد الرئيس عبد الناصر لاستقباله فى بور سعيد وقابله على ظهر الباخرة فى الصالون الملحق بها ووجد على الباب حراساً مدججى السلاح وشاهرى المدافع الرشاشة .

ودخل وحيا الإمام وجلس إلى جواره . . وقد دخل الحراس إلى الصالون حاملين السلاح أيضا .

ومن الملاحظ أنَ هذه هى المرة الأولى فى تاريخ العالم الحديث والقديم أن يتقابل رئيسا دولتين صديقتين فى ظل المدافع الرشاشة .

وطلب منى الرئيس عبد الناصر اختيار هدايا للإمام وزوجته .

وذهبت إلى القاهرة وانتقيت الهدايا . وعدت إلى « كبريت » لمقابلة الإمام .

وبعد الاتصال اللاسلكى سمح لى بالصعود على ظهر الباخرة وقابلنى أحد أنجاله وكان يدرس بإيطاليا وجلس معى مدة طويلة حاولت فيها إقناعه بضرورة أن أتشرف بمقابلة الإمام لأننى موفد من قبل الرئيس عبد الناصر .

وأخيراً وبعد طول مفاوضات سمح لى بالمثول أمام جلالة الإمام .

ودخلت صالونه فى حراسة شديدة بل هى أشد وأقسى من الحراسة عند زيارة

الرئيس عبد الناصر . ووجدته راقداً على مرتبة على أرض الصالون وحييته وسلمته الهدايا وتقبلها شاكراً .

وهبطت من الباخرة وهى تسير فى طريقها من السويس .

الاعتراف بالصين الشعبية :

وفى يوليو سنة ١٩٥٦ استدعت وزارة الخارجية المصرية الدكتور هوفنج شان رئيس رئيس البعثة الدبلوماسية لحكومة الصين الوطنية ، وكان وقتئذ عميداً للسلك السياسى ، ومن أصدقائى القدماء الذين أعتز بصداقتهم .

وقد أبلغ سعادته بقرار الحكومة المصرية بسحب اعترافها بحكومة الصين الوطنية واعترافها بحكومة الصين الشعبية .

وبناء على ذلك أنزل علم الصين الوطنية من فوق مبنى السفارة بالقاهرة وأغلقت أبوابها ونزعت اللافته التى كانت تحمل اسم « الصين الوطنية » .

وقد استعد السفير وأعضاء البعثة للرحيل نهائياً من مصر.

وقد تمثل الاعتراف بالصين الشيوعية فى كون مصر جزءاً من كيان قومى يمتد فى القارتين الآسيوية والأفريقية ، وهذا الكيان القومى ليس شعاراً سياسياً بل حقيقة واقعة ، كما كان من الطبيعى وقد شاهدت الفترة التالية لمؤتمر باندونج تعاوناً وتضامناً وثيقين بين الحكومات الأفريقية والآسيوية فى مجال العلاقات الدولية وامتد هذا التعاون والتضامن إلى الاعتراف بالصين الشعبية . . فقد كان أقطاب مؤتمر باندونج ثلاثة هم :

شواين لاى ونهرو وجمال عبد الناصر .

ولقد كانت ردود الفعل بالنسبة لاعتراف مصر بالصين الشعبية متباينة ، فقد اعتبرت الدوائر السياسية فى الولايات المتحدة الأمريكية أن هذا الاعتراف كان رداً قاسياً وأعلن جون فوستردالاس وزير الخارجية الأمريكية أسفه الشديد لهذا الاعتراف من جانب عبد الناصر الذى ساعد على قيام فرنسا بتزويد إسرائيل بالسلاح .

أما الصحافة العالمية ، فقد رأت فى الاعتراف بالصين الشعبية هزيمة نكراء للدبلوماسية الغربية ، كما توقعت أن تتدفق الأسلحة الصينية على مصر فى حالة رفض

الولايات المتحدة الأمريكية تسليح مصر أو صدور قرار من مجلس الأمن بعدم الإخلال بالتوازن فى الشرق الأوسط باعتبار أن الصين الشعبية ليست عضواً فى الأمم المتحدة ، ومن ثم ، فلا تلتزم بقرارات المنظمة العالمية .

وكان عبد الناصر فى أثناء حفل تخريج طلبة من الكلية الحربية فى ١٩ مايو سنة ١٩٥٦ قد صرح بالشعار الذى رفعه وظل يردد ، بعد ذلك :

« نسالم من يسالمنا ، ونعادى من يعادينا » . .

ويبدو أن هذا الشعار كان تمهيداً لإعلان الاعتراف بالصين الشعبية .

وفى الساعة الثانية عشرة ظهراً من يوم الأحد ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٦ قدم صاحب السعادة « شان شيا كانج » أوراق اعتماده كأول سفير للصين الشعبية .

وكانت البلاد تستعد للاحتفال بأعياد الثورة .

واستمر الاحتفال بتقديم أوراق الاعتماد زهاء أربعين دقيقة تبودلت فيها كلمات التحية من سفير الصين الشعبية والرئيس المصرى .

وكان الرئيس قد طلب منى أن أحدد موعداً للمستر داج همرشلد الأمين العام للأمم المتحدة لكى يقابل الرئيس الساعة الثانية عشرة والنصف فى اليوم نفسه أى ٢٢ يوليو ١٩٥٦ .

وأغلب الظن أن الرئيس عبد الناصر قد قصد ذلك متعمداً ، لكى يحيط الأمين العام للمنظمة العالمية بأن مصر قد بادرت بالاعتراف بالصين الشعبية بالرغم من أن الصين الشعبية ليست عضواً بها ، والصين دولة كبرى لا يمكن أن تكون بمعزل عن المنظمة العالمية إلى الأبد ، والمعروف أن المنظمة لا تعترف إلا بأعضائها ولا يعترف بها إلا أعضاؤها . . . ويجب أن تضم الصين إلى عضوية المنظمة .

وقد ضمت الصين الشعبية فعلا إلى الأمم المتحدة فى السبعينيات .

السفير الذى أبكى عبد الناصر :

فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ وقع الانفصال السورى عن الجمهورية العربية وكانت كارثة شديدة الوقع على الرئيس عبد الناصر ، لأسباب لا محل للخوض فيها

ثم تدهورت العلاقات بين مصر وسوريا ووصلت إلى حد الاتهام بتدبير المؤامرات .

ثم رجعت العلاقات بين البلدين الشقيقين إلى شيء من الصفاء . . وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

وفى يوم الأحد ١٦ أبريل سنة ١٩٦٧ قدم الدكتور سامى الدروبى (رحمه الله) أوراق اعتماده كأول سفير للجمهورية العربية السورية – بعد الانفصال .

وتمت مراسم تقديم أوراق الاعتماد ويقضى العرف الدبلوماسى أن يلقى السفير كلمة قصيرة يقدم بعدها أوراق الاعتماد إلى رئيس الدولة .

ووقف الدكتور سامى الدروبي وارتجل الكلمة التالية أمام الرئيس عبد الناصر فى صوت متهدج تكاد تغمره العبرات . . .

سيادة الرئيس . .

« إذا كان يسعدني ويشرفني أن أقف أمامكم مستشرف الرجولة والبطولة فإنه ليحز فى نفسى أن تكون وقفتى هذه كوقفة أجنبى ، كأننى ما كنت فى يوم مجيد من أيام الشموخ مواطناً فى جمهورية أنت رئيسها ، إلى أن استطاع الاستعمار متحالفاً مع الرجعية أن يفصم عرى الوحدة الرائدة فى صباح كالح من أصباح خريف حزين يقال له ٢٨ أيلول ، صباح هو فى تاريخ أمتنا لطخة عار ستمحى ولكن عزائى عن هذه الوقفة التى تطعن فى قلبي يا سيادة الرئيس والتى كان يمكن أن تشعرنِي بالخزى حتى الموت ، أنك وأنت تطل على التاريخ فترى سيرته رؤية نبى ، وتصنعه صنع أبطال قد ارتضيت لى هذه الوقفة ، خطوة نحو لقاء مثمر بين قوى تقدمية ثورية تصنع أمتنا فى طريقها إلى وحدة تمتد جذورها عميقة فى الأرض فلا انتكاس ، وتشمخ راسخة كالطود فلا تزعزعها رياح ، ذلك عزائى يا سيادة الرئيس وذلك شفيعى عندك وشفيعى عند جماهير أمتنا العربية التى لا تعترف بالانفصال إلا جريمة وشفيعى لدى من ندبوني لهذه الوقفة ثواراً شجعاناً يقفون فى معركة النضال العربي الواحد على خط النار ويؤمنون بلقاء القوى الثورية العربية ولا بديل للوحدة معاذ الله بل خطوة نحوها » .

وكان السفير بليغاً مؤثراً . .

وكان الموقف يحفه جلال ما دونه جلال ، يثير فى النفوس حلو الذكريات ومرها ، وعظم التجربة الرائدة وما انتهت إليه .

وبعد أن ألقى السفير كلمته سلم أوراق اعتماده إلى الرئيس عبد الناصر الذى سلمها إلى . . . وتسربت الدموع إلى مآقى الحاضرين .

وبكى عبد الناصر ، وكنا جميعاً نبكى : على صبرى والفريق سعد الدين متولى كبير الياوران وأنا .

وانعقد لسان عبد الناصر الذرب فى مثل هذه المواقف لتتكلم دموعه حسرة وألماً . ولا أنسى ما حييت أن هذه هى المرة الأولى فى تاريخ المراسم فى العالم أجمع التى كان رئيس الدولة يبكى وهو يتسلم أوراق اعتماد أحد السفراء .

هدية على صالح السعدى لراقصة فى صحارى سيتى :

فى أثناء مباحثات الاتحاد الثلاثى بين مصر وسوريا والعراق سنة ١٩٦٣، كان السيد على صالح السعدى يسهر كل ليلة فى صحارى سيتى يسرف فى تناول الخمر ويصل قصر القبة بعد هذا الإسراف قرب الفجر ، وينام حتى موعد المباحثات الصباحية فى الحادية عشرة .

وذات يوم قال إنه نوى الزواج وخطب آنسة عراقية .

وطلب منى الرئيس عبد الناصر شراء هدية وتقديمها إليه بهذه المناسبة فضحكت وقلت إن هديتنا ستقدم إلى راقصة فى صحارى سيتى وأحسن طريقة نرسل الهدية إلى الملحق العسكرى فى سفارتنا فى بغداد ليقدمها للخطيبة وتكون مفاجأة .

فضحك الرئيس وقال ·

– أعطها له هنا لأنه لو أعطاها للراقصة فهى مصرية على كل حال وزواجه لن يدوم .

وكانت الهدية طاقم شاى من الفضة فى علبة مكسوة بالقطيفة الحمراء .

وتحققت نبوءتي ، فقد علمت أن على صالح السعدى أخذ الهدية مساء إلى صحارى سيتى .
وأنا واثق أن هذا الطاقم موجود الآن لدى الفنانة الراقصة المصرية فى منزلها .

جلالة الملك فيصل المعظم :

فى الثامن عشر من مارس سنة ١٩٥٨ وصل صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ولى عهد المملكة العربية السعودية إذ ذاك إلى القاهرة فى طريقه إلى تونس على رأس وفد بمناسبة إعلان استقلالها للتهنئة يوم ٢٠ مارس ١٩٥٨ .

وشاء سموه أن يتفضل بزيارتى فى منزلى ، ويحبونى بهذه الزيارة السامية التى كان سموه كلما مر بالقاهرة يطوق عنقى بها .

وكان السفير السعودى عبد الله الفضل – رحمه الله – قد اتصل بى لينقل لى الرغبة السامية بالزيارة ، وطلب منى أن أحدد موعدها .

وقد استكبرت ذلك وأبلغت سعادة السفير أن سمو الأمير هو الذى يتفضل بالزيارة وما علينا إلا الامتثال .

ولكن أبت الإرادة الملكية العالية إلا أن أحدد موعد الزيارة مساء يوم ١٨ مارس ١٩٥٨ . وشرف الدار ومن فيها الأمير الجليل ، تحف بركابه المهابة والوقار ، فقد كان رقيقاً وإنساناً عظيماً .

وكان إلى جوارى – عند استقبالى للضيف العظيم – سمو الأمير متعب بن عبد العزيز وهو إنسان كريم حبيب إلى النفس ، وأكثر من شقيق ، ورب أخ لم تلده أم .

وأذكر أن الرئيس عبد الناصر كان قد أولم مأدبة عشاء فى الليلة نفسها تكريماً للمستر داج همرشلد الأمين العام للأمم المتحدة وكان من المفروض أن أحضر هذه المأدبة .

ولكن مرت الساعات وكأنها دقائق فى رحاب الأمير الكريم ، كان رقيق العبارة جميل الإشارة ، عف اللسان ، مترفقاً بمن يتحدث ، عطوفاً على من يسمع ، عالياً كالنسر فوق القمة الشماء ولم أستطع أن أقاوم سحر الحديث . كان أشبه بخلفاء المسلمين فى العصور الأولى للإسلام ، وقال لى إنه يكره حياة القصور ولا يطيق أن ينزل ضيفاً بقصر القبة ، وطلب منى عند عودته من تونس أن يحجز له جناح فى فندق شبرد ، وأن أنقل للرئيس عبد الناصر رغبة سموه فى ذلك وقال ما نصه :

– إذا كان فخامة الرئيس عبد الناصر يخاف منى فأنا على استعداد لأن أنزل

فى قصر القبة ، أما إذا كان فخامته يثق بى ، فلماذا يمانع فى أن أنزل بفندق شبرد ؟

ثم تحدث جلالته عن السيد عبد الحميد السراج الذى كان وزير الداخلية السورى فى أثناء الوحدة بين مصر وسوريا ، وكان السراج وهو رئيس للمكتب الثانى « أى الاستخبارات » يقرب إليه صحافياً لبنانياً ، اعتاد أن يتطاول على سمو الأمير فيصل ، وأن يسف فى الهجوم والتشهير مقابل « المصارى » التى يقوم عبد الحميد السراج بدفعها إليه ، وكان هذا التطاول والهجوم والتشهير لا يخدم القضية العربية ، بل يضربها إضراراً جسيماً ، وقد أبلغت ذلك للرئيس عبد الناصر الذى تحقق من افتراءات الكاتب ومجافاته للأدب والذوق وأمر السراج بطرده فوراً .

وقد تناول الحديث حكاية المليوني جنيه التى حولها الملك سعود - رحمه الله - إلى عبد الحميد السراج للتآمر على الرئيس جمال عبد الناصر .

وأذكر أن سمو الأمير قال :

- إن جلالة الملك عرض عليه رئاسة لجنة التحقيق فى هذه الحكاية ولكن سموه لم يقبل إذ كان الملك سعود ضحية تآمر وقع فيه شخصياً عندما حول هذا المبلغ إلى المغامرين الأفاقين .

ونقلت هذا الحديث إلى الرئيس عبد الناصر ، وبخاصة أن نبأ الزيارة التى تفضل بها سمو الأمير كان معروفاً لجهات الأمن وأجهزة الرقابة على اختلافها .

ولقد نقلت للرئيس عبد الناصر مشاعر سمو الأمير فيصل الصادقة نحوه ، وعميق تقديره له وقد اخبر الرئيس عبد الناصر سمو الأمير المعظم عند مقابلتهما بكل ما ذكرته فاكتفى سموه بقوله إنه يعرفنى منذ مدة طويلة .

وفى صباح الثلاثاء ١٩ مارس سنة ١٩٥٨ غادر جلالته القاهرة وكان فى وداع سموه السيد عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية نائباً عن الرئيس عبد الناصر.

ثم قفل سموه عائداً إلى القاهرة فى طريقه إلى بلاده بعد أن قام بواجب التهنئة يوم السبت ٢٣ مارس ، وبناء على رغبته الكريمة نزل بفندق شبرد لمدة ثلاثة أيام .

ثم غادر القاهرة ، مودعاً رسمياً وكان فى شرف وداعه المشير عبد الحكيم عامر نائباً عن الرئيس عبد الناصر .

قصر الملك فيصل بمصر الجديدة :

فى اليوم الذى كان محدداً لأن يحلف وزير الصحة – الدكتور عبده سلام – اليمين الدستورية بمناسبة تعيينه وزيراً . . . وكانت الساعة السادسة مساء . دخل الرئيس عبد الناصر إلى مكتبه بقصر القبة وكنت وراءه ، فنظر إلى قائلا :

– صاحبك بدأ يتآمر ضدى .

ولم أنكر هذا التآمر بل أيدت حق الملك فيصل فى رد العدوان بعدوان مثله أخذاً بقوله تعالى : العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص .

ولكنى كنت على يقين أن الملك فيصل لا يعمد إلى أساليب الغدر أو الخيانة لأن طبيعته السمحة تأبى عليه ذلك .

وقلت ذلك للرئيس . .

فقال الرئيس :

– هل ابتدأت أنا بالعدوان ؟

فقلت :

– نعم . . فقد بدأت بالهجوم الضارى على مقام ملك عربى كريم لم يسئ إلى مصر أو رئيسها ، ولا أدل على ذلك من أن الحكومة المصرية استولت على أرض له وأقامت عليها بناء على عقد مع إحدى الشركات الأجنبية (فندق شيراتون) عدواناً على حق جلالته ولكن جلالته لم يتكلم للآن .

وقال الرئيس :

– إنت متحمس لصديقك ، وأنا أعلم مقدار المودة بينكما .

فقلت :

– إنها مودة ترجع إلى عهد طويل ، فلقد شرفنى الملك فيصل أن أكون صديقاً له ، وآنست فى الملك فيصل جميل المزايا وحلو الشمائل فأحببته .

فقال الرئيس :

– أنا مدرك لهذا ولكنى لم أعتد أبداً على الملك .

فقلت :

– ياسيدى . . إن الحوادث تقول غير ذلك ، فقد قامت وزارة الداخلية بالاستيلاء على قصر تملكه زوجة جلالة الملك دون حق وأسكنت فيه الملك السابق سعود بعد عزله نكاية فى الملك فيصل ، وماذا يصنع الإنسان عندما يرى عدواناً على زوجه ولا يملك له رداً .

فقال الرئيس :

– ولكن لا أعلم حكاية ملكية القصر . . . لم يذكرها لى شعراوى جمعه .

وانتهى الحديث ولكنّ عبد الناصر كان ساهماً يفكر فيما قلت .

واستدعيت الدكتور عبده سلام وحلف اليمين الدستورية أمام رئيس الجمهورية بحضورى وحضور الفريق سعد الدين متولى كبير الياوران . . وانصرفت إلى مكتبى .

وبعد أقل من ربع ساعة جاءت الأخبار تحمل وفاة الملك سعود فى أثينا بسكتة قلبية مفاجئة . . . فدخلت على الرئيس أنبئه بالخبر .

فقال الرئيس :

– لقد حلت المشكلة . .

فقلت :

– أى مشكلة ؟

فقال :

– مشكلة قصر الملك فيصل . . أخبر شعراوى جمعة بألا يدخل أحداً القصر .

وطلب منى أن أرسل للملك رسالة تحمل اعتذاراً رقيقاً لجلالته وأن المسألة قد وقعت دون علم من الرئيس عبد الناصر .

وأرسلت الرسالة .

اتفاقية جدة وكتاب هيكل :

لما رغب الرئيس عبد الناصر فى السفر إلى جدة سنة ١٩٦٥ لتوقيع الاتفاقية التى عرفت باتفاقية جدة ، غادر الرئيس الإسكندرية بالطائرة إلى رأس بناس حيث

استقل الباخرة الحرية (المحروسة سابقاً) وبرفقته السيدان أنور السادات وزكريا محيي الدين .

وصحبنا الأستاذ محمد حسنين هيكل ، وغيره .

ولما وصلنا كان فى الاستقبال جلالة الملك فيصل والرسميون وسط إجراءات أمن مشددة ، وكنا فى رمضان ، ونزلنا قصر الضيافة ، وكان رئيس بعثة الشرف الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع .

واتصل بى جلالة الملك تليفونياً وأوصانى بكافة طلبات الرئيس عبد الناصر قائلا إن كل طلباته مستجابة لأني أريد أن يكون فى منتهى الراحة وكان الترتيب أن يتم الإفطار على المائدة الملكية ، وتتلوه المباحثات . فاقترحت على جلالته أن يؤدى الجميع العمرة بعد الإفطار عسى الله أن يسهل الوصول إلى اتفاق . فقال الملك :

- كيف نصل إلى نتيجة مرضية ومن بين الوفد محمد حسنين هيكل الذى هاجمنى وألف كتاباً خاصاً سماه (الاستعمار لعبته الملك) وذكر جلالته اسماً آخر لكنه لم يركز عليه .

وبعد مناقشة وافق الملك ، وكان الترتيب الجديد أن يذهب الرئيس إلى قصر الملك للزيارة ، ويتم الإفطار فى القصر ثم نعود لقصر الضيافة للإحرام ثم أداء العمرة .

وأبلغت الرئيس ما قاله الملك عن هيكل .

فاعتذر الرئيس بأنه لم يكن يعلم قصة الكتاب ، وأنه يرى أن يعود هيكل مع الشخص الآخر إلى القاهرة .

فأبلغت الملك اعتذار الرئيس وقراره ، فرفض الملك اقتراح الترحيل لأنهما فى بلده بل فى ضيافته .

وانتهت المباحثات وتحدد يوم ٢٣ من أغسطس لتوقيع الاتفاقية .

وفى أثناء حملى نص الاتفاقية لتوقيعه وصلت من القاهرة برقية تفيد انتقال الزعيم الخالد الذكر والسيرة مصطفى النحاس باشا إلى جوار ربه وما إن تم التوقيع حتى أبلغت الملك والرئيس الخبر ، فأمر الملك معالى الأخ أحمد عبد الوهاب رئيس المراسم الملكية بإرسال برقية عزاء ملكية إلى أسرة فقيد مصر وإبلاغ السفير السعودى

بالقاهرة بالاشتراك فى الجنازة نائباً عن جلالة الملك .

كما أمرنى الرئيس بإرسال برقية مماثلة وتكليف الدكتور نور الدين طراف الاشتراك فى الجنازة نائباً عنه .

ولم أشهد تفاصيل الوداع الأخير من شعب مصر لزعيمه ، ولكننى سمعت عنه الكثير .

وكان من نتيجة هذا الوداع الشعبي اعتقال عدد من الأشخاص لمدة زادت على عامين ، دون مساءلة قضائية أو محاكمة .

رحم الله الأستاذ على قشاشة السكرتير الخاص للمرحوم النحاس باشا الذى توفى فى السجن بعد اعتقاله يوم تشييع الجنازة .

الملك فيصل يحذر الرئيس السادات :

فى فبراير ١٩٧١ التمست من السيد الرئيس أنور السادات الإذن لى بالحج فوافق سيادته وطلب إبلاغ جلالة الملك فيصل بضرورة حضوره فى زيارة لمصر .

وعندما تشرفت بمقابلة جلالته أبلغته رغبة السيد الرئيس فوافق ثم طلب منى إبلاغ الرئيس ما يتردد عن قيام بعض قوى مضادة بتدبير حركة ضد الرئيس وقال :

قل له خللى بالك من على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف ومحمد فوزى وضياء الدين داود ولبيب شقير وعبد المحسن أبو النور ومحمد فائق .

ولما عدت خشيت إبلاغ السيد الرئيس حيث كانت مقابلتى الأولى فى مكتبه بقصر عابدين ، وغرفة المكتب بها جهاز تسجيل .

وكانت أمانة الرسالة الإبلاغ فى أول دقيقة أرى فيها الرئيس فأبلغته همساً غيرمسموع . فضحك وقال : طيب حنشوف .

من أساليب التجسس فى الاتحاد السوفييتى :

فى آخر زيارة قام بها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لموسكو أقام فى فيلا على ربوة تحيط بها حدائق الكريز وفواكه أخرى رغبة فى أن يتمتع بالهدوء ، بدلا من النزول فى الكرملين .

وبينما كنت أسير فى الحديقة وأقطف بعض ثمار الكريز التقيت بالرئيس . وفى أثناء حديثنا أخذت أبدى معارضة شديدة لسياسة الاتحاد السوفييتى وقادته . فقال لى الرئيس :

كل اللى بتقوله بيتسجل .

فعجبت وأبديت أنه غير معقول فنحن فى خلاء تام .

فقال :

انت تركت البالطو بتاعك خارج غرفة نومك .

فلما أجبت بالإيجاب قال :

طيب شوف الزراير وستجد أن أحدها قد تغير وفى داخله ميكروفون ، وكل كلامك قد سجل الآن . وبعد كده ابقى خد البالطو معك غرفة النوم .

وفوجئت بأن الزرار قد تغير . . . فأخذت أشكر الاتحاد السوفييتى وساسته .

أمير من أسرة محمد على يطلب أى عمل

ذات يوم اتصل بى أحد أمراء أسرة محمد على وأبلغنى سوء حالته المالية حيث إن المرتب المخصص له شهرياً لا يكفيه لأيام قليلة ، وأنه يتقن عدداً من اللغات ويستطيع أداء أى عمل يسند إليه مهما كان هذا العمل ليستطيع بما يتقاضاه من مرتب بعض الموازنة فى مصروفه ، وأنه لا يستطيع إيجاد هذا العمل إلا بموافقة الحكومة وأنه عجز نهائيًّا فى هذا المجال عن الحصول على أى عمل .

وطلب إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر رجاءه .

فأبلغت الرئيس الذى قال إن هناك عملا يستطيع أداءه دون إذن من الحكومة فلما استفسرته قال :

« ما يشوف له أى شغلة يا أخى » .

هل كان الرئيس عبد الناصر شيوعياً :

يوم ٢٠ / ٧ / ١٩٧٠ وصلنى خطاب من وزير الخارجية بالنيابة السيد محمد فائق يفيد أن وفداً من كوريا الجنوبية سيزور عدداً من الدول العربية وسيبدأ بالمملكة الأردنية الهاشمية ، ثم المملكة العربية السعودية ثم الجمهورية العربية المتحدة (جمهورية مصر العربية) .

وسيصل القاهرة يوم ٢٨ يوليو ١٩٧٠ حيث يقضى يومين يغادرها بعدهما إلى ليبيا ثم إلى دول أخرى .

فرفعت مذكرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر مقترحاً أن يستقبل الوفد أحد الوزراء ، وأن يقيم وزير الخارجية لهم مأدبة عشاء ، وأن يأذن الرئيس بتحديد موعد لمقابلته الوفد .

واستندت فى المذكرة إلى سابقة مماثلة مع وفد من كوريا الجنوبية زار القاهرة عام ١٩٦٩ .

وفوجئت يوم ٢٣ يوليو بأن معظم سكرتارية الرئيس يسألوننى عن مسألة كوريا ، فاندهشت وقلت إن المسألة فى العرض على الرئيس .

ثم اتصل بى السيد سامى شرف يسألنى عما تم فى خطاب وزير الخارجية بالنيابة عن وفد كوريا الجنوبية .

فأبلغته أن مذكرة فى هذا الخصوص فى العرض على الرئيس وأننى أرسلت صورة منها للسيد حسن التهامى وزير شئون رياسة الجمهورية .

وفى الثالثة صباح ٢٤ يوليو أيقظنى السيد محمود فهيم السكرتير الخاص المساعد للرئيس جمال ليقترح على أن أبعث برقية إلى سفارتنا فى جدة لإلغاء قدوم الوفد للقاهرة . فضحكت ساخراً وقلت له :

– خللي هذا الاقتراح لك . . . هل هذه تعليمات الرئيس – فقال إنه مجرد اقتراح شخصي بدل حدوث أزمة .

فضحكت ثانية وقلت له اعرض مذكرتي على السيد الرئيس وأحب أن تلاحظ أنني اختتمتها بعبارة (فى انتظار ما يأمر به الرئيس) .

وأردت إبعاد التليفون عن غرفة النوم منعاً لإقلاق آخر .

وفى أثناء نقلى التليفون دق الجرس وإذا بالسيد حسن التهامى يسألنى : إيه مسألة كوريا .

فأبلغته بأننى أرسلت صورة من مذكرتى للرئيس إلى مكتبه ، فطلب منى مقابلته فى مكتبه فى التاسعة صباحاً .

فلما قابلته وشرحت له الموقف قال :

– إن سامى شرف ومحمد فائق وعبد المجيد فريد إتخذوا منى ومنك مخلب قط .

فاستوضحته فقال :

إنهم قالوا للرئيس إننى وأنت دبرنا أن نضع الرئيس أمام الأمر الواقع باعتبارنا تابعين للأمريكان ، وأن سفير كوريا الشمالية كان بالأمس يقابل عبد المجيد فريد بمكتبه .

فقلت للسيد حسن التهامى : أنا لا علاقة لى بكوريا الشمالية أو كوريا الجنوبية ولا بالأمريكان ، ولكن مادام الرئيس اعتقد هذا فأنا مستقيل ولن أباشر عملى وسأبقى بمنزلى .

وغادرت القصر .

وفى مساء ٢٩ يوليو وصل فجأة الرئيس معمر القذافى وتوجه رأساً إلى قصر القبة مع الرئيس جمال .

وأبلغنى أحد رجال الياوران وجود الرئيسين بالقصر وستقام مأدبة عشاء ولابد من حضورك فاعتذرت .

وفى الثالثة صباحاً اتصل بى السيد محمود فهيم وأبلغنى أن أقابل الرئيس عبد الناصر فى الثامنة صباحاً بالقصر ومعى الأمناء الموجودون بالإجازة بالإسكندرية .

وكان الأمناء العاملون موزعين . . واحد مع الرئيس رشيد كرامى ، وآخر مع بعثة روسية ، والثالث كان فى إجازة فى استانبول .

وذهبت للقصر قبل الموعد وسألت عن الرئيس القذافى وعلمت أنه تناول الإفطار وفى انتظار حضور الرئيس جمال .

ووصل الرئيس فدخلت معه ، وقد جرت العادة ألا يدخل معه مكتبه سواى عند حضوره .

وقلت له : صباح الخير فرد صباح النور . . . الرئيس القذافى جاهز . . فقلت له : هو موجود فى مصر . فقال :

– أنت كبير الأمناء ومش عارف . . . آه افتكرت أنت كنت زعلان ومستقيل . . . معلهش دول ولاد . . ونطق لفظاً لا أستطيع كتابته . . . وتابع قائلا :

– أنا عرفت الحقيقة وما تزعلش . .

فقلت له :

– سيادتك شيوعى ؟

فقال :

– أبوه شيوعى . . شيوعى . .

فقلت له :

– ما افتكرش سيادتك مش ممكن تكون شيوعى . . . إنما يمكن تكون شيوعى بالقراءة .

فقال : يعنى أنت أمريكانى ؟

فقلت :

– لأ أنا مصرى مسلم ولا علاقة لى بالأمريكان ولا الشيوعيين ، بس كان لازم سيادتك تفهم إنى بعد المدة الطويلة التى عملت فيها معك أو بالأصح الوحيد الذى ظل معك من أول رئاستك للآن لا يمكن وقوعى فى هذا الخطأ .

فقال : خلاص تطلع للرئيس القذافى واعتبر الموضوع منتهياً .

وسافر الرئيس القذافى ووصل فجأة الملك حسين عاهل المملكة الأردنية الهاشمية .

وسافر الملك والرئيس بالقطار الخاص إلى الإسكندرية حيث نزل الملك فى قصر رأس التين ، وأقيمت مأدبة عشاء كان بين المدعوين فيها وزير الإعلام الأستاذ محمد حسنين هيكل .

وتقابل هيكل معى ومع السيد حسن التهامى ، والفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران وحيانى هيكل ثم قبلنى قائلا :

– هذه قبلة إعجاب وتقدير .

ولما سألته عن المناسبة قال :

– لقد كانت استقالتك مشرفة وعرف عبد الناصر أن دسيسة رفعت إليه للوقيعة بينه وبينك هو مش كلمك دوغرى .

فقلت له :

– النهارده الصبح فقط . فقال : لازم انشغل .

وقبل العشاء استدعى الرئيس السيد حسن التهامى لمكتبه بالقصر وسمعت من وراء الباب المغلق أصواتاً عالية .

ولما خرج السيد حسن استفسرته فقال : خير . وترك القصر .

وسيأتى وقت قريب يروى فيه السيد حسن التهامى فى كتاب يصدر عنه ما دار فى هذه المقابلة .

مؤتمر القمة سنة ١٩٧٠ ووفاة عبد الناصر :

أذكر أن الجلسة الختامية للمؤتمر كانت الاجتماع الوحيد للملوك والرؤساء وكانت كافة الاتصالات ثنائية حتى يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ حيث عقد هذا الاجتماع العام اليتيم فى فندق هيلتون .

وكان الرئيس القذافى قد اشترط لمقابلة الملك حسين أن ينشر الأستاذ هيكل فى « الأهرام » وفى صدرها بالخط الأحمر أنه قبل هذا اللقاء بناء على إلحاح الرئيس جمال عليه . ولم ينشر الخبر واستاء الرئيس القذافى ووصل إلى غرفته فى

الفندق حاملا مسدساً ، ثم رفض البقاء فى الفندق (مقر الملوك والرؤساء) لأن به خموراً مما يتنافى مع الإسلام . وأصر على النزول فى قصر القبة فكان الوحيد هناك . ثم حضر من القصر وصعد إلى غرفته فى الفندق ورفض النزول للاجتماع لأن هيكل لم ينشر الخبر الذى طلبه .

فقلت له :

– ياسيادة الرئيس عندنا اثنين هيكل . . . وزير الإعلام ، ثم رئيس تحرير الأهرام وسيادتك زعلان من أى منهما ، احنا عندنا الصحافة حرة ، وتستطيع الذهاب إلى رئيس تحرير « الأهرام » . . . وتوجه له اللوم أما هيكل وزير الإعلام فلا يستطيع إرغام « الأهرام » . . على النشر .

فأصر على موقفه . .

فأبلغت الرئيس جمال فتضايق ، وكلفنى العودة إلى الرئيس القذافى وعدت أبلغه أن الرئيس فى انتظاره فأصر على الرفض .

وأبلغت الرئيس فاصفر وجهه وأخرج منديلا ومسح عرقه وطلب منى العودة وعدم الحضور بدون الرئيس القذافى فذهبت .

وقلت للرئيس القذافى إن الملوك والرؤساء فى انتظارك والرئيس جمال يرجوك النزول للاجتماع فوافق .

وحضر ووضع رجليه على منضدة الاجتماع وصوره المصورون لكن الرئيس جمال أمر بإتلاف الأفلام .

ومما يذكر أن السيد ياسر عرفات دخل قاعة الاجتماع حاملا « مترليوز » ولما اعترضت على ذلك رفض اعتراضى .

ووصل جلالة الملك حسين مرتدياً بدلة عسكرية وحاملاً مسدساً .

ولما أبلغت الرئيس جمال أن حمل أى سلاح فى مثل هذه المناسبة مخالف لمبادئ المراسم قال :

– دعهم فكل منهم لا يعرف كيف يستعمل السلاح .

وانتهى الاجتماع بعد التوقيع على الاتفاق وتوجه الرئيس القذافى إلى قصر القبة

ومعد الملوك والرؤساء إلى أجنحتهم فى « هيلتون » .

ولم يمض نصف الساعة حتى وصلت إشارة عاجلة من قصر القبة بأن الرئيس القذافى فى طريقه إلى المطار للسفر ، الأمر الذى اضطر الرئيس جمال إلى سرعة النزول من جناحه حتى إن سائق سيارته قادها إلى المطار حافى القدمين .

وودعه الرئيس وعاد إلى منزله فى الحادية عشرة مساء .

وكانت الساعة العاشرة من صباح ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ موعد توديع الرئيس اللبناني سليمان فرنجية الذى كان قد حضر بعد بدء المباحثات عندما تسلم سلطاته الدستورية .

ومن بعد ذلك كان توديع جلالة الملك فيصل - رحمه الله - فى طريقه إلى جنيف للعلاج .

وتتابع توديع الباقين ، وكان الوداع الأخير لصاحب السمو الأمير صباح السالم الصباح أمير الكويت . .

وكان الإجهاد ظاهراً على الرئيس جمال ، بل إنه كاد يقع على الأرض وهو فى طريقه مع سمو الأمير إلى الطائرة لولا أن سنده الفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران .

وفى الخامسة مساء انتقل إلى جوار الله . . رحمة الله عليه .

وانطوت صفحات من تاريخ مصر .

كارثة ٥ يونيو ١٩٦٧ :

ذهبت إلى ساوثهمبتون فى أواخر مايو سنة ١٩٦٧ للعلاج.وكان برنامج العلاج يبدأ يوم ٥ يونيو لكن الطبيب المختص (دكتور جونسون) أخبرنى أن الحرب بدأت بين مصر وإسرائيل صباح ذلك اليوم فتركت المستشفى فوراً . واتصلت بمكتب شركة مصر للطيران لعودتى إلى القاهرة فعلمت أن الطيران إلى القاهرة موقوف بوجه عام .

ووجدت أماكن لى ولأسرتى على إحدى طائرات الخطوط الجوية البريطانية متجهة إلى طرابلس التى وصلتها يوم ٨ يونيو وغادرتها إثر ذلك إلى بنى غازى وكان

التجول فيها ممنوعاً فى الليل .

وحاولت الاتصال بالسفارة المصرية ، ثم خرجت إلى ساحة المطار فوجدت خمس سيارات من سيارات رئاسة الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وعرفنى سائقوها وأبلغونى أنهم نقلوا السيد طاهر يحيى رئيس وزراء العراق ووفداً كان يرافقه من القاهرة إلى بنى غازى ليعود إلى بغداد .

كما وجدت خمسة من ضباط الشرطة المصريين كانوا فى بعثة فى الولايات المتحدة وعادوا إلى بنى غازى ، وكذلك اللواء طبيب منجى جعيصة قائد الخدمات الطبية بالجيش المصرى سابقاً .

فأخذت السيارات وصحبنى الجميع ومعنا اللواء على أبو الغيط مدير مكتب شركة مصر للطيران إلى فندق بنى غازى بالاس حيث لقينا من الترحيب والعناية الكثير واعتذر صاحب الفندق عن قبول أى أجر لسكن الجميع .

وعلمت حكومة جلالة الملك السنوسى بوصولى فأوفدت سيارة لاسلكى وموتوسيكلا رافقانا فى تنقلاتنا حتى غادرنا الفندق صباح ٩ يونيو فى طريقنا إلى السلوم بسيارات رئاسة جمهوريتنا .

وعند وصولنا إلى الحدود المصرية وعلى بوابة السلوم سمعنا خبر تنازل الرئيس عبد الناصر فأخذ الكل يبكى .

وعلم أمين الاتحاد الاشتراكى فى السلوم بوجودى فطالبنى بحضور اجتماع الوحدة ليحملنى رسالة الأعضاء التى تطالب الرئيس بالعدول عن الاستقالة فوعدته بإبلاغ الرسالة واعتذارى عن حضور الاجتماع بسبب وجود أسرتى وأن الجميع مجهدون .

ووصلنا مرسى مطروح فجر ١٠ يونيو واستأنفنا الرحلة حتى القاهرة .

فوصلناها الخامسة بعد الظهر .

طائرات مغربية وجزائرية وإضراب العمال الليبيين عن تموين الطائرات البريطانية :

وقد شاهدنا فى مطار بنى غازى طائرات عسكرية بعث بها الملك الحسن الثانى ملك المغرب وأخرى بعث بها العقيد هوارى بومدين رئيس جمهورية الجزائر وهى فى

طريقها إلى مصر وكنا نصفق لها ويشاركنا الإخوة الليبيون بعد أن يقوم عمال المطار بتزويد الطائرات بحاجتها .

وابتداء من يوم ٨ يونيو امتنع كل من فى مطار بنى غازى عن تقديم أى خدمة من الخدمات لطائرات الخطوط الجوية البريطانية حيث كان قد أذيع من القاهرة أن سلاح الجو البريطاني قد شارك إسرائيل .

كوسيجين فى القاهرة :

وصباح ١١ يونيو قصدت مكتبي منتظراً حضور الرئيس جمال بعد عدوله عن التنازل ووصل معه مستر كوسيجين رئيس وزراء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وسألني الرئيس :

– هل كنت فى مصر وقت تنازلى ؟ .

فقلت له :

– كل شيء سيسير بإذن الله والمهم أن تحافظ على صحتك .

عبد الحكيم عامر حاول الانتحار فى بيت الرئيس عبد الناصر :

لما تكشف أمر مجموعة الضباط التى أحاطت بالمرحوم المشير عبد الحكيم عامر وهيأت له ضرورة العودة إلى قيادة الجيش الذى كانت غالبية ضباطه تكن للمشير كثيراً من الحب والتقدير . ورأى المرحوم الرئيس عبد الناصر وضع حد لذلك قرر أن يجتمع الباقون فى العمل من أعضاء مجلس قيادة الثورة لمحاكمة المشير عامر .

واجتمعوا فى بيت عبد الناصر واستدعى المشير عامر للمثول أمامهم كهيئة محاكمة لم يكن بينها الرئيس جمال .

وصدرت الأوامر بتفتيش منزل المشير عامر وسيارته التى حضر بها إلى منزل الرئيس جمال .

وقام حرس الرئيس بتفتيش السيارة حيث عثر فيها على قنابل يدوية ومدافع رشاشة ، كما قامت فرقة خاصة بتفتيش المنزل وضبط الأسلحة المختزنة فيه .

وفى أثناء محاكمته خرج المرحوم المشير عبد الحكيم عامر من غرفة التحقيق وطلب كوب ماء وأفرغ فيه علبة دواء منوم هوال « دوريدون » وشرب الكوب .

وتهامس الحاضرون وصدرت التعليمات إلى المرحوم الدكتور أحمد ثروت الطبيب الخاص للرئيس عبد الناصر بإنقاذ المشير عامر من الانتحار ، وفعلا قام الدكتور ثروت بغسل المعدة والأمعاء للمشير دون معارضة منه .

وبعد المحاكمة وضبط أسلحة المنزل والسيارة قرر مجلس المحاكمة أن يقيم المشير عامر فى قصر الطاهرة . . . ثم كان بعد ذلك ما هو معروف .

سفر عبد الناصر للسودان :

وكان مقرراً سفر الرئيس عبد الناصر إلى السودان فى اليوم التالى وأصدر تعليماته إلى بألا يكون أى فرد فى وداعه بالمطار .

وفى المطار وقبل وصول الرئيس فوجئت بالسيد فريد طولان الذى كان محافظاً لإحدى المحافظات ثم نقل إلى ديوان الوزارة (ومن قبل ذلك كله كان وكيلا لإدارة المخابرات) قد وصل إلى المطار ، فتوجهت إليه طالباً إليه مغادرة المطار فرفض .

ودار فى ذهنى أنه حضر ليذكر الرئيس به فقد يعيده إلى المخابرات مديراً لها بعد عزل صلاح نصر .

وأبديت الأمر كله للمرحوم اللواء محمد الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى فأيد وجهة نظرى وتوجه إليه وكرر طلب مغادرته المطار .

وفى أثناء الحديث وصل السيدان عباس رضوان وعبد المحسن أبو النور فأبلغتهما تعليمات الرئيس بخلو المطار من أى مودع .

وأثناء ذلك وصل الرئيس جمال بمفرده وبادرنى قائلا :

– أنت ما بتنفذش التعليمات ليه ؟

فقلت :

– لقد حاولت لكنهم لم يستجيبوا .

ولم يصافحهم وتوجه إلى الطائرة .

ويهمنى فى هذه السطور أن أشيد بموقف الرجولة والشهامة والأمانة الذى قام به السيد عباس رضوان بين الصديقين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فبرغم أنه عمل مع عبد الحكيم وحاز ثقته إلا أنه حاول جاهداً تلطيف حدة الموقف ولكن الظروف كانت أقوى من كل المحاولات .

الناس معادن :

وقد كانت تربطنى بالمشير عامر وشائج محبة وصداقة منذ عرفته مديراً لمكتب الرئيس محمد نجيب فى بداية الانقلاب ولمست فيه الوفاء والخلق الطيب .

وربما كان على حالى كل من عرف عبد الحكيم عامر عن قرب .

وكان منزله بجوار منزلى ، وبينما كنت عائداً من الإسكندرية ذات يوم وجدت سيارة بوليس نجدة أمام منزله .

وما إن دخلت المنزل حتى وجدت الأميرة سعاد الصباح حرم الأمير عبد الله المبارك الصباح تبلغنى تليفونيا وفاة عبد الحكيم عامر .

وبعد ذلك ذهبت إلى مجلس الوزراء حيث يعقد إحدى جلساته وكنت شديد الحزن . ودخل الرئيس جمال والدمع يكاد يتساقط من عينيه .

وتقدم أحد سكرتارية الرئيس واحتضننى وهو يضحك سخرية ويقول :

– عقبال اللى عندك .

فسألته من يقصد فقال : افهم أنت بقى !

فقلت له : لا بد أن تكون قد حدثت لك لوثة . اللى عندى إما زوجتى وبناتى أو الأمناء من مرؤوسى فمن منهم تود قتله أو موته ، أنت شامتان فى عبد الحكيم الذى فعل لك الكثير وآخره توصية الرئيس بإعادتك إلى السكرتارية بعد أن نحاك ، وعدت لتشمت فى موته .

ثق أننى سأبلغ الرئيس الذى أثق بأنه أكثر الناس حزناً على وفاة صديقه وزميله وصهره .

وفى هذه الأمسية شاهدت الكثيرين الذين كانو يتسابقون فى إحضار علبة السجاير

من سيارة عبد الحكيم إليه ، يسارعون إلى التشنيع عليه ويروون القصص حتى إن أحدهم طلب إلى المشرف على جراج الرئاسة مصادرة سيارة خاصة بالأخ مصطفى عامر شقيق عبد الحكيم عامر (بويك ريفييرا جديدة) بحجة أنها دخلت مصر بطريق غير شرعي وبالتهريب .

وسألته : هل أمر الرئيس بالمصادرة ؟ فنفى .

فقلت له :

– إذن أنت تتطوع هل نسيت أفضال عبد الحكيم عليكم .

وكم كان حزني وزميلي الفريق أول سعد الدين متولي كبير الياوران شديداً ونحن نشهد هذا الشريط السينمائي من هيئة المنتفعين فى الرئاسة ضد عبد الحكيم وكنا أقل الناس استفادة وأكثر المدافعين .

إنها محنة أخلاق وعدم وفاء . . . . والناس معادن .

وفاة عبد الناصر وتشييع الجنازة :

ودع الرئيس جمال عبد الناصر الرئيس السودانى جعفر محمد نميرى صباح ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بعد أسبوع من العمل والجهد المرهق فى مؤتمر القمة كما أوضحت

وعدت إلى قصر القبة غاية فى الإرهاق وتناولت غدائى وركبت السيارة حوالى الساعة الثانية والنصف وطلبت الذهاب إلى المطار – كما أذكر – ولأول مرة فى حياتي نمت فى السيارة فى أثناء سيرها .

وفوجئت بالسائق يوقظنى أمام منزلى ، فنبهته إلى أننى طلبت الذهاب إلى المطار فقال : بل طلبت المنزل .

ونظرت إلى ساعتي فوجدتها الثالثة ومعنى هذا أن توديع صاحب السمو الأمير صباح السالم الصباح أمير الكويت قد حل ، ومنزلى بجوار كوبرى الجامعة ولا فائدة .

فصعدت إلى المنزل وخلعت « الجاكته » ونمت بملابسى الباقية .

وصحوت فى الساعة السادسة وذهبت أزور كريمتى .

وفى السابعة والنصف اتصل بى الفريق أول سعد الدين متولى وأخبرنى باجتماع

لمجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا وبالتوجه إلى الرئاسة فوراً .

فذهبت إلى منزلى وارتديت ملابسي وقصدت قصر القبة فوصلت فى الثامنة والنصف .

وسألت الحرس : هل الرئيس وصل . ؟ . وقالوا : وصل . لكننى لم أجد أى سيارة من سيارات الحرس فى فناء القصر .

وصعدت إلى مكتبي وكل شيء عادى .

ووجدت فى الصالون السادة : كمال رفعت ، والدكتور صفى الدين أبو العز وزير الشباب والصديق حمدى عاشور وحييت الجميع ، وقلت للدكتور أبو العز أهلا بوزيرنا فأنا شاب وأنت وزير الشباب .

واندهش الصديق حمدى عاشور وأدرك أننى لا أعرف الخبر الكبير ، فطلب منى تناول قرص مهدئ قدمه إلى قائلا ، طيب خذ القرص ده ولما أستفسرته عن السبب قال : البقية فى حياتك الرئيس مات .

ووجدتنى أتساءل بصوت عال : مين قتله ؟ !

فقال : مات بالسكتة القلبية . . وأعطانى القرص ووجدت الدموع تنهمر من عينى وتوجهت إلى مكتبي فوجدت وجيه أباظة محافظ القاهرة وشعراوى جمعة يبكيان .

وتوافد الوزراء وأعضاء اللجنة . .

وطلب منا إعداد مقترحات تشييع الجنازة .

لجنة إجراءات تشييع الجنازة :

تكونت من الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والفريق أول سعد الدين متولى كبير الياوران ومنى لترتيب تشييع الجنازة واشترك معنا عدد من ضباط الجيش الذين سمعت منهم العجب العجاب من الاقتراحات .

فريق يقترح بدء الجنازة من مقر مجلس قيادة الثورة القديم فى منشية البكرى وبخاصة أنه قريب من المدفن ، ولم نوافق على الاقتراح .

وآخر يرى بدءها من الجامع الأزهر حيث ألقى الفقيد خطابه فى أثناء العدوان

الثلاثى سنة ١٩٥٦ ، وقلنا إن فى ذلك استحالة لبعد الأزهر عن المدفن .

وفريق آخر قال : من مجلس قيادة الثورة بالجزيرة .

وكنت والفريق سعد الدين نعارض ذلك حيث لا يمكن ضبط شعور الجماهير فى جنازة رسمية شعبية .

واقترحت ضرورة فصل الجنازة الرسمية عن الشعبية بمعنى وصول جميع وفود المعزين الرسميين إلى قصر القبة بطريق كورنيش النيل حتى الأميرية ثم إلى القبة .

وأن تبدأ الجنازة الرسمية من داخل القصر حتى الباب الرئيسى والمسافة تبلغ حوالى ثلاثة كيلومترات ، ويكتفى بذلك رسمياً ثم تترك الجنازة الشعبية فيما بعد باب القصر فى شارع مصر والسودان ثم تتجه شمالاً فى شارع رمسيس حتى المدفن .

ولم يوافق الفريق أول محمد فوزى ولا الصديق حمدى عاشور الذى انضم إلينا فى أثناء اجتماع اللجنة بمكتب وزير الحربية .

وانتصر الرأى القائل ببدء الجنازة من الجزيرة فحذرتهم بأنها لن تكون لائقة ولم يؤخذ بتحذيرى .

وقد كان ما كان من فوضى حتى إن بعض الأشخاص خطفوا الأوسمة من على صدر الرئيس بوكاسا رئيس أفريقيا الوسطى ، والصليب الذهبي الكبير لرئيس جمهورية قبرص المطران مكاريوس . . . وغير ذلك .

الملك الشجاع :

وفوجئت أمام فندق هيلتون بمتظاهرين يهتفون ضد الملك حسين عاهل المملكة الأردنية الهاشمية فصعدت إلى جناحه ورجوت جلالته عدم النزول بعد أن اختلط الحابل بالنابل .

لكن الملك الشجاع المؤمن رفض فكرتى وصمم على المشاركة فى الجنازة وقال :

– لقد حضرت للمشاركة فى تشييع الجنازة ولا بد من المشاركة . وغادر الجناح وبرفقة جلالته ضابطان من الحرس الجمهورى المصرى وسار فى اتجاه الجنازة وسط خضم بشرى تسرى بين جموعه هتافات بأن قاتل عبد الناصر هو حسين .

عبد الناصر الإنسان :

لدى الكثير عن عبد الناصر الإنسان ، فقد كان ذا قلب كبير يقدم للفقير والمحروم كل ما يستطيع من نفوذ ليخفف أزمة أو يزيل حرماناً .

وقد مر فيما سلف من الذكريات بعض هذه اللمسات .

ونشرت « أخبار اليوم » يوم ١٩٧٠/١٠/١٠ حديثاً لى عن بعض الذكريات خلال ١٨ عاماً مع الرئيس الراحل ، وشاركتها الأهرام بحديث آخر .

ونشرت « الجمهورية » يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٧١ حديثاً ثالثاً.

كما نشرت « القوات المسلحة » يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٢ لمحات لى من حياة الزعيم الراحل .

ويهمنى أن أسجل هذه الأحاديث فى نهاية هذه الذكريات .

جمال يتحدث عن عمال كوم امبو :

زار جمال عبد الناصر مدينة كوم أمبو وكان ما لفت نظره ما يلى :

– رأيت العمال فى فترة الغداء ، كان العامل يأكل رغيف عيش شمسى وبصل رأيتهم يأكلون بهذا الشكل . . . هل هذه حياة نرضى بها ، وهل هذه حياة يقبل أحد أن يعيش فيها !

الاشتراكية واحدة هى العلمية :

فى أحد الاجتماعات السياسية ثار جدل طويل حول تفسير اشتراكية عبد الناصر وتطوع أستاذ جامعى ليدلل على أن ما يجرى فى بلادنا شىء غريب وجديد فريد ، نحن الذين نحدده ونصنع له المقاييس التى ترضينا ، ثم قال إننى أسميها الاشتراكية العربية .

وتصدى له جمال عبد الناصر يقول :

– ليست هناك اشتراكية عربية واشتراكية فارسية ، وإنما هناك اشتراكية واحدة هى الاشتراكية العلمية .

وبعد ذلك تجرى تطبيقات مختلفة لهذه الاشتراكية حسب ظروف كل بلد وطاقاته وإمكانياته .

وفى سنة ١٩٦٢ صدر الميثاق وحرص عبد الناصر على أن تتضمن نصوصه أن الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم .

وكان عبد الناصر فى غالبية خطبه يلح على أن الثورة الاشتراكية فى حاجة إلى مزيد من الثورية الاشتراكية .

رأى عبد الناصر فى السياسيين القدامى :

كانت حصيلة لقاءات جمال عبد الناصر إثر الانقلاب سنة ١٩٥٢ مع السياسيين القدامى تتلخص فى رأيه كما قال :

« ذهبنا نلتمس الرأى من ذوى الرأى والخبرة من أصحابها ومن سوء الحظ لم نعثر على شىء كثير .

كل رجل قابلناه لم يكن يهدف إلا قتل رجل آخر ، وكل فكرة سمعناها لم تكن تهدف إلى هدم فكرة أخرى .

ولو أن أحداً سألنى فى تلك الأيام ، ما هو أعز أمانيك لقلت له على الفور أن أسمع مصرياً يقول كلمة إنصاف فى حق مصرى آخر . . . أن أحس أن مصرياً قد فتح قلبه للصفح والغفران والحب لإخوانه المصريين .

كانت كلمة (أنا) على كل لسان . . كانت هى الحل لكل مشكلة ، وهى الدواء لكل داء ، وكثيراً ما كنت أقابل كبراء – أو هكذا تسميهم الصحف – من كل الألوان والاتجاهات ، وكنت أسأل الواحد منهم فى مشكلة التمس عنده حلها ولم أكن أسمع إلا (أنا) .

مشاكل الاقتصاد هو وحده يفهمها ، أما الباقون جميعاً فهم فى العلم بها أطفال يحبون مشاكل السياسة هو وحده الخبير بها أما الباقون جميعاً فما زالوا فى (ألف باء) لم يتقدموا بعدهما حرفاً واحداً .

وكنت أقابل الواحد من هؤلاء ثم أعود إلى زملائى فأقول لهم فى حسرة :

لا فائدة هذا رجل لو سألناه عن مشكلة صيد السمك فى جزر هاواى لما وجدنا عنده إلا كلمة (أنا) ! »

فى الجزائر :

تفضل الرئيس الجزائرى هوارى بومدين فوجه لى وزوجتى دعوة شخصية لزيارة الجزائر ووصلت يوم ٨ مايو سنة ١٩٦٧ إلى الجزائر وأناب فخامة الرئيس مدير المراسم بالقصر الجمهورى للحفاوة بى .

وأقام فخامته مأدبة عشاء تكريماً لى حضرها الوزراء ورجال السلك الدبلوماسى المعتمدون لدى جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية وعقيلاتهم .

وبدأ العشاء بأطباق شوربة وسمك ، وما إن أخذنا بعض ملاعق الشوربة وقليلا من السمك حتى فوجئت بمن يدعونا ويقول « اتفضلوا » وكنت شديد الجوع فعجبت ، لكننا استجبنا للدعوة إلى صالة مملوءة بالخراف المشوية وتحتها كميات من الفجل الأحمر والبصل ، وأكلنا وغسلنا أيدينا .

ودعينا مرة أخرى إلى غرفة مائدة الشوربة والسمك لنجد على المناضد طيوراً مختلفة وأكلنا ما استطعنا .

وقد نلت من شرف تكريم الرئيس هوارى بومدين لى وعقيلتى الكثير .

وغادرت الجزائر إلى لندن بعد أسبوع حافل بالفضل والكرم .

الرئيس سوكارنو :

عرفت الرئيس أحمد سوكارنو عن كثب ، ودرست شخصيته وعاداته ، وأستطيع أن أجزم بأن كل ما تردد حوله من شائعات وأقاويل . . . لا نصيب له من الصحة فقد أشيع عن الرئيس الأندونيسى أنه يعاقر الخمر ، وأنه لا يفيق من الراح فى الغدو والرواح ، وهذه أقوال ظاهرها البطلان ، إذ يمكن لى أن أؤكد أن الرئيس الأندونيسى لم يذق الخمر فى حياته ، بل كان مولعاً بعصير التفاح الطازج .

وما أكثر الأقاويل التى تثار حول المشاهير والزعماء ، وما أقل من أن تكون

صادقة ومعبرة عن حقيقة هؤلاء .

ولكن الرئيس الأندونيسى – رحمه الله – كان شغوفاً بشيء آخر هو حضور المجتمعات وولوعاً بالرقص الشرقى ولعاً خاصاً .

وأذكر أن السفير الأندونيسى – عند زيارة الرئيس سوكارنو للقاهرة – نقل إلى رغبة الرئيس فى أن ينزل بفندق هيلتون النيل .

وتم تنفيذ هذه الرغبة .

ولكن السفير لم يكتف بذلك ، بل أفصح أن هناك رغبة أخرى ، هو أن يشهد الرئيس رقصاً شرقيًّا من ثلاث راقصات حددهن بالاسم .

واعتذرت عن تلبية هذه الرغبة ، إذ لم يجر العرف على ذلك من ناحية ، كما أن المخصصات المالية لا تسمح لنا بدفع أجور هؤلاء الراقصات لهز البطن أمام الرئيس الأندونيسى ، وعلى السفارة أن تتولى هذا الأمر ، وفعلا أقيمت حفلة تكفلت بنفقاتها السفارة ، واستمرت إلى الصباح وحققت رغبة سوكارنو فى رؤية الراقصات والتلذذ بإشباع هوايته الطريفة .

ومما أذكره أن الرئيس سوكارنو كان قادماً على جناح طائرة أمريكية خاصة (بان أمريكان) وصمم على أن يستضيف مضيفات الطائرة الجميلات بالفندق والاستمتاع بالوجه الحسن والخصر النحيل ، بل إن فخامته جاوز ذلك وأصر على اصطحاب جميلتين تؤنسانه ضمن بعثة الشرف المرافقة لفخامته .

كان شغوفاً بالنساء .

وعلى الجانب الآخر كان الرئيس الأندونيسى آية فى التواضع وإنكار الذات . . وأذكر أنه فى أثناء مأدبة عشاء أقامها الرئيس عبد الناصر تكريماً له ألقى الرئيس المصرى كلمة أشاد فيها بالضيف الكبير وأضفى عليه آيات التمجيد ، ووصفه بأنه بطل استقلال بلاده بل رمز الكفاح فى قارتى أفريقيا وآسيا .

ورد الرئيس سوكارنو على كلمة الترحيب ، ثم قال موجهاً الخطاب إلى الرئيس عبد الناصر :

إننى يا صديقى الشاب آخذ عليك وصفى بالبطولة ، فلست بطلا ، إذ أن قوتى

أو بطولتي إنما تستمد من قوة شعبي وبطولته . . . إنني لم أصنع شيئاً لبلادى حتى أستحق أن أكون بطلا ، فالشعوب هى الخالدة أما الأفراد فإنهم فانون لا محالة . .

ثم قال ، محاولا تغيير جو البطولة الفردية الذى ساد المأدبة :

إنه اجتمع أخيراً باللواء عبد الكريم قاسم فى العراق وكان فى غاية الحرج بسبب سوء العلاقات بين القطرين الشقيقين : مصر والعراق .

والواقع ، أن الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارنو كان يتمتع بذاكرة خارقة ففى زيارته الأولى للقاهرة كان يرافق سيادته الأستاذ أحمد فؤاد تيمور : أمين رئاسة الجمهورية (كبير الأمناء الآن) ثم حضر الرئيس أكثر من مرة لزيارة القاهرة وما إن رآنى فى إحدى الممرات حتى ابتدرني بالسؤال عن أحمد فؤاد تيمور وكان ينطق اسمه كاملا إذ لم يره منذ أمد طويل ، فأجبته :

– إن الأستاذ تيمور مريض فى المستشفى .

وفى اليوم الثاني بعث الرئيس سوكارنو بمدير المراسم يحمل باقة من الورد لعيادة الأستاذ تيمور ، وينقل إليه تمنياته بالشفاء .

ملك اليونان يرفض ركوب الطائرة :

بمناسبة مرور ١٢٥٠ عاماً على إنشاء دير « سانت كاترين » فى سيناء ، وهو دير عريق يضم تحفاً وآثاراً جليلة لا تقدر بثمن . أقامت الحكومة المصرية فى هذه المناسبة التاريخية حفلا كبيراً ووجهت الدعوة إلى ملك اليونان السابق قسطنطين ، وكان شاباً غض الإهاب ، كما وجهت الدعوة إلى الأسقف مكاريوس رئيس جمهورية قبرص ، وكذلك إلى أكثر من ثمانين من كبار رجال الدين المسيحى فى كافة أنحاء العالم.

وقد قبل الملك قسطنطين الدعوة ، وحضر بملابس التشريفة العظمى والسيف وعصا الماريشالية .

وكانت وسيلة الوصول إلى الدير هى الطائرة الهليكوبتر ، من مطار القاهرة إلى مطار أبو رديس .

ولكن الملك رفض ركوب الطائرة . . ولم تفلح وسائل إقناع جلالته ، أو تصوير مشقة الطريق وعناء السفر إذا استعمل وسيلة أخرى من وسائل الركوب .

وأصر جلالته على ركوب السيارة من مطار القاهرة إلى الدير .

وبدأت رحلة العذاب . . أخال أن الملك لن ينساها ، وهي رحلة استغرقت ثمانية عشرة ساعة ، تحمل الملك فيها ألواناً من المشاق .

ووصل جلالته إلى الدير قبل الاحتفال بساعة ، فى حالة من التعب والإعياء لا توصف .

أما الرئيس مكاريوس ، فقد آثر الطائرة حيث وصل فخامته إلى الدير فى ساعتين .

وبدأ الاحتفال التاريخى الكبير .

وعندما آذن الحفل بالانتهاء ، بدأت إجراءات عودة المدعوين إلى القاهرة .

ومن الطريف أن الملك رجع عن قراره الأول بعدم ركوب الطائرة بعد رحلة الآلام وعاد بالطائرة .

ورئيس ليبريا السابق :

كان الرئيس تابمان رئيس جمهورية ليبريا هو الوحيد الذى احتفل بمرور ربع قرن على رئاسته للجمهورية .

ومما يذكر أنه كان يخشى على حياته من ركوب الطائرة لأن السحرة فى بلاده حذروه بأنه سوف يلاقى ربه إذا امتطى متن إحدى الطائرات ، وأن مصرعه رهين بحادث طائرة .

وامتنع الرئيس عن ركوب الطائرات . . مهما كانت الظروف .

ولكنه لم يمت بحادث طائرة – كما قال السحرة – بل كان بسبب مرضه فى أحد المستشفيات بلندن .

ولم يتحقق من النبوءة إلا شيء واحد ، وهو أن جثمانه نقل بالطائرة ليدفن فى ثرى بلاده .

عصا الدكتور نكروما :

أما الدكتور كوامى نكروما - رئيس جمهورية غانا السابق - فقد كان برغم ثقافته الواسعة وأفقه الرحب وإطلاعه الكبير ، يؤمن بشيء واحد هو ألا يترك عصاه من يده .

وكان سبب ذلك سحرة غانا الذين أفهموه أنه إذا ظل ممسكاً بعصاه فلن ينال منه أعداؤه وإن كثروا .

وبقى نكروما وعصاه رمزاً ، حتى أطيح به ، وهو بالصين ، ومات فى المنفى ثم نقل جثمانه إلى غينيا حيث ورى التراب .

نارجيلة (شيشة)

لرئيس جمهورية فنزويلا :

ومن أطرف ما أذكر . .

أنه عندما كان الأخ أمين شاكر سفيراً لجمهورية مصر لدى فنزويلا . . جرت مقابلة بين السفير المصرى ورئيس جمهورية فنزويلا فى جو من الود والترحيب .

وقبل الانتهاء من المقابلة ، فوجئ السفير بطلب طريف من رئيس الجمهورية .

ويتلخص هذا الطلب فى أن رئيس الجمهورية عرض على السفير المصرى صورة « كارت بوستال » لمواطن مصرى يدخن نارجيلة بانسجام تام .

ويبدو أن منظر المواطن المصرى قد استهوى رئيس جمهورية فنزويلا ، كما أعجبته هذه الآلة التى يمسك بها .

وبدأ سفيرنا يشرح للرئيس هذه الآلة التى يطلق عليها اسم « النارجيلة » أو « الشيشة » وخصائصها فى التدخين وتاريخها الذى يرجع إلى العصر العثمانى ، ومزاياها . . . إلخ .

وانتهت المقابلة برغبة من جانب رئيس الجمهورية فى الحصول على « نارجيلة » مماثلة للنارجيلة التى يدخنها المواطن المصرى فى الصورة .

ووعد السفير . .

وأرسل لى أمين شاكر رسالة بما حدث .

وأرسلت له (النارجيلة) المطلوبة التى قدمها لفخامة رئيس جمهورية فنزويلا هدية من الجمهورية العربية المتحدة .

وما زال السؤال يلح عليّ وهو : هل استعمل فخامة الرئيس النارجيلة فيما أعدت من أجله ، وهل استمتع بالطباق التركى ، أم يا ترى احتفظ بها تذكاراً فريداً يحمل معالم مصر .

عندما تحول كاسترو إلى جاويش :

وصلت برقية من هافانا تتضمن ان الدكتور فيديل كاسترو سوف يحضر إلى مصر للمشاركة فى احتفالات الثورة يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٦ .

وقمت بعمل الترتيبات اللازمة وعهدت بالمهمة إلى أحد الأمناء والياوران وضابط كبير من ضباط المباحث واختير أحد الوزراء رئيساً لبعثة الشرف لاستقبال الرئيس الكوبي الذى تحدد موعد وصوله مساء ٢٤ يوليو .

وعلمت أن الرئيس كاسترو هبط إلى القاهرة وفى طريقه إلى مشاهدة الاحتفالات التى كانت تقام بإستاد القاهرة .

وكان عبد الناصر يشهد هذا الاحتفال .

وفوجئت بضابط المباحث يخبرني بوصول الرئيس كاسترو ، وأبلغت الخبر إلى الرئيس عبد الناصر .

وهرع الرئيس عبد الناصر لمقابلة ضيفه والترحيب به .

وكان الضيف يرتدى زيًّا عسكريًّا متواضعاً .

وأجلس الرئيس عبد الناصر ضيفه إلى جواره .

وبدأ الحديث .

وكانت دهشتي بالغة عندما استدعاني الرئيس عبد الناصر إلى مكتبه وقال :

– من الضيف الذى حضر أمس إلى الأستاد ؟

– إنه الرئيس كاسترو .
– هل أنت متأكد ؟
– وكيف لى أن أتأكد ، وقد علمت ذلك من ضابط المباحث المكلف بحراسته .
وقال الرئيس ساخراً . .
– ولكن هذا الرجل ليس كاسترو . . . إنه جاويش بالجيش الكوبي جاء يعتذر عن عدم حضور الرئيس كاسترو .
وقلت دون تردد .
– إذا كنت سيادتك لم تعرف كاسترو فكيف لى أن أعرفه . . . كاسترو ملتح وهذا ملتح . ولم تجر العادة أن أطالب ضيفاً بهويته الشخصية . .
وضحك الرئيس . .

هوايات رياضية للملوك والرؤساء :

للملوك والرؤساء هوايات رياضية ، كباقى البشر ، يمارسونها فى أوقات الفراغ .

وبوصف كاتب هذه الذكريات رياضياً ، فإن له بعض الملاحظات والطرائف على هوايات الملوك والرؤساء الرياضية .

ويأتى فى المقدمة ، جلالة الملك حسين ملك المملكة الهاشمية الأردنية .

وجلالته منزلة خاصة فى نفسى ، ومكانة كبيرة منذ أن تشرفت بمقابلته عند زيارته الأولى سنة ١٩٥٣ بعد أن تولى عرش الأردن .

ومنذ ذلك الحين ، أسبغ جلالته على شخصى آيات العطف والود ، وما من مرة زار فيها القاهرة إلا وتفضل بإهدائى فاكهة من الحدائق الملكية وهى فاكهة نادرة وبديعة .

والمعروف أن جلالته من أكبر هواة السباحة والتزحلق على المياه ، وهو يمارس هذه الهواية فى أوقات فراغه ومكانه المفضل « قصر المنتزه » عند شاطئ سميراميس .

وينزل جلالته للاستحمام ، ويدعو كافة مرافقيه مصريين كانوا أو أردنيين

لمشاركته هذه الهواية ، وتبدأ رياضة السباحة وتتخللها مداعبات الملك ، وعطفه ورعايته لكل المرافقين . وجلالة الحسين طيار ماهر .

كما أذكر أن سعادة مدير مراسم دولة ماليزيا أبدى رغبته — عندما كنا نشترك فى وضع برنامج زيارة جلالة ملك ماليزيا للقاهرة — أن نخصص وقتاً من الزيارة لكى يمارس جلالته لعبة « الجولف » التى يولع بها منذ شبابه .

وحجزنا لجلالته ملعب نادى الجزيرة الرياضى .

وبدأ الملك اللعب كأحسن اللاعبين نشاطاً ودقة وامتيازاً .

وقد أعجب جلالته بنظام النادى وشكر المشرفين عليه .

وفى مجال لعبة الجولف يبرز اسم « لى كوان يو » رئيس وزراء سنغافورة الذى يعتبر من أبرز هواة هذه الرياضة .

وفى المرات التى كان يزور فيها القاهرة كان يذهب إلى نادى الجزيرة حيث يرضى هوايته المفضلة .

أما الرياضة الأثيرة لدى جلالة الإمبراطور هيلاسلاسى برغم تقدم سنه ، فهى المشى وكان جلالته يبدأ رياضته ويرهق أقدام المرافقين له ، فى رحلة السير الطويلة .

وأذكر أنه دخل مرة فى حديقة النباتات بقصر القبة ، وبدأ فى سؤال المهندسين الزراعيين المشرفين على الحديقة عن دقائق الأشجار والمزروعات والنباتات .

وبدا أن الإمبراطور يتمتع بذاكرة قوية وبدقة الملاحظة إذ سأل المشرفين عن نبات كان قد رآه فى زيارة سابقة بالقصر .

وبدت الدهشة على وجه المشرفين إذ كان الجواب على سؤال الإمبراطور أن النبات قد رفع من موضعه منذ مدة تزيد عن سنتين .

ويشارك الإمبراطور فى الهواية نفسها ، رئيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية المرحوم « والتر أولبرخت » إذ كانت هوايته رياضة المشى .

وكان معتاداً أن يجمع بعثة الشرف المرافقة له — بعد تناول طعام العشاء — ليبدأ المسيرة بطريقة عسكرية منتظمة ، حتى يصل إلى الباب الخارجى فى قصر القبة

ذهاباً وإيابا ، وهى رحلة تبلغ أكثر من ثلاثة كيلومترات .

أما فى الصباح الباكر فقد كان يستيقظ ليمارس المشى بمفرده ، ويقطع نفس المسافة .

وأذكر أنه فى اثناء زيارته لجمهورية مصر تقابلت معه فى منتصف الطريق الخصوصى ونزلت من سيارتى لتحيته ، وسرنا معاً . . فسألنى :

– هل تحب رياضة المشى ؟

فأجبته : نعم .

وكانت الإجابة بالإيجاب تعنى فى قاموس الرئيس الألمانى ، المشى معه صباح كل يوم وتوثقت بيننا أواصر الصداقة ، ودعانى لزيارة برلين ثلاث سنوات متوالية .

وذهبت إلى برلين ، فى رحلة من أجمل الرحلات فى حياتى . .

جمال والنحاس باشا :

لما استمع الزعيم مصطفى النحاس باشا إلى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ الذى أعلن فيه قرار تأميم شركة قناة السويس صفق النحاس باشا وقال :

– ربنا يخلى هذا الشاب الذى عمل ما لم نستطع نحن عمله

ولما علمت بذلك أبلغت الرئيس الراحل فأبدى سروره ، وقال إن هذا الموقف من النحاس باشا يدل على أنه زعيم وطنى صادق ، ثم سألنى عن معاشه فلما أبلغته أنه مائة وخمسة وعشرون جنيهاً أصدر أمره بصرف مبلغ أربعمائة جنيه شهرياً لإكمال نفقات حياة وعلاج النحاس باشا . .

ومنذ شهر أغسطس ١٩٥٦ كنت أنا أو الصديق صلاح دسوقى نحمل هذا المبلغ شهرياً إلى منزل النحاس باشا .

وبعد وفاته استمر إرسال هذا المبلغ إلى المرحومة قرينته زينب هانم الوكيل حتى توفيت .

وكثيراً ما كان علاج قرينة المرحوم النحاس باشا يتم فى الخارج حيث سافرت

عدة مرات وكنت فى كل مرة أحمل إليها قيمة نفقات العلاج نقداً بالعملة الصعبة مع رسالة شفوية من الرئيس جمال مضمونها أنه بالرغم من سماعه شتائمها ضده فى مجالسها الخاصة فإنه تقديراً منه لجهاد ونزاهة الزعيم مصطفى النحاس فإنه يرى مواصلة تسليمها المعاش الإضافى (٤٠٠ جنيه) وما تحتاج إليه لنفقات علاجها بالخارج .

« وجهٌ . . صاحبَ الزعيم ١٨ عاماً »
حديث أجراه الأستاذ عدلى جلال
ونشرته الأهرام يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٧٠

طوال ١٨ عاماً وهو يعيش على مقربة من الزعيم يعرض عليه المواعيد المقترحة للقاءاته العديدة مع المسئولين وملوك ورؤساء العالم سواء فى مجلس قيادة الثورة أو فى مقر مجلس الوزراء أو فى القصر الجمهورى بالقبة .

وخلال الـ ١٨ عاماً أغلى ما فى حياة صلاح الشاهد وأعز سنوات عمره رأى وسمع . . وانفعل بالمواقف واللمسات الإنسانية التى كان يفيض بها القلب الكبير فى صدر الزعيم الإنسان .

وهو اليوم يحاول أن يغالب الحزن ليسترجع شريط ذكرياته الحى مع الراحل العظيم الذى ودعته مصر كلها بالأمس القريب .

وصلاح الشاهد يعرفه كل ملوك ورؤساء الجمهوريات ورؤساء الوزارات فى العالم أجمع ، ولديه فى منزله بالجيزة ١٦٠ صورة لمائة وستين من الملوك والأباطرة ورؤساء الدول وكلها موقع عليها بإمضاءاتهم هدية لصلاح الشاهد .

لقد طلبت منه هيئة المعارض فى فرنسا هذه المجموعة الهائلة من صور الملوك والرؤساء التى عنده لعرضها لمدة شهر فى فرنسا والتأمين عليها بمبلغ كبير . . ولكن صلاح الشاهد رفض هذا العرض خوفاً على هذه المجموعة الفريدة التى لا يمكن لأى شخص فى العالم أن يقتنيها مالم تتوفر له ظروف صلاح الشاهد ولطول مدة خدمته مع أعظم شخصية عالمية لم يظهر مثلها فى التاريخ المعاصر سوى زعيم الهند الكبير المهاتما غاندى .

وصلاح الشاهد عمره الآن ٥٥ عاماً . . أب لابنتين . . وجد منذ ٧ سنوات ويكلل

رأسه شعر بدأ يكتسب لون الفضة منذ ١٤ عاماً . . . منذ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ .

وتولى صلاح الشاهد منصب كبير الأمناء منذ وفاة أول كبير للأمناء فى عهد جمال عبد الناصر السيد « على رشيد » الذى يعد والداً وأستاذاً لصلاح الشاهد ولكل أمناء الرياسة الخمسة : أحمد فؤاد تيمور وعبد الحميد الحاج وعادل مراد وإبراهيم رشيد ونبيل فتح الباب .

وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد طلب من كبير الأمناء الأسبق تعيين نجله (إبراهيم رشيد) أميناً فى رياسة الجمهورية فور تخرجه من الكلية مباشرة وفعلاً عين إبراهيم رشيد أميناً منذ ذلك الوقت .

وصلاح الشاهد يعمل فى رياسة مجلس الوزراء منذ يوم ٤ فبراير عام ١٩٤٢ كانت وظيفته « تشريفاتي » مجلس الوزراء وعملي مع رؤساء الوزراء : مصطفى النحاس وحسين سرى وعلى ماهر ثم مصطفى النحاس مرة ثانية ونجيب الهلالى ثم حسين سرى مرة أخرى ثم نجيب الهلالى حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو .

كيف التقيت بجمال :

ويقول صلاح الشاهد :

رأيت جمال عبد الناصر أول مرة فى عام ١٩٥٢ بعد أن قام بثورته الهائلة وكان قد قدم إلى مقر مجلس الوزراء ليقابل على ماهر الذى كنت أعمل معه كتشريفاتي لمجلس الوزراء . . .

وفى أول مايو عام ١٩٥٣ بعد أن عملت معه فى حكومة الثورة توفى شقيق الدكتور محمود الشاهد وفوجئت بحضور جمال عبد الناصر .

وتدمع عينا صلاح الشاهد وهو يقول :

- لقد كان لهذا العطف والحنو أثر بالغ فى تخفيف آلامى وعرفت أن لعبد الناصر قلباً كبيراً كله رحمة وحنان . . كنت أكبره بثلاث سنوات ، ولكنه كان أباً لى وكان قلبه ينزف رحمة بي وبكل من عمل معه ، بل بكل فرد فى الأمة العربية كلها .

لقد عملت معه منذ أن عين رئيساً للوزراء ثم رئيساً للجمهورية ولم أفارقه منذ ذلك التاريخ حتى يوم رحيله .

حنان يغمر الجميع :

وسألته كيف كانت علاقتك الشخصية بجمال عبد الناصر ، وكيف كان يعاملك ؟ وكيف تطورت هذه العلاقة ؟

وتحولت عينا صلاح الشاهد إلى صورة للرئيس الراحل تعلو مجموعة من صور رؤساء الدول وقال في أسى ! :

– لقد كان حنانه جارفاً لكل من عمل معه بلا استثناء . . ولما مرضت زوجتي عام ١٩٥٧ وسافرت إلى لندن لإجراء عملية جراحية بمفردها بسبب ارتباطي بالعمل معه ، كان يسأل عنها كلما رآني ويسأل عن أخبارها . . . وفي مرة قلت له :

– الحمد لله يا سيادة الرئيس فقد اطمأننت عليها منذ ٣ أيام بالتليفون . . وغضب الرئيس وقال :

– لماذا لا تتصل بها يومياً وهي بمفردها هناك ؟ .

قلت :

– إن المكالمة تكبدني الكثير .

فأمر الرئيس بأن أتصل بها مرتين في اليوم على حسابه الخاص وقال :

– إن صوتك وصوت أولادك سوف يكون عاملا هاماً في شفائها .

ويقول صلاح الشاهد بأن عاطفة الرئيس نحو البنوة كانت جياشة بشكل واضح .

يفرح لأفراحنا :

ويقول صلاح الشاهد :

لقد أصبت بذبحة صدرية يوم ٧ أغسطس عام ١٩٦١ بالإسكندرية فبعث

الرئيس إلى بالأطباء والمعالجين ونبه عليهم بعدم أخذ أجر منى ، وكان يسأل على ٣ مرات يومياً .

وبعد شفائى زرته فى منشية البكرى يوم ٨ أكتوبر فاحتضننى وقبلنى وقال إنه يشعر بالسعادة لشفائى وطلب منى ألا أجهد نفسى ولا أنزل سلم قصر القبة لاستقباله وألا أعمل بعد الساعة ٨ مساء بأى حال من الأحوال . . وكان إذا رآنى مأدبة رسمية طلب منى مغادرة المكان فوراً ، والذهاب للمنزل للراحة . . وأرسلنى عدة مرات إلى الخارج للعلاج مع أنه كان هو يرهق نفسه أيما إرهاق .

وفى شهر مايو عام ١٩٦٢ تزوجت ابنتى الكبرى ودعوت الرئيس ليكون شاهد عقد هو والسيد أنور السادات دون أن أدعوه إلى الحفل الساهر الذى أقيم فى المساء بفندق الهيلتون . وبعد الزفاف ذهبت إلى الرئيس فى منشية البكرى لأشكره على حضوره إلى منزلى وحضور حفل عقد القران . وقال الرئيس لى فجأة :

– ولماذا لم تدعنى فى المساء حتى أبعد عن متاعب العمل قليلا .

ارتبكت وقلت لسيادته :

– رأيت أن أجنب رئيس الجمهورية حضور مثل هذه الحفلات .

فقال الرئيس :

كنت أحب أن أشارك أفراحك للنهاية .

وفى زواج ابنتى الثانية فى عام ١٩٦٨ لم يحضر الرئيس الحفل لأنه كان قد قال بأنه لن يحضر أفراحاً أو أى احتفال إلا بعد إزالة آثار العدوان . . ثم علمت أنه طلب من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء جميعاً مشاركتنا فى أفراحنا .

وعلم الرئيس مرة أن حرم المصور السينمائى الراحل « حسن مراد » كانت مريضة فى عام ١٩٦٥ بذبحة صدرية . وهى سيدة ألمانية تبلغ حوالى ٥٨ عاماً فأمر سيادته بعلاجها على حساب الدولة .

وذهبت لإبلاغها أمر الرئيس ، فأخذت تبكى من لمسة حنان الرئيس ، وكان أول شىء عملته بعد خروجها من المستشفى أن أشهرت إسلامها .

وقالت إن الدين الذى يعتنقه جمال عبد الناصر لابد أن أدين به .

القلب الكبير :

صلاح الشاهد و ١٨ عاماً مع عبد الناصر . .

(حديث أجراه الأستاذ عبد العاطى حامد ونشرته أخبار اليوم ، يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٧٠) .

كان جمال عبد الناصر أول رئيس دولة يخصص ميزانية لعلاج المواطنين .

كان لا يبخل على أبناء الشعب بالعلاج ولو احتاج الأمر للعلاج فى الخارج .

كان يوافق فوراً وكان يقول دائماً إن واجبى هو رفع الظلم وجميع مكاتبى الداخلية تبحث الشكاوى وتعرضها على .

وعلى مدى ١٦ عاماً أمضاها صلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية .

قلت لكبير الأمناء برئاسة الجمهورية: لو أردت أن تتحدث عن بعض مواقف الفقيد العظيم . . فأى موقف تريد أن تبدأ الحديث عنه ؟ .

أجاب صلاح الشاهد :

- أتحدث عن عبد الناصر الإنسان وقد كان للفقيد مواقف إنسانية رائعة .

قلت : ماهى أول مرة رأيت فيها عبد الناصر يبكى متأثراً ؟

- إنها قصة عجيبة . . فى أحد الأيام اتصل بى شخص أعرفه جيداً وقال لى أبلغ سيادة الرئيس بأن محمد محمود قد مات . قلت له : أنا أعلم أن محمد باشا محمود قد مات منذ زمان . فلماذا أبلغ الرئيس بهذا الخبر الآن . وما قصدك من ذلك .

فقال لى : لا أقصد محمد محمود باشا . . أقصد محمد محمود الحلاق .

ووضعت سماعة التليفون وأنا مستغرب حائر . . . هل هى مداعبة ولكن الذى يحدثنى شخص معروف ولا يمكن أن يداعبنى بهذه الطريقة . . ثم ذهبت إلى محمود الجيار وكان مديراً لمكتب الرئيس للشئون الداخلية وأخبرته بالمكالمة التليفونية . . ورد الجيار . . ياخبر اسود . . أرجوك ألا تبلغ سيادة الرئيس بهذا الخبر . . إنه سيحزن جداً على هذا الرجل .

ولكنى وجدت من واجبى أن أبلغ الرئيس ودخلت عليه وقلت له ياافندم أنا آسف

بأن أبلغك هذا الخبر .

وقال جمال عبد الناصر : خيراً . . .

قلت له : محمد محمود الحلاق تعيش أنت . .

وبمجرد سماعه الخبر انفجر جمال عبد الناصر بالبكاء بشدة واستمر يبكى فترة وبعد أن أفاق من البكاء قال لى اذهب بنفسك وشيع جنازته بالنيابة عنى . . إننى أخشى أن أسير فى الجنازة لأننى لن أتمالك نفسى . وأقم له صواناً كبيراً فى السيدة زينب وباشر رعاية أولاده حتى يكملوا تعليمهم وقدم لهم كل شهر مرتباً من جيبى الخاص .

وقال لى الرئيس الراحل يومها - وكنا فى عام ١٩٥٤ - اسمع يا صلاح ، انت المسئول عن أى تقصير أو إهمال نحو هذه الأسرة .

وهكذا وطوال ١٦ عاماً وأنا أتابع أسرة الحلاق الراحل محمد محمود وكان الرئيس حريصاً على أن يسألنى كل أسبوع عن الأسرة وهذا العام تخرجت صفية أصغر بناته فى كلية التجارة والتحقت بالعمل فعلا .

ويكمل صلاح الشاهد القصة فيقول :

فى إحدى المرات سألت الرئيس : لماذا ياسيادة الرئيس كل هذا الاهتمام بهذا الرجل . ؟

فأجاب المغفور له جمال عبد الناصر :

إن هذا الرجل حلاقى الخاص . . كان مثال الوفاء وكان حافظاً لأسرارى ففى أثناء الحلاقة كنت أتكلم معه وفى أكثر من مرة أخبرته ببعض الأخبار والأسرار ولم يذع الرجل أى سر قلته له أبداً كما كان سياسياً قديماً وكنت أقيس به حكم رجل الشعب العادى على رئيس الجمهورية .

ثم ضحك الرئيس وقال:ولا تنسى أنه الرجل الوحيد الذى يعطيه الواحد رقبته ، ولا يبخل عليه بها .

فى أحد أيام عام ١٩٥٥ جاء شاب طويل القامة ثائراً وطلب مقابلة الرئيس وأصر على طلبه وأخذت أهدئ من روع الشاب وطلبت منه أن يروى لى حكايته قبل أن يدخل

للرئيس فقال الشاب ثائراً كنت أريد أن أعاتب سيادته . . . إننى أول البكالوريا ولوفاة والدى اضطررت للعمل بوزارة الزراعة حتى أنفق على أخواتي ودرست حتى نلت ليسانس الحقوق بدرجة جيد جداً . تقدمت إلى مجلس الدولة لكى ألتحق بوظيفة فرفض المجلس بحجة أن عمرى واحد وثلاثين سنة وأن أقصى سن للتعيين بالمجلس ٣٠ سنة .

ويقول الشاب إنهم رفضوا تعييني والرئيس يقول فى خطبه إن الدولة تشجع الكفايات فكيف لا يشجعوننى على العمل ويتركوننى فى الشارع بحجة أن عمرى ٣١ سنة .

ويكمل صلاح الشاهد القصة فيقول :

ودخلت إلى الرئيس وشرحت له موضوع الشاب . . فاتصل على الفور بالمستشار السيد على السيد رئيس مجلس الدولة فى ذلك الوقت وبحثنا القانون فلم نجد به نصاً بمسألة السن والتعيين فأمر سيادته بتعيين الشاب فوراً وفعلا تسلم الخطاب للتعيين وهو جالس فى مكتبي .

وبعد ذلك طلب الرئيس أن يدخل له الشاب وعندما دخل قال للرئيس :

أريد أن أقول لك بعض الكلام إننى لا أريد أن أشكرك أو أقبل يديك أو أنحنى أمامك أو أبكى بين يديك فأنت الذى علمتنا أن نرفع رءوسنا أنت قلت ارفع رأسك يا أخى . . ونحن لن نحنى رءوسنا أبداً ولكن الذى عملته سيادتك الآن كان يمكن أن يتم دون أن نزعجك فأنت رئيس الجمهورية وليس لديك وقت لكل هذا .

ورد عليه الرئيس : إن واجبي هو رفع الظلم وجميع مكاتبى الداخلية تبحث الشكاوى وتعرضها علىَّ ، فرئيس الجمهورية الآن فرد من أبناء الشعب .

وخرج الشاب من مكتب الرئيس والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة .

واقعة ثالثة :

جاء شاب ساقاه مقطوعتان ويسير على قدمين من الخشب وقال إن وزارة العمل رفضت تعيينه موظفاً بها ، مع أنه حاصل على الليسانس بتقدير جيد جداً . .

ويقول صلاح الشاهد :

وعرضت الأمر على الرئيس . . فى اليوم نفسه تصادف أن كان سفير كندا يقدم

أوراق اعتماده . وكانت قدماه صناعيتين . .

ويومها قال الرئيس . إذا كانت كندا توافق على أن يمثلها سفير بأرجل صناعية . فهل من المعقول ألا نوافق على تعيين شاب بهذا الشكل . . صرفت عليه البلد الكثير من أجل تعليمه . ما ذنبه . لا بد أن يعين فوراً فالعبرة ليست بالعاهة ولكن بالفكر والإنتاج والعمل .

وتستمر القصص والمواقف الإنسانية التى تعكس عظمة القائد الراحل ويستمر صلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية فى حديثه :

ضمن آلاف القصص أذكر هذه القصة . . . فتاة فى العشرين من عمرها أصيبت بمرض فى عينيها وحضرت إلى مكتبى . . وأعطيناها من رئاسة الجمهورية عشرين جنيهاً وحولناها إلى مستشفى المعادى . . وعولجت الفتاة هناك وفوجئت بالمستشفى يقدم فاتورة يطلب فيها ٢٠٠ جنيه .

وهنا اضطررت أن أعرض الأمر على الرئيس . . وعلى الفور أمر بأن تعالج من جيبه الخاص ، ودفع لها المبلغ المطلوب وطلب منى أن أداوم على رعايتها .

ويقول صلاح الشاهد إن جمال كان – رحمه الله – هو أول رئيس دولة فى مصر خصص مبلغاً من ميزانية الدولة لعلاج المواطنين فى الخارج . . وكان لا يبخل على علاج أحد . . وكنا نرسل المريض إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، وإذا رأى المستشفى سفره للخارج يسافر دون أى مانع .

– جانب آخر من عبد الناصر معاملته للناس الذين عملوا معه فى البيت أو فى القصر أو فى مجلس الوزراء . . . إنها قصص مليئة بالإنسانية والعطف والحب الكبير .

عم داود . . . كان يعمل حاجباً فى مجلس الوزراء من عام ١٩٠٥ – وعمل مع الرئيس كحاجب له فى عام ١٩٦٠ . . ثم وصل الرجل إلى سن الستين وأحيل إلى المعاش . . وعندما علم عبد الناصر بذلك أمر بأن يستمر عم داود ويأخذ الفرق بين المعاش والمرتب . . . وكان الرئيس يخجل من أن يقدم له عم داود القهوة لكبر سنه . قال له يا عم داود أرجو ألا تتعب نفسك فى تقديم القهوة والطلبات كل ما أطلبه أن تحضر يومياً حتى أراك . . وفعلا استمر الرجل يحضر يومياً للرئيس لكى يراه . وعندما

مات الرئيس مرض عم داود وحزن عليه حزناً شديداً .

وكما كان عطوفاً على الذين يعملون معه . . كان أيضاً حريصاً على صحتهم .

يقول صلاح الشاهد :

عندما كانت تجرى المباحثات بين مصر وسوريا والعراق . . حدث أن امتدت جلسة المباحثات إلى ما بعد منتصف الليل . . . وبرغم انشغال الرئيس فى المباحثات أرسل لى ورقة كتب فيها : عم داود . على رشيد . رشاد حسن ينصرفون فوراً إلى منازلهم لأننا سنتأخر بعض الوقت .

وعم داود كان حاجبه الخاص .

وعلى رشيد كبير الأمناء . . ورشاد حسن كبير الياوران . . وكانوا جميعا من كبار السن .

والكلام لا يزال لصلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية .

فى هذه الواقعة تعرضت لغضب الرئيس . كان هناك حاجبان يتناوبان تقديم الشاى والقهوة للرئيس هما عكاشة وعبد الحليم . . وغاب عكاشة ثلاثة أيام لم يره الرئيس خلالها . .

وعندما حضر سأله : أين كنت يا عكاشة ؟

فأجاب الرجل : لقد كنت مريضاً ياسيادة الرئيس . .

وسأله الرئيس : وماذا فعلت ؟ .

فأجاب : ذهبت للطبيب فكتب لى الدواء ، وأخذ منى جنيهين للكشف ودواء تكلف ٣ جنيهات . وذهبت له ثاني يوم ، وطلب أن آكل صدر دجاجة يوميا . .

وسأله الرئيس : وهل أعطاك صلاح الشاهد شيئاً ؟

وخشى الرجل أن يغضب منى الرئيس فقال له : نعم يا سيادة الرئيس أعطانى عشرة جنيهات . . وعندما سألت عكاشة عن غيابه . قال لى إنه كان مريضاً وأن الرئيس علم بمرضه وسأله هل أعطاك صلاح الشاهد شيئاً . . فقال له كذباً أعطانى ١٠ جنيهات حتى لا يغضب الرئيس منى . وطلب منى الرجل إذا سألنى الرئيس أن أقول له هذا الكلام لأنه لا يحب الكذب .

ويقول صلاح الشاهد : ثم استدعاني الرئيس وقال لى :« يا راجل حتروح من

ربنا فين . . الرجل الغلبان يمرض ويروح للدكتور ، ويدفع فلوس ويصف له الدكتور كل يوم صدر دجاجة يأكلها . . وأنت تعطيه ١٠ جنيهات ماذا يفعل بهذه الجنيهات العشرة . . وأنت تعلم أن الفرخة بـ ٤٥ قرشاً وكيلو اللحم بـ ٦٥ قرشاً هذا عدا الدواء . . . هو أنا لازم آخذ بالى من كل حاجة وأعمل كل حاجة بنفسى والا ايه ؟ ! » .

وقال لى الرئيس : إذا كنت عاوز ترضينى . ابسط الراجل الغلبان ده . . . . أكرمه شوية . . . .

مثال آخر لوفائه للعاملين معه . . .

فى أحد المؤتمرات الشعبية فى المنيا لمح الرئيس أحد الرجال وكان يعمل معه جندياً فى الفالوجا عام ١٩٤٨ . وأحضر الرئيس الرجل وأخذه معه فى القطار إلى القاهرة . . . وصل معه الرجل واسمه سعيد . . وبعد أشهر مات سعيد بالسكتة القلبية . . .

وعندما علم الرئيس طلب من محمد أحمد سكرتيره الخاص أن يرافق جثمانه إلى المنيا . . . وأن يقوم بمصاريف الجنازة . . . وأن يعمل الواجب ويتقبل هو بنفسه العزاء نيابة عن الرئيس .

والحديث عن المواقف الخاصة بوفاء عبد الناصر الإنسان لا يمكن أن ينتهى ولا يمكن حصر هذه المواقف .

وعن أحدها يقول كبير الأمناء برئاسة الجمهورية . حدث أن أصيب فؤاد تيمور الأمين الأول بالرئاسة باحتباس فى صوته . قدم الرجل على أثره استقالته . . . وعندما علم الرئيس رفض الاستقالة ، وكان سيادته يرفض أن ينقل موظف فى الرئاسة دون أن يعرض عليه الموضوع شخصياً ... وقال عبد الناصر بالحرف : هذا غير معقول ... أن نأكل الراجل لحماً ونرميه عضماً . . لابد أن يعالج فؤاد تيمور إلى أن يعود له صوته .

وفعلاً سافر فؤاد إلى أمريكا وبريطانيا . . وكان الرئيس يكلفنى أن أسأل عليه يومياً بالتليفون طوال مدة علاجه فى الخارج .

وعاد فؤاد تيمور ، بعد أن عاد إليه صوته ، وعين مرة ثانية فى الرئاسة كما كان .

أنا شخصياً أصبت بجلطة فى قدمى وأمرنى الرئيس بأن أسافر إلى الخارج للعلاج ،

وفعلاً سافرت وكان يأمرنى بأن أستريح مبكراً . .

وقال لى مرة وهو يضحك : والله إذا لم تسترح يا صلاح . . سأسجنك ٢٤ ساعة .

وعندما علم بأن ابنتى ستتزوج . . وأن الموعد قد حدد فى يوم ١٠ مايو وكان الرئيس على موعد هام . . ولم أتوقع أن يحضر . . . وفوجئت بجمال عبد الناصر يلغى ميعاده . . ويحضر ليشاركنى فرح ابنتى .

وكان يوجد خط واضح يفصل بين عبد الناصر الإنسان ، وعبد الناصر رئيس النظام والقائد السياسى . . ولكن المواقف الإنسانية عند جمال كان يستوى فيها الجميع ، بما فيهم السياسيون القدامى والعسكريون أيضاً .

وعندما كان يعلم بأن أحد السياسيين القدامى قد مرض ، كان سيادته يأمر بعلاجه ، وعندما كان يعلم بديونهم برغم مخصصاتهم التى تصرف لهم كان يأمر بتسديد هذه الديون . . .

وفى أحد الأيام اتصل بى أحد السياسيين القدامى وقال لى إن ابن شقيقته وعمره ١٤ سنة يريد أن يزور والده المريض فى لندن ، والذى قرر الأطباء أن حالته ميئوس منها . وطلب الأب المريض أن يرى ابنه الصغير ولكن هذا الابن ممنوع من السفر .

ويقول صلاح الشاهد :

عرضت الأمر على جمال عبد الناصر . . وفى الحال قال لى ، أنت بنفسك مسئول عن سفر هذا الشاب الصغير . . . قم حالاً لإعطائه تأشيرة الخروج احجز له على أول طائرة مسافرة إلى لندن ، ولو أدى الأمر أن ينزل أحد الركاب .

وفعلاً سافر الشاب الصغير فى نفس اليوم . . . ثم عاد بعد يومين مع جثمان أبيه بعد أن رآه وودعه . . .

وسأل الرئيس الراحل عن الولد وأبيه . . وأخبرته أن الطفل عاد هو والجثمان . . . ولحظتها قال جمال : الحمد لله أن الولد سافر . . . لو كنت عرفت متأخراً ولم أستطع أن أفعل شيئاً من أجله . . . كيف كنت سأنام الليل ؟ !

وكان رحمه الله لماحاً . . .

حدث فى أثناء مفاوضات الرئيس مع رئيس جمهورية ألمانيا . . . وكان المترجم ،

موجوداً . ومعنى وجود مترجم أن يكون الرئيس مشغولاً بعض الشيء بالسؤال والإستماع للترجمة .

وبرغم هذا الانشغال ، نادى عليّ الرئيس وعندما ذهبت إليه قال لى إن أحد السعاة فى آخر القاعة يحمل الصينية (والجوانتى) الذى فى يده مقطوع . وأصبعه يطل من الجزء الممزق فى (الجوانتى) كيف حدث هذا .

ويقول صلاح الشاهد :

ووجدت المسافة كبيرة . . . وتعجبت كيف لمح الرئيس الساعى عبد الغفور من بعيد .

وكان الفقيد العظيم ذكياً . . . يفهم ما نقصده دون لف أودوران ، وكثيراً ما كان يقول لنا . . مش عيب إن الواحد يخطئ . . . الذى يعمل لا بد أن يخطئ . . . ولكن العيب أن يدارى الإنسان الأخطاء وإهماله بالكذب والتضليل .

وكان الرئيس يقرأ بسرعة جداً . . . كان يقرأ الصفحة الفولسكاب فى لحظة ويناقش فيها بعمق .

كما كان مؤدباً جداً . . . يحترم كبار السن . . . يحادثهم وعيناه فى الأرض . . . ويكلم كل إنسان باحترام . . وكان يقول كلنا بشر . . . ومصيرنا جميعاً إلى التراب . . . وسيتساوى رئيس الجمهورية مع أصغر خفير . .

وعند بداية أى اجتماع كان جمال يقرأ الآية الكريمة . . . « ربنا آتنا من لَدُنْكَ رحمةً وهيئ لنا من أمرنا رشداً . . . » .

وكان الرئيس الراحل يحرص على أن يرانا جميعاً فى منزله بعد صلاة العيد ، ويسلم علينا فرداً فرداً . . . ويسألنا عن الصحة وعن الأولاد . . . وإذا وجد واحداً منا حزيناً يسأله عن سبب حزنه ، ويحاول مساعدته بقدر ما يستطيع .

وكان رحمه الله بسيطاً ، وأذكر آخر حديث له معى يوم الوفاة . . . فى الساعة الواحدة إلا الثلث . وكان يودع الملوك والرؤساء . . . وأخذ يكلم كل واحد فينا . . . التفت إلى الفريق سعد الدين متولى كبير الياوران وقال له : أنت ليه وزنك بيزيد يا سعد . . . لازم تخس شوية . . . خليك رشيق زى صلاح .

إنه كان رجلا إنساناً . . . يكفى أن كل طفلة عاشت فى ملجأ وكبرت وتزوجت منذ عام ٥٢ حتى اليوم ، شارك جمال عبد الناصر فى دفع نفقات زواجها وأهدى لها باقات الورد .

ذكرياتى مع عبد الناصر . . . .

حديث أجراه الأستاذ عبد الرحمن فهمى

ونشرته الجمهورية يوم ٩ / ٩ / ١٩٧١ .

أجمل مافى أى إنسان هى أخلاقه الحميدة ، وأجمل خلق هو الوفاء . . . . . وممارسة الوفاء قد تكون صعبة فى بعض الأحيان . . . وفى أحيان أخرى تصل إلى درجة الاستحالة . . . لذلك يعتبر بعض الحكماء أن الوفاء هو قمة الأخلاق ومعلوماتى عن هذا الرجل أنه من أوفى الناس جميعاً . . . وعندما دخلت بيته راعنى أنه لا يمارس الوفاء سلوكاً علنياً مهما كانت الظروف فحسب ، بل هو يسجله أيضاً على جدران بيته .

وأتجول ببصرى بين مجموعة الصور النادرة التى تمثل تاريخ مصر الحديث ثم أنظر إلى صاحب المجموعة ، فيقرأ الرجل الدهشة البادية على وجهى ويقول لى :

— كل صورة من هذه الصور سواء كانت لملك أو رئيس جمهورية أو رئيس وزراء أو وزير . . . سواء حكم مصر أو جاء إليها فى يوم من الأيام ، كل هذه الصور عليها إهداء شخصى لى بخط اليد ومذيلة بالتوقيع . . . وأنا أحب كل هؤلاء ووفى لكل هؤلاء . . وليس وفائى بمساعدة أقاربهم فقط ، بل أيضاً يجب أن يكون لذكراهم .

ويصمت صلاح الشاهد برهة . . وهذه عادته . . إنه لا يرسل الكلام على عواهنه . فهو رجل البروتوكول فى مصر لذلك تجد كلامه يخرج بالطريقة الإملائية لكى يعطى فرصة للكلام أن يمر على عقله قبل أن يخرج من فمه ، إنه يزن كل كلمة يقولها . .

أقول . . . يصمت صلاح برهة . . ثم يقول :

— منذ أيام . . . زارنى أحد المسئولين عن السياحة فى فرنسا ، وعرض على أن يأخذ كل هذه الصور فى طرد كبير ، ليقيم معرضاً فى فندق جورج الخامس ، أفخم

فندق فى باريس ، على أن يستضيفنى أنا وزوجتى لمدة أسبوعين فى نفس الفندق . . .

قلت لسيادته : إنها مجموعة نادرة ولكن معناها أكثر ندرة فى هذه الأيام .

فيقول صلاحَ الشاهد :

– تحب أقول لك حكاية لا يعلمها أحد . . . تعرف أن سر علاقتى القوية بالمرحوم الرئيس جمال عبد الناصر هى وفائى لرؤسائى السابقين . . فنى الشهر الأول من الثورة سمع سيادته حواراً بينى وبين أحد رجال الأمن وكان لى موقف معين . . وكانت هذه البداية سبباً فى أن أكون أقرب شخص لسيادة الرئيس طوال تواجده فى مكتبه .

قلت لصلاح الشاهد : إن هذه الصور ستسهل مأموريتى قطعاً ، هناك قصة وراء كل صورة . .

فقال الرجل الوقور الأنيق . . ليس بالضرورة كل صورة ولكن . . ثم صمت ونظر نحو صورة فيها مانزيس رئيس وزراء أستراليا . . وقال لى :

– فى يوم ٣ سبتمبر ١٩٥٦ . . جه مانزيس مصر علشان يتفاوض بشأن قناة السويس بعد تأميمها . . . وكانت الحالة متأزمة والوضع حرجاً جداً . . خصوصاً مع بريطانيا وفرنسا . . وكان المرحوم الرئيس يخشى أن تتطور المناقشة أكثر من اللازم . . فقال لى :

– اسمع يا صلاح ، لو ضربت لك الجرس مرتين متتاليين ادخل بسرعة وقل للضيف تسمح تتفضل تخرج بره ، لقد انتهت المقابلة ثم تصحبه إلى باب سيارته . . .

وجلست يومها فى مكتبى مرهف السمع . . الموضوع خطير يتعلق بالبلد كلها . . لذلك رفضت أن يدخل على أحد قط ، حتى لا أنشغل بأى شىء ورفعت سماعة التليفون حتى لا يرن . . ولكن المقابلة انتهت بسلام .

ويضيف صلاح الشاهد قائلا :

لقد كان الرئيس عبد الناصر وطنياً يفيض وطنية ، بحيث إنه كان مستعداً أن يفعل أى شىء من أجل رفع شأن البلاد ، لذلك كان حازماً حاسماً ، بل عنيفاً أيضاً مع أعداء البلاد أمثال مانزيس وغيره . . ولكن تعال تر الجانب الآخر من شخصيته . . كان فيه مصور عندكم فى الجمهورية اسمه عزت ، وكان الرئيس يعرفه شخصياً ،

بل كان يفكر فى إلحاقه بالرئاسة كمصور خاص ، وفجأة يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٥٦ انفجرت طائرة دمشق فى الجو التى كان يركبها عزت ، فمات ، وما إن علم الرئيس جمال بالخبر حتى أمسك كتفى وقال لى هامساً وهو حزين . .

قال لى : ما نصه بالضبط : « شوف أمه وأولاده وإخواته وابعت لهم نقود » . . وبعد ثلاث سنوات بالضبط . فى يوم ذكرى وفاة عزت ولا أدرى كيف تذكر سيادته هذا اليوم بعد مرور ثلاث سنوات وكان يومها يزور القاهرة الفريق عبود رئيس جمهورية السودان سألنى فى أثناء حفل العشاء : ايه أخبار أسرة عزت : فقلت له : عزت مين . . كنت نسيت الموضوع . . فقال لى ، المصور عزت الذى مات فى الطائرة فقلت له : لا أدرى بالضبط احنا من ثلاث سنوات صرفنا لهم مبلغاً كبيراً بأمر سيادتك » . . .

فقال لى : « لا . . . لا . . فكرنى بكرة نصدر لهم قراراً جمهورياً بمعاش استثنائى مدى الحياة » . . . ولا أدرى كيف تذكر يوم وفاته بعد ثلاث سنوات . . . هل كان يرجع من آن لآخر لنوتته الخاصة . أم هى ذاكرته غير العادية . . . المهم أن المرحوم كان عنده وفاء غير عادى لذلك عندما جاءنى شقيق عزت بعد أن حصل على الثانوية العامة وكان يريد أن يدخل كلية الشرطة عملت على تحقيق رغبته فوراً لعلمى أن هذه رغبة الرئيس شخصياً .

ويسرح صلاح الشاهد . . ويمسك شاربه الأبيض . . ويمشطه بأصبعه بحركة لا إرادية . . . ثم يروى لى هذه القصة .

- مرة الملك حسين كان معزوماً على العشاء عند الرئيس فى بيته . . وكنت كالعادة أمشى أمامهما إلى أن يصلا إلى الصالون ، ولكن الرئيس لاحظ أننى أمشى « أزك » على رجلى . . وقال لى : انت بتعوج النهاردة ليه : فقلت له : أنا عندى جلطة قديمة فى رجلى ، والنهاردة بدأ الألم يعاودنى مرة أخرى فقال لى : جلطة وساكت عليها . . انت لازم تسافر وتعالجها فوراً . . فقلت له أمام الملك حسين . . معلهش يا افندم فى الصيف لما سيادتك تأخذ إجازة أبقى أسافر . . فقال لى : لا . لا . . لازم تسافر فوراً . . وأصدر أوامره فسافرت إلى ألمانيا فى ظرف ٢٣ ساعة . . حيث دخلت مستشفى هناك وتم علاجى على الوجه الأكمل على نفقة الدولة .

ويجتر صلاح الشاهد ذكرياته العديدة وهو يتألم لفقدان الرجل ويقول لى : فى السنة الأخيرة قبل وفاته لمحنى المرحوم وأنا أجرى . . أو قل . . أهرول لنداء عاجل لى فى مكتبى ، فقال لى مداعباً : انت من يوم ما بقيت رئيس نادى الترسانة وانت بقيت شباب . . قلت : « يا افندم الترسانة فى حالة يرثى لها النادى مديون لشوشته ومش لاقيين ندفع أجور العمال ولا نور ولا مياه . . المورد الوحيد كان الكورة وانقطع » . .

فتضايق الرئيس عبد الناصر وقال : ازاى ما تدفعوش أجور ؟ لأ . . وفى اليوم التالى أمر بصرف أربعة آلاف جنيه إعانة عاجلة للترسانة . . وكانت الترسانة أول ناد يأخذ إعانة نقدية مباشرة من الدولة .

وفجأة وسط عشرات الذكريات قلت للملك البروتوكول فى مصر :

- بروتوكول يعنى إيه ؟

اندهش صلاح الشاهد من السؤال المباغت ، واتسعت حدقتا عينيه وكأنه يصحو من إغفاءة لذيذة كان يحلم فيها بذكريات الماضى القريب . ثم ابتسم وكعادته فى التفكير قبل أن يتكلم وبدأ يقول لى :

- انت أول صحفى يسألنى هذا السؤال برغم أهميته . .

ثم صمت فترة وعاد يقول :

- البروتوكول كلمة لاتينية معناها الحرفى « قواعد المجاملة » وهى ليس لها مراجع معينة . . ولكنها تكيف حسب بيئة كل بلد .

قلت له : ما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فى رجل المراسم ؟ فقال :

- إتقان شغلة المراسم هبة من عند الله قبل أى شىء آخر . . فإذا كان الشخص موهوباً فى هذه الناحية يمكن بعد ذلك تعليمه . . فالتحدث مع الجماهير فن ، بشاشة المقابلة فن ، واحد ييجى يطلب المستحيل ثم يخرج وهوسعيد دون أن تجيبه إلى طلبه لأنه مستحيل ، هذا فن أيضاً . . ثم يجب أن يلبس باستمرار بدلة كاملة ولونها غامق . وتذكر دائماً أن البنى مهما كان ليس لوناً غامقاً . . ويجب أن يكون مرآة لرئيس الدولة . . ويجب أن تكون لرجل المراسم أيضاً لياقة وقوة إقناع وبال طويل ، وسرعة بديهة ، وسرعة تصرف ، مع ذاكرة لا تخيب أبداً . .

ثم حكاية مهمة جداً . . يجب ألا يخطئ . . ولكننا بشر ، وكلنا نخطئ لذلك يجب على رجل المراسم ألا يعترف بخطئه . . فإذا أخطأ يجب أن يفلسف خطأه . . يجب أن يبرره .

واستطرد صلاح الشاهد يقول :

– إسمع الحكاية دى . . كان مرة رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا عندنا . . وعملنا له عشاء رسمياً . . وكان المفروض أن يجلس المرحوم الرئيس عبد الناصر فى الوسط وإلى يمينه رئيس تشيكوسلوفاكيا ثم نائب الرئيس بتاعنا وإلى يسار الرئيس نائب الرئيس التشيكى . . ثم وزير الخارجية التشيكى . . وكنا عملنا الترتيب على هذا الأساس السليم . . وفجأة عندما دخل الجميع إلى المائدة فوجئت بأن الترتيب تغير وجلس نائب رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا بجوار وزير الحربية وجلس وزير الخارجية التشيكى بجوار الرئيس مباشرة على يساره . . تجننت . . إيه اللى حصل . . ثم اتضح أن أحد الأمناء وجد أن المكان الموجود فيه المائدة الرئيسية حار جداً فأحضر مروحة ، والهواء طير كارتين ، ولما أعاد السفرجى وضعهما أخطأ . .

استدعاني المرحوم الرئيس وقال لى :

– إيه اللى حصل . . إيه اللخبطة اللى حصلت فى الجلوس امبارح . .

فقلت له : أبداً يا افندم ما فيش لخبطة . . أنا جالى مدير المراسم التشيكى وقال لى إن نائب الرئيس التشيكى يرجو أن يتناقش مع وزير الحربية أثناء العشاء لأنه أيضا وزير حربية فلبيت له طلبه » .

وعندما عدت من مكتب الرئيس إلى مكتبي وجدت مفاجأة مذهلة . . وجدت مدير المراسم التشيكى فى انتظارى . . فسألنى عما حدث أمس فقلت له : « أبداً لم تحدث لخبطة ، وزير الحربية طلب منى أن يجلس نائب الرئيس بتاعكم بجواره فلبيت له طلبه لكى يتحدثا معاً عن صفقة السلاح أثناء فترة العشاء .

فقلت له : هل رافقت المرحوم الرئيس فى كل سفرياته ؟ فقال لى :

– طبعاً . . هذا من صميم عملى ولكن سفرية واحدة بس لم أرافقه فيها كانت أول سفرية للرئيس . . كان مسافراً إلى مؤتمر باندونج ولكن فى المطار ، وفى آخر لحظة

المرحوم جمال سالم قال للمرحوم الرئيس : ما تسيب صلاح الشاهد معايا . . فوافق الرئيس ونزلت الشنط من الطائرة ، ولكن لما سافر الرئيس ، ووجدهم يسألون عمن رئيس التشريفاتية فى كل بلد ينزل فيها . . لكى يعملوا معه الاستعدادات الخاصة بالحفلات والتنقلات قرر الرئيس ألا يسافر بدونى قط بعد ذلك . . وقد كان . .

جلست مع الرجل الذى عاشر عبد الناصر ١٨ عاماً كاملة . . عمر طويل . . تزوج خلالها بنات الرئيس فأشرف الرجل على حفلاتهن ، وتزوج خلالها أيضاً بنات الرجل فكان المرحوم عبد الناصر هو شاهد العقد لهن . . جلست معه حتى منتصف الليل . .

نتجول بأبصارنا بين ١٢٦ صورة ، ولكل صورة قصة ، ولكن النوم داعب عيون الرجل . . وهو يقاومه من باب اللياقة ، فأنا ضيفه . . وهو ملك البروتوكول فى مصر صناعته الأدب فخجلت من نفسى ، وقمت على موعد لقاء آخر .

لمحات من حياة الزعيم عبد الناصر :
حديث أجراه الأستاذ محمد عويس
ونشرته « القوات المسلحة » يوم
٢٨ / ٩ / ١٩٧٢

ما هى صورة عبد الناصر فى حياته اليومية ؟ . . وما هى اسعد لحظات حياته ؟ . . وهل كانت له – كأى إنسان – عادات خاصة وهوايات محببة إلى نفسه ؟ . . باختصار ما هى ملامح صورة عبد الناصر الإنسان . . هذه الأسئلة وغيرها كانت مدار الحديث الذى نقدمه فى السطور التالية مع واحد ممن عملوا مع عبد الناصر . . وعاشوا بالقرب منه قرابة ١٨ عاماً . . إنه السيد صلاح الشاهد كبير الأمناء برياسة الجمهورية .

كان موعدى مع السيد صلاح الشاهد ، فى منتصف النهار بمكتبه فى الطابق الأرضى من قصر عابدين ، وكنت حريصاً من البداية على أن أكون مركزاً أبعد تركيز أسئلتى فمدة المقابلة كما اتفقنا ستكون خمس عشرة دقيقة لأن كبير الأمناء كان مشغولا بإعداد خمس حفلات تقديم أوراق اعتماد بعض السفراء فى اليومين التاليين . .

ومع ذلك فقد تجاوز الحديث ما كان مقرراً فى زمنه . . واستمر الحوار لأكثر من ساعة فهو حديث الذكريات . . وأى ذكريات إن العمر الزمنى لهذه الذكريات القادمة فى السطور التالية يبلغ ١٨ عاماً ، هو عمر مدة العمل التى اقترب فيها السيد صلاح الشاهد بالزعيم الراحل وعمل تحت قيادته فكان أول لقاء لصلاح الشاهد بالزعيم الراحل بعد يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وبالتحديد بعد سفر الملك السابق فاروق ومغادرته البلاد . وهنا ومن هذه النقطة يأخذ كبير الأمناء طرف الحديث ، ويقول :

– فى البداية كانت نظرتى إلى عبد الناصر هى النظرة إلى رجل ثائر والرجل الثائر بطبيعة الحال يتسم بسمات القسوة والشدة . . ولكن هذه النظرة تغيرت بسرعة . . بل إنها تلاشت ولم يعد أمامى سوى حقيقة عبد الناصر . . عبد الناصر الإنسان . إننى كتبت كثيراً عن عبد الناصر وإنسانيته كما لمستها فيه عن قرب طوال ١٨ عاماً . . والحقيقة أننى لم أكن فى يوم من الأيام رجل سياسة برغم منصبى هنا الذى مر عليه الآن ٣٠ عاماً . . فأنا بعيد كل البعد عن السياسة . . ومن هنا فقد درست عبد الناصر من الناحية الإنسانية التى لمستها فيه .

– قلت لكبير الأمناء . . وكيف لمست فى الزعيم الراحل هذا الجانب الإنسانى .

– أجاب سيادته : الحقيقة أن هذا الجانب يحسه كل من يعمل مع عبد الناصر . . إننى أذكر فى إحدى المرات أن مرضت ابنتى وأبلغونى بالتليفون أن حرارتها مرتفعة فقمت بطلب الدكتور ورجوته الذهاب إلى بيتى لفحص ابنتى ، ولكننى حين دخلت على الرئيس لاحظ أن شيئاً ما يشغلنى ويضايقنى . واستفسر عن السبب فأوضحت لسيادته ما حدث لابنتى . . وهنا قال لى : يا أخى إزاى تعرف تشتغل وبنتك عيانة . . روح اقعد معاها . . وذهبت بالفعل إلى منزلى ولم تمض دقائق إلا وعدد كبير من الأطباء أرسلهم الرئيس إلى بيتى لعلاج ابنتى .

الحياة الخاصة :

واتجهت بحديثى مع كبير الأمناء إلى ذكرياته عن الحياة الخاصة لعبد الناصر . الحديث فى عاداته . . حياته اليومية . . اللون المحبب إلى نفسه . . الهواية التى يفضلها . .

الرياضة التى كان يفضل ممارستها . . الهدايا التى كان يحتفظ بها . . والحقيقة أن الحديث هنا كان ظريفاً . . ولم يتكلم صلاح الشاهد إلا بعد فترة تأمل وتفكير انتهزتها لأطوف بناظرى فاحصا تلك الحجرة الكلاسيكية فى كل شيء . . أثاثها ومفروشاتها . . لا يوجد فيها شيء حديث سوى جهاز تكييف الهواء ، ومع ذلك فهناك فى أحد أركانها توجد المروحة القديمة . . ولم يدم تأملى طويلا فقد بدأ الرجل حديثه ، قائلا :

– كان الزعيم الراحل يحب الأكل الخفيف . وكان يميل دائماً إلى الملابس الداكنة اللون . أما الكرافتات فكان يحب النوع المقلم .

– وما هو اللون الذى كان محبباً إلى نفسه ؟

– اللون الأصفر على ما أعتقد وبصفة خاصة فى « فوط » الوجه ، فجميعها خاصة كانت صفراء اللون فى البيت أو المكتب . أيضاً كان يحب اللون الأبيض بالنسبة للقمصان .

– وما هى هواياته المفضلة ؟

– كان يمارس لعبة التنس ويهوى لعب الشطرنج وكان يحب الاستماع إلى أسطوانات أم كلثوم .

– وهل كان يحتفظ فى حجرة مكتبه بنوع من الأنتيكات أو التحف أو الهدايا الخاصة ؟

– الحقيقة أنه لم يكن يهوى تحفاً معينة . . وكان – فقط – يحتفظ فى جيبه بمصحف بسلسلة فضة أما الهدايا فإنه لم يكن يحتفظ بها ، بل كان يوزعها دائماً . . وحين يتلقى هدية فإن أول من يدخل عليه تكون الهدية من نصيبه .

ثم يبتسم صلاح الشاهد ابتسامة خفيفة فقد تذكر شيئاً طريفاً فى هذه المناسبة . . وعاد إلى الحديث قائلا :

– أذكر أن المستمر « يوجين بلاك » حين استقبله الرئيس بمكتبه . أحضر له هدية ماكينة تصوير « بولارويد » تلتقط الصور وتحمضها وتطبعها فى الحال وكنت أنا والأخ محمود الجيار نتصارع على من ستكون من حظه هذه الماكينة . . وبينما كنا نتناقش معاً دخل أحد السادة نواب الرئيس المكتب وخرج من عنده وهو يحمل « الماكينة » . .

وقصة طريفة أخرى أذكرها بهذه المناسبة . . فقد زاره فى مكتبه أُستاذ هندى من جامعة أمريكية وقدم له هدية طاقما من أقلام الحبر والرصاص الباركر ومكتوب على كل قلم اسم « الرئيس ناصر » بالإنجليزية . . وبعد أن رافقت الضيف إلى الخارج طلبنى الرئيس وأعطانى الهدية . . ولكنى قلت للرئيس :

إنها هدية زى قلتها . . فقال لى الرئيس : يعنى ايه فقلت إننى لا أستطيع استعمالها فهى تحمل اسم سيادتك . . فضحك وقال لى : طيب اشترى لك طاقم تاني . . وكمان خد الطاقم الهدية . . وفعلا أعطى لى ثمن طاقم الباركر علاوة على الطاقم الآخر .

الموقف الصعب :

كان من اللازم أن أتحدث مع كبير الأمناء . . عن مواقف صعبة صادفها فى عمله مع الزعيم الراحل . . خاصة أن منصب كبير الأمناء من المناصب الحساسة التى لا يسمح فيها بأدنى خطأ فالخطأ معناه على الفور أزمة دولية ولكن هل هناك بشر – كما يقول صلاح الشاهد – معصومون من الخطأ . وفى هذه النقطة قال كبير الأمناء :

– الحقيقة أن مهنتى شاقة للغاية بفعل الحساسية المفرطة فى أداء واجباتها ، ولا تعجب بعد ذلك من أن ٩٩٪ ممن يشغلون هذا المنصب فى دول العالم يموتون بالسكتة القلبية فالخطأ – ونحن بشر – غير مسموح به فى مهنتنا . وحين يحدث الخطأ فلا بد أن أقدم سبباً معقولاً للغاية يبرر الخطأ . . ويجعله صواباً . المهم هو المبرر المعقول . . وستر ربك يا أخى .

الأبوة ونقطة الضعف :

وعدت أسأل كبير الأمناء عن لمحات أخرى من حياة الزعيم قلت له ما هى بحق أسعد اللحظات فى حياة هذا الرجل ؟ . .

– قال صلاح الشاهد إنها بحق هى تلك اللحظات التى كان يقضيها مع أولاده ومن بعدهم حفدته . وأكاد أقول نقطة الضعف التى كان يلين عندها عبد الناصر هى

الأبوة والحنان الأبوى . . إننا حين كنا نقدم له أى طلب لأى شخص يرغب فى علاج ابنه أو حفيده فإنه كان يستجيب لهذا الطلب على الفور ودون نقاش حتى لو كان هذا الشخص عدواً له . . وهناك مئات الحالات، أمر بسفرها إلى الخارج حين عرف أن الأب كان يريد السفر لعلاج ابنه .

هجر الأفراح بعد الهزيمة :

وفى هذا المجال أذكر أننى دعوت سيادته لحضور فرح ابنتى يوم ٢٠ فبراير ١٩٦٩ . ولكنه قال لى إنه اتخذ قرارا بعدم حضور أفراح منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ومع ذلك كان جميع نواب الرئيس والوزراء سيحضرون الفرح . . وفى هذا اليوم تصادف أن ابن أحد نواب الرئيس سيتزوج وطلب النائب من الرئيس الحضور ، ووافق الرئيس على الحضور تحت شرط أساسى وهو عدم السماح بالتصوير أو نشر الخبر فى الصحف حتى لا أحس – أنا شخصياً – بضيق ، والأكثر من هذا أن والد العريس حين حاول تصوير الحفل بكاميرته الخاصة . . منعه الرئيس من ذلك . وقد قال لى نائب الرئيس هذه الواقعة بتفاصيلها . . وفهمت من أعضاء هيئة الوزارة أن الرئيس طلب منهم جميعاً الحضور ومشاركتى افراحى مع ابنتى .

من ذكرياتي مع الصحافيين

كنا مجموعة أَلِفَ الودّ والحب بين قلوبهم ، لا يفترقون إلا قليلا من الليل ، وكانت الشهور الخمسة التي تقضيها الوزارة ببولكلي تزيد من ألفتنا ولقاءاتنا في ليل الإسكندرية الجميل .

كان يجمعنا السَّبْق في الحصول على الأخبار ودراسة الحالة خاصة أثناء رئاسة المغفور له صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس للوزارة في عامي ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ويناير ١٩٥٢ ، ثم التسلية البريئة الهادئة .

وكانت هذه المجموعة تضم أربعة أصليين أو في حكم المؤسسين لهذه الأخوية ، المرحوم الأميرالاي « عميد » محمد وصفي قائد حرس الوزارة ، والمرحوم الأستاذ عبد الحليم الغمراوي المحرر « الأهرام » ، والمرحوم البكباشي رشاد مهنا مساعد الأميرالاي وصفي ، والأستاذ عوض قنديل المحرر في « المصري » وكاتب هذه الذكريات ، وكان ينضم إلينا في بعض السهرات الصاغ حسني شعير عضو مجلس الشعب الآن ، والصاغ صلاح التاودي مدير فندق أطلس الذي كنا نقضي في منزله في جليمونوبولو ليالي لطيفة إذا أردنا تغيير مكان السهرة وهو مسكن الأميرالاي وصفي .

وكان الأستاذ الغمراوي ينسلخ منا في كثير من الليالي ليقضي سهرات في فندق ناسيونال بالقاهرة أو أحد ملاهي الإسكندرية ، وكان يساعده في عمله بالاسكندرية الأستاذ ممدوح طه رئيس قسم الأخبار في الأهرام فيما بعد .

وكان الصراع بين الغمراوي وعوض قنديل على السبق في الأخبار حاداً وكل يوم .

وكان الفوز في الغالب من نصيب عوض قنديل لكثرة عدد أصدقائه ومعارفه من رجال السياسة والوزراء ، ولأنه الابن الروحي للمرحوم محمود غزالي باشا رجل الأمن

العتيد الوثيق الصلة بالسفارة البريطانية ، ووزير الزراعة فى وزارة المرحوم نجيب الهلالى باشا (مارس ١٩٥٢) . وبعد أن تزوج الدكتور زكى عبد المتعال شقيقة حرم غزالى باشا صار صديقنا عوض قنديل يحصل منه على رول جلسة مجلس الوزراء وينشره فى « المصرى » صباح يوم الجلسة ، ويشكو الغمراوى ولا من يسمع ، حتى أننى سمعت المرحوم عبد اللطيف محمود باشا يجيب الصحفيين عقب إحدى الجلسات بأن المجلس بحث ما هو منشور فى « المصرى » .

ولما استطاعت الولايات المتحدة استصدار قرار من الأمم المتحدة بمشاركة بعض الدول فى حرب كوريا تحت علم الأمم المتحدة ودعيت مصر لهذه المشاركة حرصت « الأهرام » على إيفاد الأستاذ عبد الحميد الإسلامبولى صديق الدكتور محمد صلاح الدين باشا وزير الخارجية إلى الإسكندرية يوم اجتماع مجلس الوزراء لمساعدة الغمراوى وممدوح طه .

وقد خرج الوزراء بعد الجلسة يعلنون انه لم « يتخذ قرار » وان المجلس سيعقد اجتماعاً آخر . . . لكن الموقف السياسى كان فى درجة الغليان ، لأن الولايات المتحدة تحرص على تجميع أكبر عدد من الدول للوقوف إلى جانبها ضد الاتحاد السوفييتى فى حرب كوريا .

وعند المساء اتصل بى المرحوم محمد وصفى وقال لى إنه غير مقتنع بأن المجلس لم يتخذ قراراً خاصة وأن الاجتماع دام ثلاث ساعات ونصف ساعة ، والمعروف أن النحاس باشا أب لجميع الوزراء فلا مجال للخلاف .

وبحثنا عن الغمراوى فلم نجد عنده جديداً ، وبحثنا عن عوض قنديل فلم نعثر عليه إلا الساعة الثانية عشرة والنصف ، حيث جاء يقول إن المجلس قرر الحياد فى حرب كوريا والاعتراف بالصين الشعبية ، فصدق وصفى الخبر الأول ولكنه شك فى الثانى لأنه يعلم من اتصالاته بالقصر الملكى الذى يحاول جذب مستر جيفرسون كافرى سفير أمريكا إلى جانبه أن الملك لن يوافق على الاعتراف بالصين الشعبية ، وستستجد فى الموقف بين القصر والوزارة أزمة لاشك أن النحاس باشا حريص على عدم وجودها .

فقال عوض قنديل إن مصدره هو الدكتور زكى عبد المتعال باشا وزير المالية وأنه

سمعه منه الساعة الثامنة مساء فى مسيرة للوزير مع قرينته على الكورنيش ، وأنه توجه إثر ذلك إلى مكتب « المصرى » وكتب الخبر وسلمه للمرحوم محمود أبوالفتح ، فكان رأيه أن الخبر غير صحيح ، لأنه كان منذ ساعة مع صلاح الدين باشا وإبراهيم فرج باشا وقالا له إن المجلس لم يصدر قراراً .

فاقترح الصديق عوض قنديل أن يتصل زميله الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف (المحرر بالاخبار الآن) تليفونياً مع خاله وزير التموين مرسى فرحات باشا ويسأله سؤالا محدداً هل أصدر المجلس قراراً بالحياد والاعتراف بالصين الشعبية .

وقد كان السؤال ، وكانت إجابة الوزير أن الخبر صحيح ، وعندئذ قال المرحوم محمود ابو الفتح للصديق عوض قنديل : طيب هات الخبر اضيف عليه بعض الحواشى .

وصدرت « المصرى » فى الصباح بالخبر ، أما المندوب الخاص الاستاذ الاسلاميولى فنشر أن المجلس اتخذ قرارا ولم يحدده ، وكان ماكتبه الغمراوى وممدوح طه أن المجلس سيعقد جلسة أخرى .

وفى ذات المساء كنت والصديق عوض قنديل ننتظر المرحوم محمد وصفى الذى جاءنا بأن صديقه مستر سمسون ضابط المخابرات فى السفارة البريطانية قال له هذه العبارة بالتحديد اثناء حديثهما (إما أن تهدأ هذه المنطقة او تضرب وتتحطم) .

وكانت المفاوضات المصرية البريطانية فى حالة تعثر كامل .

وقال عوض قنديل إنه التقى بصديقه القديم المرحوم عونى عبد الهادى بك سفير المملكة الأردنية الهاشمية مصادفة بعد ظهر هذا اليوم ، وكانا يسكنان فى غرفتين متجاورتين فى فندق سان ستفانو ودعاه لأكل الـ « عاشوراء » الملكية التى أرسلها قصر رأس التين إليه وبها النقود الفضية المعتادة بمناسبة مقابلته الملك فاروق فى ذلك اليوم ، وأثناء حديثهما قال المرحوم عونى بك إنه عرض على الملك خدماته لدى السفارة البريطانية التى كان وثيق الصلة بها من أجل استئناف المفاوضات وأن الملك قال له لا تتعب نفسك وسنجعل الإنجليز يجرون وراءنا بعد أن جرينا وراءهم سبعين عاما .

وقال عونى بك لصديقنا إنه يشعر بالخطر على مصر وهى وطنه الثانى بعد فقد

فلسطين ، وإنه ينصح بتنبيه الملك والنحاس باشا إلى هذا الخطر ، واتفقا على أن يبلغ صديقنا الاستاذ مرتضى المراغى بك محافظ الإسكندرية ليبلغ الملك ويخبرنى لأبلغ النحاس باشا ، وقضينا سهرتنا على أحسن ما يكون الود والصفاء الصادق .

ولم يمض على ذلك أكثر من اسبوعين فيما أذكر حتى جاءنا الصديق عوض قنديل بخبر جديد يروى فيه أنه كان جالسا مع المرحوم محمد أمين خليل وكيل وزارة الشئون الاجتماعية عندما دخل عليه سكرتيره السيد محمد عبيد وأبلغه أن الدكتور أحمد حسين وزير هذه الوزارة كان عائداً من جنيف حيث عقدت جلسات مؤتمر العمل الدولى على الباخرة أسبيريا التى كان عليها أيضا المرحوم على ماهر باشا ، وأنهما تفاهما على تخليص مصر من أزمتها مع أمريكا بمحاولة لزعزعة استقرار وزارة النحاس باشا وأن يستقيل الدكتور احمد حسين وبعض أنصاره فى الوزارة احتجاجاً على تصرفات قيل إنها تمس نزاهة الحكم .

فقال المرحوم محمد وصفى إنه يعلم أن هناك اتصالات بين السفير الأمريكى وعلى ماهر باشا وأن اتصالات الدكتور أحمد حسين برجال النقطة الرابعة (الأمريكية) معروفة ، وعلينا انتظار ما سيفعله الدكتور احمد حسين .

وفعلا أعلنت « أخبار اليوم » استقالة الدكتور احمد حسين وتمسكه بها رغم إلحاح النحاس باشا ، وبقيت الأزمة أياما ، والوزراء يعلنون رفض الاستقالة وإخوتنا الصحافيون ينشرون تصريحات الوزراء .

وفوجئنا ذات صباح بأن « الأهرام ، وأخبار اليوم » تنشران قبول الاستقالة بينما « المصرى » تعلن استمرار الوزير ، وهو أمر غير الواقع .

وسألنا عوض قنديل ربما يكون لديه معلومات فقال إنه فوجئ بعد منتصف الليل بزميله موسى صبرى واحمد فهمى (ابن اخت الاستاذ ابو الفتح) يدخلان عليه غرفته فى سان ستفانو ويطلبان منه ابلاغ « المصرى » قبول الاستقالة .

والمعروف أن موسى صبرى كان على علاقة وثيقة مع الدكتور احمد حسين ، وأن أحمد فهمى انساق فى هذا التيار وربما كان ذلك بموافقة الاستاذ احمد ابو الفتح حيث إنه سأل عوض قنديل فى ذلك الصباح عن سبب تخلف « المصرى » عن نشر

خبر قبول الاستقالة فقال له إنه عجب من حضور احمد فهمى إلى غرفته فى الفندق ، وكان يمكنه الوصول إلى مكتب « المصرى » أو الاتصال بالقاهرة تليفونياً من الدور الأول فى سان ستفانو.

وكان من بين مصادر صديقنا عوض قنديل وطنى مصرى هو الحارس الخاص للسفير البريطانى ، وكان يواليه يوميًا بتفاصيل تحركات واتصالات السفير وكانت « المصرى » تعلم ذلك وتدفع مكافأة شهرية رمزية ، وذات يوم جاء أحدهم ليقول للمرحوم وصفى إن الحارس التابع لك على صلة مريبة مع محرر فى « المصرى » فنهره وصفى وطرده من مكتبه .

وكان صديقنا وثيق الصلة مع مستر تشابمان اندروز الوزير المفوض بالسفارة نتيجة صلاتهما مع غزالى باشا .

وكان صديقنا يطلق على مستر تشابمان انه سكرتير لجنة الوفد فى السفارة البريطانية نظرًا لما كان يؤمن به من أن حكم الوفد هو أصلح حكم لمصر.

وكان واسع الصلات يحصل على الاخبار بسهولة نادرة ، وكان يستطيع قراءة أى ورقة على بعد يقرب من سته أمتار ، وكنت كثيراً ما أحذر من يكون فى مكتبى من المسئولين الذين يتصادف دخوله وهم عندى يعرضون بعض الموضوعات التى ستعرض على رفعة النحاس باشا ، فأسارع برفع ورقة مما امامى واقول له ارجع فى آخر الغرفة واقرأ ما فيها ، وكنت أقصد تنبيه ذلك المسئول .

وهو صديق قديم للمهندس عبد المجيد بدر باشا وزير الشئون الاجتماعية فى عهد السعديين ، وذات يوم دخل عليه فى مكتبه ، وكانت أمامه مذكرة ستعرض على مجلس الوزراء بتعيين الاقتصادى الكبير المهندس أحمد عبود عضواً فى المجلس الأعلى للعمال ، وكانت هناك معارضة فى هذا التعيين ، كما كانت خلف مكتب الوزير مرآة فقرأ صديقنا الخبر ونشره وهاجت الوزارة .

وذات يوم وجدته مع عبد المجيد باشا وجاءنا المرحوم عبد الحليم الغمراوى وقال :

– يا باشا انت لسه بتعرف أخينا ده . . . فرد عليه : هو الدم يبقى ميه – والمعروف أنه ليست هناك أية صلة عائلية .

وجاءنا صديقنا ذات يوم ليقول إن السفارة البريطانية تجرى اتصالات مع المرحوم أحمد نجيب الهلالى باشا بوساطة مستر كريزويل الوزير المفوض الذى خلف تشايمان اندروز بعد فشل المفاوضة مع النحاس باشا .

فقال المرحوم وصنى إن لديه تقريراً بأن مستر كريزويل زار نجيب باشا فى منزله بالمعادى وكان يرافقه فى سيارته الأستاذ على أمين أحد صاحبى «أخبار اليوم» رحمه الله .

وكانت تجمعنا رابطة حبنا لزعيم الديموقراطية والحريات المرحوم مصطفى النحاس باشا ، لكن صديقنا كان منحازاً بسبب وفائه النادر لوالده الروحى محمود غزالى باشا الذى زكى ترشيح الهلالى باشا لخلافة النحاس باشا لدى السفارة بعد فشل المفاوضة وعمل ما وسعه الجهد لذلك ، وكذلك بسبب صلاته الاخبارية على الأقل مع وزير المالية الدكتور زكى عبد المتعال المحسوب على الهلالى باشا .

وكان وقتذاك المحرر السياسى لمجلة مسامرات الجيب ، فوجه سياستها اتجاها هلالياً وضد رجال القصر أثناء تحقيقات الأسلحة الفاسدة ، وظهرت فى المجلة نغمة هجومية ضد فؤاد سراج الدين باشا كان يعتز بها الدكتور زكى عبد المتعال ويرتاح لها الهلالى باشا .

وذات مساء فوجئت بصديقنا أمام فؤاد باشا فى سان ستفانو ، وهو يقول له : أنا مانش عارف مجلة وفدية تنقلب على الوفد بالشكل ده ازاى .

وكان صديقنا قد أصبح محررا فى « البلاغ » الوفدية التى يشرف عليها فؤاد باشا وكان اختياره هذا يرجع إلى قدرته الاخبارية النادرة .

ولما انتهى من حديثه مع فؤاد باشا سألته عن الموضوع فقال ان وزارة الداخلية منعت الإعلانات الحكومية عن « مسامرات الجيب » وإن الاستاذ عمر عبد العزيز صاحب المجلة شكا من هذا المنع وأثره على إيراد المجلة ، وأنه حدث فؤاد باشا فى هذا فكان رده السابق .

وبعد اسبوع أبلغنى ان فؤاد باشا كلف سكرتيره الاستاذ احمد البدينى بالإشراف على تحرير المجلة وانه باشر العمل ، وان صديقنا امتنع عن العمل فيها ، واقتصر على « المصرى والبلاغ » .

وقبيل الثورة بحوالى شهرين وبينما كنت والأميرالاى وصفى والبكباشى رشاد مهنا نتناول الشاى فى حديقة فندق « بوريفاج » جاءنا يقول انه تقابل مع المرحوم محمد محمود خليل بك رئيس مجلس الشيوخ الأسبق والذى ظل يحلم برئاسة الوزارة سنوات ، وأنه قال له إذا لم تحدث تغييرات جذرية فى شئون هذا البلد وسياسته فستكون هناك حالة خطيرة لا يعلم إلا الله مداها ، وأن ذلك تضمن حديثا معه أرسله إلى « البلاغ » لنشره فى اليوم التالى ، ونشر الحديث فعلا .

ويوم تأليف وزارة الهلالى باشا التى اعقبتها حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كنا فى الدور العلوى من المنزل نتخذ الإجراءات لتشكيل الوزارة ، وكان معنا من الصحافيين الاستاذ على حمدى الجمال والاستاذ الصديق عوض قنديل وباقى الصحافيين فى الدور الأرضى . وقال لى الهلالى باشا إن هيئة الوزارة ستكون هى الهيئة التى تولت الوزارة الأولى ماعدا محمود غزالى باشا وزير الزراعة الذى سيحل محله المرحوم حسن كامل الشيشينى . وقد سبق أن أوضحت قبلا مسألة تعيين إسماعيل شيرين بك وزيرا للحربية .

ونظرًا لأننى أحب غزالى باشا وأقدره كأنزه موظف فى هذه الدولة ولانه باع ثلثمائة فدان ورثها عن والده للوفاء بنفقاته العائلية وتربية ابنة زوجته وابنها وما تتطلبه اتصالاته العالية من نفقات رغم ألوف الجنيهات التى كانت تحت يده من المصاريف السرية وهو مدير الامن العام لسنوات عدة خلال الحرب العالمية الثانية . . . لهذا سألت الهلالى باشا عن سبب ترك غزالى باشا فقال : لأنه طلب من حسين سرى باشا أن يشركه معه فى الوزارة التى اعقبت وزارتنا السابقة .

فانتهزت الفرصة وقلت لصديقنا ان غزالى باشا لن يدخل الوزارة ، فامتقع وجهه وسكت — وبعد أن أتم الهلالى باشا تعلياته إلىّ بشأن إعداد مراسيم التشكيل وأخذت أستعد للنزول سبقنى صديقنا حيث التقى بزملائه الصحفيين وقال لهم إن الوزارة ستشكل بهيئتها القديمة ما عدا محمد غزالى باشا الذى اعتذر عن الاشتراك فيها ، وعندما التقيت بهم سألونى صحة الخبر فانصرفت عنهم بضحكة ونكتة ، وتبعنى صديق وركب معى وقال إن غزالى باشا سيتصل به فى فندق سيسل فى الثامنة مساء ليعرف منه موعد حلف اليمين كى يسارع بالحضور من القاهرة وقال إنه سيرد عليه بأنه اعتذر عن الاشتراك فى

الوزارة وأن الصحف ستنشر ذلك فى الصباح التالى .

وعندما تحرك الجيش فى القاهرة ووصل الهلالى باشا والوزراء إلى بولكلى وتجمع الصحافيون لم اجد صديقى بينهم وكنا قد جاوزنا منتصف الليل فطلبته تليفونيًّا فى فندق سيسل وأيقظته من نومه وقلت له . . . انت نايم والبلد فى ثورة فقال : اذن تحقق كلام محمد محمود خليل . ثم جاءنى ليقول لى :

– انت عارف إني ساكن فى الدور الثانى ، وقد طلبت الأسانسير فجاءنى من أعلى ووجدت فيه الدكتور فؤاد صروف وقد غادر الفندق مسرعاً .

وكان صديقنا متشائما غاية التشاؤم .

ومن بعد ذلك لم يكن يحضر إلى الرئاسة فى القاهرة إلا لماماً ، وانشغل صديقنا المرحوم محمد وصفى بما أبلغه به المرحوم على ماهر باشا من أن هناك شكوكاً لدى الضباط من اشتراكه فى بعض عمليات الاغتيال التى قام بها رجال القصر ، وفى مقتل مرشد الإخوان المسلمين .

وتفرقت جماعتنا ووافى الاجل المرحوم وصفى حسبما ذكرت .

أزمة الرئيس محمد نجيب :

وأثناء أزمة مارس ١٩٥٤ والاعتداء على المرحوم الدكتور السنهورى وهتاف عمال النقل المشترك بقيادة صاوى أحمد صاوى ضد المحامين الجهلة والصحافيين الخونة الذين أيدوا الحرية والديموقراطية فوجئت بالصديق عوض قنديل والمرحوم على خليل البرقانى وثالث لا أذكره ، وأن صديقنا يقول لى انه سيعتصم فى نقابة الصحفيين ويعلن الصيام حتى يجتمع رجال الرأى والحزبين لمناقشة الأوضاع التى وصلت اليها البلاد ، وايده فى ذلك زميلاه وأعلنا مشاركته ، وغادروا دار الرئاسة وفى الصباح قرأت فى « الأهرام » برقية يعلن فيها صيامه حتى يجتمع ذو الرأى ويقرروا مستقبل الديموقراطية فى مصر ، ولم يشاركه احد فى الصيام .

واتصلت تليفونيًّا بالمرحوم ابنه وسألته اذا كان فى حاجة إلى شىء فأجابنى بأنه ترك له ما يلزمه من المال بكفاية وقال له : عليك نفسك .

واتصلت به فى النقابه وقلت له انك لم تذكر الحزبين فقال ان الزميل البير عمون سكرتير تحرير « الأهرام » حذفها ، وأنه يثق فى تقدير هذا الزميل العزيز.

وكان أن اعيدت الرقابة على الصحف ، وعدل صديقنا عن صيامه وأصبح تحت رقابة صارمة من المباحث العامة بقيادة اللواء عبد العظيم فهمى (وزير الداخلية فيما بعد)

أزمة نقيب الصحفيين ١٩٥٥ :

وكان العهد الجديد قد ألغى جدول الصحفيين العاملين ، واستحدث جدولا جديدا للنقابة سنة ١٩٥٥ وحدد شهر يوليو لانتخاب النقيب ومجلس النقابة الجديد ، ورشح كل من الاساتذة جلال الدين الحمامصى ، وحافظ محمود ، وحسين فهمى نفسه لمنصب النقيب ، ونظراً لحب واحترام صديقنا للأستاذ الحمامصى حيث عمل معه فى صحيفتى الكتلة ، والزمان فى الاربعينيات ، فقد كان الداعية له بكل جوارحه بين زملائه .

وجاءنى صاحبى يقول إن المرحوم صلاح سالم وزير الإرشاد دعاه مع زميله المرحوم محمد صادق عبد الكريم مدير مكتب « صوت الأمة » بالاسكندرية والذى يعاون صلاح سالم فى الشئون السودانية بلونه المماثل للسودانيين ، وهددهما بالغاء النقابة اذا لم ينتخب حسين فهمى نقيبا .

وان المرحوم مصطفى القشاشى سكرتير النقابة العتيد اتصل به وقال له ان السيد محمود الجيار مرافق الرئيس والسيد وجيه أباظة يعملان مع السيد صلاح سالم على نجاح حسين فهمى .

وقال صديقى ان الذى دفعه اكثر فى تأييد الحمامصى أنه هو الذى جاء بالسيد حسين فهمى إلى المجال الصحفى فى أواخر عام ١٩٤٧ فى جريدة « الزمان » وانه تردد إن صدقا وإن كذبا أن حسين كان من أحد عوامل الخلاف بين صاحب الجريدة والحمامصى الذى آثر ترك رئاسة تحرير الجريدة ليعمل فى « أخبار اليوم » . . . ولم اجد مجالا للتدخل من جانبى ، فسارع صاحبنا يقول إنه لا يمانع فى الاستجابة لتهديد صلاح سالم ، أومحمود الجيار أو وجيه اباظة ، ولكن على هؤلاء ان يفرجوا عن صبرى أبو المجد

الذى اعتقل لأنه نشر استفتاء فى « المصور » ينزع الى الديموقراطية وأن عليهم ان يَحْضُر صبرى الجمعية العمومية .

وبعد انتهاء عملية الانتخاب وفوز حسين فهمى قال لى صاحبنا إن الليلة السابقة للانتخاب كانت كلها اتصالات تليفونية من مسكنه بين المرحوم مصطفى القشاشى ومحمود الجيار ووجيه أباظه ، وأن حسين فهمى حضر الجمعية العمومية للنقابة صباح اليوم التالى متأبطاً ذراع صبرى ابو المجد .

وعلل اختيار حسين فهمى من المسئولين أن الموجة اليسارية كانت قد بدأت تتسلل إلى الجهاز الأعلى الحاكم، وإن الزميل حسين ركب إحدى هذه الموجات وأن الدعاية ضد الحمامصى كانت الدعوى بأنه أمريكانى .

وان المرحوم صلاح سالم اتجه بالإخوة السودانيين هذه الوجهة فكلف المرحوم محمد نور الدين والاساتذة الدكتور احمد السيد حمد (الامين المساعد للجامعة العربية الآن) والدكتور محى الدين صابر (مدير المنظمة العربية للثقافة الان) وحسن جبيلى ، والطيب خير بزيارة السفير السوفييتى فى القاهرة وتمت الزيارة فعلا .

المرحوم على زين العابدين حسنى :

وكان صديقنا العالم الفاضل ورجل المفاوضات المصرية الانجليزية منذ الاربعينات حتى اتفاقية اكتوبر ١٩٥٤ يتابع صداقتنا ويزيدنا من وده وكرم أخلاقه ، وذات يوم جاءني وهو وكيل وزارة الإرشاد وقال أنه يريد الاستفادة من خبرة صديقه وصديقى عوض قنديل فى الشئون السودانية ، وبينما نحن فى حديثنا اذا به يواجهنا واتفقا وبدأ العمل فى الحكومة وانتقل إلى وزارة الخارجية وعمل فى سفاراتنا بالخارج ، وبينما كنت أوصى عليه سفيرنا بالكويت الأستاذ أحمد لطفى متولى قال لى إنه أخ واكثر من صديق ومرءوس له .

حركة التصحيح فى ١٤ مايو ١٩٧١ :

وصباح الجمعة ١٤ مايو ١٩٧١ كانت إحدى البرقيات المبكرة فى تأييد الرئيس

السادات والدعوة إلى عودة الحريات موقعة من ١٦ صحافيًّا بينهم صديقنا عوض قنديل .

واضطر مجلس النقابة الموالى لمراكز القوى إلى التأييد بمسيرة إلى قصر القبة ، ولم يتمكن السيد الرئيس أنور السادات من مقابلتهم وأناب الأخ محمد أحمد .

المعاهدة مع الاتحاد السوفييتى :

ويوم إعلان توقيع الرئيس أنور السادات والرئيس بودجورني على المعاهدة بين . البلدين فوجئت بصديقنا فى مكتبي بقصر القبة مع زميل الدراسة وصديقى وصديقه الاستاذ أنور حبيب رئيس ديوان المظالم الآن والثورة بادية على وجه عوض قنديل وانفجر يقول ما هذا الذى حدث ؟ أما كفانا ماكان من تسلط الشيوعيين حتى تقتن صداقتهم بمعاهدة . . . إن الواجب يقضي بان تظهر معارضة فى الاتحاد الاشتراكى او مجلس الشعب . وكان حاضرًا الفريق اول سعد الدين متولى كبير الياوران فابتسم ابتســـامته العريضة . فقلت لصديقنا :

اسمع ، الرئيس أنور السادات من المستحيل أن يصبح شيوعيًّا أو مؤيداً للشيوعية وأن المعاهدة أبلغ رد على المؤامرة .

عاوز تجرب بنفسك روح اعمل حزب شيوعى وسنرى ما يحصل لك . وضحكنا جميعًا ، واطمأن صديقى المريض بالحريات والديموقراطية .

الجمهور المصرى تنفرد بخبر لا أساس له :

إثر استقالة المرحوم نجيب الهلالى باشا كان المرحوم عبد الحليم الغمراوى وبعض الصحافيين ومنهم مندوب « الجمهور المصرى » الأسبوعية ، وكانت ســـتصدر صباح اليوم التالى .

وسألنى الغمراوى عمن سيكون رئيس الوزراء ، فقلت إنه بهى الدين بركات باشا ، ولم يكن لهذا القول أساس من المعلومات ، ولكنها رمية لسان .

وفى المساء ، وكنا بالاسكندرية ، فوجئت بصديقنا المرحوم وصفى يقول إن ما قلته

فى الصباح على غير أساس صار الآن حقيقة ، حيث كلف الملك حافظ عفيفى باشا باستدعاء بهى الدين باشا من القاهرة ، وقال صديقنا عوض قنديل إنها مناورة من كريم ثابت للضغط على حسين سرى باشا والدكتور محمد هاشم باشا لتعيين كريم وزيراً ، وأن صديقه الدكتور هاشم والذى كان معه منذ ساعة متأكد من أن سرى باشا هو الذى سيؤلف الوزارة .

وانفردت « الجمهور المصرى » وحدها بنشر الخبر الذى لم يكن له أساس وقت أن سمعه مندوبها منى فى بولكلى .

ووصل بهى الدين باشا وقابل الملك وكلفه تشكيل الوزارة ، وعاد إلى فندق سيسيل يستشير أحمد لطفى السيد باشا ، وطلب من عاملة التليفون بالفندق أن يتصل بمنزله بالقاهرة .

وسارع عوض قنديل وأعطى العاملة جنيهاً وصعد إلى غرفته وكلفها بأن تسمعه حديث بهى الدين باشا مع أسرته ، واستمع إلى الحديث .

وجاءنا فى المساء يقول إن زوجة بهى الدين باشا لم تكن بالمنزل وإن التى ردت عليه ابنته ، وكانت صغيرة فقال لها قولى لماما إننى كلفت بتشكيل الوزارة .

فردت عليه ، وأخذت وزارة إيه يا بابا .

فقال : رئاسة الوزارة يا بنتى مع السلامة .

الاحتفال بارتداء الغمراوى

بدلة ملونة بعد إتفاقية ١٩٥٤

لم أر عبد الحليم الغمراوى طوال السنوات العديدة التى عمل فيها محرراً فى « المصرى أو الأهرام » إلا وهو لابس بدلة « وجرافت » سوداء ، ولما سألته عن ذلك ذات يوم قال إنه لن يخلعها إلا عند جلاء الإنجليز عن مصر .

وفى أكتوبر ١٩٥٤ وقعت اتفاقية الجلاء وكان الأستاذ الغمراوى قد جاوز السبعين

من عمره فأحضرت له بدلة ملونة « وجرافت » ملون واحتفلنا فى رئاسة مجلس الوزراء بالقاهرة بارتدائه البدلة الجديدة .

ثور يقتحم المجمع اللغوى :

وذات صباح اقتحم دار المجمع اللغوى بشارع القصر العينى ثور هائج وأحضر المسئولون فى المجمع بعض جنود المطافئ لربطه بالحبال وجزارين من المذبح لذبحه .

وكان المرحوم الغمراوى قد قضى أجله فى الحياة ، وصار الأستاذ ممدوح طه بعده مندوب « الأهرام » فى الرئاسة .

وعند علمى بخبر الثور دخل علىّ ممدوح ، فقلت له : فيه ثور اقتحم المجمع اللغوى . فضحك وقال نكتة حلوة . . فقلت له : حلوة إيه ، فيه ثور صحيح فى المجمع .

فظن الأمر هزلاً من أمثال مداعباتى له .

وفى اليوم التالى صدرت كل الصحف بالخبر ماعدا « الأهرام » ، وجاءنى صديقى يقول إنت بهزارك ضيعت علىّ الخبر ، وواجهت لوماً فى الجريدة برغم أننى رئيس قسم الأخبار .

وعقدنا معاهدة ألا أناديه باسمه ، ولاباسم الذى اقتحم المجمع وإنما أدعوه « تيتل » .

رب ضارة نافعة :

وكان صديقنا فاقد السمع وقتها ويستعمل سماعة ، ودخل علىّ فى اليوم نفسه فحركت شفتىّ دون كلام ، ولما لم يسمع قال إن يظهر إن البطارية فاضية . فأخذت منه السماعة بحجة شراء بطارية ، وبعد ربع ساعة سلمته السماعة على أنها أصلحت ثم حركت شفتىّ مرة أخرى ، فقال إنها لاتزال تالفة ، ولكن أنقذ الموقف جرس التليفون .

وذات يوم كان المرحوم على ماهر باشا يحادث الصحافيين وهو جالس فى سيارته

وهم ينقلون تصريحه وصديقنا مرسل السماعة داخل السيارة وينقل تصريح رئيس الوزراء وفاجأته بقطع السلك فغضب لأنه لم يسمع التصريح .

وكانت هذه الحادثة سبباً فى أنه أجرى عملية أعادت إليه السمع الطبيعى .

هذه الذكريات :

وأجدنى قد أطلت فى الحديث عن صديقى عوض قنديل ، وعذرى أنها صداقة عمر طويل ومشاركة فى الصغير والكبير من الأخبار والأحداث .

وعندما فكرت فى نشر هذه الذكريات اتجه ذهنى إليه ولم يتحول إلى غيره ، وعندما جمعتها سلمتها إليه فى بداية عام ١٩٧٤ ، وذهبنا معاً إلى صديق عمرى الدكتور إبراهيم عبده ، واتفقنا على ترتيب الأحداث ، وفوجئت بخطاب من صديقى المنتدب للعمل فى سفارتنا بالخرطوم يخبرنى بأنه سينتهى من المراجعة قبل إحالته إلى المعاش يوم ٩ ديسمبر ١٩٧٤ وعودته إلى الوطن .

ثم عاد ، ولكننى إفتقدته تماماً . وفى الصيف الماضى أعلنت فى صحيفة « الأخبار » فقد الصديق والذكريات ورجوته الاتصال بى .

ومن بعد علمت أنه كان يقضى الصيف فى جمصة مع صديقه الشاعر العوضى الوكيل الذى نبهه إلى مانشر فى الأخبار .

وبعد الصيف جاء واقترح تعديلات وأجراها وتم إعداد الذكريات على هذه الصورة .

واتجهنا إلى الصديق الفاضل الدكتور السيد أبو النجا المشرف العام على دار المعارف فى فبراير الماضى ولقيت من وده ما تعودت ، وكنت أتوقع صدور هذه الذكريات فى مارس الماضى ، لكن زحام العمل فى هذه الدار الكبرى حال بين تحقيق رغبتى ، ووقعنا العقد يوم ٩ فبراير ١٩٧٦ ورجونا أن يصدر الكتاب قريباً .

وفوجئت فى أوائل مارس ببيان للأستاذ فؤاد سراج الدين فى « الأخبار » وفيه من الأحداث ماجاء فى هذه الذكريات .

وسارع الصديق عوض قنديل يشير إلى هذا الأمر ، ولما استفسرته أجابنى بأنه

يستشعر الخشية من أن يظن البعض أننا ركبنا الموجة مع هذا البيان ، خاصة وإن الأساتذة الموفقين العاملين مع عالم الإدارة القدير الدكتور السيد أبو النجا يرون أن الجانب الأعز فى هذه الذكريات عن زعيم الحريات والديمقراطية مصطفى النحاس وسياسته الوطنية .

وإنه ليسعدنى أن أساهم فى إنصاف خليفة سعد زغلول الذى ودعه شعب مصر يوم ٢٣ من أغسطس ١٩٦٥ وداعاً رائعاً حاراً .

استقالتى من الخدمة :

فى أوائل أبريل عام ١٩٧٣ رجوت السيد الرئيس أنور السادات أن يتفضل بقبول استقالتى من منصب كبير الأمناء لكى أتفرغ لكتابة ذكرياتى حيث أرى من واجبى أن أسجل للتاريخ ما سمعت وشاهدت خلال عملى تشريفاتياً لرئاسة مجلس الوزراء وأمينا أول لرئيس الجمهورية ثم كبيراً للأمناء خلال واحد وثلاثين عاما وشهرين .

وفى يوم ٥ من أبريل ١٩٧٣ تفضل السيد الرئيس فأصدر أمره بقبول الاستقالة .

وفى يوم ١٤ من أبريل ١٩٧٣ تفضل سيادته وأهدانى وسام الجمهورية من الطبقة الأولى .

وكنت الوحيد فى تاريخ الوظائف الذى استقال وأهدى إليه مثل هذا الوسام الرفيع أو أى وسام آخر .

بسم الله الرحمن الرحيم

من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية

إلى السيد صلاح لبيب الشاهد، كبير الأمناء برئاسة الجمهورية سابقاً.

تقديراً لحميد صفاتكم، وجليل خدماتكم للدولة، قد منحناكم وسام الجمهورية من الطبقة الأولى،

وأمرنا بإصدار هذه البراءة إيذاناً بذلك.

تحريراً بقصر الجمهورية بالقاهرة في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول لسنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين من هجرة خاتم المرسلين.

١٢ ابريل سنة ١٩٧٣

رئيس ديوان رئيس الجمهورية

صورة براءة الوسام

فهرس

صفحة

العهد الأول . . الملكية

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

العهد الثانى . . الثورة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الإيداع	١٩٧٦/٣٢٠٣
الترقيم الدولى ٢ – ٢٦٧ – ٢٤٦ – ٩٧٧	ISBN

١/٧٦/١٤٠ مطابع دار المعارف–١٩٧٦

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

ذكريات صلاح الشاهد

واكب صاحب هذه الذكريات خلال أكثر من ثلاثين عاماً الحوادث الكبرى فى مصر وفى الأمة العربية ، وكان إلى جوار القمة السياسية فى مصر مديراً للمراسم برئاسة مجلس الوزراء مع الزعيم المصرى المرحوم مصطفى النحاس باشا ومع المرحوم حسين سرى باشا والمرحوم على ماهر باشا والمرحوم أحمد نجيب الهلالى باشا والرئيس اللواء محمد نجيب والرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

ومنذ تولى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر رئاسة الجمهورية كان الأمين الأول فى القصر الجمهورى ثم كبير الأمناء معه ومن بعد مع السيد الرئيس أنور السادات .

وهو يسجل فى هذه الذكريات أحداثاً كبرى كانت لها آثارها فى مصر والعالم العربي فى دقة وأمانة ومسئولية ترقى بهذا الكتاب إلى القمة فى المكتبة العربية .

١٥٠ قرشاً


Exclusive
For
www.ibtesama.com